٤٨٨

دراسات وبحوث

في التاريخ والحضارة

جمع وتنسيق

الطبعة الأولى

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

Princeton University Library
32101 055405599

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

و بحوث

ي

لإسلام

لأوّل»

'Amili

٤٨٨

دراسات وبحوث

في

التاريخ والإسلام

جعفر مرتضى العاملي

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

(RECAP)
BP50
.A493
1988
juz' 1-2

الكتاب: دراسات و بحوث في التاريخ والاسلام (ج١ و٢)
المؤلّف: العلامة السيّدجعفرمرتضى العاملي
الموضوع: تاريخ **اللغة:** عربي
عدد الأجزاء: جزءان **عدد الصفحات:** ٦٢٤
الناشر: مؤسّسة النشرالاسلامى التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة
الطبع: مطبعة مؤسّسة النشرالاسلامى
الطبعة: الثانية **المطبوع:** ١٠٠٠ نسخة
التاريخ: ١٤٠٩هـ.ق

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 023103835

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين ، من الأوّلين والاخرين إلى قيام يوم الدين .

وبعد :

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب « دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام » نقدّمها إلى القارىء الكريم ، مع مزيد من الشكر والتقدير والاعتزاز ، وخالص المحبّة والعرفان . . ومع الاعتذار عن أيّ هنات أو تقصير ، لمسه أو يلمسه في ما نقدمه إليه من بحوث ؛ وما نعرض عليه من دراسات .

وتمتاز هذه الطبعة على سابقتها ، بالإضافة إلى جودة طباعتها ، وحسن إخراجها ، بالأمور الثلاثة التالية :

١ ـ إنّ بعض الموضوعات التي كانت في الطبعة الاولى قد استبعدت من هذه الطبعة ، وهي الآتية :

ألف : « من هو أوّل من أرّخ بالهجرة »

باء : « معنى العصمة في الأنبياء (ص) والأئمّة (ع) » .

جيم : « حي على خير العمل في الأذان » .

وهذه الموضوعات موجودة في كتابنا : « الصحيح من سيرة النّبي الأعظم (ص) » ، فلم يبق بعد مجال لا يرادها في هذا الكتاب . .

٢ ـ قد اضيف إلى هذه الطبعة موضوعات لم تكن في سابقتها ، وهي :

ألف : « المهدّية بنظرة جديدة » .

باء : « فلسفة الأخلاق في الإسلام » .

جيم : « الحروف المقطّعة في القرآن » .

دال : «نحن . . ونهج البلاغة» .

هاء : «الوحدة الإسلامية : أسسها ومنطلقاتها» .

واو : « عهد الأشتر في ميزان الاعتبار » .

زاي : لمن هذه الكتب .

٣ ـ وبعد . . فإنّ ثمة إضافات وزيادات كثيرة نالت عدداً من الموضوعات ، بالإضافة إلى زيادة بعض المصادر لبعض النصوص في موارد كثيرة . .

وأخيراً . . فإنني أسال اللّه سبحانه أن ينفع به ، ويجعل ثوابه لأرواح شهداء الإسلام الأبرار في إيران الإسلام . .

واللّه هو الموفق والمسدد وعليه التّكلان . .

١٣ / شعبان / ٤ . ١٤هـ .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

مقدّمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

والحمد للّه ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذه مقالات ودراسات إسلاميّة متنوّعة نشر عدد منها في مجلات إسلاميّة في أوقات سابقة ، وبعضها الآخر لم ينشر . أحببت جمعها في كتاب واحد ليسهل تناولها على من أرادها .

وإنّني سوف اعتبر الجزء الأوّل من هذا الكتاب بمثابة الحلقة الثالثة من سلسلة : « أكاذيب وحقائق » . بعد : « ابن عباس وأموال البصرة » و « حديث الافك » . وذلك لاشتمال هذا الجزء على أبحاث كثيرة تدخل تحت ذلك العنوان . . والأبحاث الأخرى وإن لم تكن داخلة فيه مباشرة . . فإنّها بالتأكيد ليست غريبة عنه . .

ونأمل أن يوفّقنا الله للاستمرار في خدمة الدين ، ومنه نستمدّ الحول والقوّة ، وعليه التكلان . .

٨ / ٤ / ١٤٠٠ هـ . **جعفر مرتضى الحسيني العاملي**

إعرف الكتب المحرّفة

إعرف :

الكتب المحرّفة

١٤/ جمادي الاولى/ ١٤٠٠ هـ.

بسم الله الرحمٰن الرحيم :

بعد الحمد والصلاة على محمد وآله

إنّ الذي يتتبّع الكتب التي يعاد طبعها في هذا العهد يجد : أنّ الكثير منها يتعرّض للتحريف والتحوير ، والتزوير ، والزيادة والنقيصة .

يقول ناشر كتاب : « تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري » في ص (د) عن تحريفات الوهابيّة والسعوديين والحشويّة للكتب : « . . من عادة الحشوية أن يترصّدوا الفرص لا فناء أمثال هذه الكتب إمّا بحرقها علاناً ، يوم يكون لهم شوكة وسلطان ، وإمّا بسرقتها من دور الكتب ، أو بوضع مواد متلفة فيه ، وإمّا بتشويهها بطرح ما يخالف عقولهم منها عند نسخها ، أو الكشط والشطب في نسخها الأصليّة . . » .

وهذه جريمة كبرى وخيانة صريحة للدين وللامّة.

ولا يمكن أن يعتبر ذلك أمراً عارضاً وطبيعيّاً إذا لوحظت هذه الكثرة الكاثرة لهذا التصرّف المشين . . بل إنّ ذلك ينبىء عن أنّ وراء الأكمة ما وراءها ، وأنّ ثمّة خطة مرسومة ومدروسة لذلك .

ولعلّ خير شاهد على ما نقول هو ذلك الطابع الخاصّ الذي تتسم به طبيعة

التحريفات والزيادة والنقيصة التي تتعرض لها الكتب ، فإنّها عموماً تصبّ في مجرى واحد ، وتستمدّ من قناة واحدة . . وهي الهوى المذهبي : والتعصبّ الأعمى لفكرة أو اتجاه معين . . ولسنا هنا في صدد تحليل ذلك ، ورسم منطلقاته وأبعاده . . وإنّما نريد فقط إلفات النظر بذكر أمثلة موجزة ممّا عثرنا عليه صدفة من التحريفات لبعض الكتب . . ونكتفي بالإشارة إلى مورد واحد أو أكثر من كلّ كتاب ، حسبما نراه مناسباً ، ونكل استقصاء ذلك وتتبعه إلى من يهمه الأمر . . ونحن على ثقة من أنه يهم كل مسلم بل كل حرّ في العالم . . وإذا كنا لا نستطيع في هذه العجالة . . الاستقصاء ، فإننا ولا شك نكون قد ساعدنا طلّاب الحق ، وعشّاقه على أن يكونوا حذرين من الآن وصاعداً من الخيانات التي تعرّضت وتتعرض لها الكتب المطبوعة ، ولسوف تطبع . .

وليعتبر كل واحد منهم نفسه مراقباً ومحاسباً لكل أولئك الخائنين والمنحرفين ، الذين يخونون دينهم وضميرهم وامتهم . .

والكتب التي نوّد الإشارة إلى بعض أمثلة التحريف فيها هي التالية :

١ ـ تاريخ اليعقوبي .
٢ ـ نهج البلاغة .
٣ ـ شرح عقائد النسفي .
٤ ـ الكشكول . والمخلاة .
٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم .
٦ ـ أهوال القبور .
٧ ـ البحر المحيط .
٨ ـ جامع بيان العلم .
٩ ـ الصواعق المحرقة .
١٠ ـ ديوان المتنبي .
١١ ـ صحيح الترمذي .
١٢ ـ أخبار الحمقى والمغفّلين .

١٣ ـ حياة محمد (ص) .
١٤ ـ طبقات المعتزلة .
١٥ ـ الابانة للاشعري .
١٦ ـ مجمع البيان .
١٧ ـ مختصر تاريخ الدول .
١٨ ـ الأغاني .
١٩ ـ مقاتل الطالبيين .
٢٠ ـ مسند أحمد .
٢١ ـ الطبقات لابن سعد .
٢٢ ـ صحيح مسلم .
٢٣ ـ شرح النهج للمعتزلي .
٢٤ ـ صحيح البخاري .
٢٥ ـ تطهير الجنان .
٢٦ ـ المعارف لابن قتيبة .
٢٧ ـ تاريخ الطبري .

وأما أمثلة التحريف ، التي قلنا : إننا سوف نقتصر عليها من كل كتاب ، من دون تتبع واستقصاء ، بهدف إلفات النظر إلى هذا الأمر الخطير فهي التالية :

١ ـ تحريف كتاب : تاريخ اليعقوبي :

قال اليعقوبي في تاريخه / ج ٢ ص ٣٧ ط النجف سنة ١٣٥٨ :

« . . وقد قيل : أن آخر ما نزل عليه : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة ، وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه بغدير خم . . » .

ولكن المطبوع في دار صادر في بيروت سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠م / ج ٢

ص ٤٣ قد حرّفت فيه العبارة السابقة على النحو التالي :

« وكان نزولها يوم النفر على أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه بعد ترحّم . . » .

٢ ـ تحريف كتاب : نهج البلاغة :

في نهج البلاغة ط مصر الذي عليه شرح الشيخ محمد عبده / ج ٣ ص ١٩٥ ط الإستقامة ، وج ٤ ص ٤٣ ط دار المعرفة ، ونهج البلاغة بتحقيق وفهرسة صبحي الصالح / ص ٥٠٢ ، وشرح ابن ميثم / ج ٥ ص ٣٤١ هكذا :

« . . وا عجباه ! أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة ؟ ! » .

ولكن الموجود في شرح النهج للمعتزلي / ج ١٨ الصفحة الأخيرة وهو الصحيح عنه عليه السلام :

« . . وا عجبا ! أن تكون الخلافة بالصحابة ، ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟ »

وهذه هي النسخة الملائمة لحقيقة القضية وواقع الأمر .

وقال السيد عبد الزهراء الخطيب: إن سائر المخطوطات للنهج (وغيره من الكتب) ذكرت العبارة على هذا النحو الصحيح كما في شرح المعتزلي.

٣ ـ تحريف كتاب : شرح عقائد النسفي :

قال في الغدير / ج ١٠ ص ٣٦٠ :

« . . وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية . . ذكره التفتازاني في شرح المقاصد ٢ : ٢٧٥ ، وجعله لـدة قـولـه تعـالـى: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، واولي الأمر منكم، في المفاد.

وبهذا اللفظ ذكره التفتازاني أيضاً في شرح عقائد النسفي ، المطبوع سنة ١٣٠٢ ، غير أن يد الطبع الأمينة على ودايع العلم والدين حرّفت من الكتاب في طبع سنة ١٣١٣ سبع صحائف ، يوجد فيها هذا الحديث . . » . انتهى .

٤ ـ تحريف كتاب : الكشكول والمخلاة للبهائي :

إن تحريف كتاب : (الكشكول) للشيخ البهائي ، كالنار على المنار ، وكالشمس في رابعة النهار ، حتى لقد قال العلاّمة السيد محمد مهدي الخرسان في مقدمة الكشكول المطبوع في النجف سنة ١٣٩٣ هـ ص ١٣١ :

« . . والأمر الذي يلفت النظر في الطبعات المصرية جميعها ، إسقاط جميع ما فيه من الأدب الفارسي ، وهو يبلغ قدر ثلث الكتاب ، مضافاً إلى وقوع التصحيف ، والتحريف ، والتحوير ، والتزوير ، مما أمكن معه صحة سلب الكتاب عن مؤلفه . . » .

أما تحريف كتاب المخلاة فهو كالنار على المنار ، وكالشمس في رابعة النهار .

٥ ـ تحريف كتاب : اقتضاء الصراط المستقيم :

قال أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني ، في كتابه : « البرهان الجلي ، في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي » . . هامش ص ١٦٣ :

« لما اعيد طبع الكتاب الثاني (أي كتاب اقتضاء الصراط المستقيم) في مطبعة أنصار السنة ، حرّفوا فيه بعض العبارات ، وجدوها صريحة في مخالفتهم ، وموافقة جماعة المسلمين » . انتهى .

٦ ـ تحريف كتاب : أهوال القبور :

ثم قال الغماري هامش ص ١٦٣ من كتابه « البرهان الجلي » :

« ومثل هذا (أي التحريف) حصل في كتاب : أهوال القبور للحافظ ابن

رجب . . فقد طبع بمكة المكرّمة ، وحذف منه القائمون على طبعه جملة أيد بها المؤلف رحمه الله حديث عرض أعمال الأمة على نبيّها صلّى اللّه عليه وآله وسلّم » . انتهى .

٧ ـ تحريف كتاب : البحر المحيط :

وقال الغماري أيضاً هامش ص ١٦٣ من كتابه : البرهان الجلي :

« . . ومثل هذا وذاك ما حصل في تفسير : « البحر المحيط » عند طبعه ، فإن مؤلفه أبا حيان عرض فيه لابن تيمية ، وذمّه ، وذم بدعته ، فحذف المشرف على تصحيحه بمطبعة السعادة ذلك الكلام من أصله ، ولم يترك له في التفسير أثراً يدل عليه . فماذا أعدّ الله لهؤلاء الخائنين لامانة العلم ؟ الجانين على كتبه ؟ إنه سبحانه المتفرد بعلم ذلك والمجازي كل نفس بما كسبت هنالك ، و « كل امرىء بما كسب رهين » .

٨ ـ تحريف كتاب : جامع بيان العلم :

لقد ذكر في مختصر جامع بيان العلم ، باب قول العلماء بعضهم في بعض / ص ١٩٦ ، وعنه السيد شرف الدين في : أجوبة مسائل موسى جار الله / ص ١٠٥ رواية تدل على حليّة المتعة . وهي أنه قد قيل لابي حنيفة : مالك لا تروي عن عطاء ؟ ! قال : لاني رأيته يفتي بالمتعة . .

ولكن لم نجد لهذا الكلام أثراً في نفس جامع بيان العلم ، المطبوع مؤخراً في السعودية سنة ١٣٨٨ هـ . فلماذا تهتم السعودية بتحريف الكتب إلى هذا الحد ؟ ! .

٩ ـ تحريف كتاب : الصواعق المحرقة :

والصواعق المحرقة قد لعبت فيه أيضاً يد التحريف والخيانة ، وقد لاحظ ذلك السيد طيّب الجزائري ، فقابل بين طبعة سنة ١٣٨٥ وبين طبعة سنة ١٣١٢ هـ .

وقد جدد طبع هذه الثانية بالافست ، وجعل في أولها جدولاً بقائمة التحريفات بين النسختين . .

ومن جملة ما ذكره من التحريفات :

١ ـ اسقاط عبارة : « ذكر علي عبادة » من ص ٧٤ .

٢ ـ اسقاط عبارة من ص ٧٦ وهي : « واخرج الطبراني عنه قال : كانت لعلي ثمانية عشر منقبة ما كانت لأحد في هذه الأمة » .

٣ ـ اسقاط عبارة من ص ٨٧ وهي : وفي رواية للحاكم : فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ قال : « اللهم صلّ على محمد وآل محمد » الخ .

٤ ـ اسقاط عبارة من ص ١٣٥ وهي : عثراتهم ، إذ أهل البيت والأنصار من أجلّ ذوي الهيئات .

٥ ـ عن أبي عباس : من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . حذفت هذه العبارة من ص ٣ .

٦ ـ في ص ٢٠ في قوله : صراط « عليّ » مستقيم . حذفت كلمة علي .

٧ ـ في ص ٢٨ حذفت عبارة : فقال له أبو حنيفة : لو كتبت إليهم ؟ فقال : لا يطيعوني بالكتب وتزويجه إيّاها يقطع ببطلان ما زعمه الرافضة . .

إلى غير ذلك مما ذكره السيد الطيّب الجزائري في جدوله المفصّل فمن أراد فليراجع .

١٠ ـ تحريف ديوان المتنبّي :

قال السيد عبد الزهراء الخطيب في كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده / ج ١ ص ١٤٦ .

وقال أبو الطيب المتنبّي وقد عوتب على تركه مدح أمير المؤمنين (ع)

وتركت مدحي للوصيّ تعمدّاً إذ كان نوراً مستطيلاً كاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

وقال في الهامش : « ومما يؤسف له : أن هذين البيتين حذفتا من بعض طبعات ديوان المتنبّي ، حتى إن الاستاذ عبد الرحمان البرقوقي ذكرهما في الطبعة ذات الجزئين /ج ٢ ص ٥٤٦ ، وحذفهما في الطبعة ذات الأربعة أجزاء (وعلى هذه فقس ما سواها) » .

١١ ـ تحريف كتاب : صحيح الترمذي :

قال ابن طاووس في الطرائف / ص ١٤١ ، والعلاّمة في نهج الحق الذي في ضمن دلائل الصدق / ج ٣ ص ٩٧ ، والشهيد الثاني في اللمعة ط النجف / ج ٥ ص ٢٨٣ ، والبحار ط قديم / ج ٨ ص ٢٨٦ عن الشهيد والعلاّمة ، والجواهر / ج ٣٠ ص ١٤٥ ، كل هؤلاء قالوا :

إنه قال في : « صحيح الترمذي : سئل ابن عمر عن متعة النساء ، فقال : هي حلال ، وكان السائل من أهل الشام ، فقال له : إن أباك قد نهى عنها ؟ ! فقال ابن عمر : إن كان أبي قد نهى عنها ، وصنعها رسول الله ، نترك السنّة ونتّبع قول أبي ؟ ! » .

ولقد راجعنا المطبوع من صحيح الترمذي ، فلم نجد هذه الرواية في متعة النساء ، ولكن هناك رواية شبيهة بها ، ورواها أحمد في مسند ابن عمر أيضاً ترتبط بمتعة الحج ، التي حرّمها عمر مع متعة النساء بلفظ واحد ، وفي مقام واحد .

وهذا يدل على أن ثمة تحريف في صحيح الترمذي ، أو حذف لهذه الرواية منه ، وإلاّ . . فلو كان نقل هؤلاء وخصوصاً العلاّمة عن الترمذي خطأ لم يسكت الفضل بن روزبهان عن الإيراد عليه ، ولكان صال وجال ، وشهّر بالعلامة ما استطاع ، على اعتبار أنه غير أمين في نقله . .

١٢ ـ تحريف كتاب : أخبار الحمقى والمغفلين :

قال ابن الجوزي في كتابه : أخبار الحمقى والمغفلين / ص ٩٩ ـ ١٠٠ ط سنة ١٣٨٦ هـ . . بتحقيق الخاقاني :

« . . مع علمهم أن المؤلّف لا بد له من مؤلّف ، ومن اعجب التغفيل أن الرافضة يعلمون إقرار عليٍّ بيعة أبي بكر وعمر ، واستيلاده الحنفية من سبي أبي بكر ، وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر ، وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ، ثم فيهم من يخطؤهما ، وفيهم من لا يرتضي تصرفهما ، يطلبون بذلك على زعمهم حبّ علي وموافقته ، وقد تركوها وراء ظهورهم . .

ومثل هذا الجنس كثير ، إذا تتبّعت رأيته ، وإنما أشرنا بهذه النبذة إليه ، ليفكر في جنسه ، ولم نر بسط القصص فيه ، لان المقصود الأكبر في هذا الكتاب غير ذلك .

عن أحمد بن حنبل ، أنه قال : لو جاءني رجل ، فقال : « إني قد حلفت بالطلاق ، أن لا اكلم يومي هذا أحمق » فكلّم رافضياً ، أو نصرانياً لقلت ما حنث . قال : فقال له الدينوري : أعزك الله تعالى ، لم صارا أحمقين ؟ قال : لانهما خالفا الصادقين عندهما . أما الصادق الأول فإنه المسيح عليه السلام قال للنصارى : « اعبدوا الله » ، وقال « إني عبد الله » ، فقالوا : لا ، ليس هو بعبد ، بل هو إله .

وأمّا علي رضي الله عنه ، فقد روى عن النبي (ص) أنه قال لابي بكر وعمر : « هذان سيدا كهول أهل الجنة » ثم سبّهما هذا ، وتبرّأ منهما هذا .

هذا . . ومن أعجب تغفيل القدماء الخ . . » .

ولكن هذا الكتاب نفسه قد طبع في النجف مرة ثانية سنة ١٣٨٦ ص ٥٦ بتحقيق كاظم المظفّر ، وقد حذف منه أكثر ما تقدم ، واقتصر على ما يلي :

« . . مع علمهم أن المؤلف لا بد له من مؤلف ، ومثل هذا الجنس كثير إذا تتبعته رايته ، وانما أشرنا بهذه النبذة إليه ، ليفكر في جنسه ، ولم نر بسط

القصص فيه ، لان المقصود الأكبر في هذا الكتاب غير ذلك هذا ومن أعجب تغفيل القدماء الخ . . » .

ولكن المعلق على الكتاب قد اعتذر عن هذا الحذف بقوله في هامش / ص ٥٦ :

« وردت بعد هذا الكلام بضعة أسطر في تغفيل الشيعة وجدنا الاعراض عنه أولى من اثباتها ، فاثباتها يقتضينا الرد عليها ، وهذا يجرّنا إلى كلام طويل ليس هنا مجاله ، فرأينا حذفها درءاً للفتنة ، وإنما المسلمون جميعاً اخوة يشدّ بعضهم أزر بعض . . » .

١٣ ـ تحريف كتاب : حياة محمد :

لقد ذكر محمد حسين هيكل في كتابه : (حياة محمد) الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ . حديث الإنذار في ص ١٠٤ ، وجاء فيه أنه (ص) قال لعشيرته حينما جمعهم يوم الدار :

« . . فأيكم يوازرني على هذا الأمر ، وأن يكون أخي ، ووصيّي ، وخليفتي فيكم ؟ فاعرضوا عنه ، وهمّوا بتركه ، لكن علياً نهض ـ وما يزال صبيّاً دون الحلم ـ وقال : أنا يا رسول الله عونك ، أنا حرب لمن حاربت ، فابتسم بنو هاشم الخ . . . » .

ولكن هذا كله قد حذف من هذا الكتاب في طبعاته التالية ، بل يقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه : (فلسفة التوحيد والولاية / ص ١٧٩ و ١٣٢ إن هيكل نفسه قد حذف ذلك لقاء (٥٠٠) جنيه ، ويقول السيد هاشم معروف في سيرة المصطفى : إنه حذفها لقاء شراء ألف نسخة من كتابه . . ولا مانع من الجمع بين الامرين ، كما هو واضح .

١٤ ـ تحريف كتاب : طبقات المعتزلة :

ويقول بعض الأعلام : ومن العجيب التافه أن الدكتور علي سامي

النشار ، والاستاذ عصام الدين محمد علي ، قد طبعا كتاب « طبقات المعتزلة » الذي طبعته مؤسسة : (ديوالد ـ ولزر) ولكنهما قد حذفا من الكتاب من ص ١٢٠ حتى ص ١٤٠ .

١٥ ـ تحريف كتاب : الإبانة للأشعري :

وهو ما ذكره لي بعض الأعلام وحاصله : أنه بعد أن استدل الأشعري على خلافة أبي بكر بالإجماع في كتابه الإبانة / ص ٧٨ تابع كلامه / ص ٧٨ ـ ٧٩ يقول :

« . . وإذا كانت الرافضة يقولون : ان علياً هو المنصوص على امامته ، والراوندية تقول : العباس هو المنصوص على امامته . . ولم يكن في الناس في الامامة إلّا ثلاثة أقوال : من قال منهم : إن النبي (ص) نص على امامة الصديق ، وهو الإمام بعد الرسول وقول من قال : نص على إمامة علي . وقول من قال : الإمام بعده العباس . وقول من قال : هو أبو بكر الصديق هو بإجماع المسلمين ، والشهادة له بذلك . . ثم رأينا علياً والعباس قد بايعاه واجمعا على إمامته وجب أن يكون إماماً بعد النبي (ص) بإجماع المسلمين ولا يجوز الخ . . » .

فقوله : « وجب أن يكون إماماً بعد النبي بإجماع المسلمين » جواب لقوله أولاً : « وإذا كانت الرافضة الخ . . » أي أنه إذا كان الرافضة والراوندية يقولون بالنص على إماميهما علي والعباس وإذا كان ليس في الناس إلّا ثلاثة أقوال : النص على علي . والنص على العباس . وإمامة أبي بكر بالإجماع . . فإن إمامة أبي بكر تكون ثابتة بالإجماع . .

وعليه فيكون القول الأول : أعني جعل النص على أبي بكر قولاً مقحماً في الكلام من غير الأشعري لأن الأشعري يريد ذكر ثلاثة ، فمن أين جاء القول الرابع ، الذي ينافي ما يريد إثباته الأشعري فهو ليس إلّا من تزيّد الرواة في المقام حتى صار الكلام بواسطته متناقضاً متهافتاً جداً كما هو واضح . .

١٦ ـ تحريف كتاب : مجمع البيان :

لقد ورد في مقدمة مؤلف مجمع البيان حديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

ولكن المطبوع أخيراً في دار إحياء التراث العربي / ج ١ ص ٩ قد زاد في هذه العبارة كلمة : « ومسلمة » . . فصار الحديث :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

١٧ ـ تحريف كتاب : مختصر تاريخ الدول للملطي :

« . . ثم قال له يحيى يوماً : إنك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها ، فما لك به انتفاع فلا نعارضك به ، وما لا انتفاع لك به ، فنحن أولى به . فقال له عمرو : ما الذي تحتاج إليه ؟ قال : كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية ، فقال عمرو : هذا ما لا يمكنني أن آمر فيه إلّا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمرو ، وعرّفه قول يحيى . فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وأما الكتب التي ذكرتها ، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فلا حاجة إليه، فتقدم باعدامها.

فشرع عمرو بن العاص بتفريقها على حمامات الاسكندرية ، واحراقها في مواقدها ، فاستنفذت في ستة أشهر ، فاسمع ما جرى ، واعجب » انتهى .

هذه العبارة بتمامها ـ كما يقول جرجي زيدان في كتابه : تاريخ التمدن الإسلامي المجلّد الثاني / ص ٤٧ موجودة في ص ١٨٠ من كتاب مختصر الدول من طبعة بوك في اكسفورد سنة ١٦٦٣ م . وأما النسخة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت فقد حذفت منها هذه الجملة كلها ، لسبب لا نعلمه . .

ولقد راجعت ـ بدوري تاريخ مختصر الدول ط الكاثوليكية سنة ١٩٥٨ فلم أجد فيه هذه الفقرة ، مع أنهم قد صرّحوا في مقدمته : أنهم قد أكملوا ما

نقص من طبعة اكسفورد بما حصلوا عليه من نسخ أخرى ! !

وليراجع الغدير / ج ٦ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

١٨ ـ تحريف كتاب الأغاني :

١ ـ إننا نلاحظ : أن أبا الفرج يحيل في كتابه مقاتل الطالبيين على كتاب الأغاني كثيراً . . ولكن ما يحيل به عليه لا يوجد في ذلك الكتاب منه عين ولا أثر في أي طبعة من طبعاته ، مع أن بعض ذلك يبلغ الصفحات الكثيرة ، فليراجع على سبيل المثال : رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون في مقاتل الطالبيين / ص ٦٢٨ ـ ٦٣١ ، وقال في آخرها : « وهي رسالة طويلة اتينا بها في الكتاب الكبير . . » أي كتاب الأغاني ، وليس منها في كتاب الأغاني ولا من غيرها عين ولا أثر كما يظهر بالمراجعة . .

٢ ـ لقد نقل ناشر ديوان مسلم بن الوليد : (صريح الغواني) المطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ م . ترجمة طويلة له تقع في ٣٤ صفحة أي من ص ٢٢٨ حتى ص ٢٦٢ وقال أنه نقلها عن إحدى مخطوطات الأغاني . . مع أن الموجود في نسخ الأغاني المطبوعة في ترجمة صريع الغواني هو أقل من ذلك بكثير . .

١٩ ـ تحريف كتاب : مقاتل الطالبيين :

لقد طبع مقاتل الطالبيين عدة طبعات ، ولا تخلو واحدة منها من تحريف :

١ ـ فمثلاً نجد في نسخ مقاتل الطالبيين خطبة لقيس بن سعد بن عبادة على النحو التالي :

« . . أيها الناس ، لا يهولنّكم ، ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع ـ أي الجبان ـ إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط . إن أباه عم رسول الله صلّى الله عليه وآله خرج يقاتله ببدر ، فأسره أبو اليسر ، كعب بن عمرو الانصاري ، فأتى به رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فأخذ فداءه ، فقسمه بين المسلمين . وإن أخاه ولّاه أمير المؤمنين على البصرة ، فسرق مال

الله ، ومال المسلمين ، فاشترى به الجواري ، وزعم أن ذلك له حلال . إن هذا ولّاه على اليمن ، فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده حتى قتلوا ، وصنع الآن هذا الذي صنع ، قال : فتنادى الناس : الحمد للّه الذي أخرجه من بيننا ، فانهض بنا إلى عدونا فنهض بهم . . . » .

راجع مقاتل الطالبيين / ص ٦٥ المطبوع سنة ١٣٦٨ وغير ذلك من الطبعات .

ولكن ابن أبي الحديد ينقل نفس كلام أبي الفرج في كتابه / ج ١٦ ص ٤٢ وعبارته هي على النحو التالي :

« . . ثم خطبهم ، فثبتهم ، وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو ، فأجابوه بالطاعة ، وقالوا : انهض بنا إلى عدونا على اسم الله ، فنزل ، فنهض بهم . . » . إلا أن يقال : ان المعتزلي قد اختصر العبارة .

٢ ـ في النسخ المطبوعة لمقاتل الطالبيين في سنة ١٣٠٧ هـ . في طهران ، و١٣٥٣ هـ في النجف قد أسقط كلام كثير ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج / ج ١٦ ص ٣٨ ، وقد أثبته السيد أحمد صقر بين معقوفتين في طبعته للمقاتل سنة ١٣٦٨ هـ . ١٩٤٩م في ص ٦١ ـ ٦٢ ، وهو كثير ، فمن أراده فليراجع .

٣ ـ يوجد في النسخ المطبوعة ترجمة طويلة للحسين بن زيد ، ولا يوجد في جميع النسخ الخطية منها عين ولا أثر ، قال السيد أحمد صقر في مقدمة الكتاب الذي طبعه ١٣٦٨ هـ :

« . . ولا شك عندي في أن هذه الترجمة قد نسبت إلى أبي الفرج زوراً وبهتاناً لأن الحسين بن زيد هذا لم يمت قتيلاً ، وقد شرط أبو الفرج على نفسه أن لا يورد في كتابه إلّا من كان قتيلاً الخ . . » .

ولكن السيد أحمد صقر نفسه قد أثبت هذه الترجمة في المقاتل في ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ .

٢ ـ كما أن النسخ المطبوعة كلها قد أهملت ترجمة محمد بن القاسم بن

علي ، وهي ثابتة في الخطية، وقد ذكرها السيد أحمد صقر في المقاتل هامش / ص ٥٧٧ عن المخطوطة التي كانت لديه . . فليراجع . .

إلى غير ذلك من الموارد التي يطول المقام بتتبعها وذكرها ، ولم نذكر نفس تلك النصوص مراعاة للاختصار ، ومن أرادها فليرجع إلى الصفحات التي أشرنا إليها . .

٢٠ ـ تحريف كتاب : مسند أحمد :

قال الشيخ المظفّر في دلائل الصدق / ج ٢ ص ٢٦٨ حول حديث المؤاخاة :

« . . نقل في ينابيع المودة في الباب التاسع حديث المؤاخاة عن أحمد في مسنده ، عن زيد بن أبي أوفى ، كما نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن المسند أيضاً . . إلى أن قال : ثم حكى في الينابيع أيضاً عن أحمد في مسنده ، عن حذيفة بن اليمان قال : آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار ، وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال : هذا أخي . وحكى أيضاً عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ثمانية أحاديث في مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع) . . إلى أن قال :

وكأن القوم قد تعللوا لحذفها من المسند في الطبع بدعوى أنها من الزيادات ، فإني لم أعثر على شيء منها . . » .

وليراجع أيضاً دلائل الصدق / ج ٢ ص ١٤٣ . .

وأقول : ولقد راجعت أنا بدوري مسند أحمد ، فلم أجد فيه مسنداً لزيد بن أبي أوفى ، نعم فيه مسند لأخيه عبد الله بن أبي أوفى وقد راجعته فلم أجد فيه حديث المؤاخاة . . كما أنني قد راجعت مسند حذيفة بن اليمان بتمامه ، فلم أجد فيه حديث المؤاخاة هذا . . كما أن الأحاديث الثمانية لا توجد فيه كما قال الشيخ المظفّر، فتبارك الله أحسن الخالقين . .

٢١ ـ تحريف كتاب : الطبقات لابن سعد :

ولقد طبع كتاب الطبقات لابن سعد عدة طبعات ، وترجمة الحسنين عليهما السلام فيه أوراق معدودة يراها كل ناظر فيه .

ولكن السيد عبد العزيز الطباطبائي قد وجد مخطوطة للطبقات في تركيا ، كانت فيها ترجمة الحسنين أضعاف ما هو مذكور في المطبوع من الكتاب ، ولسوف يصدر ذلك في مجلد مستقل في القريب العاجل إن شاء الله تعالى . .

٢٢ ـ تحريف كتاب : صحيح مسلم :

قال الحاكم في المستدرك / ج ٣ ص ١٥٤ ، وسكت عنه الذهبي في تلخيصه ، هامش نفس الصفحة : « تفرّد مسلم بإخراج حديث أبي موسى ، عن النبي صلّى الله عليه وآله : خير نساء العالمين أربع » انتهى . . . وتتمة الحديث ـ كما صرّح به كثيرون ـ : مريم ، وآسية ، وخديجة ، وفاطمة (ع) .

ولكن هذا الحديث لا يوجد في صحيح مسلم ، لا في فضائل خديجة ولا في فضائل فاطمة ، ولا في أي مكان آخر ، حسبما ظهر لي بعد البحث فيه ، بل الموجود فيه في ط مشكول / ج ٧ ص ١٣٣ باب فضائل خديجة هو ما يلي :

عن أبي موسى قال : قال رسول الله (ص) : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون . وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . .

قال الشيخ المظفّر في دلائل الصدق / ج ٢ ص ٣٦٧ : « . . فلعل النساخ حرّفوا الحديث ايثاراً لعائشة بالفضل ، كما يشهد له : أن هذا الحديث لم يشتمل على ذكر خديجة ، فكيف أخرجه مسلم في فضائلها ؟ ! ! . ولو لم يكن أصل لما ذكره الحاكم لتعقبه الذهبي في تلخيصه » انتهى .

٢٣ ـ تحريف كتاب : شرح النهج للمعتزلي :

يلاحظ : أن شرح نهج البلاغة المطبوع في مصر بتحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم في عشرين مجلداً : قد حذف منه كلمة : (عليه السلام) الموجود بعد كلمة : (أبو طالب) رحمه الله ، مع أن هذه الجملة ثابتة في الطبعة القديمة التي في أربع مجلدات . .

٢٢ ـ تحريف كتاب : صحيح البخاري :

لا نريد أن نتتبع الطبعات المختلفة ، والمخطوطات المتعددة لصحيح البخاري وإنما نشير هنا فقط إلى التحريفات التي بين نسخة ابن حجر العسقلاني ، والنسخة المعروفة الآن . .

فالتقديم والتأخير في الروايات المستفاد من شرحه فتح الباري حيث يقدم شرح قوله في هذه الرواية على شرحه في تلك ، وكذا الاختلاف المستفاد مما يقتطعه من الكتاب ليعلق عليه هذا الاختلاف بعد بالمئات الكثيرة . . ولا تجد الآن أي نسخة توافق نسخة ابن حجر في هذهِ الاختلافات . . ونحن نضرب عن هذه الاختلافات صفحاً . . لانها تحتاج إلى تأليف ضخم خاص فيها ، بل نكتفي بذكر أمثلة من نوعين من الاختلافات هنا :

١ ـ قال في فتح الباري / ج ١٠ ص ٢٤٦ : « وتقدم في باب المعرفة من كتاب المظالم : أفتأمن أن يغضب الله الخ . . » .

قال مصحح الكتاب : « قوله : في باب المعرفة من كتاب المظالم ، هكذا في الأصول ، ولم نر باب المعرفة في كتاب المظالم في نسخ الصحيح فحرر » .

٢ ـ الموارد التي اقتطعها ابن حجر من صحيح البخاري وعلّق عليها وشرحها مطيلاً تارة ومختصراً أخرى . . ولكننا لا نجد لهذه المقتطعات المشروحة أثراً في الصحيح أصلاً فأين ذهبت ، وأين هي الأحاديث التي اقتطعت منها . . اليد الأمينة ! ! التي لعبت بالكتاب هي التي تدري . . فنحن نذكر على سبيل المثال :

قوله : فتدعي اليهود .

قوله : فيقال لهم .

قوله : كنا نعبد عزير بن الله .

قوله : ان شددت كذبتم .

قوله : فاقلعوا عني .

قوله : وهم ألف .

قوله : قد رجلها . . يقطر ماءاً .

قوله : ولو كان من رهطك .

قوله : فتغير وجهه .

قوله : حصيراً محبساً .

قوله : أساطير .

قوله : يلقى ابراهيم أباه آزر .

قوله : وعلى وجه آزر فترة وغبرة .

قوله : فارتدا على آثارهما قصصاً .

قال : رجعا يقصان على آثارهما . . حتى انتهيا إلى الصخرة .

قوله : فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك : لا تعصني فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك .

قوله : فيقول إبراهيم : يا ربّ إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي إلا بعد . .

قوله : ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجليك؟ انظر فينظر فإذا هو بذبيح متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه ، فيلقى في النار .

زيادة كلمة الصديق في نسخ البخاري ، وعدمها في نسخة ابن حجر .

قوله : على أوضاح .

قوله : أو عين .

قوله : الذرة .

قوله : وكان عمر يكره خلافه .

قوله : قامت الرحم فقالت .

قوله : ولتنكح .

قوله : دخلت في كل شيء .

قوله : فأخذتني والله أخذاً .

قوله : كسرتني عن بعض ما كنت أجد .

قوله : كأنها جان .

قوله : قتل الخرّاصون .

قوله : من أبناء فارس .

قوله : الكسع أن تضرب بيدك على شيء أو برجلك ، ويكون أيضاً إذا رميته بسوء .

قوله : تدهن فيدهنون : ترخص فيرخصون .

قوله : تاجرني تاجر فلاناً تعطيه أجراً ، ومنه التعزية ، آجرك الله .

قوله : الشاطىء الشط واحد ، وهما ضفتا وعدوتا الوادي .

قوله : وقال أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح : قرأ أبو هريرة : قرأت أعين .

قوله : فتولى بركنه من معه ، لانهم من قومه .

قوله : مكظوم وكظيم : مغموم .

قوله : من الوحي .

قوله : الصالحة .

قوله : على رغم أنف أبي ذر .

قوله : ثم ليهد .

قوله : والحرث .

قوله : سمى له نافع هؤلاء الثلاثة .

قوله : فاشتراه نعيم بن عبد الله .

وقولهم قد بلغت .

قوله : ذلك أريد .

قوله : امة من الامم مسبحة .

قوله : فطاف بهن .

كانت تلك بعض الموارد التي اقتطعها في فتح الباري من صحيح البخاري وشرح عليها ما شاءت له قريحته ، ولكنها لا توجد في جميع نسخ الصحيح الموجود بين أيدي الناس فعلاً . . وما تركناه من الاختلافات غير الموجودة في نسخ الصحيح فعلاً وكانت في نسخة ابن حجر سواء في السند أو في المتن تعد بالمئات كما قلنا . .

٢٥ ـ تحريف كتاب : تطهير الجنان :

وقد ذكر السيد طيّب الجزائري في مقدمته لكتاب الصواعق المحرقة المطبوعة سنة ١٣١٢ وبهامشها كتاب تطهير الجنان واللسان والذي جدد هو طباعته بالافست ذكر جدولاً للتحريفات الواقعة في كتاب تطهير الجنان ونذكر على سبيل المثال :

أنه في ص ١١٢ قد حذفت العبارة التالية :

« أمير المؤمنين ، ثم جاءها علي ، فقالت : سلوه ما يريد ، فذكر لها ما ذكر عمار ، ثم لمّا قالت : اطلب بدم عثمان » .

٢٦ ـ تحريف كتاب : المعارف لابن قتيبة :

قال ابن شهراشوب المتوفي سنة ٥٨٨ هـ . في المناقب / ج ٣ ص ٣٥٨ ، وهو يتحدث عن أولاد فاطمة :

« وفي معارف القتيبي : أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي » .

وقال : الكنجي الشافعي المتوفي سنة ٦٨٥ هـ . في كفاية الطالب / ج ٤ ص ٤١٣ : « . . وزاد على الجمهور وقال : أن فاطمة عليها السلام أسقطت

بعد النبي ذكراً ، كان سمّاه رسول الله (ص) محسناً وهذا شيء لم يوجد عند أحد من أهل النقل إلّا عند ابن قتيبة » .

ولكن الموجود في معارف ابن قتيبة المطبوع سنة ١٣٥٣ / ص ٩٢ هكذا :

« . . وأما محسن بن علي فهلك وهو صغير » . .

وهكذا في سائر الطبعات المتداولة الآن . . فلماذا هذا التحريف وهذه الخيانة للحقيقة وللتاريخ يا ترى ؟ ! . وقد نبّه إلى هذا بعض الإعلام[1].

٢٧ ـ تحريف كتاب : تاريخ الطبري :

١ ـ قال في الغدير / ج ٩ ص ٩٢ ـ ٩٣ ما محصله : إن ابن أبي الحديد ينقل عن الطبري أنه :

« كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً ، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه . قال : هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . قال : فكان عثمان يقول وهو محصور : جزاء سنمار » .

ولكن عبارة : « فكان عثمان يقول الخ . . » قد حذفت من الطبري المطبوع كما يلاحظ بالمراجعة ، فراجع على سبيل المثال : تاريخ الطبري / ط الاستقامة / ج ٣ ص ٤٣٣ .

٢ ـ أقول : ولكن الذي رأيته أنا في تاريخ الطبري : أنه زاد بعد قوله : « على مروءتك » قوله : قال علي لطلحة : أنشدك الله إلّا رددت الناس عن عثمان . قال : لا والله ، حتى تعطي بنو اميّة الحق من أنفسها » انتهى .

ولكن المعتزلي قد نقل ذلك كله عن الطبري بزيادة أخرى في / ج ٢ ص ١٦١ فإنه بعد قوله : « من أنفسها » قد زاد قوله : « . . فكان علي عليه السلام يقول : لحا الله ابن الصعبة ، أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل » وليست هذه الزيادة في الطبري / ج ٣ ص ٤٣٣ ط الاستقامة . .

٣ ـ أنه لما حصر عثمان جاء إلى علي ، وقال له : « أما بعد ، فإن لي حق

---

(١) راجع : كتاب بانوي كربلاء ط ١٣١٩ هامش ص ١٨ ـ ١٩ باللغة الفارسية .

الإسلام ، وحق الأخاء ، والقرابة والصهر ، ولو لم يكن من ذلك أمرهم ـ يعني طلحة ـ فقال له علي : أنا أكفيك ، فاذهب أنت » والمراد بالاخاء الذي يشير إليه عثمان هو ما أقره الله تعالى بقوله : إنما المؤمنون اخوة ، هكذا نقله المعتزلي في شرح النهج / ج ٢ ص ١٤٨ عن الطبري . .

وقال في موضع آخر في / ج ١٠ ص ٨ : أنه قال : « . . إن لي عليك حقوقاً : حق الإسلام ، وحق النسب ، وحق ما لي عليك من العهد والميثاق ، ووالله لو لم يكن من هذا شيء ، وكنا في جاهلية لكان عاراً الخ . . » .

ولكن الموجود في الطبري ط الاستقامة / ج ٣ ص ٤٥٣ زيادة يكذبها نقل ابن أبي الحديد ، ويكذبها التاريخ على اختلاف المذاهب والمشارب فيه . .

ففيه : « . . أما بعد، فإن لي عليك حقوقاً : حق الإسلام . وقد علمت : أن رسول الله (ص) حين آخى بين الصحابة آخى بيني وبينك ، وحق القرابة والصهر ، وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق ، والله ، لو لم يكن من هذا شيء ، ثم كنا إنما نحن في جاهلية لكان مبطاً الخ . . » .

فحديث المؤاخاة بين علي وعثمان هنا : يكذبه نقل ابن أبي الحديد عن الطبري هذه القضية بدونه ، كما ويكذبه كل الحديث والتاريخ الذي ينص على أن الرسول (ص) قد آخى بين نفسه وعلي ، لا بين عثمان وعلي كما تريد أن توحي به هذه المكذوبة . .

وليراجع هنا كتاب الغدير للعلاّمة الاميني / ج ٩ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

* * *

كانت تلك بعض النماذج والأمثلة للجنايات التي تقترفها الأيدي الأثيمة ضد التاريخ والإسلام ، وبالتحديد ضد الشرف ، والفكر والإنسانية . .

هـذه من عـلاه إحـدى المعـالي وعلى هذه فقس ما سواها (!!!)

بحوث تاريخية

لماذا نهى علي (ع) عن قتال الخوارج ؟! .
مع جوائز الأئمة (ع) للشعراء . .
المهدية بنظرة جديدة . .
الإمام السجاد (ع) باعث الإسلام من جديد .
استراتيجية الكوفة في خلافة الإمام علي (ع) .

لماذا نهى أمير المؤمنين عن قتال الخوارج؟

٢٨ شهر رمضان المبارك ١٣٩٨ هـ.

لقد تمخّضت حرب صفين ، وخدعة التحكيم عن تمرّد فئة سمّاها النبي (ص) بـ : (المارقة) ، التي تمرق من الدين مروق السهم من الرمية . . . وهي تلك الفئة التي لم تستطع أن تتفاعل مع الأحداث ، ولا أن تهضم أبعاد المناورات السياسية ، التي كان معاوية يتوسل بها لتمرير مؤامراته . .

هذه الفئة . . التي سميت فيما بعد بـ « الخوارج » بالذات هي التي مكّنت معاوية من تمرير لعبته المعروفة بـ « قضية التحكيم » . . ولكن هذه الفئة نفسها أيضاً هي التي عادت لتحارب علياً لقبوله بهذا التحكيم ، الذي فرضته هي عليه من قبل ، وهددته بالحرب والدمار ، وتمكين معاوية منه ، إن هو لم يقبل . . .

ومعاوية ، وإن كان لم يستطع أن يربح هؤلاء إلى جانبه ، ولم يكن يسعده كثيراً أن يكون أمثال هؤلاء المتعصّبين معه ، وإلى جانبه . . . إلّا أنه على أي حال قد استطاع أن يبعدهم عن علي (ع) ، ليكونوا مصدر إزعاج وتعب له ، وحجر عثرة في طريق تقدّمه نحو أهدافه ، التي هي أهداف الإسلام ، والتي ما زال معاوية يخشاها ، ويجهد كل الجهد في سبيل منعه من الوصول إليها ، والحصول عليها . .

وبالفعل . . . فقد اضطر أمير المؤمنين (ع) إلى محاربتهم أخيراً ، ودفع

شرهم عن المسلمين ، فقاتل (ع) المارقين في النهروان ، بعد أن قاتل الناكثين في الجمل ، والقاسطين في صفين . .

ولكن علياً (ع) هذا الذي حارب المارقين (الخوارج) ، وأباد خضراءهم . . . نراه ينهى شيعته بعده عن قتالهم ، ويقول : « لا تقاتلوا الخوارج بعدي » !! .

فلماذا ينهى علي أمير المؤمنين (ع) عن قتال الخوارج ؟؟ مع أنهم أعداؤه ومناوؤه ؟؟ !

فهل ثمة تناقض منه في هذين الموقفين ؟ وخطأ وصواب في كل من الحالتين ؟

الجواب عن ذلك بكل بساطة ، هو :

لا ، لا تناقض في مواقف أمير المؤمنين (ع) ، إذ مع غضّ النظر عما يقوله الشيعة من أنه (ع) إمام معصوم ، لا يصدر عنه إلّا ما هو الحق ، والخير ، والعدل ، فلا يمكن أن نتصوره قد ندم علىٰ قتالهم ، ورأىٰ أن الصواب في خلافه ، فإننا نقول إن علياً (ع) في نظرته البعيدة ، التي تتجاوز الأجيال ، لا يمكن إلّا أن يكون قد أدرك بعمق حقيقة ما سوف يجري ويحدث ، وما سوف تمرّ به الأمة من أزمات ، وما سوف يجري عليها من أحداث . .

ولذا فهو قد أدرك فعلاً أن الصواب في قتالهم أولاً . . وأن الصواب في عدم قتالهم بعد ذلك . .

فلا تناقض بين الموقفين . . ولا خطأ وصواب . . . بل صواب في كل من الحالتين .

أما قتالهم أولاً فلكونهم مفسدين في الأرض ، متمّردين علىٰ إمامهم ، مارقين . . . لا بد من إعلان رأي الإسلام الصريح وموقفه منهم . . . الإسلام الذي يمثله ويفهمه بشكل كامل وصحيح أمير المؤمنين (ع) ، حتى لا يغتّر بهم الغرّ الجاهل ، ويتحير ويشتبه الأمر علىٰ المنصف العاقل . .

وأما نهيه (ع)شيعته عن قتالهم بعده ، فهو نهي زمني ، يرتبط بتلك الفترة من الزمن ، التي كان الحكام علىٰ الناس فيها ، من أولئك الذين لا يعملون بكتاب الله ، ولا بسنة نبيه كما سيتضح . . . وعلىٰ كل حال ، فإن نهيه هذا يرجع إلى الأمور التالية :

الأول : إن الحكام والمتسلّطين على الناس آنئذ كانوا من الشجرة المعلونة ـ أعني الامويين ـ المنحرفين عن الدين والإسلام ، وكان الخوارج يقاتلونهم ، ويحاربونهم ، ويمثلون الشوكة الجارحة في أعينهم . .

فقتال الخوارج ـ والحالة هذه ـ معناه الدفاع عن ذلك الحكم الاموي الظالم ، وتأييده . . . وليس من مصلحة الإسلام ، ولا من مصلحة المسلمين الدفاع عن حكم كهذا ، لأن معنى ذلك خيانة الامة ، والدين ، وخيانة كل الأجيال اللاحقة . . . وإلى الأبد . . .

الثاني : إن الشيعة كانوا قلة ، ومضطّهدين من جانب الحكم الاموي الغاشم ، وليس لآل علي (ع) بعد حكومة تستطيع أن تحمي الشيعة ، وتدافع عنهم ، وليس لهم ملجأ يلوذون به ولا قوة يعتمدون عليها . . .

وإذن . . . فتكليف الشيعة بحرب الخوارج معناه : القضاء عليهم ، قضاء مبرماً ونهائياً وهذا ما يريده الامويون ، ويسعون إليه . . . أما الامويون فتبقى قوتهم على حالها ، بينما يكون كل خصومهم قد ضعفوا كثيراً ، دون أن يكلّفهم ذلك شيئاً . . . ويكون القضاء عليهم بعد ذلك سهلاً وميسوراً ، سواء في ذلك : الشيعة ، أو الخوارج . . .

وبديهي . . . أن الحفاظ على الشيعة ، الشعلة المتوقّدة للحق والخير ، أفضل بكثير من القضاء على الشيعة والخوارج معاً . . . وليبقى الامويون من ثم يعيثون في الأرض فساداً ، ويتحكّمون بمقدّرات الأمة ، ويسومونها الخسف والذل . .

ويلاحظ هنا : أن الامويين قد حاولوا أن يدفعوا الشيعة إلى حرب الخوارج . . . فنجد أن معاوية ـ بعد أن دخل الكوفة ، وتوجّه الإمام الحسن (ع)

إلى المدينة ، وتحرّك الخوارج ضد معاوية ، وقالوا : قد جاء الآن ما لا شك فيه ـ نجد أن معاوية يرسل إلى الإمام الحسن (ع) وهو في طريقة إلى المدينة ، بكتاب يدعوه فيه إلى قتال الخوارج . فلحقه رسوله بالقادسية ، أو قريباً منها ، فلم يرجع ، وكتب إلى معاوية : لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك الخ . . .[1]

كما أننا نجد : أن معاوية حين انهزم أهل الشام أمام الخوارج ، يقول لشيعة أهل الكوفة :

« والله ، لا آمان لكم عندي حتى تكفوهم . . . فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم فقالت الخوارج أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ ؟ دعونا حتى نقاتله ، فإن أصبنا كنا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا الخ . . »[2]

الثالث : قال علي (ع) في وصف فتنة بني امية :

« ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية ، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمي عنها . وأيم الله ، لتجدنّ بن أمية لكم أرباب سوء بعدي ، كالناب الضروس ، تعذم بفيها ، وتخبط بيدها ، وتزبن برجلها ، وتمنع درّها . . . لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم ، أو غير ضائر بهم . . . ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا كانتصار العبد من ربه ، والصاحب من مستصحبه . ترد فتنتهم شوهاء مخشية ، وقطعاً جاهلية ، ليس فيها منار هدى ، ولا علم يرى الخ . . . »[3] . . .

ويلاحظ : أنه (ع) قال هذا الكلام بعد إشارته لفتنة الخوارج ، التي ماج غيهبها ، واشتدّ كلبها ، وفقأ هو عينها . . حسب تعبير الإمام (ع) .

وقال (ع) : « والله ، لا يزالون عليكم حتى لا يدعوا لله محرماً إلّا

---

(١) الكامل ، لابن الأثير ج ٣ ص ٤٠٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٢١٦

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٤٠٩ وتاريخ الطبري ، مطبعة الاستقامة ج ٤ ص ١٢٦ .

(٣) نهج البلاغة ، شرح عبده ، الخطبة : ٨٩ .

استحلوه ولا عقداً إلّا حلّوه ، وحتى لايبقى بيت مدر ولا وبر إلّا دخله ظلمهم ، ونبا به سوء رعيهم ، وحتى يقوم الباكيان يبكيان : باك يبكي لدينه ، وباك يبكي لدنياه ، وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده إذا شهد اطاعه ، وإذا غاب اغتابه ، وحتى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم بالله ظناً الخ . . »[1]

وإذن . . . فإن إشغال الامويين بالخوارج معناه : التخفيف من ظلمهم للناس ، والتقليل من الويلات التي كانت تعاني منها الامة ، على يد ذلك الحكم الغاشم ، الذي لم يكن يرحم أحداً ، ولا يبقى ، ولا يذر . . . حيث تكون الفرصة أمامهم أقل بسبب انشغالهم بما هو أهم بالنسبة إليهم ، ألا وهو الحفاظ على ملكهم الذي هو أغلى وأعز ما في الوجود عليهم . . . وكيف لا يكون كذلك ، وهم يرون أن الملك وحده ، هو الذي يوصلهم لما يريدون ، ويحقق لهم ما يشتهون ، من التسلّط على الامة والتحكّم بمقدّارتها . . .

فعليهم إذن ـ حسب منطقهم ـ: أن يحافظوا أولاً على الملك ، ليتمكّنوا ـ بسببه ـ من الوصول إلى مآربهم ، والحصول على مطامعهم ، التي تتنافى ـ أساساً ـ مع أهداف الإسلام وتعاليمه . . .

الرابع : لقد كانت حروب الخوارج ، التي استمرت طيلة عهد الحكم الاموي ، هي السبب الأول ، والأهم لسقوط الدولة الاموية ، . . . وذلك لأن نصر بن سيار عندما واجه أبا مسلم الخراساني ، ورأى قوته ، وكثرة جموعه ، أرسل إلى مروان الحمار ، يقول :

أرىٰ تحت الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجّب ليت شعري ... أأيقاظ امية أم نيام

لكن مروان لم يستطع أن يستجيب لطلبه ، ولا أن يمده بشيء من العساكر

---

(١) نهج البلاغة شرح عبده الخطبة : ٩٤ .

ليواجه الحركة العباسية القوية ، وذلك بسبب انشغاله بحروب الخوارج ، وأرسل إليه يقول : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول قبلك ، فقال نصر لا صحابه : أما صاحبكم فقد أعلمكم : أنه لا نصر لكم عنده[1] . . .

فكان انشغال مروان بحروب الخوارج هو السبب في عدم تمكّنه من نجدة عامله ، الأمر الذي مكّن لابي مسلم من مواصلة حركته ، ومتابعة انتصاراته ، التي انتهت بالقضاء على الحكم الاموي ، قضاء مبرماً ونهائياً . . .

الخامس : إن الخوارج . . . وإن كانوا على ضلال ، إلّا أنهم ، ولا شك ـ كانوا أقل سوءاً من الامويين ، لأنهم كانوا ـ عند أنفسهم ـ يقاتلون من أجل هدف ومبدأ ، يرونه دينياً مقدساً ، فضلالتهم إنما هي لشبهة تمكّنت من نفوسهم . . . فهم قد طلبوا حقاً ، فوقعوا بالباطل ، وأرادوا صواباً ، فتاهوا في الضلال والفساد .

أما بنو امية فإنهم قد طلبوا الخلافة فأدركوها ، وهم ليسوا من أهلها . بل هم يعلمون : أنهم يطلبون ما ليس لهم بحق ، مع خبث نفوسهم ، وشدة ظلمهم وفجورهم . . .

وواضح . . أن من يقاتل من أجل هدف لا فائدة عاجلة له منه في الدنيا ، يكون ـ ولا شك ـ أقل سوءاً من ذلك الذي يقاتل من أجل الدنيا فقط ، وفي سبيلها ، ويقتل الأبرياء ، ويرتكب أعظم الموبقات في سبيل أهداف شخصية ، وشهوات فردية بحتة . . .

فالخوارج يقاتلون ـ بنظرهم ـ من أجل إسعاد الامة . . . أما الامويون فليس همّهم ـ حتى عند أنفسهم ـ إلّا شهواتهم ، وأغراضهم الشخصية فوقاحتهم تفوق كل وقاحة ، وصلفهم يزيد على كل صلف .

وقد أشار أمير المؤمنين (ع) إلى ذلك بقوله : « لا تقتلوا الخوارج بعدي ،

---

(١) الكامل ، لابن الأثير ج ٥ ص ٣٦٦ وغيره .

فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه »[1] .

ومنه (ع) أخذ عمر بن عبد العزيز قوله لبعض الخوارج : « إني قد علمت إنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ، أو متاع ، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها »[2] .

واقتصار علي (ع) على هذا الأمر في بيان سرّ نهيه عن قتالهم ، مع وجود أسباب أخرى لهذا النهي كانت محطّ نظره (ع) أيضاً قطعاً ، يعكس لنا مدى أهمية هذا الأمر عنده ، أي أن يكون الإنسان ذا هدف أسمى ، يتجاوز حدود شخصيته ومصالحه الخاصة ، يؤمن به ، ويدافع عنه ، ويضحي في سبيله ، بكل غالٍ ونفيس وإن كان ربما يفهم عدد من الأسباب الأخرى من خلال كلماته (ع) المختلفة ، في المقامات المختلفة ، كما أشرنا وسنشير إليه .

السادس : إن دعوة الخوارج لم تكن خطيرة على الإسلام لسببين :

الأول : إن الخوارج لم يكونوا أهل ثقافة ومعرفة ، بحيث يشكّلون خطراً على الإسلام والدين ، بشبهاتهم وانحرافاتهم . بل كانوا اجلافاً ، وأعراباً كأعلاج ، وكانت الأكثرية الساحقة منهم من البدو الرّحل ، ولذا فقد كانت الطبيعة العربية البدوية فيهم واضحة ، فتراهم سرعان ما يختلفون ، وينضوون تحت ألوية مختلفة ، يضرب بعضهم بعضاً . .[3] ولقد وصفهم أمير المؤمنين (ع) بقوله مخاطباً لهم : « وأنتم معاشر أخفّاء الهام ، سفهاء الأحلام »[4].

وقال أبو حمزة الخارجي لأهل المدينة ، حين دخلها سنة /١٣٥/ هـ ـ قال لهم في خطبة له طويلة :

« يا أهل المدينة ، بلغني أنكم قلتم تتنقصون أصحابي : شباب أحداث ،

---

(١) نهج البلاغة شرح عبده الخطبة : ٥٨ .
(٢) فجر الإسلام ص ٢٦٣ .
(٣) فجر الإسلام ص ٢٥٩ و ٢٦١ .
(٤) نهج البلاغة شرح عبده ، الخطبة : ٣٥ وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٦٣ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٤٤

واعراب جفاة ، ويحكم الخ . . . »[1]

ووصفهم علي بن عبد الله بن العباس ، حين أرسل دعاته إلى الأمصار ، فقال حين ذكر أهل الجزيرة :

« وأما الجزيرة ، فحرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى . . . »[2]

وما أحسن ما وصفهم به بشر بن المعتمر ، رئيس معتزلة بغداد ، حيث ذكر خلّوهم من الفهم والعلم وأهله ، فقال :

ما كان من أسلافهم أبو الحسن ... ولا ابن عباس ، ولا أهل السنن
غرّ مصابيح الدجى مناجب ... أولئك الأعلام لا الأعارب
كمثل حرقوص ، ومن حرقوص ... فقعة قاع حولها قصيص
ليس من الحنظل يشتار العسل ... ولا من البحور يصطاد الورل
هيهات ما سافلة كعالية ... ما معدن الحكمة أهل البادية[3]

الثاني : إن دعوتهم لم تكن تنسجم مع الفطرة ، ولا تتقبلها العقول المستقيمة ، نعم . . . هي ربما تستهوي البعض لفترة من الزمن ، ثم لا تلبث أن تتلاشى وتنعدم ، حين يرجع الإنسان إلى فطرته ، ويفكّر ويتأمل . . .

ويتّضح ذلك إذا لاحظنا عن قرب مفاهيمهم وأفكارهم ، فمثلاً نجد فرقة الأزارقة بزعامة نافع بن الأزرق ، وهي أكبر الفرق ، إذ كان مع نافع عشرة من امرائهم - بينما لم يكن مع النجدات سوى أميرين ، أما سائر الفرق فواحد ، أو بدونه - [4] . . . بل « لم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ، ولا أشدّ منهم

---

(١) الكامل ، لابن الأثير ج ٥ ص ٤٩٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ١١٥ .
(٢) راجع : معجم البلدان للحموي ج ٢ ص ٣٥٢ ، وأحسن التقاسيم ص ٢٩٣ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٠٤ .
(٣) الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٤٥٥ .
(٤) راجع : شرح نهج البلاغة ، لابن ميثم ج ٢ ص ١٥٤ .

شوكة »[1] . وقد استولوا على الأهواز ، وما وراءها : من أرض فارس وكرمان ، وجبوا خراجها[2]

إننا نجد هؤلاء ـ يقولون : بكفر جميع المسلمين ما عداهم ، ولا يحل لاصحابهم المؤمنين أن يجيبوا أحداً من غيرهم إلى الصلاة إذا دعا إليها ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ، ولا أن يتزوجوا منهم ، ولا يتوارث الخارجي وغيره ، ويكون الغير مثل كفار العرب ، وعبدة الأوثان ، لا يقبل منهم إلّا الإسلام أو السيف ودراهم دار حرب ، ويحلّ قتل أطفالهم ونسائهم ، ويحلّ الغدر بمن خالفهم ، وكذا القعدة عن القتال مع قدرتهم ، ولو كان هؤلاء القعدة على مذهبهم ، ولا يجيزون التقية ، ويجوز عندهم أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته ، إلى غير ذلك من أمور ذكرها المؤلفون في الملل والنحل[3] . . .

فإذا كانت هذه هي مفاهيمهم وأفكارهم ، فمن الطبيعي أن لا يتبعهم أحد من أهل العقل والمعرفة ، ولذا كان اتباعهم ـ عموماً ـ من الاعراب الجفاة ، الذين هم أجدر أن لا يفقهوا كلام الله . . . وليست هذه الأفكار والمفاهيم ملائمة للفطرة ، ولا منسجمة مع الفكر السليم ، والذوق المستقيم ، ولذا فهي لا تشكل خطراً على الدين ، والإسلام في شيء . . .

وإذن . . . فلماذا يهدر الشيعة طاقاتهم في مقابل لا شيء ؟ ؟ نعم لا شيء . . إلّا إذا كان ذلك الشيء هو تأييد الحكم الأموي الظالم والغاشم ، والمدّ في عمره ، وتمكينه من رقاب الناس التسلّط على الأمة . .

أما بنو امية ، فإن طريقتهم تستهوي النفوس البشرية الضعيفة أكثر ، لأنهم يدعون إلى الدنيا ، التي ينساق الناس وراءها بغريزتهم ، وتلائم هوى

---

(١) الفرق بين الفرق تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ص ٨٣ ، وهامش الملل والنحل ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٥ ، والملل والنحل ج ١ ص ١١٩ ، وشرح النهج لابن ميثم ج ٢ ص ١٥٤ .

(٣) راجع : شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٣٦ وص ١٣٨ وفجر الإسلام ص ٢٦٠ ، والملل والنحل ج ١ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

نفوسهم ، فتمكّنهم يكون أيسر منالاً ، وأقرب احتمالاً ، فحربهم إذن لدفع شرهم أولى من حرب الخوراج ، وأجدى نفعاً . . .

هذا . . . وقد تنبأ أمير المؤمنين (عليه السلام) بانقراض الخوارج ، وعدم ظهور دعوتهم ودولتهم ، فقال : « كلما نجم منهم قرن قطع ، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين »[1]

وهكذا كان . . . فقد قال ابن أبي الحديد : « وهكذا وقع ، وصحّ إخباره عليه السلام أيضاً : سيكون آخرهم لصوصاً سلابين ، فإن دعوة الخوارج اضمحلت ، ورجالهم فنيت ، حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطّاع طريق ، متظاهرين بالفسوق ، والفساد بالأرض »[2] .

ويقول ابن ميثم : « . . وأما كون آخرهم لصوصاً سلابين ، فإشارة إلى ما كانوا يفعلونه في أطراف البلاد : باصبهان ، والاهواز ، وسواد العراق ، يعيشون فيها بنهب أموال الخراج ، وقتل من لم يدن بدينهم ، جهراً ، وغيلة ، وذلك بعد ضعفهم وتفرّقهم ، بوقائع المهلب وغيرها ، كما هو مذكور في مظانه »[3] .

السابع : قال علي (عليه السلام) بعد وقعة النهروان : « أنا فقأت عين الفتنة ، ولم تكن ليجرؤ عليها أحد غيري ، بعد أن ماج غيهبها ، واشتدّ كلبها ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ، ولا المارقون »[4] .

والذي نريد أن نشير إليه هنا هو : أن الخوارج كانوا ظاهراً من العبّاد والزهّاد ، فلم يكن ليجترىء على قتالهم أحد . . . كيف ، وهم صائمون النهار ، قائمون الليل ! ! وعليه . . . فإن من يقاتلهم بعده (ع) ربما يتعرض للوم الشديد ، ولنفرة الناس منه ، على اعتبار أنه يقاتل أهل القبلة ، وعباد

---

(١) نهج البلاغة ، شرح عبده الخطبة : ٥٨

(٢) شرح النهج ، للمعتزلي ج ٥ ص ٧٣ .

(٣) شرح النهج لابن ميثم ج ٢ ص ١٥٥ .

(٤) نهج البلاغة شرح عبده ، الخطبة : ٨٩ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩٣ .

الملة . . . الأمر الذي ربما ينخدع به البسطاء والسذّج، ومن لا ينظر إلى بواطن الأمور بدقة ووعي . . .

أما علي عليه السلام ، فقد كان له من المكانة بين المسلمين ما ليس لأحد غيره على الاطلاق ، وكانت الامة لا تزال تسمع من وعن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم الشيء الكثير في حق علي عليه السلام ، بحيث جعل من الصعب على أي كان اساءة الظن فيه ، وفي مواقفة . . . وجهاده ومكانته في الإسلام مما لا يمكن لأحد أن ينكره ، أو أن يشكّ فيه فلا يمكن لأحد كائناً من كان إلّا أن يعتبر مواقفه منسجمة مع أهداف الإسلام وتعاليمه ، لأن علياً مع الحق ، والحق مع علي يدور معه حيثما دار ، على حدّ تعبير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

فقتاله للخوارج يكون دليلاً على انحرافهم حينئذٍ ، أكثر مما يكون دليلاً على خطأ أمير المؤمنين عليه السلام في موقفه منهم . . .

نعم . . . وهذا هو ما أراده عليه السلام بقوله المتقدم : أنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرؤ عليها أحد غيري الخ . . .[1]

كان هذا هو ما فهمناه من السرّ الكامن وراء نهي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن قتال الخوارج بعده ، وليكن ذلك واحداً من تلك الشواهد الكثيرة القاطعة على عمق رؤية علي عليه السلام ، وبعد نظره في السياسة . .

السياسة القائمة على أساس الواقع ، والمنسجمة كل الإنسجام مع أهداف الإسلام ، وتعاليمه الحقة . .

---

(١) ذكر ابن أعثم في شرح النهج / ج ٢ ص ٣٨٩ : « بعض النصوص التي يصرّح فيها (ع) بأن مقصوده بالفتنة ، التي فقأ عينها ، ولم يكن ليجرؤ عليها أحد غيره : هو فتنة : الجمل ، وصفين والنهروان . . . » وهو صحيح أيضاً ، فإن حرب الجمل كانت بقيادة إحدى زوجات النبي (ص) وبنت أحد الخلفاء ، ومعها بعض الصحابة الكبار ، ومن يجرؤ على حرب هؤلاء غير أمير المؤمنين (ع) ؟ ؟ ، أما حرب صفين ، فقد كانت الشبهات التي يلقيها معاوية وأعوانه عامة وطامة ، وتلك الشبهات هي التي مكّنت معاوية من الوقوف في وجه علي عليه السلام ، وتجييش الجيوش لحربه . . ، وأما النهروان ، فلما ذكرناه . . .

وفقنا الله للسير على منهاج علي عليه السلام والتمسّك بولايته ، والاهتداء بهداه ، إنه ولي قدير . .

مصادر البحث

١ ـ أحسن التقاسيم ..... للمقدسي
٢ ـ تاريخ الامم والملوك ..... للطبري
٣ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
٤ ـ الحيوان ..... للجاحظ
٥ ـ شرح النهج ..... لابن ميثم
٦ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
٧ ـ العقد الفريد ..... لابن عبد ربّه
٨ ـ عيون الاخبار ..... لابن قتيبة
٩ ـ الفتوح ..... لابن اعثم
١٠ ـ فجر الإسلام ..... لاحمد أمين
١١ ـ الفرق بين الفرق ..... للبغدادي
١٢ ـ الكامل ..... لابن الأثير
١٣ ـ معجم البلدان ..... للحموي
١٤ ـ الملل والنحل ..... للشهرستاني
١٥ ـ نهج البلاغة ..... (جمع الشريف الرضي)

مع جوائز الأئمة للشعراء

يذكر الرواة والمؤرخون أرقاماً عالية للأموال التي كان يعطيها ، أو يبذلها الأئمة عليهم السلام للشعراء ، إذا ما قالوا فيهم ، أو في قضيتهم شيئاً من الشعر . . ومن أمثلة ذلك .

١" ـ إنهم يقولون : إن الإمام زين العابدين عليه السلام ، عندما تجاهله هشام بن عبد الملك في الطواف ، وجرى بين هشام وبين الفرزدق من أجل ذلك ما جرى، يقولون: إن الإمام (ع) قد أعطى الفرزدق ألف دينار، أو إثني عشر ألف درهم على اختلاف النقل، على قوله الأبيات التي أولها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

فرفض الفرزدق قبولها ، لأنه إنما قال ذلك غضباً لله ولرسوله ، لكنه عليه السلام أصر عليه بالقبول ، فقبلها . . . والقضية أشهر من أن تذكر . . .

٢" ـ وعندما أنشد الكميت الباقر عليه السلام قصيدته : « من لقلب متيم مستهام . . . » قال له : يا كميت ، هذه مئة ألف جمعتها لك من أهل بيتي . فقال : لا والله ، لا يعلم أحد أني آخذ منها ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يكافيني ، ولكن تكرمني بقميص من قمصك . فاعطاه . .[1]

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٩٧ وقاموس الرجال ج ٧ ص ٤٣٣ عنه .

٣" ـ وأمر الباقر عليه السلام للكميت مرة بثلاثين أو بخمسين ألف درهم على اختلاف النقل ، لكن الكميت رفض قبولها . .[١]

٤" ـ وأمر له مرة أخرى بألف دينار وكسوة ، فرفض قبول الدنانير ، لكنه قبل الكسوة لبركاتها . . . رفض ذلك معلناً بأنه يحبهم ، ويقول فيهم ما يقول رغبة في الآخرة لا طمعاً بالدنيا . .[٢]

٥" ـ وأعطى الإمام الرضا عليه السلام دعبلاً الخزاعي ستمائة دينار ، أو أقل ، على تائيته المشهورة ، التي يقول فيها :

أرى فيئهم في غـيرهم متقسماً وأيـديهم من فيئهم صفـرات

فرفض المال ، وطلب ثوباً من ثيابه عليه السلام يتبرك به ، ولكنه عليه السلام أصر عليه بقبول المال أيضاً فقبله . .

وقال ياقوت في معجم ادبائه ، إنه أعطاه عليها عشرة الآف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه ، فأخذها منه أهل قم بثلاثين ألفاً ، ما عدا كماً واحداً منها جعله في اكفانه والقصة أيضاً مشهورة ومعروفة . . .

وعند ما طلب منه المأمون : أن ينشد هذه التائية جحدها ، فلما أمره الرضا عليه السلام أنشدها ، فاعطاه المأمون خمسين ألف درهم ، وأعطاه الرضا عليه السلام مثلها ، أو قريباً منها . . .

٦" ـ وأبو نواس أيضاً قد أعطاه الرضا عليه السلام أربعمأة دينار ، أو أقل على اختلاف النقل وبغلة ، على أبياته المعدودة :

مـطهـرون نقيـات ثيـابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

٧" ـ بل يقولون : إن زين العابدين عليه السلام قد : « قسط على نفسه وأهله أربعمائة ألف درهم للكميت ، فقال له : خذ هذه يا أبا المستهل ، فقال : لو وصلتني بدانق لكان شرفاً ولكن إن أحببت ان تحسن إليّ ، فادفع لي بعض

---

(١) قاموس الرجال ج ٧ ص ٤٣٢ عن بصائر الدرجات .
(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٢٣ ط بولاق .

ثيابك التي تلي جسدك أتبرك بها الخ . . . »[1]

٨" ـ وأهم من ذلك كله أنهم يذكرون : أن الإمام الحسن عليه السلام قد أعطى خراج العراق لمدة سنة ، على ثلاثة أبيات فقط ، وعندما ما عوتب على ذلك قال : « أما سمعتم ما قال :

لا يكن جودك لي بل يكن جودك للّه

فلو كانت الدنيا كلها لي ، وأعطيتها إياه ، كانت في ذات الله قليلاً . . . »[2] .

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه . . .

وعلى كل حال . . وحتى لو فرضنا : أن بعض تلك الأرقام لا يخلو عن مبالغة ، إلا أنه ولا شك يعبر عن النسبة العالية للأموال ، التي كان الأئمة عليهم السلام يخصون الشعراء بها . . .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو :

ألا يمكن أن يعتبر اعطاء مثل هذه الأموال الطائلة لشاعر مّا ، بسبب قوله أبياتاً من الشعر عملاً غير منطقي ؟ ! بل إسرافاً وتبذيراً لاموال يمكن أن يستفيد منها عشرات ، بل مئات العوائل ، التي قد تكون أحوج ما تكون إلى لقمة العيش ، وما يحفظ لها نفس الحياة ؟ ! فليعط الشاعر خُمس ، بل عُشْر هذه المبالغ ، والباقي فليوزع على المحتاجين والبائسين وما أكثرهم في ذلك العهد ! ! .

وبماذا استحق الشاعر هذه المبالغ الطائلة ؟ ! وهل نظمه بضعة أبيات من الشعر قد لا تستغرق معه الساعة الواحدة ، أو أقل أو أكثر ، مع إمكان أن يصاحبها أي عمل آخر يدر على ذلك الشاعر المال الذي يغنيه عن استجداء الناس ، وطلب اعطياتهم ؟ هل ذلك يجعله يستحق كل هذه الأموال ، ويحرم الأخرين منها ، مهما بلغ بهم الجهد ، وألظَّ بهم ضيق ذات اليد ؟ ! وبعد فهل

---

(١) ملحقات إحقاق الحق ج ١٢ ص ٦١ عن تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٢٦ ط مصر.
(٢) نظم درر السمطين ص ١٩٧ .

يمكن أن يكون ثمة فرق بين تصرفاتهم وتصرفات غيرهم من الحكام ؟ .

وإذا كان ذلك هو الواقع الذي يعيشه الناس في ذلك العهد ، وجرت عليه سيرة الحكام والناس وقتئذٍ . فهل يفترض بالأئمة ـ الهداة البررة ـ أن يستسلموا لهذا الواقع؟ . أم أن المفروض فيهم أن يغيروه ؟ أو على الأقل أن يعلنوا على الملأ رأيهم فيه ، ورفضهم له ؟ !

وذلك لأن المفروض بالأئمة عليهم السلام هو أن يعيشوا آلام الناس، وآمالهم، ويشعروا معهم ، ويحاولوا التخفيف من تلك الآلام بكل ما لديهم من قوة وحول . . لا أن يشجعوا استمرار ذلك الواقع باعطائهم الشعراء تلك الأموال الطائلة، التي كان من الممكن أن تخفف الكثير من الشقاء والبؤس، الذي يعاني منه الكثيرون. . .

والجواب عن ذلك ، بكل بساطة ويسر . . .

لا . . فإن ما فعلوه صلوات الله وسلامه عليهم هو الأمثل والأفضل ، ولو أنهم فعلوا غير ذلك لكان خطأ فاحشاً ، نربأ بالإمام المعصوم ، بل بأي عاقل أن يرتكبه ، أو أن يفكر فيه . . .

وذلك :

أولاً : إننا لا بد وأن ننظر : هل أعطى هذا الشاعر وبذل ما يستحق به هذا المال ويؤهله لأن يستأثر به دون غيره أم لا ؟ .

الجواب : نعم . . إن الشاعر بمدحه لأهل البيت ، ووقوفه مع قضيتهم يكون قد أعطى وبذل ما هو أعز من المال بكثير ، فكل ما يعطى له يكون قليلاً في جنب ما بذل . لقد أعطى وبذل نفسه وروحه ودمه ، وكل ما في الحياة لا قيمة له في مقابل نفسه ، وروحه التي بين جنبيه . . .

لأنه عندما يقول الشعر فيهم عليهم السلام ، فإنه يكون قد عرض نفسه للهلاك ، واسرته ، بل وكثيرين ممن يرتبطون به ولو من بعيد للعناء والشقاء والبلاء . . وكلنا يعلم أن الكميت قد أُهْدِرَ دمه ، والفرزدق قد سجن ، وأهين . . . ولم تكن حياة دعبل بالحياة التي يحسد عليها . .

ويكفي أن نذكر هنا : أن الرشيد بسبب بيتين من الشعر في أهل البيت قد أمر في منصور النمري : أن تقطع يده ورجله ، ويسل لسانه من قفاه ، ثم تضرب عنقه ، ويصلب ، ويحمل إليه رأسه . . . وكم كان غضبه شديداً عندما علم أن منصوراً مات قبل تنفيذ هذه الأوامر . . . حتى ليقول الخوارزمي : إنه نبشه ، وأحرقه . .

وأي شيء بعد هذا . . يمكن أن يعتبر مكافأة لشاعر يعرض نفسه لمثل هذا ، وكيف يمكن مقابلة جميله بالمثل ؟ ! . . .

وثانياً: إننا من الجهة الأخرى . . حتى لو أردنا أن نزن الأمور بميزان مادي بحيث نجعلها هي المعيار في الربح والخسران . . . فإننا نجد أنه حتى على هذا المقياس لا يمكن أن نعتبر بذل الأئمة لتلك الأموال إسرافاً وتبذيراً . . . بل هو في محله ، ولا بد منه ، إذ كثيراً ما لا يمكن لهذا الشاعر المسكين أن ينفق هذا المال ، أو أن يستفيد منه بالنحو المقبول والمعقول ، بسبب الحالة التي يواجهها ، والظروف الطارئة التي أصبح يعاني منها بسبب ما فعله بنفسه . . . لكن اسرته ومن له نوع تعلق به قد تكون بأشد الحاجة لهذا المال عندما لا يعود باستطاعة كفيلها ، أن يقوم بشؤونها ، ويؤمِّن لها ما تحتاج إليه ، وقد يمتد الأمر إلى سنين عديدة ، ومدة مديدة .

وعلى ضوء كل ما قدمناه يتضح : أنهم عليهم السلام لو لم يبذلوا ، ولم يعطوا ، لكانوا قد أعطوا الناس انطباعاً سيئاً عن أنفسهم ، وأثبتوا والعياذ بالله أن لا عهد ، ولا وفاء لهم ، وأنه لا يصح لأحد أن يعقد عليهم آماله ، ويتوهم أنهم يمكن أن يمدوا له يد العون في وقت ما لأنهم لم يمدوا يد العون حتى إلى أولئك الذين بذلوا دماءهم ، وتحملوا كل الشقاء والعناء من أجلهم ، وفي سبيلهم . . . وذلك ما يسيء إلى سمعتهم ، وإلى قضيتهم ، ويوجب إنصراف الناس عنهم ، ويقولون : ولما ذا اذن نعرض أنفسنا للهلاك بموالاتهم وحبهم . . . وذلك ولا شك خسارة كبرى، لا يساوي المال بازائها أي شيء ولا يكون له أية قيمة . . .

ثالثاً: إن كل عمل كيف كان ومهما كان، إنما يستمد قيمته وشرفه وسموه، من سموٍّ وقيمة الغاية والهدف الذي كان من أجله ذلك العمل وفي سبيله، شرط أن يكون في الخط الصحيح، الذي تتبناه الغاية نفسها وتدعو إليه . . .

وإذا كان الهدف هو نصرة رسالة السماء، والذي معناه خدمة البشرية جمعاء . . فإن العمل الذي يكون في هذا الخط، ومن أجل هذه الغاية إذا كان صحيحاً وسليماً ـ هذا العمل ـ يزيد في قيمته على كل قيمة، ويكون عظيماً بمقدار ما تكون تلك الغاية عظيمة . . وفي مثل تلك الظروف بالذات، التي بلغ اضطهاد الأئمة وشيعتهم فيها سياسياً وفكرياً، واعلامياً بلغ الغاية وأوفى على النهاية تتأكد القيمة لمثل هذه المواقف وتزداد .

رابعاً: لقد كان الشعر من أهم وسائل الإعلام وأسهلها، إن لم يكن أهمها على الاطلاق وذلك لأنه يتلائم مع ذوق العربي وفطرته، وينسجم مع طبيعته وسجيته مما يجعله يتفاعل معه بكل عواطفه وجوارحه، وما يقوله الشعراء يحفظه الناس، ويتناقلونه، ويدوّن في الكتب، ويكون الحديث الذي لا يمل والشغل الشاغل للكبير والصغير، والغني والفقير، والعظيم والحقير على حد سواء . . وله تأثير مهم في مختلف الطبقات، وعند جميع الفئات . . .

وقد يبذل أحدهم الغالي والنفيس، من أجل أن يقال فيه ولو بيت من الشعر يخلد اسمه بالشرف والكرامة، أو أن لا يقال فيه ما يخلده أبد الدهر بالحقارة والمهانة . . ومن هنا نعرف: أنه من الطبيعي جداً بعد هذا أن يكون للشعر دور رئيس في تأييد أية قضية، ورفع شأنها، أو الحط منها وتهجينها . .

ولقد رأينا العباسيين يبذلون الأموال الطائلة للشعراء الذين يتبنون وجهة نظرهم السياسية، ويدافعون عنها في مقابل أعدائهم آل علي عليهم السلام . . حتى لقد أعطي مروان بن أبي حفصة على بعض قصائده مئة ألف درهم، وكانت مئة بيت ـ لكل بيت ألف درهم ـ أعطي ذلك من قبل المهدي مرة، ومن قبل الرشيد بعد ذلك مرة أخرى . . . وأما حفيده مروان بن أبي الجنوب، فقد فاز

بولاية البحرين واليمامة ، واربع خلع ، وثلاثة الآف دينار نثرت عليه ، وأمر بالتقاطها . . كل ذلك لأنهم قالوا شعراً يؤيدون فيه العباسيين ، ويتحاملون فيه على العلويين . .

وخلاصة القول : إن تأثير الشعر إعلامياً آنذاك ، أكثر من تأثير الجريدة والمجلة والراديو والتلفزيون ، وغير ذلك من وسائل الإعلام اليوم ، لأن الشعر كان مرتبطاً بروح وعقل وفطرة الإنسان العربي ، وأما وسائل الإعلام اليوم فغاية ما يمكن أن تفعله هو أن تثير في الإنسان بعض المشاعر الوقتية المرتبطة بغريزة الجنس مثلاً أوحب الظهور أو غير ذلك[1] . . الأمر الذي لا يلبث أن يفقد محتواه بالنسبة إلى هذا الإنسان ، ومن ثم يتلاشى وينعدم من دائرة حياته . . .

نعم لقد كان للشعر تأثير السحر في النفوس . . فلا شيء يمكن أن يؤثر كما كان يؤثر . . . ولا يكاد ينتشر شيء كما ينتشر . .

ومن هنا . . يتضح لنا : أن من الطبيعي أن يكون الشعر من الوسائل الهامة لإيصال قضية أهل البيت، وبالذات قضية الإمام علي عليه السلام التي هي قضية الإسلام وحقه في خلافة النبي (ص)، وقيادة الأمة، وكذلك وُلْده من بعده إيصالها إلى أكبر عدد ممكن في تلك الفترة ، ونشرها في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف[2]

---

(١) ومع ذلك نلاحظ أنهم ينفقون فيها سنوياً على الدعاية لبعض السلع لبضع دقائق يومياً الملايين الكثيرة . . . التي لا تكاد تخطر على بال الإنسان العادي ، أو أن يتوهمها . .

(٢) لقد كان أئمة أهل البيت لا يدخرون وسعاً في التعريف بقضيتهم ورسالتهم ، ومحاولة إيصالها بالطرق المشروعة إلى أكبر عدد ممكن . . . ويكفي أن نذكر أن الإمام الباقر (ع) قد أوصى بثمانمائة درهم لنوادب يندبنه بمنى أيام الموسم عشر سنين راجع : الكافي ج ٣ ص ٢١٧ والتهذيب للطوسي ج ٦ ص ٣٥٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١١٦ والوسائل ج ١٢ ص ٨٨ وقصار الجمل ج ١ ص ١٣٤ عنه والذكرى ص ٧٢ ومقتل الحسين للمقرم ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ عن بعض من تقدم وعن المنتهى للعلامة ج ٢ ص ١١٢ ، واختيار منى لا مكة ، ولا المدينة ـ حيث يجتمع فيها الناس من مختلف الأنحاء والأرجاء ، ويرجعون منها إلى بلادهم ، ويتحدثون للناس بما ألفت نظرهم ، من الأمور غير العادية ، فيكون ذلك آخر ذكرى يحملونها ، ويتفاعلون معها عاطفياً واختيار أيام الفرح والاستبشار للندب والحزن ليس إلا لإلفات النظر ، وجلب الانتباه من أكبر عدد ممكن ، وتعريف الناس بأهل البيت ، وبقضيتهم ورسالتهم ، وإقامة الحجة عليهم . .

وأيضاً من الوسائل الهامة للاحتفاظ بقضيتهم هذه ، وإيصالها إلى الأجيال القادمة . . إذ من الطبيعي : أنه إذا كان الشعر يحفظ ويخلد فإن القضية التي يعالجها تحفظ وتخلد أيضاً . . .

ومهما بذل من المال . . . فإن خلود القضية ، وابقاءها حية في ضمير الأمة ووجدانها ، تسير من بلد إلى بلد ، وتتناقلها الأجيال من جيل إلى جيل . . . أولى وأهم بكثير من اختزان المال ، أو انفاقه على عدة معدودة ، ليسوا بخالدين ولا باقين ، ويمكنهم الاتجاه إلى مصادر أخرى لتأمين لقمة العيش . . . هذا بالإضافة إلى أنهم لا يستطيعون أن ينقلوا عقيدة الأئمة ـ التي هي العقيدة المثلى ، وقضيتهم التي هي قضية الحياة إلى الأجيال القادمة ، التي لها من الحق تماماً كما لأولئك الذين يعيشون في عهد الأئمة ، وبالقرب منهم . . . أو على الأقل لا تستطيع قضيتهم أن تستقطب مختلف أنحاء وأرجاء الدولة الإسلامية على النحو المطلوب والمرغوب . .

ومن هنا . . يتضح لنا الهدف الذي يرمي إليه الإمام الحسن عليه السلام حينما قرر : أن الدنيا كلها لو كانت له ، وأعطاها لذلك الشاعر ، كانت في ذات الله قليلاً . . .

إذن : فحتى إعطاء خراج العراق كله ـ لو كان ـ كان الهدف منه هو وجه الله عز وجل ، وجلب مرضاته . . .

وبعد هذا . .

فلعل من أهم الملاحظات الجديرة بالتسجيل هنا :

= ولعل التوقيت بعشر سنين ، إنما هو بملاحظة : أن قوة الامويين بعد عشر سنين من وفاته ستضعف وستضمحل ، حيث يقتلون زيد بن علي وأصحابه ، الأمر الذي من شأنه أن يعيد تعبئة الناس نفسياً ضدهم ، ثم أنهم سوف ينشغلون بحرب الخوارج ، ولا يبقى لهم أي شأن يذكر بعد ذلك . .

وما أشبه هذه القضية بقضية حجة الوداع ، وتنصيب علي (ع) يوم الغدير فيها على مفترق الطرق وفي حين لا بد للناس من مفارقة النبي (ص) والرجوع إلى بلادهم ، في مناسبة فريدة من نوعها ستبقى ذكرى لكل مسلم لا يمكن أن ينساها بعد أن كانت آخر لحظة يرى فيها النبي (ص) . .

وما أشبهها أيضاً بقضية براءة ، وبموقف الإمام الرضا في نيشابور (راجع : الحياة السياسة للإمام الرضا ص ٣١٨) .

إن هؤلاء الشعراء ، الذين كانوا يتبنون قضية الأئمة ، ويدافعون عنها ، كانوا عموماً يرفضون الأموال ، التي كان الأئمة يبذلونها لهم . ويؤكدون على أن مواقفهم تلك وأن مدحهم لهم ، ودفاعهم عن قضيتهم لم يقصد به إلا وجه الله تعالى ، والغضب لله ولرسوله ، وللحق ، كما كان الحال بالنسبة للفرزدق مع الإمام زين العابدين ، والكميت معه أيضاً ، ومع الباقر عليه السلام ، ودعبل مع الرضا عليه السلام ، وغاية ما كانوا يطلبونه منهم هو أن يتكرموا عليهم بثوب لبسوه ، ليتبركوا به ، أو ليجعلوه في أكفانهم . . .

مع أن هؤلاء الشعراء . . . وكل من يمدح الأئمة عليهم السلام ، ويدافع عن قضيتهم ، التي هي قضية الإسلام والحياة . . . كانوا يتعرضون لاقسى أنواع الاضطهاد والتنكيل ، هذا إن لم تكن نهايتهم هي القتل بالصور البشعة ، والأساليب القاسية المثيرة ! !

وذلك إن دل على شيء . . . فإنما يدل على أن اندفاعاتهم في مواقفهم تلك كانت نابعة من إحساسهم العقيدي ، المتأصل في نفوسهم ، واقتناعهم اقتناعاً كاملاً بمبادىء أهل البيت ، وقيمهم ، إلى حد أنهم يتنازلون عن حياتهم ، ووجودهم ، من أجلها وفي سبيلها . . . تماماً على عكس الشعراء الآخرين المتزلفين والمتسكعين على أعتاب الحكام، والذين لم يكن يهمهم غالباً إلاّ الاستفادة من الحكم القائم، بأية وسيلة وبأي طريقة كانت، ولا يؤمنون به إلاّ بقدر إيمانهم بالطريقة التي يستطيعون أن يحصلوا بها على المال. . حتى إذا ما أحسوا من ذلك خطراً على وجودهم، أو عرفوا أنه لن يؤمِّن لهم المبالغ التي يتوقعونها، أداروا أظهرهم إليه، وغالباً ما يصيرون حرباً عليه.

ومن هنا نستطيع أن نتلمس في تلك القصائد والأشعار التي تقال في أهل البيت(ع) صورة حقيقية وواقعية لعظمة أهل البيت عليهم السلام . . . وأنهم كان ينظر إليهم من الكثيرين المغلوبين على أمرهم والواعين لواقعهم ، وواقع حكامهم ينظر إليهم على أنهم القمة في الكمالات الإنسانية ، والفضائل الأخلاقية . .

ونستطيع أن نستشف منها أيضاً العاطفة المشبوبة ، التي استطاعت أن تتجاوز كل تلكم الحواجز والعقبات لتتفجر ينبوعاً ثراً من العاطفة الصادقة ، التي لا يشوبها طمع ولا يهيمن عليها رجاء ، إلّا رجاء رحمة الله وثوابه ، والأمن من جزائه وعقابه . .

إنها العاطفة التي تتفجر بركاناً يجتاح كل ذلك الركام الهائل من الأكاذيب والأباطيل والدعايات التي حيكت حول أهل البيت عليهم السلام ، وشيعتهم ومحبيهم .

إنها العاطفة الصادقة التي تنبع حقا من القلب ، وتستمد أصالتها من الواقع الحي . . لا مثل شعر أولئك المتاجرين ، الذي تغمره روح التزيف والتزلف ، والذي لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يعبر عن واقع حي ، وأصالة راسخة . . .

مصادر البحث

١ ـ احقاق الحق (الملحقات) ..... للمرعشي النجفي
٢ ـ الأغاني ..... لابي الفرج الأصبهاني
٣ ـ التهذيب ..... للشيخ الطوسي
٤ ـ الحياة السياسية للإمام الرضا (ع) ..... للمؤلف
٥ ـ الذكرى ..... للشهيد الأول
٦ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
٧ ـ قصار الجمل ..... للمشكيني
٨ ـ الكافي ..... للكليني
٩ ـ مقتل الحسين ..... للمقرم
١٠ ـ مناقب آل أبي طالب ..... لابن شهراشوب
١١ ـ من لا يحضره الفقيه ..... للشيخ الصدوق
١٢ ـ نظم درر المسمطين .....
١٣ ـ الوسائل ..... للحر العاملي

المهدية بنظرة جديدة

شعبان ١٤٠١ هـ.

بسمه تعالى . . وله الحمد ، والصلاة على محمد وآله الطاهرين

إن من يراجع كتب الحديث والرواية لدى مختلف الطوائف الإسلامية يخرج بحقيقة لا تقبل الشك، وهي: أن الأحاديث الدالة على خروج المهدي في آخر الزمان ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، كثيرة جداً ، تفوق حد الحصر . .

ويكفي أن نذكر : أن البعض (وهو السيد الصدر في كتابه : المهدي) قد أحصى أربع مئة حديث وردت عن النبي (ص) من طرق أهل السنة فقط . .

بل لقد أحصى في منتخب الأثر أكثر من (٦٣٥٠) حديثاً من طرق الشيعة وغيرهم تدل على ذلك أيضاً . . وقد رواها العشرات من الصحابة ، والتابعين وغيرهم ، ممن اختلفت أعمارهم ، وثقافاتهم ، واتجاهاتهم السياسية ، والمذهبية ، وغير ذلك . . الأمر . . الذي لا يمكن معه اجتماعهم واتفاقهم على افتعال أمر كهذا . . ولا سيما إذا كان هذا الأمر يضر بالمصالح السياسية والمذهبية للكثيرين منهم . .

وعلى كل حال . . فإن كثيراً من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع لها سند صحيح أو حسن لدى جميع الفرق والمذاهب . . ومهما أمكن النقاش في أسانيد كثير منها ، فإنه يبقى الكثير الطيب ، الذي لا مجال للنقاش فيه . .

ولو تجاوزنا ذلك . . فإن هذا العدد الهائل من الأحاديث ليس فقط يعتبر تواتراً مفيداً للقطع ، وإنما هو تواترات ، تجمعت وتراكمت ، حتى لا تبقى عذراً لمعتذر ، ولا حيلة لمتطلّب حيلة . .

وقد ذكر ابن خلدون ثمانية وثلاثين حديثاً عن عدد كبير من الصحابة ، وحاول المناقشة في أسانيدها . .

وقد فاته أن هذه المناقشات لا تضر ما دام هذا العدد الذي ذكره، هو نفسه يفوق حدّ التواتر . فضلاً عما ذكره غيره . والروايات وإن كان فيها الكفاية ، بل وفوق الكفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ، إلا أننا نريد هنا أن نبذل محاولة جديدة لإثبات هذه القضية من طريق آخر . .

فنقول :

إن من يلاحظ التاريخ الإسلامي يجد : أن هذه القضية لم تزل مسلّمة بين المسلمين ، من عصر الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم عبر العصور ، وكان الكثيرون يدّعون ، أو تدّعى لهم المهدوية فتتلقى الأمة هذه الدعوات بالقبول ، وإذا ما نازع منازع ، فإنما ينازع في انطباق المهدي الموعود على هذا أو ذاك ، لا في أصل المهدية . .

ولعل أول من حاول التشكيك بأخبار المهدي ـ فيما أعلم ـ هو ابن خلدون ، المتوفي سنة ٨٠٨ هـ . وتبعه على ذلك بعض من راق له شذوذ كهذا ، من أمثال أحمد أمين المصري ، وسعد محمد حسن ؛ بتشجيع من علماء الاستشراق الحاقدين على الإسلام ، والطامعين في المسلمين . .

نعم . . ربما ينقل عن بعض فرق الخوارج ، وبعض فرق الزيدية : أنهم لا يعتقدون بالمهدية . .

ولكنه نقل لا يعتمد على أساس ، ولا على ركن وثيق ؛ لأن الظاهر : أنهم قد استفادوا ذلك من عدم التصريح بهذا الأمر من قبل تلك الفرق ، لا من التصريح بعدمه، وإنكاره رأساً . . مضافاً إلى أن ما ينقل عن بعض فرق الزيدية

أكثر وهنا ، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى .

ونحن الآن نذكر بعض الأمثلة التي توضح : أن المهدية قد كانت مسلمة في عصر الصحابة ، والتابعين ومن بعدهم ، بحيث لم يكن ثمة مجال للنقاش ، أو للتشكيك فيها . . ونقتصر على ما كان منها في الأكثر في القرنين :

الأول والثاني للهجرة . . أما بعد ذلك فإن المدعين للمهدية كثيرون جداً ، لا مجال لاحصائهم في عجالة كهذه . . ولكننا سوف نذكر بعضهم على سبيل المثال فقط .

فنذكر هنا :

١ ـ المهدي من أهل البيت :

قال معاوية لابن عباس : « وقد زعمتم : أن لكم هاشمياً ، ومهدياً قائماً ، والمهدي عيسى بن مريم . وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه » . فأجابه ابن عباس : « وأما قولك : إنا زعمنا : إن لنا ملكاً مهدياً ، فالزعم في كتاب الله شك ، قال تعالى : « زعم الذين كفروا : أن لن يبعثوا ، قل : بلى وربي لتبعثن » . وكل يشهد : إن لنا ملكاً لو لم يبق إلا يوم واحد ملكه الله فيه »[1]

فابن عباس يقول لمعاوية : «وكل يشهد : أن لنا ملكاً الخ . . » . الأمر الذي يدل دلالة واضحة على شيوع أن المهدي من أهل البيت قد كان في ذلك الزمان ، زمان معاوية ، من الاشتهار بحيث لم يستطع معاوية أن يتجاهله . . كما أنه لم يستطع أن يجيب ابن عباس في شأنه ، وتقرير : أن الكل يشهد بذلك . . بشيء .

ومما يؤيد ذلك : ـ وإن كان أعوان الأمويّين قد زادوا في الرواية كذبة

---

(١) قاموس الرجال ج ٦ ص ٣٨ ، عن الملاحم لابن طاووس ، عن كتاب عيون أخبار بني هاشم للطبري ، الذي صنفه للوزير علي بن عيسى بن جرّاح . .

مفضوحة ـ ما رواه ابن سعد ، عن إبن أبي يعفور، قال: قلت لمحمد بن علي[1]: إن الناس يزعمون : أن فيكم مهدياً . فقال : إن ذاك كذلك . ولكنه من بني عبد شمس[2]

وهكذا . . فقد كان شايعاً عند الناس أن في أهل البيت مهدياً منذ ذلك الحين . . ولكن العبارة الأخيرة أعني قوله « ولكنه من بني عبد شمس » لا ريب في كونها موضوعة . . فإن مئات بل الآف الأحاديث الدالة على أن المهدي من أهل البيت، والتي تعيّنه في الحجة ابن الحسن (ع) لخير دليل على أن هذا الذيل مكذوب على أهل البيت (ع) ، وكتاب منتخب الأثر للعلامة الصافي قد جاء بما فوق الكفاية في هذا المجال ، كما أشرنا إليه من قبل . .

وعن الوليد بن محمد المقري قال : كنت مع الزهري بالرصافة ، فسمع أصوات لعّابين ، فقال لي : يا وليد ، انظر ما هذا ؛ فأشرفت من كوة في بيته ، فقلت : أو يملكون ؟ ! قال : حدّثني علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن فاطمة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها : المهدي من ولدك[3]

وأخيراً . . فإن البعض يرى : أن خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي سنة ٨٥ هـ . هو الذي وضع حديث السفياني ليقابل به حديث المهدي[4]

٢ ـ محمد بن الحنفية :

وقد كان المختار يزعم : أن ابن الحنفية هو المهدي[5] ، والمختار قد قتل سنة ٦٧ هـ .

---

(١) لقد احتمل البعض : أن يكون المراد به ابن الحنفية لا الإمام الباقر . . ويرده : أن نفس الرواية تصرح : بأن هذا السؤال قد كان في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ولم يعش ابن الحنفية إلى هذا الوقت ، كما هو معلوم . .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٤٥ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ١٤٣ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢١ .

(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٠ ط سنة ١٣١٠ ه . وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٢٨٣ و٢٨٩ بتحقيق المحمودي وج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٢ ومروج الذهب ج ٣ ص ٧١ والحور العين ص ١٨٢ ، ويرى =

وادعاء الكيسانية لمهدية ابن الحنفية لا يخفى على أحد . . والكيسانية قد عاشوا في القرن الأول والثاني كما هو معلوم ـ بل هم يقولون : إن المختار نفسه كان اسمه كيسان فسميت الكيسانية باسمه . .

٣ ـ موسى بن طلحة :

وقال ابن سعد : « وقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ؛ فهرب منه وجوه أهل الكوفة ، فقدموا علينا ها هنا البصرة ، وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله . قال : وكان الناس يرون زمانه هو المهدي . قال : فغشيه ناس إلخ . . »[1]

٤ ـ أبو هاشم ابن محمد بن الحنفية :

قال النوبختي : « وقالت فرقة : مثل قول الكيسانية في أبيه : بأنه المهدي ، وأنه حي لم يمت الخ . . »[2] وقال أيضاً : « وفرقة قالت : إن الإمام القائم المهدي هو (أبو هاشم) »[3]

٥ ـ عمر بن عبد العزيز :

قال ابن كثير : « . . قال الإمام أحمد : عن عبد الرزاق ، عن أبيه ، عن

بعض المحققين: أن المختار إنما قال: المهدي بن المهدي الوصي بن الوصي، وفي الطبقات ج ٥ ص ٧٣ أنه كتب إليه: لمحمد بن علي المهدي من المختار الخ . .

. . وليس ذلك ظاهراً في ادّعاء المهدية له، ولكن المؤرخين قد فهموا ذلك وفي طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٨/ ٦٩ بسنده عن «أبي حمزة قال: كانوا يسلمون على محمد بن علي: سلام عليك يا مهدي فقال: أجل أنا مهدي أهدي إلى الرشد والخير، اسمي اسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله، فإذا سلم أحدكم فليقل : سلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم».

وفي ص ٦٩ من الطبقات ج ٥ حديث آخر أيضاً فليراجع .

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٢٠ / ١٢١ .

(٢) فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٣) فرق الشيعة ص ٥٠ وراجع : المقالات والفرق ص ٣٧ .

وهب بن منبه ، أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي ؛ فهو عمر بن عبد العزيز . . »[1]

وقال :

« ونحو هذا قال قتادة ، وسعيد بن المسيب ، وغير واحد . . »

وقال طاووس : هو مهدي (أي بالمعنى اللغوي) ، وليس به ؛ إنه لم يستكمل العدل كله، إذا كان المهدي ثبت على المسيء من إساءته، وزيد المحسن في احسانه، سمح بالمال، شديد على العمال ، رحيم بالمساكين[2]

وقد ذكر ابن سعد روايات عن عمر ، وعن ابن عمر ، وغيرهما تؤيد مهدوية عمر بن عبد العزيز .

كما وذكر ما يؤيد قبول سعيد بن المسيب بمهدويته أيضاً.

وقال : الحسن : إن كان مهدي فعمر بن عبد العزيز ، وإلا فلا مهدي إلا عيسى بن مريم[3] .

بل لقد كذبوا على أهل البيت أنفسهم ، فوضعوا روايات عن الباقر عليه السلام ، وعن فاطمة بنت علي عليه السلام تؤيد مهدوية عمر بن عبد العزيز هذا . .[4]

ولسنا بحاجة إلى تفنيد هذه الروايات بعد المئات بل الالآف من الروايات المؤكدة على مهدوية الحجة بن الحسن العسكري، والتي أورد جانباً كبيراً منها في كتاب « منتخب الأثر » حسبما أشرنا إليه . .

٦ ـ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

« فلما هلك عبد الله بن معاوية ، افترقت الخربية (والصحيح الحارثية

---

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٠٠ وتاريخ الخلفاء ص ٢٣٣ .
(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٠٠ وكلمة طاووس في تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٥
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٣٤ .
(٤) راجع : طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٤٣ و ٢٤٥ .

وهم اتباع عبد الله بن الحرث[1])بعده فرقتين :

أ ـ فرقة قالت: إنه حي بجبال اصبهان ،ولا يموت حتى يلي أمور الناس ، ويملأ الأرض عدلاً ، وأنه المهدي المنتظر عندهم ، ومنهم من يقول : حتى يقود نواصي الخيل مع المهدي الخ . . . »[2]

وعبد الله بن معاوية قد قتل سنة ١٢٩ هـ . كما هو معلوم

٧ ـ الإمام الباقر عليه السلام :

عن أبي جعفر(ع) ، قال : « يزعمون أني أنا المهدي ، وإني إلى الأجل أدنى مني إلى ما يدّعون »[3]

٨ ـ اسماعيل بن الإمام الصادق (ع) :

وقد توفي اسماعيل بن جعفر سنة ١٣٣ هـ . وقد أنكرت فرقة موته ، وقالوا : « لا يموت حتى يملك الأرض، يقوم بأمر الناس ، وأنه هو القائم »[4]

٩ ـ محمد بن عبد الله بن الحسن :

لقد ادّعى محمد بن عبد الله الحسن المولود سنة مئة : أنه هو المهدي ، بل يظهر من بعض الأشعار والنصوص : أنهم كانوا يعتقدون بمهدوية محمد هذا من حين ولادته[5]

وقد قبل كثير من علماء الأمة وشخصياتها مهدويته ، وهو شاب ، وقد كان شيوخ الاعتزال مثل عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم ،

---

(١) فقد ذكر بعض المحققين: أنه قد اشتبه عليهم لفظ الحرث بغيره: الحربية والخربية والحزنية وعبد الله بن الحرث معنون في كتب رجال الشيعة ومعروف بالإنحراف والغلو . .

(٢) الحورالعين ص ١٦١ وراجع : الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠ .

(٣) كنز العمال ج ١٧ ص ٢٧ ورمز له بـ (كر) أي عن ابن عساكر.

(٤) فرق الشيعة ص ٧٩ ، والفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠ .

(٥) راجع : مقاتل الطالبيين ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ وليراجع انساب الأشراف ج ٣ ص ٧٦ و ٧٩ متناً وهامشاً .

وغيرهم يدعون الناس إلى بيعته . . . وقضيتهم مع الإمام الصادق (ع) إبّان قتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ . معروفة ومذكورة في كتب الحديث[١] .

مع أن المعتزلة كانوا يقيسون النصوص الدينية بمقياس العقل ، وهم أصحاب الفكر الحر ، الذين لا يقلدون غيرهم ، ولا يقبلون أي أمر إلا بعد البحث والنظر والتدقيق فيه كما هو معلوم . .

وعلى كل حال . . فقد قبل الناس على نطاق واسع ـ باستثناء الإمام الصادق عليه السلام[٢] ـ دعواه ، ودعوى أبيه عبد الله بن الحسن هذه ، وبايعوه . .

ويعترف المنصور العباسي : بأن المبايعين له هم :

« . . ولد علي ، وولد جعفر ، وعقيل ، وولد عمر بن الخطاب ، وولد الزبير بن العوام ، وسائر قريش ، وأولاد الأنصار . . »[٣]

ويقول أبو الفرج الأصفهاني :

« . . لم يشك أحد : أنه « المهدي » ، شاع ذلك له في العامة . وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً : من آل أبي طالب ، وآل العباس ، وسائر بني هاشم »[٤] .

بل لقد بايعه المنصور ، والسفاح ، وابراهيم الإمام ، وصالح بن علي[٥] . . وغيرهم ولقد كان المنصور يفتخر بمهدية محمد ، ويتبجح بها[٦] .

---

(١) راجع الوسائل ج ١١ ص ٢٨ / ٢٩ .
(٢) راجع : مقاتل الطالبيين ص ٢٥٦ .
(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٤ / ٢٥٥ .
(٤) مقاتل الطالبيين ص ٢٣٣ وهامش أنساب الأشراف ج ٣ ص ٧٩ عنه بتحقيق المحمودي .
(٥) مقاتل الطالبيين ص ٢٥٦ ، وهناك مصادر كثيرة لهذا الأمر ، فراجع كتابنا : حياة الإمام الرضا (السياسة) ص ٣٩ / ٤٠ . .
(٦) مقاتل الطالبين ص ٢٤٩ / ٢٤٠ ، والمهدية في الإسلام ص ١١٦ عنه ، وجعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل ص ١١٦ .

وكما أيد شيوخ الاعتزال مهدويته وثورته ، كذلك أيدها أيضاً العلماء والأئمة ، وافتوا ، وحثوا الناس على الخروج معه ومع أخيه إبراهيم . .

فكان سفيان الثوري يقول : « ان يرد الله خيراً بهذه الأمة يجمع أمرها على هذا الرجل » . وحينما قتل إبراهيم ، قال « ما أظن الصّلاة تقبل ، ألا إن الصلاة خير من تركها »[1]

وكان ابن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم غير مدافع ، وكان له حلقة في مسجد النبي (ص) يفتي فيها الناس ويحدثهم ، فلما خرج محمد بن عبد الله الحسن خرج معه ، فلما قتل وولى جعفر بن سليمان المدينة بعث إلى ابن عجلان فاتى به ، وأراد قطع يده ، فقام من حضر جعفراً من فقهاء المدينة وأشرافها ، فقالوا : أصلح الله الأمير ، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم ، وإنما شبه عليه ، وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية الخ[2] .

وكان الأعمش يقول : « ما يقعدكم ؟ أما إني لو كنت بصيراً لخرجت »[3] . .

وكان أبو حنيفة يحث الناس على الخروج في هذه الثورة ، ويقول : إن القتيل مع إبراهيم يعدل قتله لو قتل يوم بدر ، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة . . »[4]

ولأجل موقفه هذا دسّ إليه المنصور السّم ، كما يقولون . .[5]

ويستفتىٰ مالك بن أنس في الخروج مع محمد ، ويقال له : إن في اعناقنا بيعة لأبي جعفر ، فيقول : « إنما بايعتم مكرهين ، وليس على كل مكرهٍ يمين .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٩٢ و٣٨٣ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٨٩ .
(٣) مقاتل الطالبيين ص ٣٦٦ .
(٤) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٠ ط أوربا ، ومقاتل الطالبيين ص ٣٦٤ .
(٥) مقاتل الطالبيين ص ٣٦٨ .

فأسرع الناس إلى محمد »[1] . .

وحينما عاتب جعفر بن سليمان عبد الله بن جعفر على خروجه مع محمد ، قال : « ما خرجت معه ، وأنا أشك في أنه المهدي ؛ لما روي لنا في أمره ؛ فما زلت أرى أنه هو حتى رأيته مقتولاً . . »[2]

وهكذا كان موقف شعبة ، وغيرهم ، وغيرهم ، ممن لا مجال لذكرهم هنا . .

كما أن محمداً قد أخبر أهل المدينة : أنه لم ينزل بلداً من البلدان إلّا وقد بايعوه على السمع والطّاعة ، فبايعه أهل المدينة كلهم إلا القليل[3]

نعم . . لقد بلغ من عظمة هذه الثورة وقوتها ، المعتمدة على ادعاء المهدية لقائدها، والتي استطاعت أن تستقطب مختلف الفئات والطبقات ، ولا سيما العلماء والفقهاء ، من أمثال أبي حنيفة ومالك واضرابهما ، وأصحاب الفكر الحر كالمعتزلة ، فضلاً عن غيرهم .

لقد بلغ من عظمتها وقوتها : أن جعلت المنصور يرسل إلى أبواب عاصمته (الكوفة) ابلاً ودواباً ، حتى إذا جاء الجيش الفاتح من جهة ، هرب هو من الجهة الأخرى[4] . .

وهناك الكثير مما يدل على رعب المنصور من هذه الثورة ، التي بويع لقائدها في مختلف الأقطار والأمصار الإسلامية .

ولا تكاد تعثر على منكر لمهدوية محمد هذا إلا ما كان من الإمام الصادق (ع) ،

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٠ ط أوربا ، ومقاتل الطالبيين ص ٢٨٣ والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٨٤ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٩١ .

(٣) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٨٤ والقليل هذا ليس هو إلا الصادق عليه السلام، وبعض أتباعه . .

(٤) تاريخ الطبري ط ليدن ج ١٠ ص ٣١٧ ، وتاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١١٣ ط النجف ، ومرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٩ ، وشرح ميمية أبي فراس ص ١١٦ ، وفرج المهوم في تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠ ، والبدء والتاريخ ج ٦ ص ٨٦ ، ونقل عن : تجارب الامم لابن مسكوية ج ٤ .

حيث عرف عليه السّلام أنه ليس هو ، بل إن محمداً هذا سيقتل بأحجار الزيت كما أخبر به هذا الإمام العظيم . . ولعل عمرو بن عبيد ، الذي حاول أن يقنع الإمام الصادق (ع) بالبيعة لمحمد في سنة ١٢٦ هـ . قد بلغه شيء حول هذا الموضوع من قبل الصادق (ع)، ولأجل ذلك قعد عن محمد هذا في سنة ١٤٥ هـ. كما أشار إليه بعض المحققين.

ولكن إنكار الصادق عليه السلام لم يكن إلا إنكاراً لانطباق المهدي الموعود عليه ، لا للمهدية من الأساس كما هو معلوم . .

١٠ ـ المهدي العباسي :

بل إن المنصور نفسه قد لقّب ولده بـ « المهدي » في محاولة لصرف النّاس عن محمد هذا . . فقد أرسل مولى له إلى مجلس محمد بن عبد الله ، وقال له :

« إجلس عند المنبر ، فاسمع ما يقول محمد . قال : فسمعته يقول : إنكم لا تشكون أني أنا المهدي ، وأنا هو . فأخبرت بذلك أبا جعفر ؛ فقال :

« كذب عدوّ الله ، بل هو ابني »[١] . .

ثم . . ومن أجل اقناع الناس بهذا الأمر ؛ فقد وجد المنصور من يضع له الأحاديث ، ويكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطبّق واضعوها « مهديّ الأمة » على ولده الذي لقبه هو بـ « المهدي »[٢]

يقول القاضي النعمان الاسماعيلي المتوفي سنة ٣٦٣ هـ في أرجوزته :

من انتظاره وقد تسمى ... بهذه الأسماء ناس لما
تغلبوا ليجعلوها حجة ... فعدلوا عن واضح المحجة
إذ مثلوا الجوهر بالأشباه ... منهم محمد بن عبد الله
ابن علي من بني العباس ... ذوي التعدي الزمرة الأرجاس

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٤٠ ، والمهدية في الإسلام ص ١١٧ عنه .

(٢) تجد بعض هذه الأحاديث في : البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤٦ / ٢٤٧ ، والصواعق المحرقة ص ٩٨ / ٩٩ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٩ / ٢٦٠ و ٢٧٢ وغير ذلك . .

إذ وافق الأسم تسمى « مهدي » وهذه من الدواهي عندي[1]

وقال المقدسي : « وقد قال قوم : إن المهدي محمد بن أبي جعفر ، لقبه المهدي ، واسمه محمد ، وهو من أهل البيت الخ . . . »[2]

ولكننا نشك في أن يكون ثمة « قوم » قد قبلوا مهدويته ؛ لأننا من خلال سبرنا للتاريخ نجد : أن المهدي العباسي لم يوفق إلى من يعترف بمهدويته حقاً ، إلا سلم الخاسر[3] الذي كان عنده قرآن فباعه ، واشترى بثمنه طنبوراً . فهو يقول في مدح المهدي العباسي :

له شيم عند بذل العطاء لا يعرف الناس مقدارها
و« مهدي أمتنا » والذي حماها وأدرك أوتارها[4]

والسيد الحميري أيضاً ـ هو بدوره قد كان ممن ظن أنه المهدي حقاً، لكن سيرته وأفعاله قد بينت للناس : أنه ليس هو[5] . . يقول السيد رحمه الله تعالى :

ظننا أن المهدي حقاً ولا تقع الأمور كما ظنّا
ولا والله ما المهدي إلا إماماً فضله أعلى وأسنى[6]

بل إن المنصور نفسه قد أنكر : أن يكون كل من ابنه ومنافسه الآخر (أعني محمد بن عبد الله بن الحسن) هو المهدي . .

يقول سلم بن قتيبة :

« أرسل إليّ أبو جعفر، فدخلت عليه؛ فقال: قد خرج محمد بن عبد الله

---

(١) الارجوزة المختارة ص ٣١ .
(٢) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٤١ ، والمهدية في الإسلام ص ١٨٠ .
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٠٤ .
(٤) الأغاني ط دار الفكر ج ٢١ ص ١٨٧ .
(٥) راجع بعض أفعال المهدي في كتابنا : حياة الإمام الرضا (السياسية) .
(٦) أخبار السيد الحميري للمرزباني (المستدرك) ص ٥٨ وديوان السيد الحميري ص ٤٣٨ عن أعيان الشيعة ج ١٢ ص ١٧٨ .

وتسمّى بـ « المهـدي» . ووالله ، مـا هو به. وأخرى أقولها لك ، لم أقلها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك : وابني والله ، ما هو بالمهدي ، الذي جاءت به الرواية ، ولكنني تيمنت به ، وتفاءلت به »[1] .

والخليفة المهدي نفسه يقر : بأن أباه فقط يروي : أنه المهدي الذي بعده في الناس[2] . .

هذا . . وقد ادعت فرقة المهدية لـ :

١١ ـ الإمام الصادق :

بعد موته[3] ، وفرقة ادعتها لـ :

١٢ ـ الإمام الكاظم :

بعد موته[4] ، وفرقة ادعت : أن :

١٣ ـ محمد بن اسماعيل بن جعفر :

المتوفي سنة ١٩٨ هـ . هو المهدي[5] . وكان :

١٤ ـ محمد بن جعفر :

يرجو أن يكون هو المهدي لعلامات رآها حاصلة فيه[6].

ويأتي بعد القرن الثاني :

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٤٧ ، والمهدية في الإسلام ص ١١٧ عنه .
(٢) الوزراء والكتاب ص ١٢٧ .
(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨ ، والحور العين ص ١٦٢ ، والفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠ .
(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٠ ـ ٩٣ والحور العين ص ١٦٤ والفصل ج ٤ ص ١٧٩ .
(٥) الحور العين ص ١٦٢ / ١٦٣ .
(٦) مقاتل الطالبيين ص ٥٣٩ .

١٥ ـ محمد بن القاسم :

الخارج على المعتصم بالطالقان، فقد ادعي أنه هو المهدي[١] وفرقة قالت: إن

١٦ ـ يحيى بن عمر :

الخارج على المستعين ، هو المهدي[٢] . وفرقة قالت : إن :

١٧ ـ الحسن بن القاسم :

المقتول سنة ٤٠٤ هو المهدي[٣]

كلمة جامعة :

وأخيراً . . فيكفي أن نذكر : أن أحمد أمين المصري ، المنكر للمهدية يقول : « ففي كل عصر يخرج داعٍ أو دعاة كلهم يزعم : أنه « المهدي المنتظر » ، ويلتف حوله طائفة من الناس ، كالذي كان من المهدي رأس الدولة الفاطمية ، وتقرأ تاريخ المغرب ؛ فلا يكاد يمر عصر من غير خروج مهدي . . »[٤] .

ويقول : « ولو أحصينا عدد من خرجوا في تاريخ الإسلام ، وادّعوا المهدية ، وشرحنا ما قاموا به من ثورات ، وما سببوا من تشتيت للدولة الإسلامية ، وانقسامها ، وضياع قوتها ، لطال بنا القول ، ولم يكفنا كتاب مستقل »[٥] .

ولقد كان المدّعون للمهدية في أهل السنة كثيرون ، بل وأكثر من المدّعين لها من الشيعة على اختلاف فرقهم . ولقد تنبأ أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام بهؤلاء الكذابين ، وأشاروا إلى كثرتهم هذه في كلماتهم المختلفة . .

---

(١) و(٢) الفصل ، لابن حزم ج ٤ ص ١٧٩ والحور العين ص ١٥٦

(٣) الحور العين ص ١٥٧ .

(٤) و(٥) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٤٤ .

مع ما تقدم :

وهكذا . . فإننا إذا راجعنا التاريخ الإسلامي بإمعان ؛ فإننا نرى : أن علماء الأمة ومفكريها ، على اختلاف اتجاهاتهم ، وثقافاتهم ، ونحلهم ، ومنهم : الفقهاء ، والمحدثون ، والمتكلمون ، والمؤرخون . . وغيرهم وغيرهم . . قد بخعوا لهذا الأمر ، وقبلوا به ، وإن ناقش منهم مناقش فإنما يناقش في انطباق « المهدي الموعود » على هذا الشخص أو ذاك ، لا في أصل المهدية . .

وذلك يدل على أن هذا الأمر لم يكن عفوياً ، ولا يمكن أن يتصور : أن يتفق الجميع إبتداء من عصر الصحابة والتابعين على الاعتقاد بأمر غريب عن الإسلام ، ودخيل عليه . . ولا سيما ونحن نرى : أن في طليعة المتحمسين لهذا الأمر ، والباذلين دماءهم في سبيله هم المعتزلة التقدّميّون ، أصحاب المذهب العقلي ، والذين يقيسون النصوص الدينية بمقياس العقل ، ويخضعونها لحكمه . . الأمر الذي لا يبقي مجالاً للشك في كون هذه القضية قضية إسلامية ، لا مجال للنقاش ، ولا للتشكيك فيها على الإطلاق . .

المعتزلة . . والمهدية :

قال أحمد أمين المصري : « . . وكنت أنتظر من المعتزلة كشف النقاب عن هذا الضلال ، إلا أني ـ مع الأسف ـ لم أعثر على شيء كثير في هذا الباب . . ولكنني أعرف : أن الزيدية (وهم فرع من فروع الشيعة ، الّذين تأثروا تأثراً كبيراً بتعاليم المعتزلة ، لأن زيداً رئيسهم تتلمذ لواصل بن عطاء زعيم المعتزلة) كانوا ينكرون المهدي والرجعة انكاراً شديداً . وقد ردّوا في كتبهم الأحاديث والأخبار المتعلقة بذلك »[1] .

ونحن بالنسبة لما ذكره أحمد أمين نشير إلى نقطتين :

الأولى : إن ما ذكره عن الزيدية لا ريب في بطلانه ؛ فإن محمد بن عبد الله

---

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٤٣ .

ابن الحسن، المدعي للمهدية ـ وقد قُبِل ذلك منه على أوسع نطاق في الأمة ـ كان زعيم الزيدية، ومقدمهم . .

كما أن المذهب الكلامي الشائع في الزيدية هو « الجارودية » ، وهي أعظم فرقهم ، ويقول نشوان الحميري :

« ليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية ، وهم بصنعاء ، وصعدة وما يليهما »[1] .

والجارودية يعتقدون بالمهدية ، كما هو معلوم لمن راجع كتب الفرق ، ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن ، ومنهم من ينتظر محمد بن القاسم ، ومنهم من ينتظر يحيى بن عمر[2]

وأما غير الجارودية فلم نجد تصريحاً لهم بنفي المهدية ، ومجرد سكوتهم عن التعرض لها لا يدل على انكارهم لها . . وعلى كل حال فإن كلام أحمد أمين هذا لا يمكن أن يصح . ولا يصلح للاعتماد عليه في شيء . .

الثانية : إننا نعلم قبول المعتزلة ، وتسليمهم بالمهدية ، حتى إن أحمد أمين لم يستطع أن يجد منهم أية بادرة ، أو أي تساؤل حول هذا الموضوع . . بل لقد وجدنا أن شيوخهم ، ورؤساءهم كعمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وغيرهما كانوا دعاة لمحمد بن عبد الله ، وهو لا يزال شاباً ، وقد جاؤوا ليحاجّوا الإمام الصادق (ع) في أمره ـ حسبما أشرنا إليه . . وكان ادّعاء « المهدية » له هو الذي يزيد دعوته قوة واتساعاً ، ولم ينسوا بعد ادّعاء المهدية لابن الحنفية ، وموسى بن طلحة ، وعمر بن العزيز ، وغيرهم نعم لقد كانوا من أعوان محمد وأنصاره ، وعرضوا أنفسهم للأخطار الجسام في سبيل دعوته .

قال القاضي عبد الجبار : فأما إبراهيم بن عبد الله ، فقد كان في العلم

---

(١) الحور العين ص ١٥٦ .

(٢) راجع في ذلك : الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٧٩ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣١ و ٣٢ ، وراجع : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩ ، والحور العين ص ١٥٦ / ١٥٧ .

والفضل إلى حدّ ، فخرج على أبي جعفر المنصور ، والذين معه هم وجوه المعتزلة ، فلو لم يكن فيهم ـ وهم خلق ـ إلا بشير الرحال مع زهده وعبادته لكفى[1] ومعلوم أن ثورة إبراهيم كانت امتداداً لثورة أخيه محمد ، وبأمر منه ، ونصراً له . وكان المنصور يقول : « ما خرجت عليّ المعتزلة حتى مات عمرو بن عبيد »[2] .

نعم . . وإن قبول المعتزلة لهذا الأمر ، بل وتحمسهم له ، ليدل دلالة قاطعة على أن هذا الأمر هو من صميم الإسلام ، وأنه كان شائعاً ومشهوراً منذ القرن الأول ، الذي عاش فيه الصحابة والتابعون . . وقد بلغ ذلك من القطعية والوضوح بين العلماء والمفكرين حداً لم يمكن معه حتى لهؤلاء الذين كانوا ـ كما يعتبرهم أحمد أمين وغيره ـ عمالقة الفكر والعقل ، والذين ناقشوا أدق المسائل ، وأعطوا رأيهم فيها بكل حرية وقوة ـ لم يمكن لهم ـ أن يسجلوا ولو تساؤلاً واحداً حتى ولو نادراً حولها ، رغم نزعتهم العقلية القوية ، واخضاعهم النصوص الدينية للمقاييس العقلية كما ألمحنا إليه .

بل لقد تجاوزوا ذلك إلى تأييد مدّعي المهدية ، وكانوا من الدعاة إليه على أعلى مستوى فيهم . كما تقدم

السياسيون . . والمهدية :

هذا . . ولا بد من الإشارة أخيراً : إلى أنه لم يكن يسعد الحكام والسياسيين : أن يلتزم الناس بعقيدة كهذه ، ولو كان بوسعهم انكارها لبادروا إليه ، لأنهم إنما يحكمون الأمة باسم الدين ، ولأن إيمان الأمة بهذه القضية :

١ ـ يعطى الحق في الحكم والسلطة لغيرهم . . و

٢ ـ يشير بأصابع الاتهام إليهم ، على أنهم غاصبون ظالمون .

---

(١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٢٦ وراجع مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٦ وفي مقاتل الطالبيين ص ٢٩٣ أن واصلاً ، وعمرو بن عبيد ، وجماعة من المعتزلة قد بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن أيضاً . .

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٢٨ .

وقد رأينا : أن معاوية قد حاول انكار ذلك ؛ فاصطدم بجواب ابن عباس ، الذي أفهمه : أن محاولته هذه لن يكون حصادها إلّا الفضيحة له ، وتعريته أمام الناس ، لأن الكل يشهد : أن لأهل البيت ملكاً لو لم يبق إلا يوم واحد ملكه الله فيه، بحيث يكون الاقدام على المساس بها مجازفة مجنونة، لا مبرر لها، ولا منطق يساعدها على الاطلاق..

وحسبنا ما ذكرناه هنا .. والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .

مصادر البحث

١ ـ أخبار السيد الحميري ..... للمرزباني
٢ ـ الارجوزة المختارة ..... للقاضي النعمان
٣ ـ الأغاني ..... لابي الفرج الأصفهاني
٤ ـ البدء والتاريخ ..... للمقدسي
٥ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
٦ ـ تاريخ الخلفاء ..... للسيوطي
٧ ـ تاريخ الطبري ..... لابن جرير
٨ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
٩ ـ جعفر بن محمد ..... لسيد الأهل
١٠ ـ الحور العين ..... للأمير نشوان الحميري
١١ ـ حياة الإمام الرضا (ع) السياسية ..... للمؤلف
١٢ ـ ديوان السيد الحميري .....
١٣ ـ شرح ميمية أبي فراس ..... لأمير حاج حسيني
١٤ ـ الصواعق المحرقة ..... للهيثمي
١٥ ـ ضحى الإسلام ..... لأحمد أمين
١٦ ـ طبقات الشعراء ..... لابن المعتز
١٧ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد

١٨ ـ فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ..... لابن طاووس
١٩ ـ الفرق بين الفرق ..... للبغدادي
٢٠ ـ فرق الشيعة ..... للنوبختي
٢١ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ..... لابن حزم
٢٢ ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ..... لعبد الجبار وغيره
٢٣ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
٢٤ ـ كنز العمال ..... للمتقي الهندي
٢٥ ـ مرآة الجنان ..... لليافعي
٢٦ ـ مروج الذهب ..... للمسعودي
٢٧ ـ مقاتل الطالبيين ..... لابي الفرج الأصفهاني
٢٨ ـ المقالات والفرق ..... للأشعري
٢٩ ـ الملل والنحل ..... للشهرستاني
٣٠ ـ المهدية في الإسلام ..... لسعد محمد حسن
٣١ ـ النجوم الزاهرة ..... لابن تغري بردى
٣٢ ـ الوزراء والكتاب ..... للجهشياري
٣٣ ـ وسائل الشيعة ..... للحر العاملي
٣٤ ـ وفيات الأعيان ..... لابن خلكان

الإمام السجّاد عليه السلام
باعث الإسلام من جديد

بعد أن استشهد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع أهل بيته وأصحابه . .

واطمأن الامويون ـ حينئذ ـ فقط . . إلى أن آل علي ، قد انتهى أمرهم ، وطويت صفحتهم ، ولن تقوم لهم بعد ـ بزعم الامويين ـ أيّة قائمة ، ولن تبرق لهم في الافق أية بارقة . . بعد ذلك ومع ذلك فقد استمروا في اتباع سياساتهم الرعناء تجاه أهل البيت والامة . . بهدف تكريس الأمر نهائياً في البيت الاموي ، ولكي يبقى العرش الاموي محتفظاً بوجوده وبتفوقه . . ولكن قد خاب فألهم ، وطاش سهمهم . . فما كانت سياساتهم تلك إلّا وبالاً ودماراً عاد عليهم أنفسهم . . فإننا نستطيع أن نقول: إن سياسات الامويين تلك تتمثل بالخطوط التالية:

١ ـ ملاحقة أهل البيت إعلامياً بالافتراء عليهم ، وتوجيه مختلف التهم الباطلة إليهم ، وتصويرهم على أنهم هم المعتدون ، والظالمون الآثمون . . الذين لا يتورعون عن أية عظيمة ولا يمتنعون عن ارتكاب أية جريمة ، وحتى قتل الحسين عليه السلام ، فإنه لم يكن إلّا لأنه كان هو الجاني على نفسه ، والساعي إلى حتفه ، وهو المذنب والمعتدي ، وهم وحدهم الضحية ، والمظلومون معه في هذه القضية . .

ومن ذا الذي يستطيع أن يرد على دعايات الامويين هذه، أو يظهر الترديد والتشكيك فيها ؟ ! أوبالأحرى من ذا الذي يستطيع أن يجهر بالحقيقة ، ولو من دون تعرض لدفع دعايات الامويين ودحض افتراءاتهم وأكاذبيهم ؟ ! .

٢ ـ سياسة التجويع والحرمان لأهل البيت وشيعتهم ، وحرمانهم من كل الامتيازات ومصادرة أموالهم ، وحتى هدم بيوتهم ، حتى لا يجدوا اللقمة ـ لقمة العيش ـ إلّا على موائد الامويين ، ومن لف لفهم ، ودار في فلكهم . . واجبارهم ـ وخصوصاً شخصيات آل علي ـ على التوجه إلى الحكام في وفادات منتظمة ، لاستجداء لقمة العيش . . ولحفظ كراماتهم ودمائهم ، حتى لا يعتبرهم الحكم في موقف المعارضة ، فيستحل كل تصرف ضدهم ، مهما كان قاسياً وشرساً وعنيفاً . . حتى إذا تأخرت أحياناً وفادة بعضهم عليهم تجدهم هم أنفسهم يطالبون بذلك ويتساءلون عنه وعن سببه وسرّه . . إن لم يبادروا إلى استقدامهم بشكل مباشر وصريح . . وبذلك يكونون قد شغلوا تلك الشخصيات بالبحث عن لقمة العيش ، وصرفوا همتهم إلى هذا المجال . . بالإضافة إلى أنهم يستفيدون من ذلك سياسياً وإعلامياً كما هو واضح .

٣ ـ ثم هناك سياسة الاضطهاد والملاحقة المرّة والشرسة لكل من يتصل بأهل البيت ، أو يظهر منه الميل إليهم . . الملاحقة التي لا تنتهي إلّا بالتصفيات الجسدية والنفسية ، أو بما لا يقل سوءاً وفظاعة وبشاعة عن ذلك . . ويستفيدون بذلك أمرين :

الأول : الحرب النفسية لآل علي أنفسهم ، ومحاولة جعل اليأس يتطرق إلى نفوسهم ، فلا يفكرون بعد بأية حركة ، ولا بالوقوف أي موقف يتعارض مع مصلحة الهيئة الحاكمة . .

الثاني : منع الناس من الاقتراب منهم ، والاستفادة من تعاليمهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والتعرف على الإسلام الصحيح الذي عندهم . . فإن الناس إذا علموا أن الاقتراب من آل علي لا يعني إلّا الدمار والشقاء لهم ، ولكل من يلوذ بهم ، فإنهم سوف يجنبون أنفسهم ذلك . . ويؤثرون السلامة والراحة

ـ كما هو طبع كل إنسان ـ على التعب والعناء ، إن لم يكن الدمار والفناء . . وعلى هذا الأساس ، ومن هذا المنطلق كان اصرارهم على لعن سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام على المنابر ـ بل كانوا يعتبرون كما يقول مروان ـ على ما يظهر ـ ان بذلك استقامة ملكهم ، وبقاء سلطانهم . . فإن لعنه ـ والعياذ بالله ـ إنما يعني :

ألف : خوف من يعرف الحقيقة من الاتصال بأهل بيت علي (ع) وشيعته ، وحرمانه من ثم من الاستفادة من تعاليمهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والسير على منهاجهم ، الذي هو منهاج الإسلام الصحيح كما قلنا . . فاسلام علي عليه السلام ، لم تطّلع عليه الامة ، ولم تعرفه كما يجب ، وإنما عرفت الإسلام الأموي إسلام المصالح والأهواء ، الإسلام الذي يستحل السلب والنهب ، وقتل النفوس البريئة ، وفعل كل عظيمة ، وارتكاب كل جريمة في سبيل الملك والسلطان ، وفي سبيل المال . . واللذة . .

وأما من لا يعرف الحقيقة ـ وهؤلاء هم الأغلبية الساحقة ـ كما سنرى فلسوف يصدق بأن هذه الشخصية ومن يمتّ إليها بصلة أو رابطة شخصية منحرفة حقاً ، وليس من المناسب ، ولا من الصالح الديني ، ولا الدنيوي الاتصال بها وبمن يمتّ إليها بصلة . . حتى ليتجرأ معاوية على القول لأهل الشام : إن علياً (ع) لم يكن يصلّي[1] ـ والعياذ بالله ـ وحتى إن عشرة من قواد أهل الشام وامرائهم ، إلى قيام الدولة العباسية ما كانوا يعرفون أن للنبي (ص) قرابة سوى بني امية ، وقد حلفوا على ذلك لأبي العباس السفّاح بأغلظ الايمان[2]. وغير ذلك من الشواهد الكثيرة جداً في التاريخ الإسلامي ، في عهد الامويين وبعده . .

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣١٣ والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ١٩٦ وصفين لنصر بن مزاحم ص ٣٥٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٣٦ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٨٤ ونقله المحمودي عن تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣٨ رقم ١١٣٩ وترجمة الإمام علي لابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٩٩ والغدير ج ١٠ ص ١٢٢ و ٢٩٠ عن بعض من تقدم . .

(٢) راجع : الحياة السياسية للإمام الرضا (ع) للمؤلف ص ٥٤ .

باء : وشيعة علي وأهل بيته أيضاً يرون أنفسهم غير مقبولين اجتماعياً ، ولا يمكنهم ممارسة أي نشاط مهما كان ، فتخمد جذوة الثورة في نفوسهم ، وينصرفون عن التخطيط لأي عمل يضر بصالح الهيئة الحاكمة . .

جيم : كما أن الامويين يكونون قد أخذوا بثارات بدر وغيرها ، وكذلك الجمل وصفين ، وشفوا غيظ قلوبهم من علي (ع) ، هذا الذي كان القضاء النازل عليهم ، والبلاء المبرم ، الذي لم يجدوا منه مناصاً ولا عنه محيداً . .

٤ ـ سياسة التجهيل ، التي كانت تتعرض لها الامة بأسرها ، ويكفي أن نذكر : أن الناس والهاشميين بالذات كانوا في زمن السجّاد عليه السلام ، لا يعرفون كيف يصلون ، ولا كيف يحجون[1] .

وإذا كانت الصلاة ، التي هي الركن الأعظم في الإسلام ، ويؤديها كل مكلف خمس مرات يومياً كان لا يعرف حدودها وأحكامها من هم أقرب الناس إلى مهبط الوحي والتنزيل ، والذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف من كل أحد بالشريعة ، وأحكام الدين ، فكيف تكون حالة غيرهم من أبناء الامة ، وما هو مقدار معرفتهم بالشريعة والدين إذن ؟ وما هو مدى معرفة الامة وبالأخص من هم أبعد عن مصدر العلم والمعرفة بالأحكام الأخرى التي يكون التعرض لها والابتلاء بها أقل ؟ ! إننا نترك الجواب عن ذلك إلى انس بن مالك الذي يقول ـ على ما رواه البخاري والترمذي ـ ما أعرف شيئاً مما كان على عهد رسول الله (ص) . قيل : الصلاة ؟ قال : أليس صنعتم ما صنعتم فيها[2] وقال الزهري : دخلنا على انس بن مالك بدمشق ـ وهو وحده ـ يبكي . قلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت إلّا هذه الصلاة ، وقد ضيعت[3] . .

---

(١) راجع : كشف القناع عن حجية الاجماع ص ٦٧ .

(٢) ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٨٦ وراجع : الصحيح من سيرة النبي (ص) للمؤلف ج ١ ص ٢٨ .

(٣) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤ وراجع : الصحيح من سيرة النبي (ص) للمؤلف ج ١ ص ٢٨ حول مصادر أخرى .

وبعد عصر انس بقليل نجد الحسن البصري يقول : لو خرج عليكم أصحاب رسول الله (ص) ما عرفوا منكم إلّا قبلتكم[1] . وروى مالك في الموطأ عن عمّه عن جده مالك أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلّا النداء للصلاة[2] . . فنقل السيوطي في شرحه عن الباجي قوله : يريد الصحابة ، وأن الاذان باقٍ على ما كان عليه ، لم يدخله تغيير ولا تبديل بخلاف الصلاة ، فقد أخرت عن أوقاتها ، وسائر الأفعال دخلها التغيير انتهى[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الامة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الاودية لاتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه[4] .

وبعد هذا . . فإن من الطبيعي أن يعتبر من حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعض الأحاديث ـ أربعين حديثاً مثلاً ، أو عرف بعض الأحكام ـ إن من الطبيعي أن يعتبر أنه أعلم الناس وأعظمهم في وقته وعصره ، ولا سيما إذا أضاف إلى ذلك وزاد عليه ما شاءت له قريحته ، وسمحت به نفسه ، حيث لا رقيب عليه ولا حسيب ، ولا من يستطيع أن يميز هذا عن ذاك . . ولذلك نجد أن سوق الكذّابين والوضّاعين ـ وحتى بعض من أسلم من أهل الكتاب نجد أن سوقهم قد راج ، وصاروا هم أهل العلم والمعرفة والثقافة للامة حينما انضووا تحت لواء الحكام وأبعد أهل البيت عن الساحة وأجبروهم على التخلي عنها ، حتى لنجد أن السجّاد عليه السلام يقول في دعائه الخاص بيوم الجمعة وعرفه[5] : « اللهم إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ، ومواضع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها . . حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدّلاً وكتابك منبوذاً وفرائضك محرّفة عن جهات

---

(١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤ / ٢٤٥ .
(٢) الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ٩٣ وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤ .
(٣) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٢٢١ وتنوير الحوالك ج ١ ص ٩٣ / ٩٤ عن الباجي .
(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٦١ .
(٥) الصحيفة السجادية ، دعاء رقم ٤٨ .

اشراعك ، وسنن نبيك متروكة الخ . . »[1] .

بل نجد السجاد (ع) أيضاً يقول للقاسم :

« إياك أن تشد راحلة ترحلها هنا لطلب العلم ، حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج »[2] . وكان السجاد عليه السلام إذا سافر صلى ركعتين ثم ركب راحلته ، وبقي مواليه يتنفلون ، فيقف ينتظرهم ولا يمنعهم من ذلك مع أن النوافل في السفر غير مشروعة . . بل نجد أن علياً قبل ذلك يشكو من عدم تمكنه من إظهار علمه ونشره ، فهو يتلهف ويقول : إن في صدري هذا لعلماً جمّاً علمنيه رسول الله لو أجد حفظة . . كما أن الباقر عليه السلام يقول ما يقرب من هذا . .

وعلي عليه السلام أيضاً يتنفس الصعداء على المنبر ويقول : سلوني قبل ين تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جمّاً هاه هاه ألا لا أجد من يحمله . .

وقال عليه السلام : لو أجد ثلاثة رهط استودعهم العلم ، وهم أهل لذلك لحدثت بما لا يحتاج فيه إلى نظر في حلال ولا حرام ، وما يكون إلى يوم القيامة . .

وكذلك هو يقول : إنه لو حدثهم ببعض ما يعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرئيل على محمد لتفرقوا عنه حتى يبقى في عصابة حق قليلة[3] . .

فإذا كان هذا هو حال الامة في زمن علي عليه السلام . . ولم يكن الامويون بعد قد تسلطوا على الامة بشكل فعّال ، فكيف كان حال الناس بعده . . في زمن معاوية وزمن يزيد ، الذي أخذ مسرف بن عقبة البيعة من أهل المدينة على أنهم خول له ، والذي قتل الحسين ،ونصب المنجنيق على الكعبة ثم بعده عبد الملك بن مروان والحجاج وغيرهم من جبابرة وملوك بني مروان؟! . .

نعم . . لقد صار أولئك الوضّاعون والكذّابون وأصحاب المصالح ، وحتى مسلمة أهل الكتاب هم مصدر الثقافة والمعرفة ، وهم معلّموا الامة ،

---

(١) راجع : الصحيح من سيرة النبي (ص) : التمهيد .

(٢) كشف القناع عن حجية الاجماع ص ٦٦ .

(٣) راجع المصدر السابق ص ٦٦ ـ ٦٩ .

وهداتها .

وقد ساعدهم الحكام على ذلك . . ووفروا لهم الحماية الكافية، والمال، وساعدوهم في كل ما يريدون ويشتهون، وذلك لأمور:

الأول : إن هؤلاء كانوا يخدمون العرش الاموي بشكل فعّال، ويؤيدونه بمختلف المختلقات والافتراءات ، على شكل روايات تتخذ صفة القداسة في نفوس الناس ، وتترسخ في وجدانهم ، لأنها منسوبة إلى نبي الامة الأعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : إنهم قد وجدوا فيهم ما يقدمونه للناس على أنه البديل عن أهل البيت عليهم السلام . . فلا يعيش الناس في الفراغ النفسي والعقائدي والتشريعي الذي سوف يتركه إبعاد أهل البيت عن المجال العملي العام . .

الثالث : وهو الأهم : إن السياسة الاموية كانت قائمة أساساً على إبعاد الناس عن الإسلام الصحيح ، وحتى على القضاء على الشخصية النبوية في نفوس الناس قضاءً مبرماً ونهائياً . . هذه الشخصية التي سوف لن يكون تعرّف الامة عليها على حقيقتها في صالح العرش الاموي على الاطلاق . .

ولذلك نجد أنه كانت ثمة رقابة كاملة على سنّة النبي (ص) وسيرته ، وحتى على سيرة أصحابه ولا سيما الأنصار منهم كما يظهر من كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ، وعلى سيرة علي عليه السلام وأهل البيت وسلوكهم ومفاهيمهم وتعاليمهم بشكل أخص . . ومحاولة التعتيم عليها أو التشكيك فيها ، وحتى قلبها رأساً على عقب إن أمكن ذلك . . وقد أشرنا إلى ذلك بشيء من التفصيل في مقال سابق فلا نعيد . .

وقد ساعدهم على ذلك سياستهم الخاصة تجاه صحابة النبي (ص) ، وتجاه حديث النبي . . والتي كانت تقضي بالمنع عن التحديث عنه (ص) إلا بنوع خاص من الأحاديث وبمنع كبار الصحابة من السفر إلى البلاد لتثقيف الناس . . حتى مات هؤلاء الصحابة وانقرضوا أو كادوا ، ولم يبق إلّا بعض الصغار منهم ، والذين لم يعرفوا الكثير منه (ص) ولم يعايشوه بالشكل الواعي

والكافي . . بل إنك لتجد أن بعض كبارهم كان يعاشره البعض سنة فلا يسمعه يقول قال رسول الله (ص) ، وكان يجعل هذا من ميزاته وحسناته ويفوز بكثير من المدح والثناء عليه[1] . .

كانت تلك لمحة خاطفة عن الوضع الذي كانت تعيش فيه الامة في زمن السجاد عليه السلام . . وكانت تلك بعض الخيوط السياسية للحكم الاموي آنذاك . .

وفي هذا الجو بالذات كان على الإمام السجاد عليه السلام أن يقوم بمهمة إمامة الامة وهدايتها إلى الإسلام ، الإسلام الصحيح ، إسلام محمد (ص) وعلي (ع) . . إسلام القرآن . .

ولقد كانت مهمته هذه في غاية الصعوبة والخطورة . .

فقد عرفنا موقف الحكم الاموي منه ، ومن أبيه وجده ، وعمه ، ومن أهل بيته وشيعته ، وكل من يلوذ بهم بسبب أو نسب . .

وإذا أضفنا إلى ذلك : أن الإمام الحسين عليه السلام كان أعظم شخصية في الامة الإسلامية ، ولم تنس الامة بعد ما سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقه . . مع ما عرفته فيه طيلة سبعة وخمسين عاماً من السلوك المثالي ، والاستقامة على الحق ، والعلم والوعي الذي لا يقاس ولا يضاهى ، وغير ذلك من الصفات الفضلى ، والسجايا النبيلة . . ولم يكن لولده السجّاد زين العابدين عليه السلام ـ الذي لم يكن عمره يزيد على ثلاثة وعشرين عاماً ـ هذه المكانة التي كانت لابيه الحسين ، ولا كان معروفاً لدى الامة على نطاق واسع ، ولا اشتهر عنه بعد ما كان قد اشتهر وشاع عن أبيه صلوات الله وسلامه عليه .

وحينما استشهد الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه اعتبر الامويون والناس : أن أهل البيت قد انتهى أمرهم ، وأفل نجمهم . . فلا الامويون

---

(١) راجع : الصحيح من سيرة النبي (ص) (التمهيد) والحياة السياسية للإمام الحسن (ع) الفصل الثاني كلاهما للمؤلف .

يخافونهم ، ولا غير الامويين يرجونهم . . هذا عدا عن عدم جرأة أحد على الاتصال بهم ، وعدا عن الجهل المطبق بالإسلام ، فكانت الردة عن أهل البيت والابتعاد عنهم عامةً وشاملةً . . وحتى ليقول الصادق عليه السلام : ارتد الناس بعد قتل الحسين إلّا ثلاثة : أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم (لعل الصحيح : حكيم بن جبير) ثم إن الناس لحقوا وكثروا[1] .

وإذن . . فلا بد للسجاد عليه السلام أن يبدأ العمل من نقطة الصفر تقريباً ، ولا سيما عقائدياً ، ويعيد الإسلام من جديد ويوجه الناس نحو تعاليمه وأحكامه . . ويعيد للناس عقيدتهم التي كانت قد تعرضت للكثير من التحريف ، وأن يعيد لهم ثقتهم بأهل بيت نبيهم . . والخلاصة : أن يبدأ تماماً كما بدأ النبي (ص) فيما سبق من نقطة الصفر . .

والسجاد عليه السلام هو خليفة ذلك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم .

ولا بد له أيضاً . . من الحفاظ على العلويين ، وكل من يتشيع لهم . .

ولا بد له بالإضافة إلى ذلك : من أن يكسر ذلك الطوق الحديدي الذي ضربه الحكم حولهم لاحتواء كل تصرفاتهم ونشاطاتهم . .

ولا بد له كذلك . . من إعادة ثقة الامة بأهل البيت، وتوجيهها نحوهم واعتبارهم المصدر الأصفى لتعاليم الإسلام ، الإسلام القرآني الصحيح . ومصدر كل المعارف والعلوم النافعة والأفكار الراقية ، والأخلاق الفاضلة الكريمة . .

ولقد نجح عليه السلام في كل ذلك أيما نجاح ، رغم قسوة الظروف ورغم الأخطار الجسيمة التي كان يواجهها ، حيث لم يكن أية حماية أو رعاية من أي جهة كانت ، ومن أي نوع كانت . . نعم لقد نجح في ذلك نجاحاً باهراً ، حتى إنه عندما خرج ولده زيد على الحكم الاموي بايعه الآلاف الكثيرة وإن كانوا

---

(١) راجع : رجال الكشي ص ١٢٣ و ١١٥ وغيره .

قد تركوه ولم يثبتوا معه . . ثم توالت الثورات الشعبية العارمة واحدة بعد الأخرى، وأغلبها كان بدوافع دينية ، وشعور مذهبي . .

ويكفي أن نذكر أن من نتائج جهوده عليه السلام ـ بالإضافة إلى كل ما سبق ـ : أن هيأ الجو على النحو الأكمل والأفضل لمدرسة الامامين بعده : الباقر والصادق صلوات الله عليهما وعلى آبائهما وأبنائهما الطاهرين . .

وأما عن أسلوب عمله وجهات جهاده ونضاله . . فإننا لا نستطيع في هذه العجالة . . أن نلّم بكل جوانبها ومجالاتها ، فضلاً عن دقائقها وتفصيلاتها . . ولذلك فنحن نكتفي بالإشارة إلى الأمرين التاليين :

الأول : إنه بالإضافة إلى أنه كان يوجه الامة من خلال سلوكه وتصرفاته ومواقفه . . فإنه كان أيضاً يوجه الامة من خلال ادعيته ، التي كان يضمنها مختلف المعارف الإسلامية : عقائدياً ـ وهو الأهم ـ وسياسياً واخلاقياً وغير ذلك . . ولم يكن بإمكان أحد أن يعترض عليه ويقول له : لا تدْع ربك . . فإن ذلك سوف يكون مستهجناً ومرفوضاً من كل أحد . . حيث يرونه ـ بحسب الظاهر ـ لا يتعرض لدنيا هؤلاء الحكام ، وإنما شغل نفسه بعبادة ربه ، وتصفية وتزكية نفسه . .

ويظهر أن الحكام أنفسهم أيضاً قد اطمأنوا إلى أنه عليه السلام ليس في صدد التخطيط والعمل ضدهم ، ولا يفكر في الخروج عليهم ، فراق لهم انصرافه عن دنياهم . بل لقد أصبح له عندهم مكانة عظمى واحتراماً خاصاً لم يكن لأحد من أهل البيت قبله، ولا كان لأحد منهم بعده . . ولذلك تجد الثناء العاطر ينهال عليه من كل جانب ومكان من قبل من ترضى عنهم الهيئة الحاكمة ، وتعتبرهم من أعوانها . .

ولقد فاتهم : أنه كان في الظاهر يدعو الله، ولكنه كان في واقع الأمر يدعو إلى الله ، ويوجه نحوه ، ويعرّف الناس سبيله ، ويضمن كلامه الكثير من التعاليم الآلهية ، والمعارف الدينية التي تهمهم في أمر دينهم ودنياهم . . كما اتضح ذلك جلياً فيما بعد . وأنه كان يقود عملية التغيير الشامل في بنية العقيدة

للامة الإسلامية بأسرها .

الثاني : اهتمامه عليه السلام المتميز بشراء الموالي وعتقهم ، حتى ليقول البعض[1] « وعرف العبدان ذلك فباعوا أنفسهم له ، واختاروه وتفتلوا من أيدي السادة ليقعوا في يده ، وجعل الدولاب يسير ، والزمن يمر ، وزين العابدين يهب الحرية في كل عام ، وكل شهر ، وكل يوم ، وعند كل هفوة ، وكل خطأ ، حتى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار ، والجواري الحرائر ، وكلهم في ولاء زين العابدين ، قد بلغوا خمسين ألفاً أو يزيدون » .

ويقول أيضاً : « . . فهو يشتري العبيد لا لحاجة إليهم ، ولكن ليعتقهم ، وقالوا : إنه اعتق مئة ألف . . »[2] .

ودعا عليه السلام مملوكه مرتين فلم يجبه وأجابه في الثالثة ، فقال له : يا بني ، أما سمعت صوتي ؟ قال : بلى . قال : فما بالك لم تجبني ؟ قال : امنتك . قال : الحمد لله الذي جعل مملوكي يامنني[3] .

وكان عليه السلام لا يضرب مملوكاً ، بل يكتب ذنبه عنده ، حتى إذا كان آخر شهر رمضان جمعهم وقررهم بذنوبهم ، وطلب منهم أن يستغفروا له الله كما غفر لهم ، ثم يعتقهم ، ويجيزهم بجوائز ، وما استخدم خادماً فوق حول . .

وقال السيد الأمين : « . . ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة يأتي بهم عرفات ، فيسدّ بهم تلك الفرج ، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم ، وجوائز لهم من المال . . »[4] .

ونحن نلاحظ هنا الامور التالية :

أولاً : إنه يخاطب مماليكه بيا بُني ، وكان يهدف إلى إعطاء النظرة

---

(١) زين العابدين ص ٤٧ ، لعبد العزيز سيد الأهل .
(٢) المصدر السابق ص ٧ .
(٣) كشف الغمة ج ٢ ص ٢٩٩ .
(٤) أعيان الشيعة ج ٤ ص ٤٦٨ .

الصحيحة للإسلام تجاه المماليك ، وأنه يعتبرهم بمنزلة الأخوة والأبناء . . وان الإسلام الذي يفرض على الإمام السجاد عليه السلام أن يعامل مماليكه معاملة يأمنوه معها يختلف عن ذلك الإسلام الذي يدعيه الآخرون الذين يعتبرون الموالي أحقر وأذل من الحيوان . .

وثانياً : إن كتابة اساءاتهم ، ثم محاسبتهم عليها ، وعتقهم حينه إنما يهدف إلى تنبيههم إلى أخطائهم ، وترسيخ ذلك في نفوسهم ، ولا سيما حينما تطرح كقضية حاسمة في أسعد لحظات حياتهم : اللحظات التي ينالون فيها حريتهم ، التي هي في الحقيقة هوية وجودهم . .

فهم إذن قد نالوا أعزّ ما في الوجود من غير استحقاق . . وفي هذا ضغط نفسي من نوع معين ، ليحاولوا الارتفاع بأنفسهم إلى درجة الاستحقاق والجدارة ، ويبعث في نفوسهم روح العمل الجاد في سبيل التكامل في الفضائل الإنسانية ، والالتزام بالتعاليم الاخلاقية الإسلامية . .

وثالثاً: إن ذلك يجعل له ـ بشكل طبيعي ـ مكانة خاصة في نفوسهم والنظر إليه نظرة خاصة فيها كل الاحترام والتقدير ، واعتباره نوعية أخرى ، تختلف عما يعرفون ويعهدون ، وهذا يؤهلهم في المستقبل إلى الاستماع إلى تعاليمه ، واحترام آرائه التي هي تعاليم وآراء الإسلام ، ثم السير على منهاجه واتباع سلوكه . .

ورابعاً: وأما اعطاؤهم المال في هذا الظرف بالذات . . فبالإضافة إلى أنهم يكونون عادة في أمس الحاجة إليه في هذا الظرف بالذات ، حيث لا يملكون فيه من حطام الدنيا شيئاً . . ويمنعهم بذلك من اتباع الأساليب الملتوية من أجل الحصول علي لقمة العيش . . فبالإضافة إلى ذلك هو يؤكد على إنسانية تعاليم الإسلام ، وانه يعيش قضية الإنسان ، ويتفاعل معها ، ويهتم اهتماماً حقيقياً بحلّها . . ولا يتاجر بآمال الناس وآلامهم وبكراماتهم كما هو شأن غيره ممن لم يعد أمرهم خافياً على أحد .

وخامساً : لقد كان من نتيجة هذه السياسة التي لا نجدها بهذا الشمول والسعة لدى غيره من الأئمة حتى علي عليه السلام . . لقد كان من نتيجة ذلك

أن صار الموالى يعتبرون أهل البيت عليهم السلام هم المثل الأعلى للإنسان وللإسلام ، وكانوا مستعدين للوقوف إلى جانبهم في مختلف الظروف ، ولا نعدم بعض الشواهد التي تظهر أن الموالي كانوا ينتصرون للعلويين إذا رأوهم تعرضوا لظلم أو لبغي من قبل السلطات . كما يظهر لمن راجع كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة ، وغيره . .

وسادساً : وأخيراً : إن ذلك كان ادانة لمنطق الامويين القائم على أساس تفضيل العربي واعطائه كل الامتيازات ، وحرمان غيره منها بكل صورة ، واعتباره أذل وأحقر من الحيوان حتى كان يقال : لا يقطع الصلاة إلّا كلب أو حمار أو مولى ، ومنعوهم من الإرث كما في موطأ مالك ، ومن العطاء ومن القضاء ، ومن الولاية وامامة الجماعة ، ومن الوقوف في الصف الأول منها ، واعتبر غير العربي ليس كفؤا للعربية ، وأباحوا استرقاقهم ، ولا يسترق غيرهم . . إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه .

وإذا لاحظنا أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم شأن يذكر ، ولا كان لهم حكم ولا سلطان ، وإنما كان الحكام هم غيرهم . . فإن من الطبيعي أن ترضي هذه السياسة غرور العربي ، الذي أصبح يرى نفسه حاكماً على ملك الأكاسرة وغيرهم ، وذلك ربما كان يزيده عنفاً وغلوّاً في معاملته القاسية لغير العرب . . ومن الجهة الأخرى . . فإن من الطبيعي أن يحسّ غير العرب بالغبن وبالمظلومية وعدم حفظ حقوقهم . . فكان هذا سبباً لتعاطفهم مع الدعوة العباسية التي تسببت في الإطاحة بالعرش الاموي . . وعلى الأخص حينما رأى غير العرب أنه لم ينصفهم ويعاملهم معاملة عادلة وحسنة إلا علي بن أبي طالب (ع)، ثم جاء السجّاد (ع) وغيره من أئمة أهل البيت ليعلن رفض الإسلام لمنطق الامويين هذا القائم على أساس التمييز العنصري البغيض ، وان هذا لا يمثل رأي الإسلام الصحيح ، ولا ينسجم مع منطلقاته في التعامل والتفضيل القائم على أساس العمل فقط : ﴿ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ و : ﴿ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

فكان كل ذلك . . قد هيأ الأجواء لتعاطف غير العرب مع الدعوة ضد الامويين ، كما أنه في نفس الوقت قد خفف من غلوائهم وحقدهم . . ولهذا فإننا لا نجد تطرفاً كثيراً في معاملة غير العرب للعرب حينما حكموهم في الدولة العباسية في فترات متعددة . . وإن كان للظروف الخاصة الأخرى أثر كبير أيضاً في هذا المجال . .

وهكذا . . فإن علي بن الحسين قد قام بمهمة شاقة جداً وخطيرة جداً ، مهمة بعث الإسلام في الأمة من جديد في حين أنه لم يكن يعترف بامامته في وقت ما غير ثلاثة أشخاص وهيأ الظروف والأجواء وأعاد العلاقات والروابط والصلات بين أهل البيت وبين الامة رغم جهد الحكام المستمر والمستميت لقطعها ، والقضاء عليها . نعم . . لقد قلب كل الموازين رأساً على عقب كما أوضحناه باسلوبه الحكيم ، والهادىء والرصين . . . صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين . .

ويلاحظ : أنه قد فعل كل ذلك ونجح فيه أعظم النجاح ، بصورة متميزة وفريدة ، قد خفيت على الحكم ، وعلى كل أجهزته بصورة تامة ولعل ذلك هو ما يفسر لنا ما نجده من اهتمامهم بإبراز عظمته عليه السلام ، وسعة علمه وفضله حتى من قبل المتعاطفين مع الحكم والممالئين له ، حتى ليقول يحيى بن سعيد والزهري : « ما رأيت قرشياً قط أفضل من علي بن الحسين »[1] .

مصادر البحث

١ ـ أعيان الشيعة ..... للسيد الأمين

٢ ـ أنساب الأشراف ..... للبلاذري

٣ ـ تاريخ الامم والملوك ..... للطبري

٤ ـ ترجمة الإمام علي (ع) لابن عساكر ..... بتحقيق المحمودي

---

(١) انساب الأشراف بتحقيق المحمودي (ع) ج ٣ ص ١٤٦ و ٢٠٧ .

٥ ـ تنوير الحوالك ..... للسيوطي
٦ ـ جامع بيان العلم ..... لابن عبد البر
٧ ـ الحياة السياسية للإمام الرضا (ع) ..... للمؤلف
٨ ـ رجال الكشي ..... للكشي
٩ ـ الزهد والرقائق ..... لابن المبارك
١٠ ـ زين العابدين ..... لعبد العزيز سيد الأهل
١١ ـ شرح الموطأ ..... للزرقاني
١٢ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
١٣ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ..... للمؤلف
١٤ ـ الصحيفة السّجادية .....
١٥ ـ صفين ..... للمنقري
١٦ ـ ضحى الإسلام ..... لأحمد أمين
١٧ ـ الغدير ..... للاميني
١٨ ـ الفتوح ..... لابن أعثم
١٩ ـ الكامل في التاريخ ..... لابن الأثير
٢٠ ـ كشف القناع .....
٢٢ ـ الموطأ ..... لمالك بن أنس

استراتيجية الكوفة
في
خلافة الإمام علي عليه السلام

بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم ، وحينما تعرضت القيادة الرسالية الحقة لمحنة الاقصاء العملي لفترة تقرب من ربع قرن عن مركزها الطليعي والطبيعي الذي رتبها الله فيه . . ومنعت ـ من ثم ـ عن مواصلة القيام بمسؤولياتها القيادية للامة ، على مستوى الدولة والمجتمع بعد كل ذلك . . كان من الطبيعي أن تتمخض تلك الفترة « بما رافقها من ظروف واجراءات ذات طابع معين على صعيد السياسة في الدولة الإسلامية » عن الكثير من السلبيات ، التي دفعت بالأمة الإسلامية إلى متاهات خطيرة الأبعاد ، ثم لم تزل آثارها ظاهرة في التكوين النفسي والفكري ذي الطابع المعين في الامة الإسلامية على مدى التاريخ ، ولسوف تبقى كذلك في المستقبل المنظور على الأقل .

ونخص بالذكر هنا : السياسة المعينة التي منحت طلحة والزبير ، وحتى معاوية بن أبي سفيان أملاً بالحصول على امتيازات هامة ، من نوع خاص ، على حساب الإسلام والامة ، هذه الامتيازات التي لم يكونوا ليحلموا بها لولا بعض المواقف والظروف التي رافقت تلك الفترة التي تلت وفاة النبي (ص) . . والتي هيأت لهؤلاء وأم المؤمنين معهم ومن لف لفهم ودار في فلكهم : أن يقفوا في موقع المعارضة والعصيان ، والتمرد على الشرعية ، والمناهضة للقائد الحق . وفي هذه الظروف بالذات تأتي خلافة الإمام أمير المؤمنين علي « عليه السلام » لتواجه ذلك

الركام الهائل من المشاكل العاتية ، التي لم يكن لهذه السلطة الشرعية أي دور في صنعها أو استمرارها ، بل كانت فقط من صنع الآخرين ، وعلي وحده هو الذي فرض عليه أن يتحمل آثارها ، ويواجه اخطارها ، ويصلى شاء أم أبى نارها .

في هذه الظروف بالذات ، وفي حين كانت المدينة المنورة هي مركز القيادة السياسية للامة الإسلامية ، إذ كان فيها جلّة المهاجرين والأنصار ، ومن الصحابة الصفوة الأخيار . .

في هذه الظروف الدقيقة جداً نلاحظ : أن علياً عليه السلام يترك المدينة ويختار الكوفة عاصمة لخلافته ومنطلقاً لتحركاته . .

وهنا يرد السؤال : إنه إذا كانت المدينة تتمتع بقدسية خاصة في نفوس المسلمين ، وتعتبر مركز الريادة والقيادة . . وإذا كانت قد استطاعت أن تثبت عملياً صلاحيتها لذلك طيلة ما يقرب من خمسة وثلاثين عاماً . . فلماذا تركها علي عليه السلام ، ورغب عنها إلى الكوفة ، التي لم يكن لها تلك المميزات ؟ .

فهل كان ذلك أمراً عفوياً غير متعمد ؟ .

أم أنه أمر مدروس ، في نطاق خطة ذات أبعاد استراتيجية ، واعتبارات عسكرية وقيادية ؟ .

ونحن في مقام الإجابة على هذا السؤال نبادر إلى رفض الخيار الأول ـ العفوية ـ لأنه عليه السلام لم يعودنا أن يعتمد المواقف المرتجلة ، والتصرفات العفوية طيلة فترة حياته المليئة بالأحداث والظروف الدقيقة ، التي تتطلب الكثير من العمق الأصالة والوعي . .

ولا نريد أن نتوسع في تلمس سرّ ذلك ، فإن من الواضح : أن الذي يختاره الله قائداً ورائداً ، لا بد وأن تكون كل حركاته وسكناته ، وتصرفاته في خط الرسالة ، وعلى وفق الضوابط الدينية ، والحكيمة ، بحكم كونه القائد المعصوم الذي يفترض فيه أن يمتاز على الناس جميعاً في الملكات والقدرات النفسية العالية ، وأيضاً في مختلف الكفاءات والفضائل المكتسبة وغيرها ، وبكلمة : أن

يكون في مستوى القمة على جميع المستويات ، وفي جميع المجالات ، ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير ، حسب تعبير علي نفسه إمام الفصحاء ، وسيد البلغاء والحكماء ، بعد نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن هنا نلاحظ : أنه عليه السلام لم يكن يقدم على أي موقف إلا من منطلقات دينية أصيلة ، وضوابط رسالية ثابتة ، لا يتأثر في أي من مواقفه بعاطفة أو مصلحة شخصية أو غير ذلك على الإطلاق . وكذلك يجب أن يكون القائد المعصوم في الذروة من الوعي والدقة والأصالة ، وأبعد ما يكون عن الخطأ والخطل ، وإلّا فإن صدور أي خطأ منه لا تنعكس نتائجه فقط على خصوص شخصه ، ومصالحه الخاصة ، بل هو يرتبط بشكل مباشر أحياناً ـ أو غير مباشر بمصالح الامة نفسها ، ويمسّ بالتالي شخصيتها ، وتكوينها الفكري ، والنفسي ، والسياسي وغير ذلك ، ويؤثر على حاضرها ومستقبلها ، وما أكثر الشواهد التاريخية على ذلك . .

وعلى هذا . . فلا محيص عن الالتزام بالخيار الثاني ، وهو أن تخليه عن المدينة إلى الكوفة كان ضمن خطة واعتبارات معينة . .

وإذا ما أردنا أن نتلمس الخيوط الحقيقية لتلك الخطة ، ونتعرف على الاعتبارات التي اقتضت اختيار الكوفة ، وترك المدينة ، فلا بد من ملاحظة الظروف ومعرفة طبيعة التحديات التي كان عليه السلام يواجهها . . .

وهنا نجد : أنه عليه السلام كان يواجه تحدياً سافراً من تلك الفئات التي كانت تحلم بالحصول على امتيازات أكبر على حساب الدين والامة وعلى حساب الشرعية ، ولذا فإن من الضروري أن يكون علي الذي سوف لا يهادن هؤلاء ، ولن يداري ولن يماري في الحق والدين . . في مركز القوة عسكرياً وسياسياً ، وأن يكون الذين معه على بصيرة من أمرهم ، مهيّئين نفسياً للتضحية في سبيل الدين والامة إن اقتضى الأمر ذلك . . فعليه إذن . . أن يعد العدة لمواجهة الأخطار التي لم يكن من الصعب عليه التكهن بها ، وبعواقبها .

وواضح : ان المدينة لا تتوفر فيها عوامل النجاح العسكري والسياسي إذا

ما أخذ حجم التحدي بنظر الاعتبار ، وبالتالي فهي لا تصلح عاصمة للدولة في ظروف كتلك التي كان يواجهها الإمام عليه الصلاة والسلام . والكوفة وإن لم تكن في المستوى المطلوب إلّا أنها كانت أغنى منها في نواحٍ عديدة . . وواضح : أنه لولا أن علياً كان هو المعني بالأمر لكانت ماجريات الأمور على خلاف ما رأيناه ، تماماً . . ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نجمل وضع المدينة في مجال تقييم قدرتها على تحمل المواجهة في الأمور التالية :

أولاً : إن المدينة لم تكن تتوفر فيها كثافة سكانية ، تستطيع أن تتحمل أعباء المواجهة للتحديات التي تنتظر هذا الحكم الجديد ، إذا أخذ حجم هذا التحدي بعين الاعتبار ، فلقد كانت تلوح في الافق رايات العصيان والتمرد على الشرعية ، بشكل واسع النطاق ، فلقد استغل أهل الأطماع فئات كبيرة من الناس وضللوها بالشبهات ، واستغلوا فيها بساطتها ، وعدم نضجها الرسالي ، والنقصان الكبير في وعيها الديني الصحيح ، لأنها منذ البداية لم تتعرف على الإسلام الصحيح ، المتمثل بالإسلام « المحمدي العلوي » ، وإنما عرفت الإسلام الاموي وتربت ونشأت عليه ، وكلنا يعرف أن الإسلام الاموي ما هو إلّا إسلام أطماع ومآرب ، ولا يمكن أن يقاس بأصالة الإسلام العلوي ، وعمقه ووعيه الرسالي . .

وإذا كانت هذه الفئات لم تتفاعل مع الدين تفاعلاً يسمح لها بالرؤية الصحيحة ، والتثبت من مواقع القوة والضعف في مواقفها ، لأنها لم تعرف غير الإسلام الاموي الرقيق في ماهيته ومحتواه ـ ولا سيما بلاد الشام التي افتتحها الامويون في أول عهد عمر ، وظلت تعيش في ظل حكمهم باستمرار ، فمن الطبيعي أن لا تتورع عن مناهضة الشرعية والتمرد عليها ، وبالفعل فقد جنّد طلحة والزبير بقيادة أم المؤمنين عائشة عشرات الالوف أولاً ، ثم جاء بعدهم معاوية ليجنّد أضعاف ذلك في محاولة لاقصاء وصي الرسول (ص) عن صعيد السياسة والحكم ، حينما وضح لديهم بما لا يقبل الشك والترديد :

أنه لن يعاملهم إلّا كما يعامل أي فرد آخر من المسلمين . . في أي من الظروف والأحوال . .

ومن أين للمدينة أن تؤمن لعلي عليه السلام الجيش الذي يقدر به على المواجهة والاحتفاظ بالموقع ، فضلاً عن انزال الضربة القاصمة والنصر ؟

وبديهي : أن الاستعانة بالاعراب حول المدينة ، إن لم تكن مضرة فلا أقل من أنها سوف لا تكون كافية لتحقيق كامل الأهداف ، بشكل مرض ودقيق . .

أما الاعتماد على النجدات من سائر الأقطار الأخرى كالعراق وفارس مثلاً . .

فلربما يكون من السهل جداً على أعداء علي صلوات الله وسلامه عليه عرقلة وتشويش ، إن لم يكن منع وصول من يريد الوصول إليه منهم ، بشكل طبيعي وسليم . .

ثانياً : لا تتوفر في المدينة الموارد الاقتصادية الضخمة ، التي تستطيع أن تؤمن احتياجات جيش يعد بعشرات الالوف ، لأنها أرض صحراوية ، ليس بها زرع ، ولا ضرع ، ولا تجارة واسعة .

وكشاهد على ذلك نذكر : أن هذا كان أحد العوامل التي أوجبت فشل ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن على المنصور ، رغم أنه كان قد بويع له في أغلب الأقطار والأمصار الإسلامية .

قال المسعودي : لما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور اسحاق بن مسلم العقيلي ، وكان شيخاً ذا رأي وتجربة ، فقال له : أشر علي في خارجي خرج علي ، قال : صف لي الرجل . قال : رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ذو علم وزهد وورع . قال : فمن تبعه ؟ قال : ولد علي ، وولد جعفر وعقيل ، وولد عمر بن الخطاب ، وولد الزبير بن العوام ، وسائر قريش ، وأولاد الأنصار . قال له : صف لي البلد الذي قام به ، قال : ليس به زرع ، ولا ضرع ، ولا تجارة واسعة ، ففكر ساعة ، ثم قال : اشخن يا أمير المؤمنين ! ! البصرة بالرجال . فقال المنصور في نفسه : قد خرف الرجل ، أسأله عن خارجي خرج بالمدينة ، يقول لي : اشخن البصرة بالرجال . فقال : انصرف يا شيخ . .

ثم لم يكن إلّا يسيرا حتى ورد الخبر: أن إبراهيم قد ظهر بالبصرة. فقال المنصور: علي بالعقيلي، فلما دخل عليه أدناه، ثم قال: إني قد شاورتك في أمر خارجي خرج بالمدينة، فأشرت علي أن اشحن البصرة بالرجال، أو كان عندك من البصرة علم؟! قال: لا، ولكن ذكرت لي خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد، ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه، فإذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش، فقلت: أنه رجل سيطلب غير موضعه الخ..[1].

كما أنها أعني المدينة في الوقت نفسه بعيدة عن مناطق التموين، ومن السهل جداً ـ بملاحظة موقعها الصحراوي ـ التأثير على قوافل التموين وتهديدها بالخطر، الأمر الذي سوف يجعل الأمور في غير صالح علي (ع)، ويجعله باستمرار في موضع حرج، وتحت رحمة العصاة والمتمردين..

ثالثاً: إن المدينة لم تكن شديدة الولاء للشرعية، المتمثلة في علي عليه السلام، وصي الرسول بنص يوم الغدير، بل ربما نجد فيها ما يدل على عكس ذلك، ولا سيما بملاحظة: أن الامويين، ومحبيهم، والتيميين، والزبيريين ومن ينتمي إليهم من أهل الاطماع، وبالتالي كل من وترهم الإسلام على يد علي عليه السلام، ممن لم يكن ينطلق من قاعدة إيمانية ثابتة.. كل هؤلاء كانوا إلى المتمردين من الناكثين والقاسطين أميل منهم إلى الشرعية المتمثلة في علي عليه الصلاة والسلام بل لقد صرح الإمام السجاد (ع) بأنه لم يكن يحبهم في مكة والمدينة ثلاثون رجلاً[2].. وليراجع كلام الأصمعي ومحمد بن علي بن عبد الله بن العباس في وصف البلدان، في كتاب البلدان للهمداني، وأحسن التقاسيم للمقدسي وعيون الأخبار لابن قتيبة وروض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار والعقد الفريد وغير ذلك.. فإنه يظهر بشكل قاطع أن مكة والمدينة لا يمكن الاعتماد عليهما من قبل علي (ع) فإن ولاءهما كان متجهاً إلى غير علي (ع) وأهل البيت..

وإذن.. فمعنى الاعتماد على المدينة كقاعدة للخلافة، وعاصمة لها، هو

---

(١) مروج الذهب للمسعودي / ج ٣ ص ٢٩٥ ط بيروت، دار الأندلس.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٤ والبحار ج ٤٦ ص ١٤٣.

أن تكون الأسرار العسكرية ، ومواقع الضعف ، ومواقع القوة متوفرة لدى الجهة المناوئة ، كما وأن الخلافة المحقة سوف تكون معرضة للتمزق من الداخل ، وللأعمال الخيانية لصالح الناكثين والقاسطين ، وذلك لوجود أعوانهم ومحبيهم بين ظهراني السلطة الحاكمة ، التي يستحيل أن تقدم على أي اجراء ، ضد أي شخص ، ما دام ذلك الشخص لم يثبت أي اتهام ضده ، أي لانها لا ترضى بالعقاب قبل الجناية ، وتعتبر أن كل متهم بريء ، حتى تثبت إدانته بالطرق الشرعية . .

ويذكرنا هذا الجو الذي يواجهه الإمام علي عليه السلام بما كان يتعرض له النبي (ص) في حربه مع المشركين من دسائس اليهود الذين كانوا يعيشون في المدينة ، مع فارق آخر ، يزيد من حراجة الموقف بالنسبة لعلي (ع) ، وهو أن اليهود كانوا عدواً ظاهراً معروفاً لدى المسلمين ، عدو له نمط حياة خاص به متميز عن المسلمين ، وفي معزل عنهم .

أما هؤلاء الذين كانوا يهددون أمن الدولة من الداخل في حكم علي عليه السلام ، فقد كانوا يعيشون بين المسلمين ، ويطلعون على دقائق أحوالهم ، وخفايا أمورهم ، وكثيراً ما كان يصعب تميزهم ومعرفتهم بأعيانهم وأشخاصهم . . نعم . . تكون حالته معهم شبيهة بحالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المنافقين .

رابعاً : إن الجيل الجديد في المدينة لم يكن قد اعتاد الحياة الصعبة التي تتطلبها الحروب الطاحنة التي خاضها علي (ع) ، لأن شباب المدينة كانوا قد اعتادوا حياة الرخاء والدعة ، لأنهم صاروا يعيشون على العطاءات السخية التي كان يغدقها عليهم الخلفاء الذين سبقوا علياً عليه السلام . . حتى أصبح من الصعب عليهم التخلص من أجواء اللذة التي يعيشونها ثم التضحية بأنفسهم ، والتعرض للمصاعب والمشاق التي تتطلبها الحروب . .

وخامساً : لقد كان الإسلام جديداً على العراق وكانت العادات القبلية والجاهلية لا تزال تتحكم في روابطه وعلاقاته الاجتماعية في داخله وخارجه . .

وكانت الحروب فيه محكومة لزعماء القبائل عموماً، لا للايمان والعقيدة وكانت المدينة أبعد عن ذلك ولو بشكل محدود ، فكان اغواء أهل العراق من قبل معاوية أقرب احتمالاً وأسهل منالاً وإذا صار العراق مع معاوية ، فإن وضع المدينة العسكري والاقتصادي سوف يصير حرجاً جداً . . ولهذا فلا بد من تدارك الأمر وحفظ العراق أولاً ، ثم استغلال روح التنافس التي كانت قائمة بين القطرين العراق والشام وحتى الروح القبلية ، وتوظيفها في صالح الدين والأمة بدلاً من أن يستغلها معاوية في غير هذا السبيل . .

وهكذا . . نجد أن المدينة لا تستطيع في هذه الظروف بالذات أن تكون عاصمة للخلافة ، ومنطلقاً لتحركاتها بحرية ، وثقة بهذا الشكل المكثف والواسع . .

نعم . . هي كانت الموقع المناسب لمضايقة مكة اقتصادياً وسياسياً ، وحتى عسكرياً أيضاً ، حينما كان ثمة حاجة إلى ذلك في بدء انتشار الإسلام ، في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم . .

بل إننا نلاحظ : إن كثيراً من العوامل التي دفعت النبي (ص) إلى الهجرة إلى المدينة ، هي نفسها كانت السبب في ترك علي عليه السلام المدينة إلى الكوفة ، ولهذا البحث مجال آخر . .

أما الكوفة :

فقد كانت في ذلك على الضد من المدينة، فهي بالإضافة إلى قربها إلى الشام والبصرة ، وإلى أنها تقع في قلب الدولة الإسلامية ، وفي نقطة الوسط بالنسبة إلى كثير من المناطق التي سوف تشهد نشاطاً واسعاً على مستوى الدولة وليتقرر من ثم مصير الأمة حاضراً ومستقبلاً بشكل عام . . إنها بالإضافة إلى ذلك :

١ ـ كانت تملك الطاقات البشرية ، أو على الأقل تستطيع أن تؤمن الكمية الكافية القادرة على مواجهة أي تحدٍ مهما كان كبيراً . . ثم تمده بما يحتاج إليه

باستمرار لو ظهر ثمة ما يبرر ذلك ، لتوسطها ، ولقربها من البلاد ذات الكثافة السكانية . .

٢ ـ وهي أيضاً قادرة اقتصادياً على التموين المستمر للجيوش التي سوف تواجه الحرب ، لما تملكه هي والمناطق القريبة إليها من ثروات زراعية متمثلة بالسواد الذي كان يحاذي الفرات ، ثم تمكنها من الاتصال السريع بمناطق الثروات إن اقتضت الحاجة ذلك .

هذا عدا عن موقعها التجاري في المنطقة سواء بالنسبة إلى الفرس أو إلى العرب على حد سواء . .

٣ ـ ثم هناك قرب العراق من الشام بالنسبة إلى الحجاز . .

وقد جمع علي عليه السلام الأسباب الثلاثة المتقدمة ، في جوابه لأبي أيوب رحمه الله تعالى ، حيث قال له عليه السلام : « صدقت يا أبا أيوب ، ولكن الرجال والأموال بالعراق ، وأهل الشام لهم وثبة احب أن أكون قريباً منهم[1] الخ . . » .

وقال عليه السلام حينما نصحه ابن عباس بأن يولي طلحة والزبير الكوفة والبصرة : « ويحك ، إن العراقين بهما الرجال والأموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوي بالسلطان »[2] .

وقال المغيرة بن شعبة لأمير المؤمنين عليه السلام ، بعد أن عرض عليه أموراً : « فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد ، فإنها ليست ببلاد كراعٍ وسلاح »[3] .

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة : قد خرج محمد بن عبد الله بن حسن

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٢٦٨ والأخبار الطوال ص ١٤٣ .

(٢) الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٥٢ وحياة الإمام الحسن عليه السلام للقرشي ج ١ ص ١٧٧ والمعيار والموازنة ص ٩٨ .

(٣) الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٧١ .

بالمدينة . قال ليس بشيء ، خرج بأرض ليس بها حلقة ولا كراع قال : « قد خرج إبراهيم بالبصرة قال : قد خرج بأرض لو شاء أن يقيم بها سنة يبايعه كل يوم ألف رجل ويضرب له فيها كل يوم رجل ألف بسيف لا يعلم به أحد يمكنه ذلك »[1] .

٤ ـ هذا . . وقد تقدم أن العراقيين كانت لديهم القابلية للإغواء من قبل معاوية ، ثم تأليبهم على أمير المؤمنين عليه السلام . . وذلك بملاحظة ظروف معينة عاشها ويعيشها العراق نفسياً واجتماعياً وفكرياً وغير ذلك . . وقد تحدثنا عن بعض ذلك في كتاب لنا حول الخوارج ، وكتابنا : الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام في عهد الرسول والخلفاء الثلاثة بعده .

٥ ـ ثم أن الاخطبوط الأموي ، والتيمي والزبيري ، وغيرهم من طلاب اللبانات ، ومن وترهم الإسلام على يد علي عليه السلام ـ هذا الأخطبوط ـ كان أقل قدرة على التحرك والمناورة فيها . .

٦ ـ ثم إنهم لم يكونوا قد تعودوا على لذائذ الحياة وزبارجها وبهارجها ، بملاحظة حياتهم الحربية على مر الزمن ، فكان يسهل عليهم التضحية وخوض غمار الحروب ومكابدة شظف العيش وتحمل الصعاب .

بل إن العراق كان أفضل من الشام من حيث الأموال والرجال فقد قال نسير بن ثور العجلي لخالد بن الوليد : « ليس الشام عوضاً من العراق ساعة قط لأن العراق أكثر من الشام حنطة وشعيراً وديباجاً وحريراً وفضة وذهباً وقرا ونسباً وما الشام كلها إلا كجانب من جوانب العراق . فقال له خالد صدقت يا نسير ، إن العراق لعلى ما تقول »[2] .

وهكذا يتضح أن الإمام علياً عليه السلام وصي الرسول (ص) الذي نصبه قائداً للأمة في يوم الغدير ، لم يتخذ الكوفة عاصمة لخلافته إلّا لاعتباراتِ

---

(١) انساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ١٠٤ .
(٢) الفتوح لابن أعثم ج ١ ص ١٣٤ .

استراتيجية وعسكرية فرضت عليه ذلك . . ولم يكن ذلك اجراء عفوياً مرتجلاً ، كما قد يتخيل بعض من لم يمعن النظر في مواقفه عليه السلام ، ويحاكم الظروف التي كانت قائمة آنذاك بدقة وموضوعية وتجرد .

مصادر البحث

١ ـ الأخبار الطوال ..... للدينوري
٢ ـ الإمامة والسياسة ..... لابن قتيبة
٣ ـ البحار ..... للمجلسي
٤ ـ الثقات ..... لابن حبان
٥ ـ حياة الإمام الحسن (ع) ..... للقرشي
٦ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
٧ ـ الفتوح ..... لابن أعثم
٨ ـ مروج الذهب ..... للمسعودي

أكاذيب وحقائق

أبو ذر في سطور .
أبو ذر : اشتراكي ، أم شيوعي ، أم مسلم ؟! . .
ضرب النقود في الإسلام .
قصة ارينب بنت اسحاق : حديث خرافة .
أين دفن النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » ؟
ذهاب عقيل إلى معاوية .
مسلم بن عقيل ومعاوية .
الإمام علي بن الحسين (ع) وأموال مروان .
من هو الأمير الأول في غزوة مؤتة .
المؤامرة على مروان بن الحكم .
الحنفية : ليست من سبي أبي بكر .
حديث اللدود : خرافة .

أبو ذر في سطور

ـ هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري . . وقيل في اسمه واسم أبيه غير ذلك .

ـ كان يعبد الله قبل مبعث النبي « ص » بثلاث سنين كما يقولون . .

ـ اسلم رابع أربعة ، وقيل خامساً ، فهو من السابقين إلى الإسلام .

ـ وهو أول من جهر في مكة بإسلامه ـ على ما يظهر ـ فنالته قريش بالأذى ، ولولا أن طريق تجارتها إلى الشام على قبيلة غفار فلربما كانت قضت عليه .

ـ وبعد أن أسلم عاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام ـ فأسلمت على يديه قبيلة غفار وجماعة من أسلم . .

ـ أقام في عسفان على طريق قوافل قريش : فكلما أقبلت عير لقريش احتجزها حتى يقولوا : ﴿ لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ﴾ ، فمن قالها خلّى سبيله ومن أبى تعرّض للعقاب . . وظل على ذلك حتى هاجر .

ـ هاجر إلى المدينة بعد أحد . . ولكن عمر قد الحقه في العطاء باهل بدر لمكانته وجلالته .

ـ كان طويلاً أسمر اللون نحيفاً .

ـ في غزوة تبوك أبطأ عليه بعيره ، فسبقه الجيش ، فلحقه ماشياً يحمل امتعته على ظهره .

ـ هو أول من حيّا النبي (ص) بتحية السلام ـ كما يقولون ـ .

ـ وقد ورد عن الرسول (ص) والأئمة (عليهم السلام) في حقه كلمات كثيرة تعرب عن شخصيته وجلالته .

ـ أحد الأركان الأربعة .

ـ أحد الثلاثة الذين لم يتأثروا بالأحداث التي حصلت بعد الرسول (ص) ، وظلّوا على الولاء التام لأهل البيت (عليهم السلام) ثم لحقهم الناس بعد .

ـ بايع النبي (ص) على أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وعلى أن يقول الحق وإن كان مرّاً .

ـ وهو أحد من امتنع عن بيعة أبي بكر ، حتى جاؤوا بأمير المؤمنين (عليه السلام) كرهاً فبايع .

ـ وهو أحد الذين صلّوا على فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) . .

ـ وهو الذي لم يمتنع عن الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رغم منع السلطات ، ولم يكترث بتهديداتهم ، وقال : « والله لو وضعتم الصمصامة على هذا (وأشار إلى فمه) على أن أترك كلمة سمعتها من الرسول (ص) لأنفذتها قبل أن يكون ذلك » .

ـ وهو الذي بذلت له الأموال ليتنازل عن موقفه وجهره بالحق فأبى وتعرّض لمختلف أنواع البلاء والنكال .

ـ عرف وأدرك دور الأحبار واليهود في السياسة وتأثيرهم في المسلمين ، فجهر بحقيقة ما أدركه ، فتعرّض لغضب الحكّام ولتنكيلهم به .

ـ بسبب إصراره على أن يحدث بما سمعه عن النبي (ص) ، وأيضاً بسبب موقفه من تدخّلات اليهود واحبارهم في شؤون المسلمين وقراراتهم وأيضاً بسبب اعتراضاته على سيرة الحكّام في بيت مال المسلمين ، وكذلك من أجل نشره لفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ووصيّ رسول ربّ العالمين واستخلاف النبي (ص) إيّاه ـ من أجل كل ذلك . . نفاه القوم عن حرم الله ، وحرم رسوله (فقتلوه فقرا وجوعا ، وذلا ، وضرّا وصبرا) على حدّ تعبير الرواية . .

ـ نفاه عثمان ـ للأسباب ـ المتقدمة إلى الشام .

ـ في الشام ـ بعد أن فشلت محاولات معاوية لتطويق موقف أبي ذر ، سواء عن طريق الترغيب أو عن طريق الترهيب عاد فكتب إلى عثمان بأمره فأمره أن يحمله إليه على قتب يابس ، وأن يعنفوا به السير . . ففعل ، ولم يصل أبو ذر إلى المدينة إلّا بعد أن تسلّخ لحم فخذيه .

ـ وفي المدينة بعد أن رأى عثمان أنه لا يزال على موقفه ، وبعد أن تصدى أبو ذر لكعب الأحبار متحدّياً بذلك الخليفة عثمان . عاد عثمان فنفاه من جديد إلى الربذة أبغض الأمكنة إليه .

ـ ومما يذكر هنا موقف علي (عليه السلام) والحسنين (عليهما السلام) ومن معهم حينما خرجوا لوداعه رحمه الله حينما سيّر إلى الربذة وما جرى بين علي (عليه السلام) وعثمان ومروان . . هذا بالإضافة إلى مواقف أخرى لعلي (عليه السلام) مع عثمان حول قضية أبي ذر .

ـ وكان ما فعله عثمان بأبي ذر من جملة ما نقمه الناس على عثمان ، ومن أسباب ثورة الناس ضدّه .

ـ مات أبو ذر (رحمه الله) في الربذة (منفاه) في سنة ٣١ أو ٣٢ قال العسقلاني : وعليه الأكثر . .

ـ صلّى على أبي ذر جماعة من المؤمنين (حسب ما أخبر به الرسول الأعظم (ص)) وكان من بينهم الأشتر (رحمه الله) ، وابن مسعود وكان ذلك هو سبب

ما جرى بين عثمان وابن مسعود ، كما هو معروف ومشهور . .

ـ لقد أخبر الرسول الأعظم (ص) أبا ذر بما يجري عليه ، وأمره بالصبر حتى يلقى الله تعالى ، وعدم حمل السلاح ضدّهم . . فامتثل (رحمه الله) أمر الرسول الأعظم (ص) ، وصبر على المحن والبلايا التي واجهها ، حتى لقي ربه . .

فالسلام عليك يا أبا ذرّ يوم ولدت ، ويوم عشت مسلماً مظلوماً صابراً محتسباً ، ويوم تبعث وحدك حيّاً . . وأيضاً يوم تزّف إلى الجنة وحدك بعد أن تقف لتشكو إلى الله ما فعله بك الحاقدون والمستأثرون « وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون . . » .

أبو ذر
إشتراكي ـ أم شيوعي
أم مسلم

٢٥/٢/ ١٤٠٠ هـ.

تقديم :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين واللعنة الدائمة على اعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين .

وبعد :

أبو ذر . . هذا الصحابي الجليل ، له موقف من عثمان بن عفان ومعاوية ، لا يزال موضع أخذ ورد بين الباحثين والمؤرخين ، وقد اختلفت نظرياتهم ، وتباينت آراؤهم حوله بشكل ملفت للنظر تبعاً « لاختلاف العصبيات والدوافع تجاه هذه القضية . حتى لقد وصموا هذا الصحابي الجليل أخيراً » ، بالاشتراكية تارة ، والشيوعية أخرى . ونحن لا بد لنا أولاً من ذكر بعض أقوال ونظريات هؤلاء المؤرخين والباحثين . ثم نعقب ذلك بما نراه مقنعاً ومقبولاً على التساؤلات في المقام ، فنقول :

آراء ونظريات

١ ـ قال ابن الأثير وأبو هلال العسكري :

كان أبو ذر يذهب إلى أن المسلم لا ينبغي أن يكون ، له في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شيء ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم ويأخذ بظاهر القرآن : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾ فكان يقوم بالشام ، ويقول :

يا معشر الأغنياء والفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وشكى الأغنياء ما يلقون منهم ، فأرسل إليه معاوية بألف دينار في جنح الليل ، فأنفقها ، فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله إليه ، فقال : إذهب إلى أبي ذر فقل له : انقذ جسدي من عذاب معاوية ، فإنه أرسلني إلى غيرك ، وإني أخطأت بك ، ففعل ذلك ، فقال له أبو ذر : يا بني ، قل له : والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينار ، ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها . فلما رأى معاوية بأن فعله يصدق قوله كتب إلى عثمان الخ[1] .

رأي ابن كثير : قلت : كان من مذهب أبي ذر (رضى) تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال، وكان يفتي بذلك، ويحثهم عليه، ويأمرهم به ويغلظ في خلافه ، فنهاه معاوية ؛ فخشى أن يضرّ بالناس في هذا ، فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان ، وأن يأخذه إليه ؛ فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأنزله بالربذة ، وحده ، وبها مات (رض) في خلافة عثمان[2] .

وقال في أبي ذر : إنه كان ينكر على من يقتني مالاً من الأغنياء ويمنع أن يدخر فوق القوت ، ويوجب أن يتصدق بالفضل ، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٤, ١١٥ وليراجع الأوائل / ج ١ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢

بعذاب أليم ، فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه الخ[1] .

٣ ـ **الشوكاني** : « . . واختلف أهل العلم في المال الذي اديت زكاته : هل يسمى كنزاً ؟ أم لا فقال قوم : هو كنز ، وقال آخرون : ليس بكنز ، ومن القائلين بالأول أبو ذر ، وقيده بما فضل عن الحاجة »[2] .

٤ ـ **الآلوسي** : « . . أخذ بظاهر الآية فأوجب انفاق جميع المال ، والفاضل عن الحاجة أبو ذر (رض) وجرى لذلك بينه وبين معاوية (رض) في الشام ما شكاه إلى عثمان في المدينة ، فاستدعاه فرآه مصرّاً الخ . . »[3] .

٥ ـ **لجنة الفتوى بالأزهر** : « . . وذهب أبو ذر الغفاري (رض) إلى أنه يجب على كل شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من مال مجموع ما عنده في سبيل الله أي في سبيل البر والخير وأنه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ، ونفقة عياله ، إلى أن يقول : والحق أن هذا مذهب غريب من صحابي جليل كأبي ذر وذلك لبعده عن مبادىء الإسلام ، وعما هو الحق الظاهر الواضح ، ولذلك استنكره الناس في زمنه واستغربوه[4] » والظاهر أن مرادهم بالناس هو الهيئة الحاكمة كما سيتضح . . .

٦ ـ **جبران ملكوت** : وقريب من ذلك ما قاله الكاتب المسيحي جبران ملكوت في مقال له في جريدة الأخبار العراقية عدد ٢٥٠٣ سنة ١٣٦٨ .

٧ ـ **الرصافي** :

إنما الحق مذهب الاشتراكية ... فيما يختص في الأموال
مذهب قد نحى إليه أبو ذر ... قديماً ، في غابر الأجيال . .

٨ ـ **أحمد أمين** : يرى : أن رأي أبي ذر في الأموال شبيه جداً « برأي

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٥
(٢) فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٦
(٣) تفسير الآلوسي ج ١٠ ص ٨٧ والغدير ج ٨ ص ٣٦٧ عنه .
(٤) الغدير ج ٨ ص ٣٦٢ عن مجلة الوقت المصرية الصادرة سنة ١٣٦٧ عدد ١

مزدك » فبعد أن ذكر رواية للطبري قال : « فترى من هذا أن رأيه قريب جداً من رأي مزدك في الأموال . . » ثم ذكر أنه تلقاه من ابن سباء اليهودي ، ثم قال : « . . فمن المحتمل القريب : أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن ، واعتنقها أبو ذر حسن النية » في اعتقادها ، وصبغها بصبغة الزهد التي كانت تجنح إليها نفسه الخ[1] .

٩ ـ **آخرون** : وقد أشار العلامة الاميني في الغدير ج ٨ ص ٣٨٠ إلى ما ذكره الخضري في محاضراته ج ٢ ص ٣٦, ٣٧ وعبد الحميد العبادي في كتابه : صور من التاريخ الإسلامي ص ١٠٩ تحت عنوان : أبو ذر الغفاري . . . ومحمد أحمد جاد المولى في كتاب : انصاف عثمان ص ٤١, ٤٥ ، وصادق ابراهيم عرجون في : عثمان بن عفان ص ٣٥ وعبد الوهاب النجار في : الخلفاء الراشدون ص ٣١٧ .

١٠ ـ **الغضبان** : . . وقد حاول منير الغضبان في كتابه : « أبو ذر الغفاري : الزاهد المجاهد » أن يظهر أنه لم يكن ثمة خلاف بين أبي ذر وعثمان . . وإنما كانا على تمام الوفاق والإنسجام وأن كلاً منهما كان يعظّم الآخر ويجلّه ، ولم يحصل بينهما أية كدورة ومشاجرة وأن عثمان لم ينف أبا ذر إلى الشام ولا إلى الربذة ، وإنما كان أبو ذر ينصح الناس بالزهد بالدنيا لا أكثر ولا أقل . وأنه لم يكن ثمة فقراء يخاف من ثورتهم ضد الهيئة الحاكمة إلى آخر ما هنالك من أمور ذكرها تخالف ضرورة التاريخ . أما . .

١١ ـ **العلامة الطباطبائي** فيقول : « فالآية ناظرة إلى الكنز الذي يصاحبه الامتناع عن الانفاق في الحقوق المالية الواجبة لا بمعنى الزكوة فقط ، بل بمعنى يعمها وغيرها من كل ما يقوم عليه ضرورة المجتمع الديني ، من الجهاد وحفظ النفوس من الهلكة ونحو ذلك » .

وقال : « فالآية إنما تنهى عن الكنز لهذه الخصيصة ، التي هي ايثار الكانز

---

(١) راجع : فجر الإسلام ص ١١٠ و١١١

نفسه بالمال من غير حاجة إليه على سبيل الله مع قيام الحاجة إليه[1] .

وقال : « وقصص أبي ذر واختلافه مع عثمان ومعاوية معروفة مضبوطة ، في كتب التاريخ ، والتدبر فيما مرّ من احاديثه وما قاله لمعاوية : أن الآية لا تخصص بأهل الكتاب ، وما خاطب به عثمان ، وواجه به كعباً » يدل على أنه إنما فهم من الآية ما قدمناه : إنها توعد على الكف عن الانفاق في السبيل الواجب[2] .

حقيقة موقف أبي ذر :

وبعد كل ما تقدم وبعد أن عرفنا بعض الآراء والنظريات حول آراء وأفكار أبي ذر . . ولاحظنا أنها متغايرة وحتى متباينة تقريباً فإننا نقول : إن أبا ذر لم يكن يؤمن بوجوب انفاق كل ما زاد على النفقة ، ولا كان ينكر على الهيئة الحاكمة تملّك الأموال . . . ولا كان يدعوا إلى التزمت وترك الدنيا ، والاعراض عنها بحيث يضر بالعيش ، وعمران الحياة . .ولا كان يدعو إلى الانفاق الواجب الزائد على الزكاة ، مما لا بد منه في السبيل الواجب .

نعم . . ليس كل ذلك هو محط نظر أبي ذر في نزاعه مع الهيئة الحاكمة آنذاك وإنما هو يقول : بجواز ملكية كل ما يأتي بالطرق المشروعة بعد اخراج حقوق الله منه ، من الزكاة والخمس ، وما إلى ذلك ولا يجب انفاقه ولكنه ينكر على عثمان ومعاوية والامويين استئثارهم ببيت مال المسلمين وانفاقه على شهواتهم ، ومآربهم ، ولذائذهم الشخصية وحرمان الناس الأخرين منه .

وأما أدلة الاثبات لذلك :

فنستطيع أن نجملها في الأمور التالية :

أولاً : إن أبا ذر يأمر عثمان باتباع سنة صاحبيه : أبي بكر وعمر في

---

(١)،(٢) الميزان ج ٩ ص ٢٥١ و٢٥٨

الأموال ، قال عثمان : كذبت ، ولكنك تريد الفتنة ، وتحبها ، وقد انغلت الشام علينا . فقال أبو ذر : اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام[1].

ولما فعل عثمان بأبي ذر ما فعل ، وأرسله عثمان إلى الشام ؛ ليكون بعيداً عنه ، ويعيش تحت الاشراف والرقابة من قبل معاوية وأعوانه . . وليواجه الكثير من الأذى ، وأنواع المصاعب والاهانات . . ، ـ لما كان ذلك ـ قال علي (ع) لعبد الرحمن بن عوف : هذا عملك . في إشارة منه إلى دور ابن عوف في السقيفة في تكريس الأمر لصالح عثمان ؛ فقال عبد الرحمان : إذا شئت فخذ سيفك ، وآخذ سيفي ؛ إنه قد خالف ما أعطاني [2] . أي خالف ما أخذه عليه في قضية الشورى ، من العمل بالكتاب والسنة ، وسنة أبي بكر وعمر .

ومن الواضح : أن صاحبيه « أبا بكر وعمر » كانا يقبلان بملكية ما زاد عن الحاجة ، إذا كان قد أدّى حق الله فيه . ولا يوجبان إنفاق الزيادة .

كما أن غضب الصحابة لأبي ذر ، وخصوصاً علي والحسنان عليهم السلام منهم ، وكذلك عمار ، وعبد الرحمان بن عوف ، الرجل الثري المعروف (والذي مات بعد رجوع أبي ذر من الشام منفاه الأول) ، وسائر الصحابة ـ إن غضب هؤلاء له ـ يدل على أنهم كلهم كانوا يشاطرونه رأيه ، ويذهبون مذهبه ، مع أن من بينهم من ترك من الذهب ما يكسر بالفؤوس ، وقد مات بعد ارجاع أبي ذر من الشام .

ولو كان أبو ذر ينكر عليهم مجرد جمع المال ؛ لما كان عبد الرحمان بن عوف من مؤيديه ؛ فإنه لما مات عبد الرحمن بن عوف ، وجيء بتركته حالت البدر بين عثمان وبين الرجل القائم . وحينما يسأل عثمان كعب الأحبار عن رأيه فيمن ترك هذا المقدار من المال ، ويعطي كعب رأيه ، يضرب أبو ذر رأسه بعصا . .

---

(١) فتوح ابن أعثم ج ٢ ص ١٥٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٦ ، وج ٨ ص ٢٥٩ والغديرج ٨ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٧ .

وتكون النتيجة هي نفيه إلى الربذة ، حسبما هو معلوم[1] .

ومما يدل على غضبهم له :

١ ـ ما قاله البلاذري وغيره : « وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود ، وأبي ذر ، فكان في قلوب هذيل وبني زهرة ، وبني غفار واحلافهما ، من غضب لأبي ذر ما فيها . . »[2] .

٢ ـ وعند المعتزلي عن أبي ذر : « لم يكن في أهل المدينة إلّا من كان راضياً ، بقوله عاتباً بمثل عتبه ، إلّا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه ، مخف ما عنده ، وما في أهل المدينة إلّا من رثى لأبي ذر مما حدث عليه ومن استفظعه ، ومن رجع إلى كتب السيرة عرف ما ذكرناه »[3] .

٣ ـ وتقدم تذاكر علي (ع) وعبد الرحمان بن عوف فعل عثمان ؛ فقال علي : هذا عملك ، فقال عبد الرحمن : إذا شئت فخذ سيفك ، وآخذ سيفي ؛ إنه قد خالف ما أعطاني .

ولكن الرواي ذكر أن هذا الكلام كان بعد وفاة أبي ذر . . وواضح أن ذلك لا يصح لأن ابْنٍ عوف قد توفي بعد رجوع أبي ذر من الشام وقبل نفيه إلى الربذة كما يدل عليه مشادة أبي ذر مع كعب الأحبار ، وضربه له حتى غضب عثمان لكعب ونفا أبا ذر .

فلعل هذه القضية بين علي (ع) وعبد الرحمن قد حصلت حين نفي أبي ذر إلى الشام ، لا بعد وفاة أبي ذر ، ولعلها حرفت لحاجة في النفس قضيت .

وعلى كل حال فإن عد ما فعله عثمان بأبي ذر من المطاعن على عثمان ومن

---

(١) راجع : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٦٣ وراجع حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٠

(٢) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٦ و٦٨ وتاريخ الخميس ج ٢ص ٢٦١ وكتاب الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٥٨/٢٥٩ .

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٨ / ٥٩

موجبات الثورة ضده لا يخفى على أيّ ناظر في كتب الحديث والتاريخ[1] .

وثانياً : لماذا لا نجد أبا ذر ينكر على غير عثمان ومعاوية وغيرهم من أعضاء الهيئة الحاكمة ؟ ؟ !

ولماذا لا يعترض على غيرهم من الأغنياء من الصحابة وغيرهم ؟ ولقد قال الزمخشري : « ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمان بن عوف وطلحة بن عبيد الله (رض) يقتنون الأموال ، ويتصرفون فيها ، وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية ؛ لأن الاعراض اختيار للأفضل . . »[2] .

وإذا كان إنما يعيب على الأغنياء مطلقاً لأجل غناهم وحسب . . فلماذا ينفي هذا الأمر على عثمان ومعاوية فقط ، ولماذا ينحصر خلافه مع قريش[3] ولا يتعداها إلى الأنصار وغيرهم من أصحاب الثروات ؟ ! فلماذا تفسد الشام على معاوية ، ويخاف عثمان منه أن يفسد المدينة ؟ نعم . . لماذا تتوجه نقمة الناس على خصوص الحكام في هذه القضية ، وهم لا تقصير لديهم ، ولا مخالفة منهم . لقد كان الأجدر أن ينقم الناس على الأغنياء كلهم لا على خصوص الحكام ! . . فنقمتهم على خصوص الحكام تدل على أنه إنما يتعرض لأمر يختص بالحاكم ، وتكون مخالفته منحصرة به وفيه . .

وقد كان في المدينة عدد من الأثرياء ، يعيشون بين الناس براحة واطمئنان ، ونذكر منهم .

١ ـ عبد الرحمان بن عوف ، الذي كان يملك ـ عدا عما تقدمت الإشارة إليه ـ ألف جمل ، وعشرة الآف شاة ومئة فرس ، وقد بلغ ربع ثُمْنِ ماله أربعة وثمانين ألف دينار[4] .

---

(١) راجع : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٣ / ١٧٤ ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٨ / ٤٣٩ والصواعق المحرقة ص ١١٢ والأوائل ج ١ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٩ .

(٢) الكشاف ج ٢ ص ٢٦٧

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ١٧٦

(٤) راجع : مشاكلة الناس لزمانهم .

٢ ـ طلحة بن عبيد الله الذي بنى من البيوت ما قيمته مئة ألف دينار ، وكانت غلته بالعراق كل يوم ألفا مما يسمى بـ « الوافي » ، وفي الشام عشرة الآف دينار ، وخلف مقادير هائلة من الذهب والفضة[١] .

٣ ـ قيس بن سعد ، وعبد الله بن جعفر ، اللذان كانا يهبان المئات والألوف ، وأخبار كرمهما قد سارت في الآفاق .

٤ ـ أبو سعيد الخدري الذي كان يقول : ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا[٢] .

٥ ـ زيد بن ثابت الذي كان ورثته يكسرون ما خلفه من الذهب والفضة بالفؤوس؛ ليقتسموها فيما بينهم ، وخلف من المزارع ، والآبار والأموال الأخرى ما قيمته مئة وخمسون ألف دينار[٣] .

٦ ـ ولحكيم بن حزام حكايات تدل على ثرائه الفاحش أيضاً[٤] .

٧ ـ يعلى بن منبه الذي خلف خمس مئة ألف دينار ذهباً، ومن البيوت والأراضي والديون ما يبلغ ثلاث مئة ألف دينار[٥] .

٨ ـ عمر بن الخطاب . . الذي كان يملك أربعة الآف فرس[٦] وغير ذلك[٧] .

٩ ـ بل إن عثمان نفسه حسبما يدّعون ، قد جهز جيش العسرة بمئات من

---

(١) راجع : مشكلة الناس لزمانهم .
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٧١٥ والغدير ج ٨ ص ٣٣٧ عنه .
(٣) مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٤ والغدير ج ٨ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٧ وراجع ج ٢ ص ٨٥ ـ ٨٨ .
(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٧١٥ وتاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٢٥ ـ ٣٤٤ والغدير ج ٨ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ عنهما وراجع ج ٢ ص ٨٥ ـ ٨٨ .
(٥) مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٤
(٦) الخراج لأبي يوسف ص ٥١ وإن كان يقول : إنها كانت موسومة في سبيل الله تعالى .
(٧) راجع كتابنا : الحياة السياسية للإمام الحسن . . الفصل الثالث . حين الكلام على آثار الفتوح على الفاتحين .

الأبعرة باحلاسها واقتابها . وإن كنا نحن نشك في صحة ذلك . . ولبحث ذلك موضع آخر .

ومن أراد المزيد من المصادر حول ثروات الصحابة فليراجع كتابنا : الحياة السياسية للإمام الحسن (ع)، الفصل الثالث، حين الكلام على آثار الفتوح على الفاتحين .

ولنا هنا أن نتساءل أيضاً أليس الثراء والغنى كان شائعاً في زمن النبي (ص) نفسه ، وأليس يقولون : ـ سواء كان ذلك صدقاً أم كذباً ـ وهو الراجح لدى التحقيق ـ: ان عثمان قد جهّز جيش العسرة؟ إلى غير ذلك مما يدل على مشروعية الثراء في الإسلام ؟ وعدم انكار أبي ذر ولا غيره على أحد آنئذٍ ! الأمر الذي يدل على أنه لم يكن رحمه الله تعالى ينكر على الناس أن يملكوا المال ، وتكون لهم الثروة . . وإنما كان ينكر عليهم اموراً أخرى كما سنرى .

وثالثاً : قال الاميني : « . . تشريع الزكاة يدل على أن الباقي مباح لصاحبه ، ولأبي ذر نفسه في آداب الزكاة أحاديث أخرجها البخاري ، ومسلم ، وغيرهما من رجال الصحاح ، وأحمد ، والبيهقي ، وغيرهم ؛ فلو كان يجب انفاق بعد اخراج الزكاة فما معنى التحديد بالنصب والاخراج منها»[1].

وعن أبي ذر في حديث له عن النبي (ص) : « لا يموت أحد منكم فيدع إبلاً وبقراً لم يؤد زكاتها إلا جاءته يوم القيامة أعظم ما كانت واسمنه تطؤه باخفافها الخ »[2].

وهذا كله عدا عما رواه أبو ذر في الأموال ، والنفقات والصدقات المستحبة ، وقد ذكره الاميني في الغدير ج ٨ عن مسند أحمد ج ٥ من ص ١٥١ حتى ١٧٨ ، والطبري ج ٥ ص ٦٧ ، والأموال لأبي عبيد ص ٣٥٥ ، وابن ماجة ج ١ ص ٥٤٤ ، وصحيح مسلم ج ٣ ص ٨٢ ، وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٨٨ ، والترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٧ وج ٢ ص ٢٣٠ / ٣٨ وعن أبي

---

(١) الغدير ج ٨ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ١٦٩ / ١٧٠

داود ، وابن خزيمة ، والنسائي ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٣ ، عن ابن أبي شيبة وابن مردويه .

فإن روايته لذلك تدل على أنه لم يكن يوجب انفاق ما زاد على الحاجة ، إلا ما أوجبه الله تعالى من حق الزكاة ، والخمس ، ونحوهما وإلا . . لم يكن بالإمكان فهم المبرر للصدقات المستحبة وغيرها من النفقات . .

ونضيف نحن هنا : ألم يكن أبو ذر يحفظ من القرآن إلّا آية الكنز ؟ ! ألم يمر امامه أية آية ترتبط بالزكاة ، والنفقات ، والصدقات المستحبة ؟ ! ألم يقرأ قوله تعالى : ﴿ وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً ؟ ﴾[1]

مما يعني أن للإنسان أن يملك قنطاراً وأن يُملكه .

ألم يقرأ آيات البيع ، والشراء ، والتجارة ، عن تراض ؟ ! ألم يقرأ آيات الإرث ؟ وغير ذلك مما يدل على جواز تملك المال ، وكون الإنسان بالخيار بين الإنفاق والإمساك ؟ وإن كان الإنفاق أفضل ؟

ورابعاً :

١ ـ عن أبي ذر أنه قال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف وقد ينبغي لمؤدي الزكاة : أن لا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والاخوان ، ويصل القرابات فقال لكعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه ، فرفع أبو ذر محجنه ، فضربه فشجه[2] .

قال العلامة الطباطبائي : « فإن لفظه كالصريح ، أو هو صريح في أنه لا يرى كل انفاق فيما يفضل من المؤنة بعد الزكاة واجباً ، وأنه يقسم الإنفاق في سبيل الله إلى ما يجب وما ينبغي ، غير أنه يعترض بانقطاع سبيل الإنفاق من غير جهة الزكاة ، وانسداد باب الخيرات »[3] .

---

(١) النساء ٢٠ .

(٢) الغدير ج ٨ ص ٣٥١ عن الطبري ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣٦ والميزان ج ٩ ص ٢٥٨ .

(٣) الميزان ج ٩ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

٢ ـ ونزيد نحن هنا : إن اعتراض أبي ذر الآتي على معاوية لبنائه الخضراء ، وقوله له : إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهو الاسراف . . هذا القول يدل على أن أبا ذر يعتقد : أن المال بعضه لله تعالى وهو بيت المال وبعضه للإنسان ، وأن للإنسان حق في أن يتملك ما يبني به الخضراء ، لكنه يقول : إن صرفه بهذا النحو يكون سرفاً . . . . .

وخامساً : إن في كلام أبي ذر نفسه ما يدل على أنه إنما كان ينكر على الحكام ، أكلهم مال الله واستئثارهم بالفيىء ، وبيوت الأموال . . .

١ ـ قال البلاذري والمعتزلي ، والنص له : « إن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال ، واختص زيد بن ثابت بشيء منها ، جعل أبو ذر يقول بين الناس ، وفي الطرقات والشوارع : بشر الكانزين بعذاب أليم ، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرّهم بعذاب أليم ﴾ فرفع ذلك (مروان) إلى عثمان مراراً وهو ساكت ، ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه : إن انته عما بلغني عنك ، فقال أبو ذر : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله ، وعيب من ترك أمر الله ؟ فوالله الخ . . »[1] .

٢ ـ عن سفيانية الجاحظ : فقال له عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول : « يد الله مغلولة وإن الله فقير ونحن أغنياء » ؟ فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا لانفقتم مال الله على عباده ، ولكني أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ، ودينه دخلاً[2] .

٣ ـ فلما قدم أبو ذر المدينة (أي من الشام) جعل يقول : « تستعمل الصبيان ، وتحمي الحمى ، وتقرب أولاد الطلقاء الخ . . »[3] .

« فهو ينكر عليه إذن مخالفته الصارخة لأحكام الإسلام ، وكونه يحمي

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٤ وج ٨ ص ٢٥٦ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٥٢ والغدير ج ٨ ص ٣٠٣ عن الأول .

(٢) فتوح ابن أعثم ج ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٥ ـ ٥٦ وج ٨ ص ٢٥٨

(٣) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٣ والغدير ج ٨ ص ٢٩٣ .

الحمى وغير ذلك مما ثبت مخالفته للشرع، لا عدم انفاقه ما زاد عن حاجته.

٤ ـ بل لقد رأينا النبي (ص) نفسه يتنبأ بما يجري على أبي ذر، وبسببه، ونراه لا ينكر على أبي ذر موقفه، ولا يقول له: إن الحق، سوف يكون معهم، فاقبل منهم وأسكت عنهم. وإنما فقط يأمره أن لا يشهر السيف؛ لأن معنى ذلك: أنه سوف يقتل من دون أن يترتب أثر على ذلك... فقد:

قال النبي (ص) لأبي ذر: كيف أنت وأئمة (ولاة) بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟ قال: قلت: إذن والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى القاك، أو ألحق بك قال: أولا أدّلك على ما هو خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني[1] وفي نص آخر أنه (ص) قال له: «يا أبا ذر أنت رجل صالح، وسيصيبك بلاء بعدي قلت: في الله؟ قال: في الله. قلت: مرحباً بأمر الله»[2].

٥ ـ قال العسقلاني حكاية عن غيره: «والصحيح: أن انكار أبي ذر، كان على السلاطين الذين يأخذون المال لأنفسهم ولا ينفقونه في وجهه وتعقبه النووي بالابطال، لأن السلاطين حينئذ كانوا مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وهؤلاء لم يخونوا..»[3].

ونتعقب نحن النووي هنا بما تعقبه به أبو ذر من قبل من أن عثمان لم يتبع سنة صاحبيه في الأموال: «اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام».

٦ ـ وقد بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية، إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهي الإسراف كما تقدم[4].

---

(١) كشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٢٥٠ / ٢٥١ ومسند أحمد ج ٥ ص ١٨٠ بطريقين صحيحين كما قال الاميني وراجع ص ١٧٨ / ١٧٩ و١٥٦ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٦ والغدير ج ٨ ص ٣١٦ ـ ٣١٧ عنهما وعن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٢

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٢

(٣) فتح الباري ج ٣ ص ٢١٨ والغدير ج ٨ ص ٣٢١.

(٤) شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٥ وج ٨ ص ٢٥٦ وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٣ والغدير عنهما.

٧ ـ وأخيراً . . . فإننا نجد عثمان وهو يحاول أن يتستر على ما يجري على بيت المال يقول :

أترون بأساً « أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقال كعب : لا بأس ؛ فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب الخ »[1] .

وهكذا . . . يتضح بما لا مجال معه للشك : أن أبا ذر إنما كان ينكر على الهيئة الحاكمة تصرفها في بيت مال المسلمين ، واستئثارهم بالفيىء ، ويصرح به في كلماته بما يزيل الريب ، ولم يكن في صدد انكار الملكية لما يزيد عن الحاجة ، ولا بصدد الوعظ والتزهيد بالدنيا إلى غير ذلك مما تقدم . . .

وسادساً : وأخيراً . . فإن أبا ذر كان يستشهد بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ؛ فبشّرهم بعذاب أليم . . ﴾[2] .

وكان ينادي رحمه الله بهذه الآية في الشوارع والطرقات . . ومعنى هذه الآية : أنه تعالى يخاطب المسلمين ، ويقول : إن المال الذي كان يأخذه الاحبار والرهبان هو أموال الكنائس والبيع ، وما يُهدى إليها ، والكفارات المذكورة في التوارة وأشباهها ، وهي أموال عامة ، فكان الاحبار والرهبان يكنزونها لأنفسهم ، ويجعلونها من أموالهم الخاصة وينفقونها على شهواتهم . . ثم أعطى سبحانه وتعالى قاعدة كلية ، مفادها : أن كل من يفعل ذلك ، سواء أكان من أهل الكتاب ، أو من غيرهم ، فإنه محكوم عليه بالهلاك والعذاب . . .

فالآية ناظرة إلى التصرف في أموال الناس ، أي الأموال العامة ، التي يجب صرفها في سبيل الله ، المعبّر عنها في الإسلام ببيت المال تارة وبمال الله اخرى ـ

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٠ ، وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٢ ، وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٤ وج ٨ ص ٢٥٦ .

(٢) سورة التوبة ٣٤

وليست ناظرة إلى الأموال الخاصة التي يملكها الشخص وتزيد عن حاجته ، لأن ما يملكه الشخص ليس من أموال الناس بديهة كما أن تخصيص الأحبار والرهبان بالذكر في الآية دون غيرهم من سائر أغنياء اليهود والنصارى الذين يأكلون أموال الناس بالباطل وما أكثرهم . . ليس إلّا لخصوصية فيهم ، لأنهم هم الذين ، كانت لهم الهيمنة والسيطرة آنئذ ، وكانت الأموال العامة (لا الخاصة) تأتيهم من الطرق الآنفة الذكر . . .

وحتى لو نوقش في دلالة الآية على ما ذكرناه . . فإن مما لا ريب فيه أن أبا ذر رحمه الله لم يفهم منها إلّا ما ذكرناه ؛ فإن كل ما قدمناه من كلماته ومواقفه يدل دلالة قاطعة على أنه رحمه الله ، لم يفهم منها إلّا الاستئثار بالفيىء ، ونهبهم بيت مال المسلمين . . .

والغريب في الأمر : أن نرى البعض كالفضل بن روزبهان وغيره يحاولون دعوى النسخ ، ويقولون : إن مذهب عامة الصحابة والعلماء : أن آية تحريم كنز الذهب والفضة منسوخة بالزكاة ، ومذهب أبي ذر أنها محكمة[1] .

وقد أجاب المظفّر عن ذلك : بأن هذا كلام سخيف ؛ إذ لا معنى لنسخ الآية بالزكاة لعدم التنافي بينهما ؛ إذ يمكن أن تجب الزكاة مع الزائد كما يمكن أن تجب دون الزائد ؛ لتعلقها بمال الفقير ، أو يجب الزائد دون الزكاة ؛ لعدم كون مال الغني زكوياً . . .[2] .

خطط الامويين في مواجهة أبي ذر :

وقد اتبع الحكام آنذاك أساليب متعددة لضرب أبي ذر ، ولمواجهة الثورة التي بدأها رحمه الله ، ونستطيع أن نشير هنا إلى ما يلي :

١ ـ إن جمع الناس على مصحف واحد ، قد كان في نفس سنة استفحال

---

(١) راجع : دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ١٧٧ ، وفتح القدير ج ٢ في تفسير الآية . والكشاف ج ٢ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) راجع : دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ١٨٠ .

الخلاف بين السلطة وبين أبي ذر في سنة ثلاثين[1] .

ويلاحظ : أن عثمان قد أصر على حذف الواو من آية : ﴿ والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونها في سبيل الله . . ﴾ وهي نفس الآية التي كان أبو ذر يستشهد وينادي بها في الشوارع . . نعم . . أراد عثمان حذفها ليظهر : أن الآية خاصة بأهل الكتاب ، ولا تعم المسلمين ؛ لأن الواو إذا حذفت من قوله تعالى : ﴿ والذين ﴾ أمكن أن تكون مرتبطة بما قبلها ، وقد جيىء بها لبيان صفة للمذكورين في السابق وهم الاحبار والرهبان نعم . . لقد أصرّ عثمان على ذلك حتى لا تكون العبارة بمثابة قاعدة كلية ، وحتى اضطر أبي بن كعب إلى التهديد باللجوء إلى القوة .

فعن علباء بن أحمر : أن عثمان بن عفان لما أراد أن يكتب المصاحف أرادوا أن يلقوا الواو التي في براءة : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة . .﴾ قال أبي : لتلحقنها أو لأضعن سيفي على عاتقي ؛ فالحقوها[2] .

٢ ـ كما أننا نلاحظ : أن معاوية يصرّ ـ من جهته أيضاً «على تخصيص هذه الآية بأهل الكتاب ، وذلك ليكون معذوراً » في اجرائه قاعدته المعروفة عنه : إن مال الله له ؛ فلا حرج عليه أن يفعل في مال الله ما يشاء ؛ فرد عليه الاحنف ، وصعصعة[3]، وواجهوه بشكل سافر، لم يمكنه تحقيق ما كان يصبوا إلى تحقيقه .

وهذه القاعدة هي التي اختارها المأمون الذي عرضت عليه سيرة معاوية فرآه يأخذ المال من حقوقه ويضعه كيف يشاء . .[4] .

---

(١) راجع : الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١١

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٣ وقال : اخرجه ابن الضريس ، والميزان ج ٩ ص ٢٥٦ عنه .

(٣) النصائح الكافية ص ١٠٣ و ١٠٦ عن ربيع الأبرار ، وابن حجر ، والمسعودي ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٤٣ وليراجع حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٩ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٦ ، وإن كان الرواة قد زادوا في الرواية ما يكذبه كل الشواهد والدلائل التاريخية ، بل يكذبه نفس ما ذكره في حياة الصحابة ج ٢ ص ٨٠ و ٨١ والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٤٤٢ مما فعله بالحكم ابن عمرو الغفاري .

(٤) المحاسن والمساوىء للبيهقي ص ٤٩٥ ط صادر والحياة السياسية للإمام الرضا (ع) ص ١٨١ عنه

نعم لقد أصرّ معاوية على هذا ، وأصر أبو ذر على ذلك؛ ليمنع معاوية من التصرف ببيت مال المسلمين . . يقول زيد بن وهب : مررت على أبي ذر بالرّبذة ؛ فقلت : ما أنزلك بهذه الأرض ؟ قال : كنا بالشام ، فقرأت : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشّرهم بعذاب أليم ﴾ ، فقال معاوية :

ما هذه فينا هذه في أهل الكتاب ، قلت أنا : إنها لفينا وفيهم . .[1] .

وهكذا . . فإن نفي أبي ذر إلى الربذة إذن قد كان بسبب اصراره على شمول هذه الآية للمسلمين أيضاً : « ما عشت أراك الدهر عجباً » . .

ولكننا مع ذلك نجد العديد من العلماء يصرون على خلاف معاوية ، وتأييد نظرية أبي ذر ؛ فنجد القرطبي يصرّ على أن الآية تعم المسلمين ، كما يقول أبو ذر، يقول القرطبي : «قال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين ، وهو الصحيح ؛ لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال : ويكنزون » بغير : ﴿ والذين ﴾ فلما قال : والذين ، فقد استأنف معنى آخر يبين أنه عطف جملة على جملة ، فالذين يكنزون ، كلام مستأنف وهو رفع على الابتداء . .[2] .

ووافق أبا ذر أيضاً : « ابن عباس ، فقال : إنها عامة »[3] .

وقال الشوكاني : « والأولى حمل الآية على عموم اللفظ ، فهو أوسع من ذلك »[4] .

---

(١) صحيح البخاري في كتابي الزكاة والتفسير ، وفتح القدير ج ٢ ص ٣٥٨ وشرح المعتزلي ج ٣ ص ٢٦١ وج ٣ ص ٥٣ وصفة الصفوة ج ١ ص ٥٩٦ وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٦ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٣ عن : ابن سعد ، وابن أبي شيبة ، والبخاري ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ وابن مردويه والغدير ج ٨ ص ٢٩٥ عن البخاري ، والميزان ج ٩ ص ٢٥٧ عن الدر المنثور وفتح الباري ج ١ ص ١٤٨ وراجع البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٥

(٢) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٢٣ والغدير عنه

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢

(٤) فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٦

بل نجد البعض يتشدد في ذلك أكثر ويقول : إن المراد بها المسلمون الكانزون غير المنفقين، كما عن السدي[1].

كما واستنسبه الآلوسي ؛ ليناسب قوله تعالى : ﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾[2] .

وجوّز إرادة المسلمين الكانزين غير المنفقين ، الزمخشري والبيضاوي[3] إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه . . .

ومع أن هؤلاء كانوا أكثر تطرفاً من أبي ذر في تفسيرهم للآية ، إلّا إننا لم نجد أحداً وصمهم بالاشتراكية ، أو اتهمهم بالشيوعية ، ولا احتاجوا إلى من يؤوّل أقوالهم ، ولا إلى من يفسرو يوجه مواقفهم وأفعالهم ! ! . .

٣ ـ أسلوب الاقناع بالكف عما ينادي به ، ولأجل ذلك نجد معاوية يرسل إليه ـ وهو في الشام من يقنعه بذلك .

فقد كان أبو ذر يغلظ لمعاوية ؛ فشكاه إلى عبادة بن الصامت ، وإلى أبي الدرداء وإلى عمرو بن العاص، وام حرام، فقال: انكم قد صحبتم كما صحب ، ورأيتم كما رأى ؛ فإن رأيتم أن تكلموه ، ثم أرسل إلى أبي ذر فجاء ؛ فكلموه .

فقال : أما أنت يا أبا الوليد الخ . . الرواية التي تذكر نصحيته لهم ، حتى قال عبادة ابن الصامت : « لا جرم لا جلست مثل هذا المجلس أبداً »[4] .

٤ ـ اتباع أسلوب التهديد والوعيد ، بالفقر ، والجوع ، والقتل والفناء

---

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٢ عن ابن أبي حاتم ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢ والقرطبي ج ٢ ص ١٢٣ والغدير عنه

(٢) الغدير ج ٨ عن روح البيان ج ١٠ ص ٨٧

(٣) الكشاف ج ٢ ص ٢٦٦ والغدير ج ٨ عنه وعن البيضاوي ج ١ ص ٤٩٩.

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ١٤٧.

لأبي ذر ؛ فقد روى سفيان بن عينية ، من طريق أبي ذر ، قال : إن بني امية تهددني بالفقر ، والقتل ، ولبطن الأرض أحب إليّ من ظهرها ، وللفقر أحب إليّ من الغنى .

فقال له رجل : يا أبا ذر ، مالك ، إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك ؟

قال : إني انهاهم عن الكنوز[1] . . .

وقيامهم عنه إنما هو لنهي عثمان الناس عن مجالسته (رحمه الله).

فلماذا اختص بنو امية بتهديده بالقتل ، والجوع ، من دون سائر الأغنياء لو كان ـ حقاً ـ ينكر كل الغنى ؟ ! . .

إن الحقيقة هي كما يقول الاميني (رحمه الله) ؛ أن بني أمية هم الذين كانوا يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، على حسب تعبير علي عليه السلام[2].

وهم الذين عناهم يزيد بن قيس الأرحبي بقوله في صفين : « يحدث ، أحدهم في مجلسه بذيت وذيت ، ويأخذ مال الله ، ويقول : لا اثم علي فيه ، كأنما أعطي تراثه من أبيه ، كيف ؟ إنما هو مال الله أفاءه الله علينا بأسيافنا وأرماحنا»[3]؟

. . فبنوا أمية وحدهم هم المعنيون بكلام أبي ذر رحمه الله ومواقفه ، دون غيرهم .

٥ ـ محاولة نبذه اجتماعياً ، ومنع الناس من الاتصال به ، أو الاقتراب منه ؛ فعن ـ الاحنف بن قيس ، قال : « كنت بالمدينة ؛ فإذا أنا برجل يفرّ

---

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٢ ومسند أحمد ج ٥ ص ١٦٤ والغدير ج ٨ ص ٣٢١ عنه وعن تهديدهم إياه بالقتل راجع : الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٣ / ١١٤ ، وشرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٣ ص ٥٦ وغيره

(٢) نهج البلاغة في الخطبة الشقشقية.

(٣) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٥ ص ١٩٤ ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٩٨ والغدير ج ٨ ص ٣٤٤ . والنص للمعتزلي الحنفي .

الناس منه حين يرونه . قال : قلت : من أنت ؟ قال : أبو ذر . . الخ . . »[1] .

وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم تحت رقم ٤ فراجع .

٦ ـ ثم تعرض أبو ذر للنفي إلى الشام[2] . كأسلوب من أساليب الضغط عليه ، علّه يستسلم ، أو يملّ ، ولكن فألهم قد خاب ؛ فإن ذلك زاده صلابة في دينه ، وإيماناً بحقيّة موقفه . . .

٧ ـ من أسلوبهم في مواجهة الخطر الذي كان يتهددهم من قِبَل أبي ذر محاولة استدراج أبي ذر ، ليقبل بعض المال ، وليتسنى لهم فضحه أمام الملاء على اعتبار : أنه رجل لا ينسجم قوله مع فعله . . والظاهر : أن هذا كان قبل استفحال الأمر بينه وبين معاوية والهيئة الحاكمة . . .

وقبل قطعهم عطاءه ، قال ابن كثير وابن الأثير وأبو هلال العسكري : «وقد اختبره معاوية (رض) وهو عنده في الشام ، هل يوافق عمله قوله ؛ فبعث إليه في جنح الليل بألف دينار ، ففرقها من يومه ، ثم بعث إليه الذي أتاه بها ، فقال : إن معاوية إنما بعثني إلى غيرك فأخطأت ، فهات الذهب ، فقال : ويحك ، إنها خرجت ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به . . وأضاف ابن الأثير وأبو هلال العسكري ، قوله : فلما رأى معاوية أن فعله يصدق قوله : كتب إلى عثمان : إن أبا ذر قد ضيق على الخ . . »[3] .

وعثمان نفسه ، قد أرسل إلى أبي ذر « بصرة فيها نفقة على يد عبد له ، وقال : إن قبلها فأنت حر ؛ فأتاه بها ، فلم يقبلها . فقال : اقبلها يرحمك الله ؛ فإن فيها عتقي . فقال : إن كان فيها عتقك ففيها رقي . وأبى أن يقبلها »[4] .

---

(١) راجع مسند أحمد ج ٥ ص ١٦٤ و ١٧٦

(٢) شرح النهج للمعتزلي الحنفي ج ٨ ص ٢٥٥ / ٢٥٦ ومسند أحمد ج ٥ ص ١٥٦ و ١٤٤ و ١٧٨ ومصادر ذلك لا تكاد تحصى كثرةً

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٤ ، ١١٥ والأوائل / ج ١ ص ٢٧٧

(٤) لباب الآداب ص ٣٠٥

٨ ـ ثم قطع الحكام الامويون عطاء أبي ذر في محاولة منهم للضغط الاقتصادي عليه علّه يستسلم ويلين عملاً بمنطق : « جوع (. . .) يتبعك » فلم تنجح المحاولة ولم يستسلم أبو ذر ، بل صعد حملته الاعلامية ضد جشعهم واستئثارهم ؛ فكان لهم معه أسلوب آخر . . .

٩ ـ وهذا الاسلوب الآخر هو معاودة الإغراء بالمال ، بعد أن ذاق مسّ الحاجة والجوع . قال البلاذري ، والمعتزلي : « وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية ثلاثماءة دينار ، فقال : إن كانت هذه من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها »[١] .

فلما لم يفلح معاوية قام أحد أعوانه بمحاولة مماثلة فأرسل إليه حبيب بن مسلمة بثلاثماءة دينار فرفضها أيضاً[٢] .

كما أنه لما صار أبو ذر بالربذة أيضاً « ذهب إليه حبيب بن مسلمة وحاول أن يعطيه مالاً فرفض أيضاً »[٣] .

وقيل له : ألاّ تتخذ ضيعة ، كما اتخذ فلان وفلان ، فقال : وما أصنع بأن أكون الخ . .[٤] .

وحبيب هذا هو الذي نبه معاوية إلى الخطر المحدق به من قبل أبي ذر ، وأنه قد أفسد عليه الشام[٥] .

وعدا عن ذلك . . . فإن معاوية وحبيب بن مسلمة ربما كانا يهدفان ، من

---

(١) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٤ / ٥٥ وج ٨ ص ٢٥٦ والغدير ج ٨ ص ٢٩٣ عنهما

(٢) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٣ وصفة الصفوة ج ١ ص ٥٩٥ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٤ ، عن أحمد في الزهد ، والميزان ج ٩ ص ٢٥٧ عنه . وحلية الأولياء ج ١ ص ١٦١

(٣) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٣ ، ٥٤ وراجع حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٢

(٤) حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٣ .

(٥) شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٥ وج ٨ ص ٢٥٧ ، والغدير ج ٨ ص ٣٠٤ وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٣

وراء هذه العطايا إلى أنه لا يخلو الأمر : أما أن يسكت أبو ذر ، فهو المطلوب والمراد ، وأما أن لا يسكت فيصير لهما ذريعة قوية لتعرية أبي ذر ، وفضحه ، حتى لا يبقى لكلامه ولا لمواقفهم منه أية قيمة أو أثر يذكر.

ولكن أبا ذر قد رفض كل ذلك . . . وكيف لا يرفض ، وهو الذي عندما سأله الاحنف عن هذا العطاء أجابه بقوله : خذه فإن فيه اليوم معونة ، فإذا كان ثمناً لدينك فدعه . .[1].

بل إن عثمان نفسه . بعد أن فعل بأبي ذر ما فعل ، قد كرّر نفس المحاولة ، من أجل نفس ذلك الهدف . . حيث أرسل إلى أبي ذر مائتي دينار مع موليين له ، فقال أبو ذر : « هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني » ؟ قال : لا ؛ فردّها ، وقال لهما : أعلماه : إني لا حاجة لي فيها ، ولا فيما عنده ، حتى ألقى الله ربي ، فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه . .[2] .

١٠ ـ ثم كانت إعادة أبي ذر من الشام إلى المدينة على أخشن مركب، وقد تسلخ لحم فخذيه . كما أن عثمان حظر على الناس : أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلموه[3] .

وهذا اسلوب آخر للضغط على ذلك الصحابي الجليل ، انتهى بالفشل المزري والمهين . . . فكان بعد ذلك :

١١ ـ النفي إلى الربذة ذلك المكان الصعب ، الذي كان يكرهه أبو ذر من كل قلبه ، وعمل أبو ذر بوصية النبي (ص) له بأن يصبر حتى يلقاه ، فصبر على الشدائد، وكافح الصعوبات وتحمل كل هذه الاهانات القاسية، ولم يتنازل عن مبدئه ، ولم يساوم على دينه قيد شعرة ، ولكنه لم يلجأ إلى حمل السيف والقتال ؛ لأن النبي الأعظم (ص) الذي كان يعرف أن قتله لا يجدي ، كان يعرف أن الصبر حتى يلقاه خير من ذلك على حد تعبيره (ص) . . فالنبي (ص) يؤيد

---

(١) سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٥٩ ومسند أحمد ج ٥ ص ١٦٩ و١٦٧

(٢) قاموس الرجال ج ٢ ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ باختصار

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٧ وج ٨ ص ٢٥٩ عن الواقدي

موقف أبي ذر من الحكام ، ولا يمانع في أن يعلن رأيه في مخالفاتهم تلك . . ولكنه يرشد أبا ذر إلى أن هذا الإعلان لا يجب أن يتطور إلى القتال ؛ لأن ذلك ربما يضرّ بهدف أبي ذر الاسمى ، ومبدئه الأعلى . . أو على الأقل لن يكون له نفع يذكر .

نعم . . لقد تحمل أبو ذر مشاق النفي إلى الربذة أبغض الأمكنة إليه ، وأشدها صعوبة عليه . . . ولكنهم لم يتركوه ، بل لحقوه إلى هناك ، كما تقدم من فعل حبيب بن مسلمة ، ومحاولة إغرائه بالمال ؛ للأهداف المتقدمة . . كما أنهم حينما نفوه إلى الربذة :

١٢ ـ « اخرج معاوية إليه أهله ؛ فخرجوا ، ومعهم جراب مثقل يد الرجل . فقال : انظروا إلى هذا الذي يزهّد في الدنيا ما عنده ! فقالت امرأته : والله ، ما هو دينار ولا درهم ، ولكنها فلوس ، كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا . . »[1] .

وأخيراً . . وبعد تلك الجولة الطويلة في قضية أبي ذر ، فإنه يتضح مصداق قول علي عليه السلام ، والحسين ، وعمار له : أنهم خافوه على دنياهم ، وخافهم على دينه ، أو ما في معناه[2] .

ويعرف أيضاً : سر التأييد المطلق من قبل علي عليه السلام ، والحسين (ع) ، وعمار لأبي ذر رحمه الله وموقفهم القوي معه وإلى جانبه ويعرف أيضاً : لماذا كان النفي من بلد إلى بلد . ولماذا كان التهديد بالقتل وبالفقر . ولماذا الرشوة ولماذا كان قطع العطاء . . إلى غير ذلك . . . وأيضاً . . يعرف كيف أفسد الشام عليهم[3] . ولماذا كانت خشيتهم على المدينة »[4] . . . نعم . . إن كل ذلك

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١١٥ ، ١١٦

(٢) شرح النهج ج ٨ ص ٣٥٣ ، والغدير ج ٨ ص ٣٠١ عنه

(٣) راجع طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٨ ، وشرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ عن الواقدي وج ٣ ص ٥٦ واليعقوبي ج ٢ ص ١٧٢ والغدير ج ٨ ص ٢٩٨ / ٢٩٧ و ٣٠٠ و٣٠٦ عنه وعن عمدة القاري ج ٤ ص ٢٩١

(٤) فتح الباري ج ٣ ص ٢١٣ ، والغدير ج ٨ ص ٢٩٥ عنه

يتضح . . ولا يبقى مجال للإصغاء إلى قول لجنة الفتوى في الأزهر وغيرها ممن تقدم . .

من أن أبا ذر، إنما كان ينكر على الناس تملكهم فوق حاجتهم . . أو أنه كان يوجب إنفاق ذلك أو أنه كان يوجب الإنفاق في السبل الواجبة غير الزكاة . . أو أنه كان يدعو إلى الزهد في الدنيا إلى آخر ما تقدم . . .

رأي عمر في الأموال

والحقيقة هي أن ما نسب إلى أبي ذر ، من إيجابه انفاق كل ما زاد عن الحاجة ، والذي قلنا : إن نسبته إليه لا تصح . . هو نفس قول عمر بن الخطاب ، الذي لم يوفق إلى تطبيقه ، ورأيه الذي لم يخرج إلى حيز التنفيذ .

قال الرفاعي : « . . حرّم عمر بن الخطاب على المسلمين إقتناء الصنايع والزراعة ، لأن أرزاقهم ، وأرزاق عيالهم ، وما يملكون من عبيد وأموال ، كل ذلك يدفعه إليهم من بيت المال ؛ فما لهم إلى اقتناء المال حاجة . . »[1] .

بل لقد ورد عنه بسند وصفه ابن حزم بأنه : في غاية الصحة ، والجلالة ، قوله : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، لأخذت فضول أموال الأغنياء ؛ فقسمتها على فقراء المهاجرين ؛ ؛ »[2] .

وليلاحظ تخصيصه ذلك بأولاد المهاجرين ، دون أولاد الأنصار ، الذين بدأ تجاهلهم واهمالهم ، بل تفضيل غيرهم ، والتجني عليهم ـ بدأ ـ منذ وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأسباب لا تخفى أهمها :

١ ـ أثرهم في الإسلام وضربهم لقريش في بدر وغيرها ، الأمر الذي لم تستطع قريش رغم إظهارها الإسلام أن تغض النظر أو أن تتغاضى عنه .

---

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٢ والغدير عنه .

(٢) الغدير ج ٨ ص ٣٧٥ عن المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٨ ، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٣ .

٢ ـ وكذا مناصرتهم وميلهم لأمير المؤمنين عليه السلام ، منذ قضية السقيفة.

٣ ـ ثم هناك موقفهم في قضية سعد بن عبادة . . وغير ذلك من أمور . . .

ملاحظات أخيرة لبعض الأعلام :

وللعلامة المحقق السيد مهدي الروحاني في المقام ملاحظات ؛ لا بأس بها بالإشارة إليها هنا مع إضافات هامة حسبما يقتضيه المقام . والملاحظات هي :

أولاً : إن واقع القضية هو أن الأمويين لم يستطيعوا أن يقبلوا أبداً : أن المال مال الله ، ويجب انفاقه على عباد الله ، وفي سبيل الله ، بل كانوا يرون أن ما في بيت المال ملك لهم . ولهم فقط . ونستدل على ذلك .

١ ـ بما ورد : من أنه لما قتل عثمان أرسل علي عليه السلام فأخذ ما كان في داره من السلاح ، وابلاً من ابل الصدقة ، ورده إلى بيت المال ، فقال الوليد بن عقبة أبياتاً منها :

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند علي سيفه ونجائبه
بني هاشم كيف التودد بيننا ... وتبر ابن أروى عندكم وجوائبه

ومنها عند أبي الفرج :

بني هاشم لا تعجلوا بإقادة ، ... سواء علينا قاتلوه وسالبه
فقد يجبر العظم الكسير وينبري ... لذي الحق يوماً حقه فيطالبه[1]

وقال المفيد : « . . وقد ذكر الناس في هذه الا دراع والنجائب : إنها من الفيىء الذي يستحقه المسلمون ؛ فغلب عليها عثمان ، واصطفاها لنفسه ؛ فلما بايع الناس علياً انتزعها (ع) من موضعها ؛ ليجعلها في مستحقيها[2] .

---

(١) راجع : كتاب ؛ الجمل للشيخ المفيد ص ١١٢ والأغاني لأبي الفرج ج ٤ ص ١٧٦ ، و ١٧٥ ، و١٨٨ و ١٨٩ ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ١٣٩ / ١٤٠ .
(٢) كتاب الجمل للشيخ المفيد ص ١١٦ .

٢ ـ ويدل على ذلك أيضاً : قول سعيد بن العاصي : السواد بستان لقريش : فجرى بينه وبين صلحاء الكوفة ما جرى من اعتراضهم عليه ؛ فانتصر عثمان ، والامويون له . وكان لذلك مضاعفات ليس هنا محل ذكرها . .[١] .

٣ ـ ويدل عليه أيضاً قول معاوية المتقدم : إن مال الله لهم ، والأرض أرضهم ، فاعترض عليه صعصعة تارة ، والاحنف أخرى .

٤ ـ وكان ابن برصاء الليثي من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه ، وكان يسمر معه . فذكروا عند مروان الفيىء ، فقالوا : مال الله . وقد بين الله قسمه ، فوضعه عمر مواضعه !! فقال مروان : المال مال أمير المؤمنين معاوية ، يقسمه فيمن شاء ، ويمنعه ممن شاء ، وما أمضى فيه من شيء فهو مصيب فيه !! الحديث . . .[٢] .

وثانياً : إن هؤلاء الغيورين على الخليفة الثالث ، وعلى معاوية ، والامويين ، والذين وصموا أبا ذر من أجل ذلك بالشيوعية تارة وبالاشتراكية أخرى ، وجعلوه مخالفاً لما ثبت ضرورة من الدين ثالثة ـ إن هؤلاء ـ قد ابتلوا بنفس ما وصموه به ، حتى لقد دخلت الشيوعية إلى نفس الأزهر ـ صاحب لجنة الفتوى الحاكمة على أبي ذر ـ وفي دوائر الأوقاف في مصر (كما يقول صلاح الدين المنجد في كتابه : بلشفه الإسلام) بل إن ثمة ما هو أعظم من ذلك وأدهى . . حيث نجد شيخ الأزهر عبد الحليم محمود يذهب بنفسه لاستقبال الزعيم الشيوعي ، الكسي كوسيجين ، رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، في مطار القاهرة ، ولا من يرد ولا من يسمع . . .

وثالثاً : إنه يقول : إن حقيقة الأمر هي : أنه بعد أن دخلت خلافه عثمان في جملة عقائد بعض الفرق ، ورأى أصحابها ما فعله الخليفة بأبي ذر الصحابي

---

(١) راجه الغدير ج ٩ ص ٣١ / ٣٢ فإنه قد ذكر لذلك العديد من المصادر .

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٤٢٢ بتصرف . ونقله المعلق على نسب قريش عن : الأغاني ج ٤ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ وعن الطبري ج ٢ ص ٢٧٨ وعن الإصابة .

العظيم ، لم يكن لهم ، مناص إلّا أن ضحوا بأبي ذر من أجل الحفاظ والابقاء على عثمان ، فنسبوا إليه ما نسبوا مما لا يشك بفساده أحد .

خاتمة واعتذار :

وبعد . . فقد كانت تلك دراسة موجزة عن حقيقة رأي أبي ذر في الأموال وقد رأينا : إنه لم يكن له رأي يخالف ما عليه جمهور الصحابة ، وتنطق به ضرورة الإسلام ، والقرآن . . . وإن كل ما ينسب إليه من آراء تخالف رأي الإسلام ، والقرآن ما هو إلّا محض افتراء وكذب ، لا حقيقة له ، ولا واقع وراءه . . وإنما نسبة ذلك إلى غيره أحق وأولى ، وأبين وأظهر . . .

وإنني إذ أعتذر للقارىء الكريم عن كل هفوة أو تقصير . . . فإنني اعتز باهتمامه بمطالعة ما كتبت ومتابعته . .

ومن الله نستمد العون والقوة ، وهو الموفق والمسدد .

١٤٠٠/٢/٢٥ هـ

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم . . . . . .

٢ ـ الأغاني . . . . . لأبي الفرج الأصفهاني

٣ ـ انساب الأشراف . . . . . للبلاذري

٤ ـ الأوائل . . . . . لأبي هلال العسكري

٥ ـ البداية والنهاية . . . . . لابن كثير

٦ ـ تاريخ الأمم والملوك . . . . . للطبري

٧ ـ تاريخ الخميس . . . . . للديار بكري

٨ ـ تاريخ اليعقوبي . . . . . لابن واضح

٩ ـ تفسير ابن كثير . . . . . لابن كثير

١٠ ـ تفسير القرطبي ..... للقرطبي
١١ ـ تفسير روح البيان ..... للآلوسي
١٢ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ..... لابن بدران
١٣ ـ الثقات ..... لابن حبان
١٤ ـ الجمل ..... للشيخ المفيد
١٥ ـ حلية الأولياء ..... لأبي نعيم
١٦ ـ الحياة السياسية للإمام الحسن (ع) ..... للمؤلف
١٧ ـ الحياة السياسية للإمام الرضى ..... للمؤلف
١٨ ـ حياة الصحابة .....
١٩ ـ الخراج ..... لأبي يوسف
٢٠ ـ الدر المنثور ..... للسيوطي
٢١ ـ دلائل الصدق ..... للمظفر
٢٢ ـ السنن ..... لأبي داود
٢٣ ـ السنن الكبرى ..... للبيهقي
٢٤ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
٢٥ ـ صحيح البخاري ..... للبخاري
٢٦ ـ صفة الصفوة ..... لابن الجوزي
٢٧ ـ الصواعق المحرقة ..... لابن حجر الهيتمي
٢٨ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
٢٩ ـ عصر المأمون ..... للرفاعي
٣٠ ـ الغدير ..... للامين
٣١ ـ فتح الباري ..... للعسقلاني
٣٢ ـ فتح الغدير ..... للشوكاني
٣٣ ـ الفتوح ..... لابن أعثم
٣٤ ـ فجر الإسلام ..... لأحمد أمين
٣٥ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
٣٦ ـ الكامل ..... لابن الأثير

٣٧ ـ الكشاف ..... للزمخشري
٣٨ ـ كشف الأستار عن مسند البزار ..... للهيثمي
٣٩ ـ مجمع الزوائد ..... للهيثمي
٤٠ ـ المحاسن والمساوىء ..... للبيهقي
٤١ ـ المحلى ..... لابن حزم
٤٢ ـ مروج الذهب ..... للمسعودي
٤٣ ـ المستدرك على الصحيحين ..... للحاكم
٤٤ ـ مسند أحمد ..... لابن حنبل
٤٥ ـ مشاكلة الناس لزمانهم ..... للمسعودي
٤٦ ـ المغازي ..... للواقدي
٤٧ ـ الميزان ..... للطباطبائي
٤٨ ـ نسب قريش ..... لمصعب الزبيري
٤٩ ـ النصائح الكافية ..... لمحمد بن عقيل
٥٠ ـ نهج البلاغة ..... (جمع الشريف الرضي)

ضرب النقود في الإسلام

٢٣/ صفر ١٣٩٦ هـ.

يقول المؤرخون : إن عبد الملك بن مروان ، هو أول من ضرب النقود في الإسلام . ويوردون في سر ذلك حكاية طويلة نلخصها بما يلي :

إن الكسائي دخل على الرشيد فوجد بين يديه مالاً كثيراً ، فأمر بتفريقه في خدمة الخاصة . وكان بيده درهم تلوح كتابته ، وهو يتأمله .

فقال : هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة ؟ قال الكسائي قلت : يا سيدي هو عبد الملك بن مروان . قال فما كان السبب في ذلك ؟ قلت : لا علم لي غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة . .

فقال الرشيد : سأخبرك . . كانت القراطيس[1] للروم ، قال : وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين ملك الروم ، وكانت تلك القراطيس تطرز بالرومية ، وكان طرازها : « باسم الأب ، والإبن ، وروح القدس » .

فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان قبله ، حتى أيام عبد الملك ؛ فتنبه له ، وكان فطناً . . . فعندما ترجم له : أنكره ، وقال : ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام . . إلى أن قال : فكتب عبد الملك لعامله على

---

(١) نوع من البُرُد ، ويقال للصحيفة قرطاس أيضاً .

مصر : عبد العزيز بن مروان يأمره بإبطال ذلك الطراز ، على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك ، وأن يأمر صناع القراطيس : أن يطرزوها بصورة التوحيد : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » .

وكتب إلى عمال الافاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء بالضرب الوجيع ، والحبس الطويل . .

فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد ، وحمل إلى بلاد الروم ، ومنها انتشر الخبر ، ووصل إلى ملكهم ، فترجم له ذلك الطراز الإسلامي ؛ فأنكره وغلظ عليه ، واستشاط غيظاً . . فكتب إلى عبد الملك يطلب منه أن يرجع الطراز إلى حالته الأولى ، وأرسل إليه بهدية . . .

فرد عبد الملك الهدية والرسول ، وأعلمه أن لا جواب له .

فأضعف ملك الروم الهدية ، وأرجع الرسول إلى عبد الملك ، ومعه رسالة أخرى فرد عبد الملك الهدية والرسول ، ولم يجبه أيضاً . .

فغضب ملك الروم، وكتب إليه: إنه يقسم بالمسيح: «لتأمرنّ برد الطراز إلى ما كان عليه ، أو لآمرن بنقش الدراهم والدنانير ؛ فإنك تعلم أنه لا ينقش منها شيء إلا ما ينقش في بلادي ؛ فينقش عليها شتم نبيك الخ . . » .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه الأمر ، وغلظ ، وضاقت عليه الأرض وقال : « أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام ؛ لأني جنيت على رسول الله (ص) من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب » إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم .

فجمع عبد الملك أهل الإسلام ، واستشارهم ؛ فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به . . فقال له روح بن زنباغ : إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ، ولكنك تتعمد تركه . . فقال : ويحك ، من ؟ . فقال : عليك بالباقر من أهل بيت النبي (ص) . قال : صدقت ، ولكنه ارتج على الرأي فيه . .

فكتب إلى عامله بالمدينة : أن أشخص إلى محمد بن علي بن الحسين مكرماً ، ومتعه بمأتى ألف درهم لجهازه وبثلاثمأة ألف درهم لنفقته ، وأزح علته في جهازه ، وجهاز من يخرج معه من أصحابه .

وحبس رسول ملك الروم عنده إلى موافاة محمد بن علي . فلما وافاه أخبره الخبر . .

فقال الباقر : لا يعظم هذا عليك ؛ فإنه ليس بشيء من جهتين : احداهما : إن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله (ص) . والأخرى وجود الحيلة فيه . . فقال عبد الملك : وما هي ؟! . .

قال : « تدعو في هذه الساعة بصناع يضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد ، وذكر رسول الله (ص) . احدهما : في وجه الدارهم والدنانير . والآخر : في الوجه الثاني . وتجعل في مدار الدرهم والدنانير ذكر البلد الذي يضرب فيه ، والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير . .

وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً ، من الثلاثة الأصناف : التي العشرة منها عشرة مثاقيل ، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل ، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل . . فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً ؛ فتجزئها من الثلاثين ؛ فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل . وتصب سنجات من قوارير ، لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان ؛ فتضرب الدراهم على وزن عشرة ، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل . . » .

وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنما هي الكسروية ، التي يقال لها اليوم : « البغلية » ؛ لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية في الإسلام . . منقوش عليها صورة الملك ، وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية « نوش خُر » أي كل هنيئاً . وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً ، والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل ، والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي «السيمرية» الخفاف والثقال ، ونقشها نقش فارس . .

ففعل عبد الملك ذلك . . وأمره الباقر : أن يضرب السكك في جميع بلدان الإسلام ، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها ، وأن يتهددوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك ، من الدراهم والدنانير وغيرها . وأن تبطل ، وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد على السكك الإسلامية . .

ففعل عبد الملك ذلك ، ورد رسول ملك الروم إلى آخر القصة . . ، وقال الرشيد للكسائي في آخرها : وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين إلى اليوم[1] .

هذه هي القصة التي أوردوها لاثبات : أن عبد الملك هو أول من ضرب الدراهم والدنانير في الإسلام . .

* * *

ولكن هذه الرواية لا تخلو من مأخذ هامة ، تجعلنا نقف منها موقف الحذر وذلك لأننا حتى لو غضضنا النظر عن :

١ ـ أنه يفهم من هذه الرواية : أن الرشيد وحده هو الذي أزاح الستار عن هذه الأحداث الهامة ، والتي تشتمل على مادة خصبة للرواة ونقلة الأخبار ، والتي تنص على تلك المكاتبات بين عبد الملك ، وملك الروم ، وشيوع أمر تغيير الطراز حتى وصل الخبر إلى ملك الروم ، ثم جمع عبد الملك لأهل الإسلام واستشارته لهم والأهم من ذلك التجاؤه إلى خصومه وخصوم عرشه أهل البيت لحل هذه المشكلة حتى لقد قال جرجي زيدان : «فلم يشأ أن يستنجد أحد أئمة بني هاشم ـ وهم مناظروه في الملك ـ لكنه لم يربدا من استقدامه الخ . . » .

فكيف بعد ذلك كله ينحصر مصدر الرواية بالرشيد ، عدو الامويين وأهل

---

(١) راجع : المحاسن والمساوىء للبيهقي ج ٢ ص ٢٣٢ فما بعدها ط القاهرة ، وط صادر ص ٤٦٨ وهامش اللمعة ط النجف ج ١ ص ٥١ فما بعدها ، وتاريخ التمدن الإسلامي المجلد الأول ص ١٣٦ واكملها ص ١٤٠ وحياة الحيوان ج ١ ص ٥٣ فما بعد ، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الأول ص ٤٥٩ عنه ، وعن العقد المنير ص ١٨ وهامش ص ٧ من شذور العقود . .ونسبها ابن الأثير وأبو هلال العسكري في الأوائل ، والسيوطي وغيرهم لخالد بن يزيد الاموي . وهو خطأ والقصة موجودة أيضاً في أعيان الشيعة .

البيت معاً ؟! أم يمكن أن يكون الناس قد خافوا من الامويين ، ثم من العباسيين وحتى الكسائي ـ خافوا ـ أن يظهروا أمراً يتضمن فضيلة لأحد أئمة أهل البيت ؟! .

فكيف إذن . . وصلت لنا فضائل علي وسواه من أهل البيت عليهم السلام رغم اجتهاد الامويين وغيرهم في طمسها ونقضها ؟! . .

٢ ـ إن الرواية تنص على أن أهل مصر كان أكثرهم نصارى . . مع أنه كان قد مضى على فتح مصر أكثر من نصف قرن ؟!! . .

٣ ـ تنص الرواية على أن عبد الملك لم يجب ملك الروم على رسالتيه في أمر الطراز . . وهو أمر غريب !! فلماذا لا يجيبه حتى ولو بالنفي ؟!! .

٤ ـ يلاحظ : أن الرواية تحاول التأكيد على فطانة عبد الملك ، وعلى غيرته الشديدة على الإسلام . . فهل يفهم من هذا أنه كان أغير ، وأفطن من الخلفاء الذين سبقوه ، فهو أكثر فطنة من الخليفة الثاني عمر ، الذي تنص الرواية نفسها على أن أبا البغل قد ضرب الدراهم الكسروية له ؟!! .

٥ ـ هل ثمة من سر يكمن في المقابلة بين ما تنص عليه الرواية من أن عبد الملك قد تهدد على مخالفة أمره في الطراز بالضرب ، والحبس الطويل . . وبين نصها على أن الإمام قد أمر بالتهديد بالقتل لكل من يخالف ما رسم في أمر السكة والنقود ؟!! .

أحسب أن الأمر لا يخلو من شيء ما !! هو الذي اقتضى إظهار الإمام بمظهر القاسي الذي لا يرحم ، وعبد الملك بخلافه !! .

٦ ـ يلاحظ : أن الرواية تهتم كثيراً في إعطاء أهمية قصوى لما قام به عبد الملك فهل هو من أجل أن توحى للناس بوجوب أخذ هذا الأمر مأخذ الجد بهدف تصديقه بالنسبة لعبد الملك ، وإبعاد الأنظار عن المتبني الحقيقي لقضية النقود الإسلامية ؟!! كما سيأتي .

إننا سوف نغض النظر عن كل ذلك وسواه من نقاط الضعف ، التي يمكن

استخلاصها من هذه الرواية . .

ونكتفي بتسجيل نقاط أربع ، رأينا : أنها جديرة بالتسجيل نظراً لاهميتها ، وهذه النقاط هي :

أولاً : إن هذه الرواية تنص : على أن ملك الروم قال لعبد الملك : إنه لا ينقش من الدراهم والدنانير شيء إلا ما كان ينقش في بلاده ، وعبد الملك يصدق بذلك ويخاف منه ؛ حيث إنه لا يمحي سب النبي (ص) بعد من مملكة العرب أصلاً . .

مع أن الرواية نفسها تنص على أنه كان هناك ثلاث فئات من الدراهم الكسروية متداولة في ذلك الوقت . . كما أن الدنانير الكسروية كانت متداولة فيي تلك الفترة بكثرة أيضاً . .

فكيف يكون موقفنا من هذا التناقض الموجود في الرواية ؟! .

ولماذا الخوف من عبد الملك ؟! ولماذا لا يرفض عملة الروم كلياً ويأمر بتداول النقد الفارسي الكسروي فقط إلى أن يجد الوسيلة التي تضيع على ملك الروم أهدافه وما كان قد عقد العزم عليه ؟! . .

وإذا كان قد أمر بتغيير الطراز ؛ فلماذا لا يأمر بتغيير النقد ؟!

وأين كانت عنه حينئذ فطانته وحنكته المدعاة ؟! وأيضاً لماذا لا يعلن على الملأ كذب ملك الروم في دعواه تلك ؟! .

ولماذا ؟! ولماذا ؟ إلى آخر ما هنالك . .

ثانياً : إن هذه الرواية تنص : على أن أول من ضرب النقد الإسلامي هو عبد الملك ، وقد أكد ذلك وأصر عليه عدد من المؤرخين والباحثين . . وذكروا : أن عمر كان قد ضربها في سنة ١٨ هـ على النقش الكسروي ، ووجدت نقود مضروبة في سنة ٢٨ هـ أي في عهد عثمان على النقش الكسروي أيضاً . وقالوا : إن معاوية أيضاً قد ضرب نقوداً على النقش الكسروي وبعده ضربها مصعب بن الزبير

على النقش ذاته فعندهم : أن أول من ضرب النقد الإسلامي هو عبد الملك ، خامس خلفاء الامويين . .

ولكننا لا نستطيع أن نقبل هذا الرأي ، ونحن نرى أن هناك ما يثبت خلافه ، وبعد هذا الرأي عن الصواب . . ويدل على أن أول من ضرب النقد الإسلامي هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، صلوات الله وسلامه عليه . . أما قبله ، فقد أمر عمر بن الخطاب بضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها باعيانها مع بعض الزيادة الطفيفة وذلك في سنة ثمانية عشرة[1] .

ومما يدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من ضرب النقد الإسلامي ، ما قاله جودت باشا : «إن المسلم عند أهل العلم : أن الذي أحدث ابتداء ضرب السكة العربية هو الحجاج بأمر عبد الملك ، حين كان والياً على العراق من قبله (٧٥ - ٧٦) .

ولكن ظهر خلاف هذا عند الكشف الجديد في سنة ١٢٧٦ ؛ وذلك أن رجلاً إيرانياً اسمه جواد ، أتى دار السعادة بسكة فضية عربية ، ضربت في البصرة سنة ٤٠ من الهجرة . والفقير رأيتها بين المسكوكات القديمة عند صبحي بك أفندي ، مكتوب على أحد وجهيها بالخط الكوفي : ﴿ الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وفي دورتها : « محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » . وعلى الوجه الأخر : ﴿ لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴾ وفي دورتها : « ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة ٤٠ »[2] . انتهى .

وصبحي باشا هو : أحد الوزراء العثمانين . .

وقال الحلواني المدني : لم يثبت في الرواية الصحيحة : أن أحداً من الخلفاء الأربعة ضرب سكة أصلاً إلا علي بن أبي طالب ، فإنه ضرب الدراهم على ما

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٧ ص ٤٩٩ .

(٢) التراتيب الإدارية ج ١ ص ٤٢١ و٤٢٢ والعقد المنيرج ١ ص ٤٤ . وحول ما كتب على النقود راجع : تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ أيضاً .

نقله صبحي باشا المورد لي في رسالة له رسم صورة فيها ذلك الدرهم ، وعزا ذلك إلى لسان الدين ابن الخطيب في الاحاطة[1] .

وفي نص آخر : « وفي خلافة علي سنة ٣٧ ، وكتب فيها ولي الله ، وفي سنة ٣٨و٣٩ بسم الله ربي ، وفي درهم بالخط الكوفي في جانب منها : ﴿ الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . وفي دورته : محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون . وفي الجانب الآخر : ﴿ لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴾ وفي دورته ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة أربعين »[2] .

وقال الكتاني : وفي مكتبتنا في قسم النقود دراهم مكتوبة بالكوفي عليها ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ . وفي آخر الكتابة اسم « علي » ، يقطع الناظر المتأمل فيها ، وفي كتابتها ، ونقشها القديم : أنها لعلي بن أبي طالب »[3] .

ونقل السيد الأمين ، والشيخ عباس القمي ، عن دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٧ ص ٩٠٤ عند الكلام على المسكوكات العربية ما ترجمته :

«إن أول من أمر بضرب السكة الإسلامية هو الخليفة علي بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة ، الموافقة لسنة ٦٦٠ مسيحية ، ثم أكمل الأمر بعده عبد الملك الخليفة سنة ٧٦ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٩٥ مسيحية »[4] انتهى .

وقد وجدت نقود مسكوكة في زمن عبد الملك في سنة ٧٧ ، وهو دينار

---

(١) التراتيب الإدارية ج ١ ص ٤١٨ / ٤١٩ عن رسالة نشر الهذيان من تاريخ جرجي زيدان ص ٥ .
(٢) التراتيب الإدارية ج ١ ص ٤٢٠ عن وفيات الأسلاف ص ٣٦١ .
(٣) التراتيب الإدارية ج ١ ص ٤٢٢ .
(٤) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٩٩ ذيل حالات أمير المؤمنين (ع) ، تحت عنوان : « أول من ضرب السكة الإسلامية ، وهدية الأحباب للقمي ص ١١١ عند ذكر البيهقي لكن الأول ذكر : أن طبعة دائرة المعارف هي الـ ٢٣ والثاني ذكر أنها الـ ١٣ وليراجع : العقد المنيرج ١ ص ٤٥ .

ذهبي[1] . وفي سنة ٧٩ وهو دينار أيضاً . وسنة ٨٠ وهو درهم فضي[2] .

ويلاحظ أن النقش الذي وجد عليها هو بذاته النقش الذي ضربه الإمام علي في سنة ٤٠ هـ .

وإذا تحقق لدينا أن أول من ضرب النقد الإسلامي هو علي عليه السلام ، وأن عبد الملك عندما واجه تلك المشكلة مع ملك الروم ما بين سنة ٧٤ هـ و٧٧ هـ إنما رجع ـ بإشارة أحد أحفاد علي (ع) ـ إلى ما كان عليه السلام قد بدأه ـ إذا تحقق لدينا ذلك ـ .

وعرفنا : أن معاوية قد عاد وضرب النقود على السكة الكسروية ، بمجرد استقلاله بالحكم ، وبالذات في سنة ٤١ ، أي بعد ضرب علي عليه السلام للسكة الإسلامية بسنة واحدة فقط . . فإننا نعرف : أن معاوية قد حاول هو ومن تبعه من الامويين وأشياعهم ، وغيرهم كآل الزبير ـ كما أوضحته المكتشفات من مسكوكاتهم ـ حاول معاوية وهؤلاء ـ طمس السكة الإسلامية التي ضربها الإمام علي عليه السلام ، واخفاءها ؛ ظلماً للحقيقة ، تجنياً على التاريخ لا لشيء إلا لأن ذلك من آثار علي الذي يكرهونه كل الكره ، ويمقتون كل ما كان من قبله ، ومن آثاره . .

وقد وجد النقد الذي ضربه معاوية ، وصوّره جرجي زيدان في تاريخ تمدنه ، وصوّره أيضاً صاحب العقد المنير ، وغيرهما . . وإذا به قد استبدل ذلك الذي قد سنّه علي (ع) في النقش على النقد . . من ذكر الله ورسوله حسبما تقدم ـ استبدله ـ بنقد[3] نقش عليه صورته متقلداً سيفه ، وفي نص آخر : أنه نقش عليه صورته وصورة خالد بن الوليد متقلدين سيفيهما . وفي نص ثالث : أن على أحد وجهيه : تصوير خسروا برويز ، مكتوب على جانبه الأيمن داخل الدائرة بالخط

---

(١) العقد المنير ج ١ ص ٥٢ عن كتاب الدينار الإسلامي ص ١٨ / ١٩ ومجلة المقتطف جزء ٩ من المجلد الرابع .

(٢) مستمسك العروة الوثقى ج ١ ص ٥٧١ / ٥٧٠ ط ٣ .

(٣) راجع : التراتيب الإدارية ج ١ ص ٤١٩ و٤٢٢ وج ٢ ص ٦٩ عن المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية ج ١ ص ٢٥٣ و١٥٢ وعن تاريخ جودت باشا المقدمة ص ٢٧٤ .

البهلوي « معاوية أمير ورويش نيكان » أي معاوية أمير المؤمنين ، وخارج الدائرة بالخط الكوفي : « بسم الله » وعلى جانبه الأيسر بالخط البهلوي أيضاً « افزوتو » .

وعلى الوجه الآخر : تصوير لبيت النار ، وعلى طرفيه الرجلان المراقبان للنار، وقد كتب داخل الدائرة على الجانب الأيمن بالخط البهلوي كلمة : «دان» المخففة من دار ابجرد ، مدينة الضرب ، وعلى الجانب الأيسر : « يه جهل » أي ٤١ سنة الضرب[1] .

وهكذا . . يتضح أن معاوية قد حاول أن يعجل في محو كل ما هو من آثار على ولو كان ذلك بالعودة إلى نقش بيت النار ، وغير ذلك مما تقدم وإذا كان ذلك ليس غريباً على الحجاج بالنسبة لمصعب ، حيث غير السكة التي ضربها مصعب ، وقال « ما نبقى من سنة الفاسق أو المنافق شيئاً »[2] . . فما الذي يجعل ذلك غريباً على معاوية الذي جعل سب علي على المنابر سنة يهرم عليها الكبير ويشب عليها الصغير ؟! .

ثالثاً : إن هذه الرواية تقول : إن الإمام الباقر هو الذي أمر عبد الملك بذلك . وإن روح بن زنباغ إنما أشار على عبد الملك به . . وهذا غير مقبول :

لأن البعض يقول : إن عبد الملك قد ضرب النقود سنة ٧٤ هـ[3]

والبعض الآخر يقول : أنه ضربها في سنة ٧٥ هـ[4] وفريق ثالث يرى أن ذلك كان في سنة ٧٦ هـ وقال البلاذري : « عبد الملك بن مروان أول من ضرب

---

(١) راجع : تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ ص ١٣٥ والعقد المنير ج ١ ص ١٩٤ تجد صورة هذا النقد وصرح المقريزي أيضاً بعودة معاوية إلى النقد الكسروي ، فراجع . .

(٢) راجع : العقد المنير ج ١ ص ٤٧ عن النقود العربية ص ٣٣ . وراجع : نور القبس ص ٢٩٦ وفتوح البلدان للبلاذري القسم الثالث ، بتحقيق صلاح الدين المنجد ص ٤٧٥ والعراق في العصر الاموي ص ٨٢ عن المقريزي في شذور العقود.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري قسم ٣ ص ٥٧٤ و ٥٧٥ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ٤٢١ والعقد المنير ج ١ ص ٤٩ .

(٤) مآثر الانافة ج ٣ ص ٣٤٥ وتاريخ الخلفاء ص ٢١٨ والبحر الزخار ج ٣ ص ٥٠ عن التخليص عن ابن سعد في الطبقات ، والتراتيب ج ١ ص ٤١٧ و ٤٢١ عن الطبقات ، وعن المدائني .

الذهب والورق بعد عام الجماعة»[1] وعلى كل حال فإنهم متفقون على أن ضرب عبد الملك للنقود كان ما بين الـ ٧٤و ٧٧ وعليه فإننا إذا ما أضفنا إلى ذلك : أن ولادة الباقر (ع) كانت في سنة ٥٧ هـ . ووفاة والده زين العابدين (ع) كانت سنة ٩٤ هـ ، فإننا سوف نرى : أن عمر الباقر حين ضرب النقود كان ما بين ١٧و ١٩ سنة ؛ فهو في مقتبل عمره ؛ ولم يكن له بعد من الشهرة ما يغطي على شهرة أبيه ، ولا من الشخصية ما يضارع شخصيته ، ولا كان ذكره قد سار في الآفاق بحيث يغطي على أبيه ، إلى حد أنه يهمل أمره ، وتذهب منزلته لا سيما وأن أباه كان يتمتع باحترام كبير جداً ، وشهرة واسعة ، فاقت كل ذلك الذي منحه الناس وبالاخص الامويون لأي من أبنائه ، بل وحتى آبائه الطاهرين . . فالظاهر : أن صاحب هذه القضية مع عبد الملك هو الإمام زين العابدين بالذات ، وليس هو الإمام الباقر (ع) . .

قال الصعدي : «قال في الانتصار: وأول من ضرب الدارهم في الإسلام عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين من الهجرة، وكان السبب في ذلك: أن القرطاس كان يحمل إلى الروم، وكان يكتب على عنوانه: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فشق ذلك على صاحب الروم لما كان كافراً؛ فكتب إلى عبد الملك: أما أن تزيلوا ما تكتبون على القرطاس، أو يأتيكم على الدراهم ما تكرهون. فتحير عبد الملك في الجواب؛ فاستحضر علي بن الحسين زين العابدين؛ فاستشاره في ذلك. فقال: حرم التبايع إلا بما تضربه من الدراهم، فبطل بذلك كيد صاحب الروم. فأمر أن يكتب عليها ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخر السورة غيظاً للروم» انتهى وفي الشفاء نحو حديث الدراهم[2].

وقد صرح بذلك الشهيد رحمه الله في البيان ، في باب زكاة النقدين ، حيث قال : « والدنانير في الدينار بزنة المثقال ، وهو لم يختلف في الإسلام ولا

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري القسم الثالث ص ٥٧٦ .
(٢) راجع : جواهر الأخبار والآثار المطبوع بهامش البحر الزخار ج ٣ ص ١٥٠

قبله ، وفي الدرهم : ما استقر عليه في زمن بنى امية بإشارة زين العابدين الخ . . »[1] .

وحكى في الوسائل ذلك عنه في الذكرى . .

كما أن صاحب الجواهر قد صرح في كتاب الزكاة ، في مسألة أن عشرة دراهم سبعة مثاقيل : بأن ذلك كان بإشارة زين العابدين عليه السلام . .

وقال ابن كثير وهو يتحدث عن السجاد : « وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق ، فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه في أمر السكة ، وطراز القراطيس . . »[2] .

ويؤيد ذلك : أن في بعض نسخ المحاسن والمساوىء قوله : « الباقي من أهل بيت النبي » . بدل : الباقر من . . . الخ . . وقوله : إلى موافاته علياً ؛ فلما وافاه أخبره الخبر ؛ فقال له على الخ . . » بدل قوله : موافاة محمد بن علي . . وفقال له محمد بن علي الخ . .[3] .

لكن باقي ما في الرواية بقى على حاله . .

وبعد كل الذي قدمناه نقول : إن كون زين العابدين هو المشير على عبد الملك هو الحق الذي لا محيص عنه . .

بقى علينا أن ننظر في الأمر الرابع والأخير ؛ فنقول : وأما :

رابعاً : فلقد ذكرت هذه الرواية : أن عبد الملك قد أمر عامله على المدينة : أن يعطي الباقر !! مئتي ألف درهم لجهازه ، وثلاث مئة ألف درهم لنفقته !! . .

فلماذا هذا السخاء العظيم من عبد الملك ؟!

فهل هو لأجل نفي تهمة البخل عنه ، والتي جعلت المؤرخين يعتبرونه أول

---

(١) البيان ط هجرية ص ١٨٥ .
(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٤ .
(٣) العقد المنير ج ١ ص ٧٢ / ٧٣ .

من بخل ، حتى كان يقال له : رشح الحجر ؛ لبخله[1] ؟!

أم إننا يمكن أن نصدق : بأن ذلك أمر طبيعي ، تقتضيه الحاجة ولا سيما بملاحظة أن الإمام لا بد وأن يصطحب معه جماعة من أصحابه ، يحتاجون إلى مثل هذه النفقة ومثل ذلك الجهاز ؟! . .

هل يمكن أن نصدق بذلك ، ونحن نرى الشعراء ، وغيرهم يسافرون المسافات الطويلة ، والتي لا تقل عن هذه المسافة ، طمعاً بالالف درهم ، فما دون ؟! . . وأي قافلة مهما عظمت تحتاج إلى عشر هذا المبلغ ، بل إلى أقل منه بكثير في وقت كانت النقود فيه ذات قيمة عظيمة ، والقليل منها يقضي من الحاجات الكثير ؟! وإذا كان هذا السخاء غير طبيعي ولا مقبول . . فهل يقصد من إظهاره التدليل على مدى اهتمامه بالإسلام ، وغيرته على المسلمين ؟! . .

أم أن المقصود منه مجرد التعظيم والتهويل ، ليدخل في روع الناس أن عبد الملك هو أول من ضرب النقود الإسلامية حقاً ؟! . .

أم إنهم يريدون أن يلفتوا الأنظار إلى حسن سلوك عبد الملك وحقيقة معاملته وإحسانه حتى لالد خصومه ، وخصوم دولته . . العلويين ؟!!

إن ما بأيدينا من الدلائل والشواهد يؤيد هذا الاحتمال الأخير ويدعمه . ولكن وأيا كانت الحقيقة فإن النتيجة التي نستطيع أن نستخلصها بعد جولتنا هذه ، والرأي الذي يمكننا أن نطمئن إليه في هذه القضية هو :

١ ـ إن عبد الملك ليس هو أول من ضرب النقود الإسلامية وإنما الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . .

٢ ـ إن معاوية في محاولته لطمس ذلك واخفائه قد عاد وضرب النقود على النقش الكسروي . .

٣ ـ إن قضية عبد الملك مع ملك الروم ـ بعد تطهيرها من تلك الشوائب

---

(١) مآثر الانافة في معالم الخلافة ج ٣ ص ٣٤٦ .

التي علقت بها عمداً أو عن غير عمد ـ قد أربكت عبد الملك ، فاستشار السجاد ، وليس الباقر ؛ فأشار عليه بأن يعود إلى ما رسمه علي عليه السلام من ضرب النقود بالسكة الإسلامية ، وأن ينقش عليها نفس ما نقشه علي عليه السلام ؛ ففعل عبد الملك ذلك .

مصادر البحث

١ ـ أعيان الشيعة ..... للسيد الأمين
٢ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ..... لأسد حيدر
٣ ـ الأوائل ..... لأبي هلال العسكري
٤ ـ البحر الزخار ..... لابن المرتضى
٥ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
٦ ـ البيان والتبيين ..... للجاحظ
٧ ـ تاريخ التمدن الإسلامي ..... لزيدان
٨ ـ تاريخ الخلفاء ..... للسيوطي
٩ ـ التراتيب الإدارية ..... للكتاني
١٠ ـ جواهر الأخبار والآثار ..... للصعدي
١١ ـ حياة الحيوان ..... للدميري
١٢ ـ العراق في العصر الاموي .....
١٣ ـ العقد المنير .....
١٤ ـ فتوح البلدان ..... للبلاذري
١٥ ـ اللمعة (هامشها) .....
١٦ ـ مآثر الأنافة ..... للقلقشندي
١٧ ـ المحاسن والمساوىء ..... للبيهقي
١٨ ـ المستمسك ..... للسيد الحكيم
١٩ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ..... لجوادعلي
٢٠ ـ نور القيس ..... لليغموري
٢١ ـ هدية الأحباب ..... للقمي

خرافات وأساطير

قصة أرينب بنت إسحاق

من القصص التاريخية الشائعة بين الناس قصة أرينب بنت إسحق ، زوجة الأمير العراقي عبد الله بن سلام . .

وهي قصة بديعة وطريفة بحد ذاتها ، حتى ولو لم تقرأ بأسلوب العلايلي في كتابه « أيام الحسين »[1] ، الذي حاول أن يضفي عليها من خياله ما شاءت له مقدرته وهي بذاتها وبدون أية محسنات ، تأخذ بمشاعر القارىء وتستبد بأحاسيسه . .

وملخص هذه القصة : أن يزيداً عشق أرينب بنت إسحاق وشكا إلى وصيف لمعاوية اسمه رفيق تباطؤ أبيه في أمره ، وتفريطه فيه ، فاعلم ذلك الوصيف أباه معاوية بشكواه هذه ، التي لم يعرف سببها فقال معاوية : علي به ، وكان معاوية إذا أتته الأمور المشكلة المعضلة ، بعث إلى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها ، واستسهال معضلاتها ، فلما جاءه الرسول قال : أجب أمير المؤمنين ، فحسب يزيد أنه إنما دعاه إلى تلك الأمور التي يفزع إليه منها ، ويستعين برأيه عليها . . فجاء وسأله معاوية عن سر شكواه هذه وكان من جملة ما قاله له : « فأي ولد أعق منك وأكيد وقد علمت أني تخطأت الناس كلهم في

---

(١) راجع : الإمام الحسين ، الحلقة الثالثة ابتداء من ص ٥٠٣ ، وذكرها ملخصاً ابتداء من ص ١٣٣ .

تقديمك ، ونزلتهم لتوليتي اياك ، ونصبتك إماماً على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم، وفيهم من عرفت، وحاولت منهم من علمت؟!!».

فشكا إليه حبه لارينب التي كان قد شاع فضل جمالها ، وكمال أدبها بين الناس وقال: انه يرجو أن لا يدع أبوه النظر له في أمرها، ولكنه ترك ذلك حتى استنكحها عبد الله بن سلام، (مع أنه لم يكن قد أخبره بحبه لها قبل هذا الوقت) . .

فأمره بكتمان أمره ، قال : وكانت أرينب بنت اسحاق مثلاً في أهل زمانها في جمالها ، وتمام كمالها ، وشرفها ، وكثرة مالها . .

ثم أرسل إلى عبد الله بن سلام القرشي ، الذي تزوجها ، والذي كان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل . . وكان معاوية قد استعمله على العراق ـ أرسل إليه ـ أن أقدم لأمر حظك فيه كامل . . فقدم ، ونزل منزلاً كان قد أعده له . . وطلب من أبي هريرة وأبي الدرداء أن يخبرا عبد الله بن سلام أن معاوية يريد أن ينكحه ابنته لدينه ، وفضله ، ومروءته وأدبه . . وأنه كان قد وعدها أن يجعل لها في نفسها شورى . . فخرج أبو هريرة وأبو الدرداء من عند معاوية إلى عبد الله بن سلام ، وأخبراه بالأمر ، ففرح ، ثم أرسلهما إلى معاوية خاطبين ، فأعرب لهما معاوية عن رضاه وسروره وقال لهما : قد كنت أعلمتكما بالذي جعلت لها في نفسها من الشورى ، فأدخلا إليها ، وأعرضا عليها الذي رأيت لها . .

قال : وكان معاوية قد أوصاها أن تظهر رغبتها في هذا الأمر وأنه لا يمنعها منه إلا أن تحت ابن سلام أرنيب بنت اسحاق . . وأنها لا تتزوجه إلا إذا فارقها . .

فعندما جاءاها يعرضان عليها ذلك أجابتهما بذلك ؛ فأعلما عبد الله بن سلام بالأمر ، فطلق زوجته أرينب ، وأشهدهما على ذلك . . وأرجعهما إليه خاطبين أيضاً فخطبا . . وأعلما معاوية بطلاق عبد الله لزوجته ، فأظهر كراهته لذلك . . وصرفهما ، ليعودا إليه في وقت آخر ، وكتب إلى يزيد يعلمه بما جرى .

فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته ، وسؤالها عن رأيها لأنه كان قد جعل لها في نفسها شورى . . فقالت لهما : إنها تريد أن تسأل عنه وتستخير . . بعد أن سمعت منهما تقريظاً لعبد الله وما هو عليه من الفضل ، وكمال المروءة ، وكرم المحتد ـ سمعت منهما ـ ما القول يقصر عن ذكره . . واعترفت هي له بذلك حيث قالت لهما : « . . وأنه في قريش لرفيع . . » .

فخرجا عنها ، وأعلماه بالأمر . . وشاع الأمر بين الناس ، ولم يشك أحد في غدر معاوية إياه . .

فاستحث ابن سلام أبا هريرة وأبا الدرداء ، وسألهما الفراغ من أمره ، فأتياها ، فقالت لهما : إنها سألت عنه فوجدته غير ملائم ، مع اختلاف الناس الذين استشارتهم فيه بين ناه عنه وآمر به . . فأعلماه بالأمر فهلع ساعة ، واشتد عليه الهم ، ثم انتبه فحمد الله ، وأظهر الرضا بقضاء الله . .

قال : وذاع أمره في الناس ، وشاع ، ونقلوه إلى الأمصار وتحدثوا به في الأسمار ، وفي الليل والنهار ، وقالوا : خدعه معاوية حتى طلق امرأته ، وإنما أرادها لابنه ، فلما بلغ معاوية ذلك قال : لعمري ما خدعته . .

فلما انقضت أقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد ، حتى قدمها ، وبها يومئذ الحسين بن علي (ع) ، سيد أهل العراق فقهاً ومالاً وجوداً وبذلاً ، فأحب أبو الدرداء أن يلقاه قبل أن يقوم بأي عمل ؛ فأتى الحسين ، فلما رآه الحسين ، قام إليه فصافحه إجلالاً له ، ومعرفته لمكانه من رسول الله ، وموضعه من الإسلام ، وقال له : أحدثت لي رؤيتك شوقاً إلى رسول الله (ص) وأوقدت مطلقات أحزاني عليه ، فإني لم أر منذ فارقته أحداً كان له جلياً ، وإليه حبيباً ، إلا هملت عيناي ، وأحرقت كبدي أسى عليه ، وصبابة إليه ؛ ففاضت عينا أبي الدرداء لذكر رسول الله ، وقال : جزى الله لبانة أقدمتنا عليك ، وجمعتنا بك خيراً ، ثم أخبره بما وجهه به معاوية ، فطلب منه الحسين أن يخطب عليه وعلى يزيد ، ولتختر من اختاره الله لها ، وأن يعطيها

من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه ، ففعل أبو الدرداء ذلك . . وطلب منها أن تختار ، فسكتت طويلاً ، ثم قالت : يا أبا الدرداء ، لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب ، لا شخصت فيه الرسل إليك ، واتبعت رأيك ، ولم أقطعه دونك على بعد مكانك ، وبعد دارك . .

فاختار لها ابن بنت رسول الله ، فتزوجها الحسين ، وساق إليها مهراً عظيماً ، وقال الناس ، وبلغ الأمر إلى معاوية فتعاظمه ذلك جداً ، ولام أبا الدرداء لوماً شديداً .

قال : وكان عبد الله بن سلام قد اطرحه معاوية ، وقطع جميع روافده عنه لسوء قوله فيه ، وتهمته إياه على الخديعة ، فلم يزل يجفوه ويغضبه ، ويكدي عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره ، وقل ما في يده ، ولام نفسه على المقام لديه . فخرج من عنده راجعاً إلى العراق . .

وكان له مال عند أرينب كان استودعها إياه ، وكان يتوقع أن تجحده لسوء فعله بها ، وطلاقه إياها على غير شيء انكره منها . . ولكنه مع ذلك لقي الحسين ، وذكر له المال ، وطلب منه أن يذكر لها أمره ، ويحضها على رد ماله إليه ، فسكت عنه الحسين ، وانصرف إلى أهله ، وذكر لها الأمر ، وحضها على أداء ماله إليه فاعترفت بأنه كان قد استودعها مالاً ، ولكنها لا تدري ما هو ، وأنه لمطبوع عليه بطابعه ما أُخِذَ منه شيء فأثنى عليها الحسين خيراً ، وأدخل عبد الله عليها ؛ لتبرأ إليه من المال كما دفعه إليها ؛ فأخرجت البدرات ، ووضعتها بين يديه ، وقالت له : هذا مالك ، فشكر لها ، وأثنى عليها ، وخرج الحسين ، ففض عبد الله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدر حثوات ، وقال : خذي ، فهذا قليل مني لك ، واستعبرا جميعاً ، حتى تعالت أصواتهما بالبكاء أسفاً على ما ابتليا به ، فدخل الحسين عليهما وقد رق للذي سمع منهما ؛ فقال : أشهد أنها طالق ثلاثاً ، اللهم إنك تعلم أني لم استنكحها لمالها ولا جمالها ، ولكني أردت إحلالها لبعلها الخ . . ولم يأخذ مما ساق إليها في مهرها قليلاً ولا كثيراً ، وقد كان عبد الله سأل أرينب التعويض على الحسين فلم يقبل عليه السلام ، فتزوجها

عبد الله بن سلام ، وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله ، وحرمها الله على يزيد ، والحمد لله رب العالمين . .

هذا ملخص ما ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[1] عن هذه القصة . . ولم أذكرها بطولها لأن ذلك لا يتسع له المجال هنا ونحن نشك في صحة هذه الرواية ونكاد نقطع أنها مفتعلة . .

أما الدوافع التي نعتقد أنها الباعثة على افتعال هذه الرواية ، فلسوف نتعرض إلى جانب منها في أواخر هذا البحث .

وأما ما نستند إليه في حكمنا على هذه الرواية بالاختلاق والافتعال فيتلخص فيما يلي :

١ ـ إن أحد الشخصيات البارزة في هذه الرواية هو أبو الدرداء وإذا رجعنا إلى تاريخ وفاة أبي الدرداء فإننا نجد أنه لا يساعد على صحة هذه الرواية . .

وذلك لأنهم يقولون : انه توفي قبل عثمان بسنتين ، قيل توفي سنة ثلاث ، أو اثنين أو أربع أو واحد وثلاثين بدمشق وقيل توفي بعد صفين سنة ثمان أو تسع وثلاثين ، والأصح والأشهر ، والأكثر عند أهل العلم وأهل الحديث أنه توفي في خلافة عثمان ، بعد أن ولاه معاوية قضاء دمشق[2] .

واستدل ابن الأثير على أصحية موته في خلافة عثمان بقوله : « لو بقي لكان له ذكر بعد مقتل عثمان ، أما في الاعتزال ، وأما في مباشرة القتال ، ولم يسمع له بذكر فيهما البتة[3] .

---

(١) الإمامة والسياسة ابتداء من ص ١٦٦ ، ج ١ طبع الحلبي . . ونهاية الإرب ج ٦ ابتداء من ص ١٨٠ ، ولكن قال إن اسمها زينب ، والاتحاف بحب الأشراف للشبراوي ابتداء من ص ٧٩ وابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص ١٧٢ / ١٨٠ وثمرات الأوراق ص ٢٢٩ / ٢٣٥ ، والإلمام ج ٣ ص ١٦٠ ـ ١٦٨ .

(٢) راجع : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٦٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٦٠ ، وج ٥ ص ١٨٦ ، والاستيعاب هامش الإصابة ج ٣ ص ١٧ ، ١٨ وج ٤ ص ٦٠ .

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ١٦٠ . ولعل من مؤيدات بقاء أبي الدرداء إلى سنة ثمان ، أو تسع وثلاثين ما رواه نصر في صفينه والدينوري في الأخبار الطوال من أن معاوية أرسل أبا الدرداء ، وأبا أمامة =

وعلى أي من التقادير ، سواء اعتمدنا القول الأصح والأشهر ، أم اعتمدنا القول الآخر ، فإن هذه الحادثة غير متصورة تاريخياً ؛ لأن صريح هذه الرواية أن هذه القضية وقعت بعد البيعة ليزيد بولاية العهد ، أي بعد سنة ٤٩ التي فيها توفي الإمام الحسن (ع)[1] ، أي بعد مضي سنوات عديدة على وفاة أبي الدرداء فكيف يكون أبو الدرداء أحد أبطالها !

٢ ـ إذا كانت وفاة أبي الدرداء هي ما ذكرنا ، وإذا كانت ولادة يزيد نفسه سنة ٣١ على ما يقوله المسعودي[2] وغيره أو في سنة ٢٧ ، أو ٢٦ كما يقوله آخرون[3] فإن ابن سنة واحدة أو أربع أو خمس ، أو اثني عشر على اختلاف النسب والأقوال لا يكون مؤهلاً لما أهلته له هذه الرواية من ذلك العشق المضني ، والهوى الجارف ولا يكون مؤهلاً أيضاً لتلك النقاشات القوية ، التي جرت بينه وبين أبيه معاوية اللهم إلا إذا كان قد أوتي الحكم صبياً ! .

ولا يكون مؤهلاً أيضاً لأن يكون مستشاراً ومفزعاً لأبيه في المعضلات ، والأمور العظام ، حسبما نصت عليه هذه الرواية . .

٣ ـ وبعد ما تقدم ؛ فإنه حتى لو كانت وفاة أبي الدرداء في سنة ثمان ، أو تسع وثلاثين فالحسين (ع) لم يكن في هذه الفترة سيد أهل العراق ، فقهاً ، ومالاً ، وجوداً وكرماً ؛ وذلك لوجود أبيه علي ، وأخيه الحسن عليه السلام

= الباهلي إلى علي ، يطلب منه أن يسلم إليه قتلة عثمان ، فأقبلا إلى علي فأخبراه بذلك ؛ فاعتزل من عسكره زهاء عشرين ألف رجل ، فصاحوا جميعاً : « نحن قتلنا عثمان » ، فخرج أبو الدرداء ، وأبو أمامة ، فلحقا ببعض السواحل ، ولم يشهدا شيئاً من تلك الحروب (راجع : قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٩٣ ـ ٩٥)

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٨ ، والإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٠ ، ١٥١ بل في مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧ : أنه إنما بايع ليزيد بولاية العهد سنة ٥٩ ، وعلى هذا فأبو هريرة أيضاً لم يكن حينئذ حياً !!! .

(٢) راجع مروج الذهب ج ٣ ص ٥٣ ويؤيده كلام ابن حزم في (نقط العروس) المقتضى لكون يزيد تولى الخلافة ، وعمره ما بين العشرين والثلاثين سنة على ما ذكره عنه في مآثر الانافة ج ١ ص ١١٦ .

(٣) راجع : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ ومآثر الانافة ج ١ ص ١١٧ ، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٦ .

اللذين هما أعرف وأشهر منه في مختلف الجهات . . وذلك لأن وفاة علي (ع) كانت سنة ٤٠ هـ . .

٤ ـ قد ذكرت هذه الرواية بطلاً آخر لا بد من ملاحظة دوره هنا وهذا البطل هو : « عبد الله بن سلام » . . وذكرت أنه كان والياً على العراق من قبل معاوية . .

ولقد راجعت العديد من كتب التاريخ ، فلم أجد فيمن استعملهم معاوية على العراق ، ولا على غيره من الأمصار طيلة فترة حكمه ، رجلاً يحمل اسم : عبد الله بن سلام . رغم عناية المؤرخين الفائقة في ذكر المعزولين ، والمولّين عاماً فعاماً على مختلف الولايات والأمصار .

٥ ـ هذه الرواية تنص على أن عبد الله بن سلام كان والياً على العراق من قبل معاوية . . وكلنا يعلم أن العراق لم يدخل في حكم معاوية إلا في سنة ٤١ ، أي بعد صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام وبعد وفاة أبي الدرداء بمدة طويلة . .

٦ ـ ولقد راجعت عدداً من كتب الرجال والتاريخ ، فلم أجد ذكراً إلا لثلاثة رجال باسم عبد الله بن سلام ، اثنان منهما زمانهما متأخر عن تلك الفترة ، لكونها ممن عاش في القرن الثاني ، والثالث هو عبد الله بن سلام الحبر اليهودي وهذا الأخير لا يمكن أن يكون مراداً لعدة أمور :

فأولاً : هو ليس قرشياً ، والرواية تنص على قرشية بطلها المذكور . . وهذا اسرائيلي أنصاري ، وكان من بني قينقاع .

وثانياً : إن هذا قد توفي سنة ٤١ ، حسب قول أبي ريه[1] وسنة ٤٣ حسب قول آخرين[2] فحينئذ نقول فيه نفس ما قلنا أولاً وثانياً، وثالثاً، فراجع . .

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٠ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٧ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٧٧ ، والاستيعاب هامش الإصابة ج ٢ ص ٣٨٢ ، والإصابة ج ٢ ص ٣٢٠ ، نقلاً عن الطبري . والهيثم بن عدي وابن سعد ، وأبي عبيد ، والبغوي ، وأبي أحمد العسكري ، وغيرهم . .

وثالثاً : الظاهر أن الحسين قد انصرف بعد سنة ٤١ مع أخيه الحسن إلى المدينة ولم يكن بالعراق . . وعندما كان فيه لم يكن هو سيد أهل العراق مع وجود أخيه الحسن ، ووالده علي من قبل . .

ورابعاً : إن سن عبد الله بن سلام الاسرائيلي كان في هذه الفترة عالياً ، وكان شيخاً كبيراً ، وهذا لا يتناسب مع ما توحي به هذه الرواية من الغرام المتبادل بينه وبين زوجته أرينب ، التي كانت في ريعان الصبا ، والتي عشقها يزيد ، قبل أن يتزوجها عبد الله ! .

وكيف تقدم طفلة يضرب بجمالها المثل ، وتسير به الركبان على الاقتران بشيخ كبير ، ثم تغرم بحبه ، حتى تفضله على كل أحد حتى على ولي عهد المسلمين ! .

وخامساً : لا نعلم أن هذا الحبر اليهودي قدم العراق أصلاً وليس فيما بأيدينا من كتب التاريخ والرجال ما يشير إلى ذلك . .

٧ ـ اسلوب الرواية غريب وعجيب ، وهو أشبه بأسلوب القصة التي تؤنق وتنمق في مجالس السمر والسهر ، ويبدو عليها الاصطناع واضحاً جلياً ، إذا ما قورنت بنظائرها من القصص والروايات التاريخية . . وعلى كل فإن الاسلوب المسرحي التمثيلي المصطنع هو الصفة الطاغية على الرواية ولا سيما بملاحظة بعض التعبيرات التي فيها مما لا يكاد يخفى على أحد . . فليراجع العرض الكامل لها في كتاب : الإمامة والسياسة وغيره مما تقدم .

٨ ـ يلاحظ في الرواية أن طلاق الحسين (ع) لارينب ـ الوهمي ـ قد جاء موافقاً للطريقة التي لا يرتضيها أهل البيت (ع) وليست من مذهبهم . . ولا عرفت عنهم إلا في حالات نادرة من تقية ونحوها مما ليس محله هنا . .

٩ ـ تعظيم الحسين الشديد لأبي الدرداء ، الذي لم يعرف بعلاقاته الطيبة

مع أهل البيت ، بل كان على العكس من ذلك ـ إن صح التعبير ـ فلقد كان من المتعاطفين مع الامويين ، إن لم نقل إنه كان من المتحمسين لهم لا سيما بملاحظة أن معاوية كان قد ولاه قضاء دمشق . . وملاحظة ثناء معاوية عليه ، حيث نراه يقول عنه : « إلا أن أبا الدرداء أحد الحكماء »[1] ويثني عليه أيضاً حسب رواية ولده يزيد عنه ، فيقول : « إن أبا الدرداء من الفقهاء العلماء ، الذين يشفون من كل داء »[2] .

وقد رأينا كيف أنه اعتزل حرب صفين ، ولم يحارب إلى جانب علي عليه السلام ولعل المقصود لهم من هذا هو أن يظهروا أبا الدرداء بصورة عظيمة ، ويضفوا عليه هالة من الجلال والمكانة ، ليتأيد به العرش الاموي ، ويتقوى به ، كما كان الحال بالنسبة لكعب الاحبار ، وتميم الداري ، واضرابهم . .

هذا . . وأخيراً فقد بقيت مواضع عديدة ملفتة للنظر في هذه الرواية نذكر منها :

ما ذكر من مكانة ومنزلة عبد الله بن سلام في قريش ، ومكانته من معاوية بالخصوص!! .

وأيضاً : أن يزيداً يشكو أباه على تقصيره في أمره بالنسبة لارينب حتى تزوجها رجل آخر مع العلم بأن أباه لم يكن يعلم بحبه لها ! وإنما كان هو يتوقع أن يخطبها له لمجرد اشتهار جمالها وكمالها وأدبها . .

وكذلك كون أرينب مثلاً في أهل زمانها في جمالها الخ !!

مع العلم بعدم وصول ذلك إلينا إلا من طريق هذه الرواية، رغم اعتناء كتب الأدب والتاريخ بهذه الأمور عناية فائقة! .

وأيضاً كيفية الأخذ والرد بين معاوية وبين عبد الله بن سلام ، وكيفية المحاورات التي جرت بينهما وما يتضمن ذلك من أن عبد الله خطبها من معاوية

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١١٥ .
(٢) الاستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٦٠ .

أكثر من مرة رغم أن معاوية كان هو الذي طلب من عبد الله هذا الأمر عن طريق أبي الدرداء ورفيقه .

وكذلك قوله وكتب إلى يزيد يعلمه بما جرى ! أين كان يزيد آنئذ عن هذه المسرحية ، ولماذا أبعده عنه مع أنه هو المستشار له في المعضلات ، والمفزع له في الملمات ! .

وإذا كان قد ذاع أمره بين الناس ، وشاع ، ونقلوه إلى الامصار ، وتحدثوا به في الأسمار ، وفي الليل والنهار ، فلماذا يغفل عن ذكر قضيته التي لا تدانيها طرافة وغرابة أية قضية أخرى . . أشهر المؤرخين كالطبري وابن الأثير ، وابن كثير واليعقوبي والمسعودي واضرابهم ! . مع اهتمامهم الشديد بكل غريبة ، وإيراد كل عجيبة لا سيما إذا كانت تتعلق بخلفاء بني أمية وبني العباس ، وترتبط بهم ! .

وكيف ينكر معاوية أنه قد خدع عبد الله بن سلام ! .

ولماذا اختارت أن ترسل لاستشارة أبي الدرداء في أمرها حتى ولو كان في أقاصي البلاد ، وهل كان من أهل قرابتها ، وأهل نحلتها وبلادها ، وماذا يمثل أبو الدرداء في أمر كهذا ! .

إلى آخر ما هنالك مما لا يتسع المجال لذكره هنا .

وأما إذا أردنا أن نتكلم عن الدوافع التي دعت إلى وضع هذه الرواية فلعلنا نستطيع أن نضيف إلى بعض ما ذكرناه سابقاً ، وإلى إرادة إظهار دهاء معاوية ، وحسن دراية يزيد الذي كان أهلاً لأن يستشيره أبوه في المعضلات ، ويستعين به على الملمات ـ لعلنا نستطيع أن نضيف إلى ذلك ـ إرادة تخفيف حدة اللوم الذي يتوجه إلى يزيد بقتله الإمام الحسين ، وذلك بسبب وجود إحن وأحقاد قديمة ، كان الحسين هو السبب في وجودها لا سيما وأن ما أقدم عليه الحسين كان بمثابة صدمة عاطفية ، وطعنة تجلاء في صميم قلب يزيد ، الذي برح به الهوى ، والظ به الشوق . . وواضح أن ذلك يعتبر من الأسباب الرئيسة في تخفيف فظاعة الجريمة ، ومضاعفة عقابها ، وبعد ذلك يأتي الحديث الذي ثبت

عند ابن كثير! : «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم»[1]! .

وكان على رأس هذا الجيش ـ كما يدعونه كذباً ـ يزيد بن معاوية قاتل الحسين ، وهادم الكعبة ومبيح المدينة ثلاثة أيام ، واللاعب بالقرود وشارب الخمر وتارك الصلاة و والخ .

فيزيد هذا إذن مغفور له ! . عجيب ! ، وألف عجيب ! .

هذا . . بالإضافة إلى أمور أخرى ذكروها بالنسبة لمعاملة يزيد الحسنة لآل بيت الحسين ولو لا أن المقام يطول لتعرضنا إلى جانب منها ، وبينا خطله وفساده . .

وقد يبدو هذا الذي جعلناه من دوافع وضع هذه الرواية غريباً للوهلة الأولى ويصعب قبوله والتسليم به . .

ولكننا إذا رأينا : أن كاتباً إسلامياً مشهوراً ، ومشهوداً له بحسن النظر ، ودقة الملاحظة ـ كالاستاذ العقاد ـ إذا رأيناه . . يقول ـ بعد أن أرجع أسباب التنافس بين الحسين ويزيد إلى الترات الموروثة . فالسياسة ، فالعاطفة الشخصية ! فإلى اختلاف الخليقة ، والنشأة والتفكير يقول تحت عنوان : زواج الحسين :

« . . . وكأنما كانت هذه المنافسة المؤصلة الجذور لا تكفي قصاص التاريخ فأضاف إليها أناس من ثقاتهم ! قصة منافسة أخرى ، هي وحدها كافية للنفرة بين قلبين متآلفين ، وهي قصة زواج الحسين رضي الله عنه ، من التي كان يهواها يزيد هوى ادنفه واعياه . . » .

ثم بعد أن ساق هذه القصة قال :

« فإن صحت هذه القصة ، وهي متواترة في تواريخ الثقات !!

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٢٩ .

فقد تم ما نقص من النفرة والخصومة بين الرجلين »[1] . .

وطبعاً يريد العقاد أن يقول ، ويستنتج من ذلك أن هذه النفرة والخصومة هي السبب في الذي كان ، مما لا يجهله أحد . .

ولا نستغرب على العقاد مثل هذه الاستنتاجات ، لا سيما وأننا رأيناه يحاول تبرير حرب الجمل ، التي اهريق فيها دماء الآلاف الكثيرة من المسلمين الأبرياء ـ يحاول تبريرها ـ بما يرجع إلى أسباب عاطفية كانت من أسباب العداء بين ام المؤمنين (رض) وبين علي عليه السلام ، على اعتبار أنه عليه السلام كان قد أشار على النبي (ص) في قضية الافك بطلاقها . . وإذن فمن الطبيعي أن تحقد عليه أم المؤمنين بسبب هذه المشورة غير الموفقة ـ على حد تعبيره ـ[2] ولا يكون ثمة أية غضاضة في وقوفها ضده ، بعد أن تكتمل الدواعي ، وتتعاضد الأسباب لذلك . .

* * *

هذا . . وأخيراً ، فقد وردت هذه الرواية بنحو آخر ، ونسبت إلى الإمام الحسن عليه السلام ، ونعتقد فيها بمثل اعتقادنا في قصة أرينب ، ونأمل أن نوفق لبحثها فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

مصادر البحث

١ ـ ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون . . . . . .

٢ ـ أبو الشهداء الحسين بن علي (ع) . . . . . للعقاد

٣ ـ الاتحاف بحب الأشراف . . . . . للشبراوي

٤ ـ الاستيعاب . . . . . لابن عبد البر

---

(١) أبو الشهداء الحسين بن علي للعقاد ص ٣٧ ، وص ٣٩ .
ويلاحظ هنا أنه يريد أن يوحي للقارىء بصحة هذه الرواية . وبذلك يضمن العقاد صحة استفاداته واستنتاجاته منها ! .

(٢) راجع كتاب : الصديقة بنت الصديقة للاستاذ العقاد .

٥ ـ أسد الغابة ..... لابن الأثير
٦ ـ الإصابة ..... للعسقلاني
٧ ـ أضواء على السنة المحمدية ..... لابي رية
٨ ـ الإلمام ..... للاسكندراني
٩ ـ الإمام الحسين ..... للعلايلي
١٠ ـ الإمامة والسياسة ..... لابن قتيبة
١١ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
١٢ ـ تاريخ الخلفاء ..... للسيوطي
١٣ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
١٤ ـ ثمرات الأوراق ..... لابن حجة الحموي
١٥ ـ الصديقة بنت الصديق ..... للعقاد
١٦ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
١٧ ـ الفتوح ..... لابن أعثم
١٨ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
١٩ ـ مآثر الانافة ..... للقلقشندي
٢٠ ـ مروج الذهب ..... للمسعودي
٢١ ـ نهاية الارب ..... للنويري

أين دفن النبي (ص) في بيت عائشة أم في بيت فاطمة (عليها السلام)

كتب هذا البحث بتاريخ:
٦ جمادي الثانية ١٤٠٠ هـ

بسم الله الرحمين الرحيم والحمد لله ، والصلاة على محمد وآله . . وبعد فقد :

قال ابن كثير : « قد علم بالتواتر : إنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها ، شرقي مسجده ، في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة ، ثم دفن بعده أبو بكر ، ثم عمر (رض) . . »[1] .

وقضية دفنه (ص) في بيت عائشة موجودة في صحيح البخاري وغيره عن عائشة عموماً . . وعن ابن اختها عروة ابن الزبير ، كما يلاحظ في أكثر الروايات . . .

أما نحن فنشك في ذلك كثيراً ، وذلك :

أولاً : لأن بيت عائشة لم يكن في الجهة الشرقية من المسجد لأمرين :

احدهما : أن خوخة آل عمر الموجودة في الجانب القبلي في المسجد ، وهي اليوم « يتوصل إليها من الطابق الذي بالرواق الثاني من اروقة القبلة ، وهو الرواق الذي يقف الناس فيه للزيارة أمام الوجه الشريف بالقرب من الطابق المذكور. . »[2] .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير / ج ٤ ص ٥٤١ .
(٢) راجع كل ذلك في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٧٠٦.

ـ هذه الخوخة ـ قد وضعت في بيت حفصة الذي كان مربداً ، وأخذته بدلاً عن حجرتها حين توسيع المسجد . .

وقد كان دار حفصة في قبلي المسجد[1] وكان بيت حفصة بنت عمر ملاصقاً لبيت عائشة من جهة القبلة[2] .

« والمعروف عند الناس أن البيت الذي على يمين الخارج من خوخة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة »[3] .

وعلى هذا . . فيكون بيت عائشة في قبلي المسجد لا في شرقيه حيث يوجد القبر الشريف، أي أنه يكون في مقابله وبينه وبينه فاصل كبير . .

الثاني : مما يدل على أن بيت عائشة كان في جهة القبلة من المسجد من الشرق ، ما رواه ابن زبالة ، وابن عساكر ، عن محمد بن أبي فديك ، عن محمد بن هلال : إنه رأى حجر أزواج النبي (ص) من جريد ، مستورة بمسوح الشعر، فسألته عن بيت عائشة. فقال : كان بابه من جهة الشام. قلت: مصراعاً كان أو مصراعين؟ قال: كان باب واحد.

وفي عبارة ابن زبالة : مستورة بمسوح الشعر ، مستطيرة في القبلة ، وفي المشرق والشام ليس في غربي المسجد شيء منها الخ . .

وقال ابن عساكر : وباب البيت شامي[4] . فيستفاد من ذلك :

ألف : ما قاله المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني :

« قولـه في الحديث (فسألته عن بيت عائشة) في هذا دلالة على أن الحجرة التي دفن فيها النبي (ص) لم تكن بيت عائشة ، إذ فيه دلالة على أن السائل يعلم أن بيتها لم يكن في الموضع الذي دفن فيه النبي (ص) . . ولذلك فهو

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٧٢ .
(٢) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٤٣ .
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٧١٩ .
(٤) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٤٢ و٤٥٩ و٤٦٠ .

يسأل عن موضع بيتها فيما عدا البيت الذي دفن فيه النبي (ص) ليعرفه أين يقع . . » انتهى .

باء : إن من المعلوم أن الجهة الشامية للمسجد هي الجهة الشمالية منه كما صرّحت به الرواية آنفاً ـ ويدل على ذلك أيضاً قول ابن النجار : « قال أهل السير : ضرب النبي (ص) الحجرات ما بينه وبين القبلة ، والشرق إلى الشام ، ولم يضربها في غربيه ، وكانت خارجة عنه مديرة به ، وكانت أبوابها شارعة في المسجد»[1]. وأيضاً «وجه المنبر، ووجه الإمام إذا قام على المنبر بجهة الشام»[2] . . ومن المعلوم: أن الجالس على المنبر يكون ظهره إلى القبلة، ووجهه إلى الجهة المقابلة لها . .

وعليه . . وإذا تحقق ذلك . . وإذا كان باب بيت عائشة يقابل الجهة الشمالية : فإن ذلك معناه أن بيتها كان في جهة القبلة من المسجد . . وكان باب حجرتها يفتح على المسجد مباشرة ، حتى إنها تقول : إنها كانت ترجِّل النبي (ص) ، وهو معتكف في المسجد ، وهي في بيتها ، وهي حائض[3] .

وقد حاول البعض توجيه ذلك : بأن المراد من الباب الذي لجهة الشام هو الباب الذي شرعته عائشة لما ضربت حائطاً بينها وبين القبور بعد دفن عمر . .

وأجاب السمهودي بقوله : « وفيه بُعد ، لأنه سيأتي ما يؤخذ منه أن الحائط الذي ضربته كان في جهة المشرق »[4] . وإذا كان في جهة المشرق ؛ فلا بد وأن يكون الباب فيه مقابلاً للمغرب ، لا لجهة الشام .

جيم : ويدل على كون بيت عائشة في جهة القبلة : أن الحجر كانت تبدأ

---

(١)و(٢) راجع : وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٤٣٥ و ٤٥٩ و ٥١٧ ، وليراجع أيضاً / ص ٦٩٣ .
(٣) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ / ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٢٦ ، وطبقات ابن سعد / ج ٨ ص ١١٩ ، وفتح الباري / ج ٤ ص ٢٣٦ عن أحمد والنسائي ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٤١ و ٥٤٢ .
(٤) وفاء الوفاء/ ج ٢ ص ٥٤٢.

من بيت عائشة ، وتنتهي إلى منزل أسماء بنت حسن كما نص على ذلك من شاهدها[1] .

دال : إن رواية ابن عساكر ، وابن زبالة المتقدمة تنص على أنه لم يكن لبيت عائشة إلا باب واحد ، بمصراع واحد . . ومن المعلوم : أنه (ص) قد صُلِّي عليه ، على شفير حفرته ، ودفن في حجرة لها بابان . .

فقد روى ابن سعد ، عن أبي عسيم ، قال : لما قبض رسول الله (ص) ، قالوا : كيف نصلّي عليه ؟ قالوا : ادخلوا من ذا الباب ارسالاً ارسالاً ، فصلّوا عليه ، واخرجوا من الباب الآخر . .[2] .

ويمكن الجواب عن هذا الأخير : بأن الجواب لا بد أن يطابق السؤال ، فإذا كان السؤال عن مصاريع الباب ، لا عن عدد الأبواب ؛ فلا بد وأن يكون الجواب عن ذلك أيضاً . . ولا يدل ذلك على أنه لم يكن للحجرة باب آخر .

هاء : وسيأتي : أن النبي (ص) كان في مرضه (أي قبل انتقاله إلى بيت فاطمة) في حجرة عائشة ؛ فكشف الحجاب ؛ فكاد الناس أن يفتنوا ، وهم في الصلاة لما رأوا رسول الله (ص) . . الأمر الذي يدل على أن حجرة عائشة قد كانت في طرف القبلة في مقابل المصلِّين . .

وأما ما ذكرته الرواية من صلاة أبي بكر في الناس فقد كان ذلك على رغم النبي (ص) . وقد جاء (ص) رغم مرضه ، وأخرّه ، وصلى مكانه . ولهذا البحث مجال آخر . .

وثانياً : قال ابن سعد : « واشترى (يعني معاوية) من عائشة منزلها بمئة وثمانين ألف درهم ، ويقال بمائتي ألف . وشرط لها سكناها حياتها . وحمل إلى عائشة المال ، فما رامت من مجلسها حتى قسمته . .

---

(١) راجع : طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١٨١ وج ٨ قسم ٢ ص ١١٩ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٥٩ .

(٢) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٤٢ .

ويقال : اشتراه ابن الزبير من عائشة ، بعث إليها ـ يقال ـ خمسة أجمال بخت تحمل المال ، فشرط لها سكناها ، حياتها ، فما برحت حتى قسمت ذلك الخ . . »[1] .

ولا ينبغي أن يتوهم : أن المقصود ببيت عائشة هنا هو البيت الذي أخذته من سودة ، التي توفيت من أواخر خلافة عمر ، إذ قد :

أسند ابن زبالة ، عن هشام بن عروة ، قال : إن ابن الزبير ليعتد بمكرمتين ما يعتد أحد بمثلها : إن عائشة أوصته ببيتها وحجرتها ، وإنه اشترى حجرة سودة[2] .

فعائشة قد باعت بيتها وأكلت ثمنه ، فمن أين يقولون إن النبي (ص) قد دفن في حجرتها ؟!

واحتمال أن يكون المقصود هو بيتها المستحدث ، لا يصح ، لأن سياق الكلام ناظر إلى حجر أزواج النبي (ص) التي كانت لهن من قبله (ص) . كما أن معاوية لا يدفع هذا المال الكثير إلا لينال شرفاً ، أو ليحرم الآخرين شرفاً بزعمه . . إلا ان كان هدفه هو تعظيم شأن عائشة، ولكن هذا بعيد عن سياسته تجاهها، فإن العلاقات بينهما لم تكن على ما يرام بسبب موقفه من آل الزبير وغيرهم ممن تحبهم.

وثالثاً: هم يقولون: إن الموضع قد ضاق حتى لم يعد يسع إلا موضع قبر واحد، فدفن فيه عمر. .

فقد روى البخاري، وغيره : أن عمر بن الخطاب لما أرسل إلى عائشة يسألها أن يدفن مع صاحبيه، قالت: كنت أريده لنفسي، فلأوثرنه اليوم على نفسي. .[3].

---

(١) طبقات ابن سعد / ج ٨ ص ١١٨ ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٤٦٤ عنه وليراجع حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٤٦٤ .

(٣) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ / هـ / ج ١ ص ١٥٩ وج ٢ ص ١٩١ ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٥٧ .

قال ابن التين : « كلامها في قصة عمر يدل على أنه لم يبق ما يسع إلا موضع قبر واحد »[1] . ويؤيد ذلك : أنه « لما أرسل عمر إلى عائشة ؛ فاستأذنها أن يدفن مع النبي (ص) وأبي بكر فأذنت ، قال عمر : إن البيت ضيق ، فدعا بعصا ؛ فأتي بها فقدر طوله ، ثم قال : احفروا على قدر هذه »[2] .

وأيضاً . . فقد رووا : أنه جاف بيت النبي (ص) من شرقيه ، فجاء عمر بن عبد العزيز ، ومعه عبد الله بن عبيد الله ، بن عبد الله بن عمر ، فأمر ابن وردان : أن يكشف عن الأساس ، فبينا هو يكشفه إلى أن رفع يده وتنحى واجماً ، فقام عمر بن عبد العزيز فزعاً ، فقال عبد الله بن عبيد الله : لا يروعّنك ، فتانك قدما جدك عمر بن الخطاب ، ضاق البيت عنه ، فحفر له في الأساس الخ . .

وفي الصحيح ، قال عروة : ما هي إلا قدم عمر[3] .

وإذ قد عرفنا : أن الحجرة التي دفن فيها النبي (ص) قد ضاقت حتى دفن عمر في الأساس . .

فلننظر إلى بيت عائشة الذي كانت تسكن وتتصرف فيه . . فإننا نجده واسعاً وكبيراً . . وبقيت تتصرف فيه في الجهات المختلفة ، فليلاحظ ما يلي :

١ ـ ما تقدم من أن عائشة قد باعت بيتها لمعاوية ، أو لابن الزبير وإذا كانت الحجرة قد ضاقت على عمر حتى دفن في الأساس ، فإن النتيجة تكون هي : أن الموضع الذي دفن فيه النبي (ص) لم يكن هو بيت عائشة ، كما تقول هي ، وإنما هو لغيرها . . أي أنه لفاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها كما سيتضح . .

---

(١) فتح الباري / ج ٣ ص ٢٠٥ ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٥٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٦٤ .
(٣) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٤٥ و ٥٥٤ عن ابن زبالة ، ويحيى وليراجع البخاري / ج ١ ص ١٥٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٦٨ .

٢ ـ إن عائشة قد عرضت على عبد الرحمان بن عوف أن يدفن مع النبي الأكرم (ص) . .[١] .

كما ومنع بنو امية من دفن الحسن عند جده ، حينما علموا أن الحسين يريد دفنه هناك[٢] .

بل يقال : إنها هي التي تزعّمت عملية المنع عن دفنه هناك . .[٣] وإن كنا نرى البعض يدعي أنها قد أذنت في ذلك ، لكن بني أمية قد منعوا منه . .[٤] كما أنهم يروون أن عيسى بن مريم سوف يكون رابع من يدفن هناك . .[٥] وأيضا . . فإن نفس عائشة بعد أن تصف القبور الثلاثة تقول : « وبقي موضع قبر »[٦] .

بل إن مما يدل على أن موضع اقامتها كان واسعاً ، هو قولها : ما زلت أضع خماري ، واتفضل في ثيابي حتى دفن عمر ، فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً . .[٧] وعن مالك قال : قسم بيت عائشة قسمين : قسم كان فيه القبر ، وقسم تكون فيه عائشة بينهما حائط[٨] .

عجيب !! . . وهل بلغ بها التقى أن صارت تتستر من الأموات وهم في قبورهم ؟! . .

---

(١) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٥٧ وج ٣ ص ٨٩٩ عن ابن شبة ، وابن زبالة .
(٢) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي / ج ٣ ص ٦٠ و٦٢ و٦٤ و ٦٥ ، وشرح النهج للمعتزلي / ج ١٦ ص ١٣ ، ومقاتل الطالبيين / ص ٧٤ ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٤٨ ، وتاريخ ابن عساكر ، ترجمة الحسن (ع) الحديث رقم ٣٣٧ فما بعده ، وج ٢١ ص ٣٨ ، وج ٦٤ ص ٩٩ . كما ذكره المحمودي . .
(٣) مقاتل الطالبيين / ص ٧٥ ، وتاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢٢٥ ط صادر .
(٤) مقاتل الطالبيين / ص ٧٥ ، ووفاء الوفاء / ج ٣ ص ٩٠٨ وج ٢ ص ٥٥٧ .
(٥) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٥٧ عن يحيى وسنن الترمذي ، ومنتظم ابن الجوزي والطبراني ، وابن النجار ، والزين المراغي .
(٦) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٥٧ .
(٧) طبقات ابن سعد / ج ٣ قسم ١ ص ٢٦٤ ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٤٣ و٥٤٤ عنه وعن ابن زبالة . .
(٨) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥ .

فكيف إذن لم تتستر من عشرات الالوف من الرجال الأحياء حينما خرجت لتحارب أمير المؤمنين (ع) في حرب الجمل ، وغيرها ؟! . .

وكيف توصي ابن الزبير بأن لا يدفنها مع النبي (ص) لأنها لا تحب أن تزكى[1] .

أو لأنها قد أحدثت بعده ؟ فلم لم تعلل ذلك بوجود عمر ؟ أليست جثة عمر لا تزال موجودة في ذلك الموضع ؟! . .

وعلى كل حال . . فإنه بعد دفن النبي (ص) في تلك الحجرة قد اخليت من ساكنيها وأظهرت للناس . وكان أول من بنى على بيت النبي (ص) جداراً عمر بن الخطاب .

قال عبيد الله بن أبي يزيد : كان جداره قصيراً ، ثم بناه عبد الله بن الزبير . .[2] .

وعن المطلب قال : كانوا يأخذون من تراب القبر ، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم ، وكانت في الجدار كوّة ، فكانوا يأخذون منها ، فأمرت بالكوّة فسدّت[3] .

أو أنهم سدوا أو ستروا على القبر بعد محاولة الحسين دفن أخيه الحسن هناك[4] ، اتقاء لمثل هذا الأمر حتى لا يتكرر بعد . .

ويبدو أن عائشة قد سكنت قريب القبور ، والظاهر بل المقطوع به هو أن هذا البيت هو صحن دار فاطمة كما سنرى قد استولت عليه عائشة بمعونة الهيئة الحاكمة . . بعد أن أخلاه أصحابه ـ بعد دفن النبي (ص) في حجرتهم ،

---

(١) صحيح البخاري / ج ٤ ص ١٧٠ ط سنة ١٣٠٩ هـ . وفتح الباري / ج ٣ ص ٢٠٤ ، ووفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٥٧ .

(٢) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٤٤ ، عن ابن سعد . .

(٣) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٥٤٨ عن ابن سعد .

(٤) المصدر السابق .

وأظهر قبره (ص) للناس كما قلنا . وبعد أن منعتهم السلطة من إرث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم . .

رابعاً : إن الأدلة تدل على أنه (ص) قد دفن في بيت ابنته فاطمة الزهراء (ع) ، كما أن عائشة كانت مستقرة في دار بيت فاطمة (ع) هذا ، وضربت جداراً بينها وبين القبور وبقيت في هذا البيت الطاهر ـ كما قدمنا ـ الذي كان في وسط بيوت أزواج النبي (ص) كما ذكره ابن عمر[1] .

ونستند في ذلك إلى ما يلي :

١ ـ روى الصدوق في أماليه رواية مطوّلة ، عن ابن عباس ، جاء فيها : « . . فخرج رسول الله (ص) ، وصلّى بالناس ، وخفف الصلاة ثم قال : ادعوا لي علي بن أبي طالب ، واسامة بن زيد ، فجاءا ، فوضع (ص) يده على عاتق علي ، والأخرى على اسامة ، ثم قال : انطلقا بي إلى فاطمة فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها ، فإذا الحسن والحسين . . » ثم ذكر قضية وفاته هنا[2] .

٢ ـ قال السمهودي : « اسند ابن زبالة ، ويحيى بن سليمان بن سالم ، عن مسلم بن أبي مريم ، وغيره : كان باب فاطمة بنت رسول الله في المربعة التي في القبر ، قال سليمان : قال لي مسلم : لا تنس حظّك من الصلاة إليها ، فإنها باب فاطمة (رض) ، الذي كان علي يدخل عليها منه »[3] . وعن ابن أبي مريم : « إن عرض بيت فاطمة بنت رسول الله (ص) إلى الإسطوانة التي خلف الاسطوانة المواجهة للزور قال : وكان بابه في المربعة التي في لقبر . وقد أسند أبو غسان ، كما قاله ابن شبة ، عن مسلم بن سالم بن مسلم أبي مريم ، قال : عرس علي (رض) بفاطمة بنت رسول الله إلى الاسطوانة التي خلف الاسطوانة المواجهة للزور . وكانت داره في المربعة التي في القبر . وقال مسلم : لا تنس حظّك من الصلاة إليها ، فإنه باب فاطمة ، التي كان علي يدخل إليها

---

(١) راجع : سفينة البحار ج ١ ص ١١٥ .
(٢) أمالي الشيخ الصدوق ط النجف سنة ١٣٩١ هـ . المجلس الثاني والتسعون / ص ٥٦٩ .
(٣) وفاء الوفاء / ج ٢ ص ٤٥٠ .

منها ، وقد رأيت حسن بن زيد يصلّي إليها »[1] .

فهل كان علي عليه السلام يدخل على زوجته من وسط حجرة عائشة ؟ أم أن عائشة أو غيرها من زوجاته (ص) كانت من محارمه (ع) ؟ ! إن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن ذلك الموضع هو بيت فاطمة التي ظلمت في مماتها ، كما ظلمت في حياتها : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . . » . . وليس بيت عائشة كما تريد أن تدعي هي ومحبوها !! . .

٣ ـ إن لدينا ما يدل على أن شرقي الحجرة كان في بيت فاطمة ـ وإذن . . فعائشة كانت تسكن في بيت فاطمة حينما ضربت الجدار !! . .

« قال ابن النجار : وبيت فاطمة اليوم حوله مقصورة ، وفيه محراب ، وهو خلف حجرة النبي (ص) . قلت (أي السمهودي) : الحجرة اليوم دائرة عليه ، وعلى حجرة عائشة بينه وبينه موضع تحترمه الناس ، ولا يدوسونه بأرجلهم ، يذكر أنه موضع قبر فاطمة (رض) . وقد اقتضى ما قدمناه : أن بيت فاطمة كان فيما بين مربعة القبر ، واسطوان التهجد »[2] .

وعن مدفن فاطمة (ع) يرى ابن جماعة أن أظهر الأقوال هو أنها دفنت في بيتها « وهو مكان المحراب الخشب داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خدام الحضرة يجتنبون دوس ما بين المحراب المذكور وبين الموضع المزور من الحجرة الشريفة الشبيه بالمثلث ، ويزعمون أنه قبر فاطمة »[3] .

ومن الواضح أن اسطوان التهجد يقع على طريق باب النبي (ص) مما يلي الزوراء[4] . أي خلف بيت فاطمة[5] .

---

(١) المصدر السابق / ج ٢ ص ٤٦٧ و ٤٦٩ على الترتيب .
المصدر السابق (ج ٣ ص ٤٦٩ والمناقب لابن شهر أشوب ج ٣ ص ٣٦٤ وبهج الصباغة ج ٥ ص ١٩ ورحلة ابن بطوطة ص ٧٠ ومعاني الأخبار ص ٢٥٤ والبحار ج ٤٣ ص ١٨٥ والكافي ط الإسلامية ج ١ ص ٣٨٣ والوسائل ج ١٠ ص ٢٨٨ وفي هامشه عن التهذيب للشيخ الطوسي ، وعن من لا يحضره الفقية للصدوق . .
(٣) وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٠٦ .
(٤) و (٥) والمصدر السابق ج ٢ ص ٤٥١ و ٤٥٠ و ٤٥٢ و ٦٨٨ .

قال السمهودي عن موضع تهجد النبي (ص) : « قلت : تقدم في حدود المسجد النبوي ما يقتضي أن الموضع المذكور كان خارج المسجد تجاه باب جبريل قبل تحويله اليوم . وهو موافق لما سيأتي عن المؤرخين في بيان موضع هذه الإسطوانة »[1] .

وإذا كان كذلك فإن بيت علي يقع بين باب النبي (ص) والحجرة الشريفة ، وباب النبي (ص) هو أول الأبواب الشرقية مما يلي القبلة ، وقد سد الآن ، ويقولون : إنه سمي بذلك لا لأن النبي (ص) كان يدخل منه بل لأنه في مقابل حجرة عائشة . . بل نجد ابن النجار يصرّح بأن هذا الباب هو نفسه باب علي عليه السلام . .[2] .

وهذا يعني أن ما بين الحجرة التي فيها القبر الشريف ، وباب النبي (ص) كان من بيت فاطمة (ع) ، وحيث دفنت . (ويدل عليه أنها دفنت عليها السلام داخل مقصورة الحجرة من خلفها . . أي تماماً حيث كانت عائشة مقيمة ، بعد أن ضربت الجدار على القبور التي كانت مكشوفة لكل أحد ، فتصرفت فيه عائشة بمساعدة السلطة بعد أن تركه أهله الذين حرموا منه بسبب حرمانهم من إرث نبيّهم ، أو بسبب ضغوط أخرى لم يستطع أن يصرّح لنا بها التاريخ . .

٤ ـ ويدل على ما ذكرناه أيضاً قول السمهودي في مقام بيان موضع باب النبي (ص) ، وباب جبريل . . : « الثاني : باب علي ، الذي كان يقابل بيته الذي خلف بيت النبي » وقال أيضاً : «ويحتمل أن بيت علي (رض) كان ممتداً في شرقي حجرة عائشة (رض) إلى موضع الباب الأول (يعني باب النبي (ص) فسمي باب علي بذلك ، ويدل له : ما تقدم عن ابن شبة في الكلام على بيت فاطمة ، من أنه كان فيما بين دار عثمان التي في شرقي المسجد ، وبين الباب

---

(١) و(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥١ و٤٥٠ و٤٥٢ و٦٨٨ .

المواجه لدار أسماء ويكون تسميته الباب الثاني بباب النبي (ص) لقربه من بابه الخ . . »[1] .

وإذن . . فبيت فاطمة يكون ممتداً من شامي الحجرة التي دفن فيها النبي (ص) إلى شرقيها - وإذا صح كلام ابن شبة هذا - فإنه يصل إلى قبليها أيضاً . . والمفروض أن باب فاطمة وعلي كان شارعاً في المسجد أيضاً . . فكيف استدار بيت فاطمة على بيت عائشة وطوقة بهذا الشكل العجيب من الشمال إلى الشرق . . ويحتمل إلى القبلة أيضاً ؟ ! . . عجيب !! وأي عجيب !! . .

وإذن فما معنى أن تسكن عائشة في شرقي الحجرة وتضرب بينها وبين القبور جداراً ؟ أو ليس شرقي الحجرة كان جزءاً لبيت فاطمة ؟! وكيف يكون باب بيت فاطمة في نفس حجرة عائشة ؟! وهل هناك مسافات شاسعة بين المسجد ، وبين باب النبي (ص) أو باب جبريل تسع عدة بيوت وحجر ؟ ! إن كل ذلك يدل على صحة رواية الصدوق المتقدمة وأنه (ص) قد توفي ، ودفن في دار فاطمة ، لا في دار عائشة . .

ونعتقد : أنه قد انتقل من دار عائشة إلى دار فاطمة في نفس اليوم الذي توفي فيه ، وهو يوم الاثنين[2]، وذلك لأنه في يوم الاثنين ، وحين صلاة الفجر كان لا يزال في بيت عائشة الذي لجهة القبلة ، إذ قد روى البخاري : « أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله (ص) قد كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر إليهم ، وهم في صفوف الصلاة . . إلى أن قال : وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم ؛ فرحاً برسول الله (ص) . . »[3] .

وبضم رواية الصدوق المتقدمة الدالة على أنه (ص) خرج فصلى في

---

(١) وفاء الوفاء/ ج ٢ ص ٦٨٨ و ٦٨٩ وليراجع : / ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

(٢) راجع : قاموس الرجال ج ١١ رسالة في تواريخ النبي والآل للتستري ص ٣٦ .

(٣) راجع : البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ ج ٣ ص ٦١ وج ١ ص ٨٢ والرواية وإن كانت قد ذكرت اقرار النبي (ص) لأبي بكر على الصلاة لكن ذلك غير صحيح . . ولهذا البحث مجال آخر .

الناس وخفف الصلاة، ثم وضع يده على عاتق علي (ع) والأخرى على عاتق اسامة ، ثم انطلقا به إلى بيت فاطمة ، فجاءابه حتى وضع رأسه في حجرها ، ثم يذكر قضية استئذان ملك الموت ، ثم كانت وفاته بعد مناجاته لعلي (ع) ؛ فراجع . .

فبضم هذه الرواية إلى ما تقدم نفهم أنه قد انتقل إلى بيت فاطمة في نفس اليوم الذي توفي فيه ، بعد أن صلى بالناس . وأما أنه رفع الستر ثم عاد فأرخاه؛ فلم يروه حتى توفي حسبما ذكرته رواية البخاري الآنفة الذكر ، فلا يصح ؛ لأن رواية ابن جرير تصرح بأنه عزل أبا بكر عن الصلاة في نفس اليوم الذي توفي فيه ، فراجع[1] .

وبعد ذلك كله . . فإنه لا يبقى أي شك أو ريب في أنه (ص) قد دفن في بيت فاطمة ، لا في بيت عائشة ولكن فاطمة قد ظلمت بعد مماتها كما ظلمت في حال حياتها . . « وسيعلم الذين ظلمو آل بيت محمد ، عن طريق تزوير الحقيقة والتاريخ ، فضلاً عن مختلف أنواع الظلم الأخرى . . أي منقلب ينقلبون . . » .

مصادر البحث

١ ـ الأمالي ..... للشيخ الصدوق
٢ ـ الأمالي ..... للشيخ الطوسي
٣ ـ أنساب الأشراف ..... للبلاذري
٤ ـ البحار ..... للمجلسي
٥ ـ بهج الصباغة ..... للتستري
٦ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
٧ ـ ترجمة الإمام الحسن من تاريخ ابن عساكر ..... (بتحقيق المحمودي)
٨ ـ حلية الأولياء ..... لأبي نعيم

---

(١) راجع كنز العمال ج ٧ ص ١٩٨ عن ابن جرير .

٩ ـ رحلة ابن بطوطة .....
١٠ ـ رسالة في تواريخ النبي (ص) والآل ..... للتستري
١١ ـ سفينة البحار ..... للقمي
١٢ ـ السيرة النبوية ..... لابن كثير
١٣ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
١٤ ـ صحيح البخاري ..... للبخاري
١٥ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
١٦ ـ فتح الباري ..... للعسقلاني
١٧ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
١٨ ـ الكافي ..... للكليني
١٩ ـ كنز العمال ..... للمتقي الهندي
٢٠ ـ معاني الأخبار ..... للشيخ الصدوق
٢١ ـ مقاتل الطالبين ..... لأبي الفرج
٢٢ ـ مناقب آل أبي طالب ..... لابن شهر آشوب
٢٣ ـ الوسائل ..... للحر العاملي
٢٤ ـ وفاء الوفاء ..... للسمهودي

ذهاب عقيل الى معاوية

١٧/محرم ١٣٩٧ هـ.

بداية :

يذكر المؤرخون : أن عقيل بن أبي طالب قد ذهب إلى معاوية في حياة أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام ، طلباً للرفد ، وطمعاً بالمال . .

والبعض منهم يروي : أنه استأذن أخاه علياً عليه السلام في ذلك[١] .

وبعض آخر يقول : « وفارق أخاه علياً في أيام خلافته ، وهرب إلى معاوية ، وشهد صفين معه . غير أنه لم يقاتل ، ولم يترك النصح لأخيه ، والتعصب له »[٢] .

وبعضهم يقول : إنه قد غاضب أخاه علياً ، وخرج إلى معاوية بالشام ، وأقام معه[٣] .

---

(١) روي ذلك في أسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ .

(٢) عمدة الطالب / ص ٣١ .

(٣) الاستيعاب هامش الإصابة / ج ٣ ص ١٥٨ ، وذخائر العقبى / ص ٢٢٢ وتاريخ الخميس /ج ١ ص ١٦٣ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ ، والبيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٦، والسيرة الحلبية / ج ١ ص ٢٦٨ ، وفيه أن علياً (ع) قال له :
« اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فاعطيك . فقال له : لأذهبن إلى رجل هو أوصل إليّ منك » .

أما ابن قتيبة فقد قال : « ولحق بمعاوية ، وترك أخاه علياً »[1] .

وإذا كان البعض يرى أنه قد أقام عند معاوية ، وشهد صفين معه كما ذكرنا . . الأمر الذي من شأنه أن يقوي من اعتبار معاوية ، ويزيد في معنوياته . . فإن البعض يروي في مقابل ذلك : أنه قد رجع على الفور ، ولم يقم عنده[2] .

ولقد حاول البعض توجيه ذلك : بأن ذهابه إلى معاوية لم يكن في صالح معاوية ، وإنما كان ضرراً ووبالاً عليه . . لا سيما بملاحظة مواقف عقيل منه ، ومن كل اشياعه واتباعه ، واجوبته القوية والجريئة لهم ، وكشف الكثير من مخازيهم وموبقاتهم . .

أدلة القائلين بلحوقه بمعاوية :

وللقائلين بلحوقه بمعاوية ، أن يستدلوا :

١ ـ ما روي من أن معاوية قال يوماً وعقيل عنده : هذا أبو يزيد ، لو لا علمه بأني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . فقال عقيل : أخي خير لي في ديني ، وأنت خير لي في دنياي ، وقد آثرت دنياي ، وأسأل الله خاتمة خير . .[3][1] .

وعلى حسب رواية الأصمعي : إن عقيلاً ترك علياً ، وذهب إلى معاوية ، فقال معاوية : يا أهل الشام ، ما ظنكم برجل لا يصلح لأخيه ؟ فقال عقيل : يا أهل الشام ، إن أخي خير لنفسه وشر لي ، وإن معاوية شر لنفسه ، وخير لي . .[4] .

---

(١) المعارف / ص ٨٨ ورواه في عيون الأخبار / ج ٢ ص ١٩٧ عن الأصمعي .

(٢) البيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٦ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٤ ، وقاموس الرجال / ج ٦ ص ٣٢١ عنه .

(٣) شرح النهج للمعتزلي / ج ١١ ص ٢٥١ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ ، والاستيعاب هامش الإصابة / ج ٣ ص ١٥٨ ، وذخائر العقبى / ص ٢٢٢ عنه ، وتاريخ الخميس / ج ١ ص ١٦٣ عنه أيضاً ، والسيرة الحلبية / ج ١ ص ٢٦٨ . ونكت الهميان / ص ٢٠١ .

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة / ج ٢ ص ١٩٧ .

وعلى حسب رواية حميد بن هلال : إنه بعد أن أتى معاوية ، وأعطاه مئة ألف ، قال له معاوية : إصعد المنبر فاذكر ما أولاك به علي ، وما أوليتك فصعد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني أخبركم : أني أردت علياً على دينه ، فاختار دينه ، وأردت معاوية على دينه فاختارني على دينه . .[1] .

وعلى حسب رواية هشام بن عروة : إن معاوية قال لعقيل يوماً : يا أبا يزيد ، أنا خير لك من أخيك علي ؟ فقال : إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ، فأخي خير لنفسه منك لنفسك . .[2] .

أو أنه قال له : وجدت علياً انظر لنفسه منه لي ، ووجدتك انظر لي منك لنفسك[3] . أو أنه قال : فأنت خير لي من أخي ، وأخي خير لنفسه منك[4] .

والمسعودي يروي أنه قال له : يا أبا يزيدَ ، كيف تركت علياً ؟ فقال : تركته على ما يحب الله ورسوله ، وألفيتك على ما يكره الله ورسوله . فقال له معاوية : لولا أنك زائر منتجع جانبنا لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه . ثم أحب معاوية أن يقطع كلامه ، مخافة أن يأتي بشيء يخفضه ، فوثب عن مجلسه ، وأمر له بنزل ، وحمل إليه مالاً عظيماً ، فلما كان من غد جلس ، وأرسل إليه ، فأتاه فقال له : يا أبا يزيد ، كيف تركت علياً أخاك ؟ قال : تركته خيراً لنفسه منك ، وأنت خير لي منه الخ . . .كلامه الذي يذكر فيه أنه يمدح صعصعة بن صوحان ، فيرسل إليه صعصعة رسالة شكر وثناء[5] .

٢ ـ يقولون : إنه بعد أن رفض علي عليه السلام إعطاءه غير عطائه ارتحل إلى معاوية . .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص ٢٠٤ ، والسيرة الحلبية / ج ١ ص ٢٦٨ .
(٢) أنساب الأشراف ط الأعلمي / ص ٧٣ ج ٢ .
(٣) شرح النهج / ج ٤ ص ٩٢ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٥٨ .
(٤) العقد الفريد ط دار الكتاب العربي / ج ٤ ص ٥ ، وثمرات الأوراق / ص ١٥٣ ، ١٥٤ عنه وأمالي السيد المرتضى / ج ١ ص ٢٧٦ عنه أيضاً . ولياجع الموفقيات/ ص ٣٣٥.
(٥) مروج الذهب / ج ٣ ص ٣٦ .

فلما سمع به معاوية نصب كراسيه ، وأجلس جلساءه ، فورد عليه ، فأمر له بمئة ألف درهم ، فقبضها ، فقال له معاوية : أخبرني عن العسكرين؟ قال : مررت بعسكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإذا ليل كليل النبي ، ونهار كنهار النبي ، إلا أن رسول الله ليس في القوم . . ومررت بعسكرك ، فاستقبلني قوم من المنافقين ، ممن نفر برسول الله (ص) ليلة العقبة .

ثم قال : من هذا الذي عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص . قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نفر ، فغلب عليه جزارها ، فمن الآخر ؟ قال : الضحاك بن قيس الفهري . قال : أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيس . فمن هذا الآخر ؟ قال : أبو موسى الأشعري . قال : هذا ابن المراقة . .

فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه ، قال : يا أبا يزيد ، ما تقول فيّ؟ قال : دع عنك . قال : لتقولن . قال : أتعرف حمامة ؟ قال : ومن حمامة ؟ قال : أخبرتك ومضى عقيل . . فسأل معاوية النسابة فأخبره أنها جدته ، وكانت بغياً في الجاهلية ، وهي أم أبي سفيان[1] .

٣ ـ وربما يستدل أيضاً : بأنه كان مع معاوية في صفين ، فقال له معاوية ليلة الهرير : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلة . فقال له عقيل : ويوم بدر كنت معكم . أو ما في معنى ذلك . .[2] .

٤ ـ وأنه : « لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية أكرمه ، وقربه وقضى حوائجه ، وقضى عنه دينه . ثم قال له في بعض الأيام : والله إن علياً غير حافظ

---

(١) راجع : الغارات للثقفي / ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ وليراجع : ثامن البحار / ص ٥٦٧ ، وأمالي ابن الشيخ / ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) العقد الفريد ط دار الكتاب العربي / ج ٤ ص ٥ ، والبيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٦ ، وأمالي المرتضى / ج ١ ص ٢٧٦ ، والاستيعاب هامش الإصابة / ج ٣ ص ١٥٨ ، وأنساب الأشراف / ط الأعلمي / ج ٢ ص ٧٢ ، وعمدة الطالب ط ـ النجف / ص ٣١ ـ ٣٢ ، وقاموس الرجال / ج ٦ ص ٣٢٢ عنه ، والدرجات الرفيعة / ص ١٥٧ .

لك ، قطع قرابتك ، وما وصلك ، ولا اصطنعك . قال له عقيل : والله ، لقد أجزل العطية وأعظمها ، ووصل القرابة ، وحفظها وحسن ظنه بالله إذ ساء به ظنك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ خفتم وأفسدتم ، وجرتم ، فاكفف لا أباً لك ، فإنه عما تقول بمعزل . . »[1] .

وقال الحموي وغيره : « قال معاوية يوماً لعقيل : إن علياً قطعك ووصلتك ، ولا يرضيني منك إلّا أن تلعنه على المنبر . قال : افعل . فصعد المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علياً ، فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل . .

فقال معاوية : يا عقيل ، إنك لم تبين من المراد منا ؟! قال : والله ما زدت حرفاً ، والكلام راجع إلى نية المتكلم[2] .

٥ ـ « وقال رجل لعقيل : إنك لخائن ، حيث تركت أخاك ، وترغب إلى معاوية . قال : أخون مني من سفك دمه بين أخي وابن عمي أن يكون أحدهما أميراً . . »[3] .

هذا غاية ما يمكن الاستدلال به لذهاب عقيل إلى معاوية ، وشهوده معه صفين ، جمعناه بنصوصه المختلفة ، رعاية لامانة النقل ، وبراءة من ذمة التاريخ . .

رأينا في ذهابه إلى معاوية :

إننا بحسب ما بأيدينا من النصوص التاريخية ، لا يسعنا القبول بأن ذهاب عقيل إلى معاوية كان في حياة أخيه علي عليه السلام ، ونحن نشك في ذلك كثيراً

---

(١) العقد الفريد ط دار الكتاب / ج ٤ ص ٤ ـ ٥ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٦١ .
(٢) ثمرات الأوراق / ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ، والعقد الفريد ط دار الكتاب العربي / ج ٤ ص ٢٩ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٦١ . والغدير ج ١٠ ص ٢٦٠ / ٢٦١ عن العقد وعن المستطرف ج ١ ص ٥٤ .
(٣) العقد الفريد / ج ٤ ص ٥ ، وأنساب الأشراف ط الأعلمي / ص ٧٣ ج ٢ .

وما نستطيع أن نؤكد عليه هو أنه إنما ذهب إليه . ووفد عليه بعد وفاة أخيه ، كسائر الذين وفدوا عليه ، ابقاءاً على أنفسهم وحفظاً لحياتهم ووجودهم ، أو طلباً للرزق ، ولقمة العيش .

وحتى لو سلمنا أنه قد ذهب إلى الشام ، فإن من المقطوع به أنه لم يكن لمعاوية وبني أمية منه إلّا الفضائح لهم ولم يكن أبداً مغاضباً لعلي كما زعموه . .

وردّنا على ما ذكروه بالإضافة إلى أن أكثره لا يدل على أن ذهابه كان في حياة علي عليه السلام ولا سيما الرابع وبعض نصوص الأول . . وما نستند إليه فيما نذهب إليه يتلخص بالملاحظات والأمور التالية :

أولاً : إننا نلاحظ : أن هناك اختلافاً كثيراً في بيان حقيقة ما جرى بين عقيل وعلي عليه السلام ، وعقيل ومعاوية . . وغير ذلك . . ونحن نجمل هذه الاختلافات على النحو التالي :

ألف : فواحد يقول : إنه قد لزم عقيلاً دين ، فقدم الكوفة ، فأمر علي عليه السلام الحسن ، فكساه ، فلما أمسى دعا بعشائه ، فإذا خبز وملح ، فقال عقيل : ما هو إلا ما أرى ؟! قال : لا . قال : فتقضي ديني ؟ قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفاً . قال : ما هي عندي ، ولكن أصبر حتى يخرج عطائي ، فإنه أربعة آلاف ، فادفعه إليك . فقال له عقيل : بيوت المال بيدك ، وأنت تسوفني بعطائك ؟! فقال : أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين ، وقد إئتمنوني عليها ؟! قال : فإني آت معاوية فأذن لي ، فأذن له الخ . .[1] .

وآخر يقول : إنه قدم عليه يسترفده ، فعرض عليه عطاءه ، فقال : إنما أريد من بيت المال . فقال : تقيم إلى الجمعة ، فلما صلى (ع) الجمعة قال له : ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين ؟ قال : بئس الرجل . قال : فإنك أمرتني أن أخونهم وأعطيك. فلما خرج من عنده شخص إلى معاوية[2].

---

(١) أسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ .

(٢) شرح النهج للمعتزلي / ج ٤ ص ٩٢ ، والدرجات الرفيعة .

وثالث يقول : أنه سأله ، فاستمهله حتى يخرج عطاؤه مع المسلمين فيعطيه معهم ، فألحّ عليه ، فقال لرجل خذ بيده وانطلق إلى حوانيت أهل السوق فقل : دق هذه الأقفال ، وخذ ما في هذه الحوانيت . قال : تريد أن تتخذني سارقاً ؟ قال : وأنت تريد أن تتخذني سارقاً ؟ أن آخذ أموال المسلمين فاعطيكها دونهم ؟ قال : لآتين معاوية : قال : أنت وذاك فأتى معاوية الخ . .[1]

ورابع يقول : إنه سأل علياً فقال له علي : إن أحببت أن أكتب لك إلى مالي بينبع فأعطيتك منه . فقال عقيل : لأذهبن إلى رجل هو أوصل لي منك فذهب إلى معاوية ، فعرف له ذلك . خرجه البغوي . .[2] .

وخامس يقول: إنه قدم عليه وهو جالس في صحن مسجد الكوفة فسلم عليه فرد عليه، ثم التفت إلى الحسن فأمره بإنزاله ثم أمره باكسائه. فغدا على علي (ع) في الثياب فسلم عليه، فرد سلامه فقال له: يا أمير المؤمنين، ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً إلا هذه الحصباء. قال: يا أبا يزيد يخرج عطائي فاعطيكه، فارتحل عن علي إلى معاوية الخ . .[3].

وزاد ابن أبي الحديد أنه قال له : ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً ، وإني لا ترضى نفسي من خلافتك بما رضيت به لنفسك ، فقال : يا أبا يزيد يخرج عطائي الخ . .[4] .

وسادس يقول ما ملخّصه : إنه قال له : إنه يكتب له إلى ينبع . فقال : ليس غير هذا ؟ قال : لا . فبينما هو كذلك إذ جاء الحسن ، فأمره بكسوته فكساه ، ثم غدا عليه ، فاستأذنه إلى معاوية فأذن له . .[5] .

وقيل غير ذلك فراجع الدرجات الرفيعة ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

---

(١) تاريخ الخلفاء / ص ٢٠٤ عن تاريخ ابن عساكر . .
(٢) ذخائر العقبى / ص ٢٢٢ ، وتاريخ الخميس / ج ١ ص ١٦٣ .
(٣) غارات الثقفي / ج ١. ص ٦٤، ونقله المعلق عن ثامن البحار/ ص ٥٦٧ .
(٤) شرح النهج / ج ٢ ص ١٢٤ .
(٥) أمالي ابن الشيخ المطبوعة مع أمالي الشيخ في النجف / ج ٢ ص ٣٣٤ .

باء : وأما اختلافهم فيما جرى بين معاوية وعقيل فور وروده عليه فنرى :

أحدهم يقول : إنه طلب منه أن يصعد المنبر ، ويذكر ما أولاه به هو ، وما أولاه به علي عليه السلام .

وآخر يذكر أنه قال له : هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه . .

وثالث يقول : إن معاوية قد خاطب أهل الشام فقال : يا أهل الشام ما ظنكم برجل لا يصلح لأخيه . . ورابع يقول : إنه قال له : أنا خير لك من أخيك . .

وخامس يقول : إنه قال له : أخبرني عن العسكرين . الخ . .

جيم : ثم يلاحظ الاختلاف في جواب عقيل لمعاوية . . وقد تقدم بعض ما قيل إنه أجاب به في أوائل هذا البحث ، فلا نعيد .

دال : ثم هناك الاختلاف في أن معاوية قد أعطى عقيلاً مئة ألف . .[1] أو أنه أعطاه خمسين ألفاً فقط . .[2] وثالث يكتفي بالقول بأنه أعطاه مالاً عظيماً . .[3] .

هاء : ثم هناك الاختلاف فيمن شتمهم عقيل في مجلس معاوية فهل شتم الضحاك بن قيس ، وعمرو بن العاص ، كما يقوله بعضهم . .[4] .

أو أنه أضاف إليهما أبا موسى الأشعري[5] .

أو أنه شتم عمرواً وأبا موسى . .[6] .

---

(١) راجع : تاريخ الخلفاء / ص ٢٠٤ ، وشرح النهج / ج ٢ ص ١٢٤ وج ٤ ص ٩٢ ، وأمالي ابن الشيخ / ج ٢ ص ٣٣٤ .
(٢) أسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٤ .
(٣) مروج الذهب / ج ٣ ص ٣٦ .
(٤) أسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ .
(٥) الغارات للثقفي / ج ١ ص ٦٤ ـ ٦٥ وشرح النهج / ج ٢ ص ١٢٥ .
(٦) أمالي ابن الشيخ آخر أمالي الشيخ / ج ٢ ص ٣٣٥ .

واو : ثم هناك الاختلاف في أنه قال لهم ما قال ، بعد سؤال معاوية إياه عن العسكرين مباشرة ، وبتطفل من عقيل . . أو أنه شتمهم في اليوم التالي باقتراح من معاوية نفسه عليه . .[1] .

زاي : ثم إن قوله لمعاوية : إن أخي آثر دينه الخ . . بعضهم يقول : إنه كان فور وصوله من عند علي . . وبعضهم قال : إنه قال له ذلك يوماً ، كما تقدم . .

حاء : وأيضاً . . فإن البعض يروي : إنه بعد أن قبض المال من معاوية رجع مباشرة . . ولكن آخرين يقولون : إنه أقام معه . .

طاء : وأخيراً . . فإن البعض يقول : أنه استأذن أخاه . وآخر يقول : إنه هرب منه . وثالث يذكر : أنه فارقه مغاضباً له . . وخامس يذكر أنه أقبضه علي خمسة آلاف درهم فلم ترضه . .

إلى غير ذلك من وجوه الاختلافات الكثيرة في هذه القضية . . الأمر الذي يلقي بطبعه ظلالاً من الشك على صحة هذا الأمر . .

هذا فضلاً عن الدلائل والشواهد الأخرى ، التي ربما تترقى بهذا الشك إلى مراتب الوثوق والاطمئنان بتعمد الجعل والافتعال في هذه القضية ، كما سنبيّنه . .

ثانياً : ما أجمع عليه ثقات الرواة في المقام يؤكد على أن عقيلاً لم يذهب إلى معاوية في حياة علي عليه السلام .

فإننا بالإضافة إلى إننا نجد عدداً من العلماء كابن أبي الحديد المعتزلي ، والسيد عبد الرزاق المقرم ، والسيد علي خان ، وغيرهم[2] . . يقولون إنه لم يذهبّ إلى معاوية في حياة أخيه علي عليه السلام ـ إننا بالإضافة إلى ذلك ـ .

---

(١) أسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ ، وأمالي ابن الشيخ / ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) راجع : شرح النهج / ج ١١ ص ٢٥١ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٥٥ ، والشهيد مسلم . .

نجد أن ذلك هو الصحيح الذي اجتمع عليه ثقات الرواة ، فقد قال ابن أبي الحديد :

« . . فأما عقيل ، فالصحيح الذي اجتمع ثقات الرواة عليه : أنه لم يجتمع مع معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام ، ولكنه لازم المدينة ، ولم يحضر حرب الجمل وصفين ، وكان ذلك بإذن أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد كتب عقيل إليه بعد الحكمين يستأذنه في القدوم عليه الكوفة بولده ، وبقية أهله ، فأمره عليه السلام بالمقام الخ . . »[1] .

ثم يذكر قصة سعيد بن العاص الآتية مع معاوية . . ونحن نعتقد أنه أمره بالمقام بعد الحكمين ، أما قبلهما فقد حضر صفين مع علي عليه السلام كما سيأتي . .

وثالثاً : إنهم يذكرون أن عقيلاً قد حضر مع معاوية صفين ، وإنه قد مر بالعسكرين ، وجرت بينه وبين معاوية ليلة الهرير محاورة تقدمت . .

ونحن لا نستطيع تصديق هذا الأمر ، لأن لدينا طائفتين من النصوص تتفق على أن عقيلاً لم يكن مع معاوية، وإن كانت تختلف في موقعه وموقفه في حرب صفين وسائر حروب أخيه.

١ ـ إنهم يذكرون : أن عقيلاً قد شهد صفين إلى جانب أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وشهد معه أيضاً الجمل والنهروان[2] .

بل إن نفس الرواية التي استدل بها على كونه كان مع معاوية تدل على أنه كان مع أخيه ، لأن معاوية قد سأله عن العسكرين الذين مر فيهما عقيل فأجابه بذلك الجواب الغليظ .

ولو لم نأخذ بهذا فإننا نجد أن روايات أخرى تؤكد على أنه قد اعتزل الفريقين معاً وذلك فيما يلي :

---

(١) شرح النهج / ج ١٠ ص ٢٥٠ .
(٢) الاستيعاب هامش الإصابة / ج ٢ ص ٣٥٧ ، وتاريخ الخميس / ج ١ ص ١٦٧ .

٢ ـ « قد روي في خبر مشهور : إن معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه في صفين ، فقال سعيد : لو دعوتني لوجدتني قريباً ، ولكني جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم ، ولو أوعبنا لأوعبوا »[١] .

فهذا الكلام يدل على أن عقيلاً وبني هاشم قد اعتزلوا الطرفين ولكنهم كانوا بانتظار أوامر علي عليه السلام كما كان سعيد بن العاص بانتظار أوامر معاوية . .

٣ ـ وينص المعتزلي على أن عقيلاً وبني هاشم قد اعتزلوا الطرفين معاً ، وأقاموا في المدينة ، وأن عقيلاً لم يشهد شيئاً من حروب علي ، وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه[٢] .

ولربما يكون المعتزلي قد استفاد عرضه نفسه وولده عليه (ع) واعفاءه لهم ، من رسالة عقيل الآتية لأخيه ، وجوابه عليه السلام له . . ولكنها لا تكفي لإثبات ذلك لأنها إنما أرسلت إليه عليه السلام في سنة تسع وثلاثين أي بعد حروب علي مع خصومه . .

٤ ـ ويصرح المعتزلي وغيره بأن سؤال معاوية له وجوابه إياه ، عن مروره بالعسكرين ، ثم شتمه لعمرو ، وللضحاك ، وأبي موسى ـ كل ذلك ـ إنما كان بعد وفاة أخيه أمير المؤمنين عليه السلام ، بل وبعد صلح الحسن أيضاً[٣] .

وعليه فالروايات التي تذكر أن ذلك كان فور وصول عقيل إلى معاوية لا تصح . .

٥ ـ إن عدداً من الروايات يقول : إن عقيلاً إنما ذهب إلى معاوية بعدما كف بصره حيث انه كان قد قدم على أخيه ، فاكتفى أخوه بكسوته وعرض عليه عطاءه ولكنه لم يقبل وشخص إلى معاوية[٤]

---

(١) شرح النهج / ج ١٠ ص ٢٥٠ .
(٢) راجع : شرح النهج / ج ١١ ص ٢٥٠ وج ١٠ ص ٢٥٠ .
(٣) شرح النهج / ج ٢ ص ١٤٢ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٦٠ .
(٤) راجع : الدرجات الرفيعة / ص ١٥٨ ـ ١٥٩ وغيره .

وقيل أن سبب ذلك هو قصة الحديدة المحماه[1] .

ومن الواضح : أن بصره قد كف بعد واقعة الضحاك بن قيس التي كانت في سنة ٣٩ ، إذ قد جاء في رسالته لأخيه المتقدمة قوله : « فعرفت المنكر في وجوههم » وهذا يدل على أنه لم يكن قد عمي بعد . . كما أن قضية سؤال معاوية له عن العسكرين في صفين تدل على ذلك . .

ويدل على ذلك أيضاً ما جاء في سبب تركه علياً من قوله لمعاوية : « والله لكأني أنظر إلى يدي علي على فم الزق ، وقنبر يقلب العسل فيه . . »[2] .

وقد صرح البعض بأنه قد اضر في أواخر عمره . .[3] .

وكل ذلك يدل أيضاً على أن قضية الحديدة المحماة قد حدثت قبيل وفاة أخيه علي عليه السلام . . وبعد كل ذلك فكيف يكون ذهابه إلى معاوية بسبب قضية الحديدة المحماة أو بعد ما كف بصره .

٦ ـ وأخيراً . . نقول : إن أقدم من نقل قضية حضور عقيل مع معاوية في صفين هو الجاحظ في كتابه : « البيان والتبيين » والموجود في أكثر نسخ البيان والتبيين هو حذف كلمة : « صفين » ماعدا نسخة كوبرلي ، كما ذكره محقق الكتاب ، وذلك مما يوهن الاستدلال بهذه القضية للاحتمال القوي حينئذ بأنها من زيادات النساخ ، أو من الحواشي التي يدخلها النساخ في المتن عادة جهلاً منهم بحقيقة الحال . .

٧ ـ إن بعض ما تقدم يتضمن قول عقيل لمعاوية : (أمير المؤمنين) وبديهي أن معاوية إنما تسمى بذلك بعد اجتماع الحكمين الذي كان في سنة ٣٨ . .[4] .

---

(١) راجع : الدرجات الرفيعة / ص ١٥٨ ، ولتراجع أيضاً : ص ١٦٠ ، وشرح النهج للمعتزلي / ج ١١ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، ونهج البلاغة نفسه لأن علياً عليه السلام قد ذكرها في بعض خطبه .
(٢) راجع : شرح النهج للمعتزلي / ج ١١ ص ٢٥٣ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٦٠ .
(٣) عمدة الطالب / ص ٣٢ .
(٤) راجع : التنبيه والأشراف / ص ٢٥٦ ، وتاريخ الطبري / ج ٤ ص ٥٢ عن الواقدي . . ويدل

وإذا كان عقيل قد حضر النهروان والجمل وصفين مع علي عليه السلام ، وإذا كان أيضاً إنما ذهب إلى معاوية بعدما كف بصره ، وإذا كان لم يذهب إليه إلا بعد غارة الضحاك سنة ٣٩ ، وإذا كان أيضاً قد أمره علي بعدها بالمقام بالمدينة . . إذا كان كل ذلك فمعنى ذلك أن عقيلاً لم يذهب إلى الشام في حياة علي عليه السلام ، ويكون إنما وصفه بـ : (أمير المؤمنين) بعد وفاة علي عليه السلام وصلح الحسن ، كما يقوله المعتزلي . .

رابعاً : وأما رسالة عقيل لأخيه علي عليه السلام ، حين بلغه خذلان أهل الكوفة له ، وعصيانهم إياه ، والتي أرسلها إليه بعد غارة الضحاك بن قيس ، التي كانت في سنة ٣٩ هـ . أي قبل وفاة علي عليه السلام بسنة واحدة ـ أما هذه الرسالة ـ فهي أشهر من أن تذكر . .

ومما كتبه عقيل في هذه الرسالة قوله :

« . . إني خرجت إلى مكة معتمراً ، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فعرفت المنكر في وجوههم ، فقلت لهم : إلى أين يا أبناء الشانئين؟ أبمعاوية تلحقون؟! عداوة والله منكم قديماً غير مستنكرة ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتبديل أمره . .

فاسمعني القوم واسمعتهم ، فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون : أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة . . إلى أن قال : فأُفٍ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك ، وما الضحاك ؟ فقع بقرقر .

وقد توهمت حين بلغني ذلك : إن شيعتك وأنصارك خذلوك ، فاكتب إلي يابن أمي برأيك ، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك ، وولد أبيك ، فعشنا معك ما عشت ، ومتنا معك إذا مت ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك في الدنيا فواقاً . .

وأقسم بالأعزّ الأجلّ : إن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيىء ، ولا

على ذلك أيضاً : أن المسعودي في التنبيه والاشراف ، وتاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٩٣ ط صادر قد ذكرا أن وقعة النهروان كانت سنة ٣٩ ، وهو ما يقتضيه قول أبي مريم والواقدي والمسعودي بأن بين الحكمين والنهروان سنة وشهران ، حيث إن النهروان تكون على هذا في ذي القعدة سنة ٣٩ .

مريىء ، ولا نجيع ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . .[1] .

وقد أجابه الإمام عليه السلام بجواب يعبّر بوضوح عن مدى بصيرة علي عليه السلام في أمره ، وصلابته في دينه . . ويشكو فيه من ظلم الناس له ، وممالأتهم الطلقاء وبقايا الأحزاب عليه ، ولا مجال لذكر رسالته هنا . .

فعقيل ينعى على ابن أبي سرح ، وعلى غيره من أبناء الطلقاء ذهابهم إلى معاوية ، فكيف يفعل هو ذلك ، ثم ينكره على غيره . . ويلاحظ أن رسالته هذه لأخيه تفيض رقة وحنواً ، وتعبر عن مدى نفوذ بصيرته في أمر أخيه علي عليه السلام ، حتى إنه يود أن يعيش معه ويموت معه ، ولا يود أن يعيش بعده فواقاً . .

وإذا ما قايسنا هذه الرسالة بتلك النصوص المتقدمة التي تتضمن الجرأة منه على أخيه ، والاستهانة بأمره ، بل وفي بعضها ما يكشف عن نظرة سيئة في موقف أخيه ـ لعرفنا : أن تلك المنقولات لا يمكن أن تصح ، وإنما هي مفتعلة على لسان عقيل لأهداف معينة لا تخفى . .

وبملاحظة أن هذه الرسالة قد كانت بعد غارة الضحاك التي حدثت في سنة ٣٩ هـ . فإننا نعرف أنه لم يكن حتى ذلك الحين قد ذهب إلى معاوية أصلاً ، ولا حضر معه صفين . . وإلا لجاز لابن أبي سرح ولكل من عرفه أن يعترض عليه بأنك : بأي حق تنهى الآخرين عما فعلته أنت وبالذات في أحرج الظروف والأوقات . .

---

(١) الغارات للثقفي / ج ٢ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، وشرح النهج / ج ٢ ص ١١٨ ـ ١١٩ ، وأنساب الأشراف ط الأعلمي / ج ٢ ص ٧٤ ـ ٧٥ ، والأغاني ط ساسي / ج ١٥ ص ٤٦ ، والبحار ط حجرية (ج ٨ ص ٦٢١ ، ٦٧٣ ، وجمهرة رسائل العرب / ج ١ ص ٥٩٥ ، ونهج السعادة / ج ٥ ص ٣٠٠ ، وسفينة البحار / ج ٢ ص ٢١٥ ، وأشار إليها في العقد الفريد ط دار الكتاب / ج ٢ ص ٣٥٦ ، وج ٣ ص ٥٠٤ ، وذكرها أيضاً في الدرجات الرفيعة / ص ١٥٥ ـ ١٥٧ .
وفي الإمامة والسياسة/ ج ١ ص ٥٣ ـ ٥٤ ط سنة ١٩٦٧م، وقاموس الرجال/ ج ٦ ص ٣٢٣ عنه . .
أن عقيلاً قد التقى بعائشة ، وطلحة ، والزبير ، أيضاً . . وهذا كذب لأن طلحة والزبير كانا قد قتلا قبل غارة الضحاك بسنوات !! ولا يخفى سر زيادة ذلك في رسالة عقيل . .

وإذا ضممنا إلى هذه الرواية صراحة كلام سعيد بن العاص الآتي وأيضاً قول ثقاة الرواة بأنه ذهب إليه بعد وفاة علي وصلح الحسن كما تقدم ، وأيضاً تصريح البعض بأن علياً أمره بالمقام في المدينة ولم يكن ليخالف أمره ، وغير ذلك مما ذكرناه ونذكره . . فإننا نقطع ونتيقن بأن دعوى ذهابه إلى معاوية وحضوره معه في صفين ما هي إلا محض افتعال واختلاق لاسباب لا تخفى .

خامساً : يلاحظ : أن بعض هذه المنقولات لا يوافق رأي عقيل في أخيه علي عليه السلام ، ولا ينسجم مع ما هو المعروف من أدبه معه ، ودفاعه عن قضيته ومواقفه عموماً . . ولا سيما وأن بعضها ينسب إليه الجرأة على أخيه ، وتوجيه الكلمات القاسية إليه ، والتي يأباها طبع وعامة سلوك عقيل مع أخيه . . ونخص بالذكر هنا ، ما نقلناه فيما سبق عن العقد الفريد من قول القائل له : إنك لخائن . وجواب عقيل له : الذي يتضمن أن أخاه كمعاوية إنما يطلب الإمارة والملك ، ويحاول الوصول إلى ما يصبو إليه من أي طريق ولو عن طريق المتاجرة بدماء الأبرياء . . فإن ذلك إنما يوافق نظرة أعداء علي وآل علي . . ولا يتلاءم أبداً مع كل ما ينقل عن عقيل سواء مع معاوية أو مع غيره . . هذا عدا عن أن بعض تلك المنقولات تحاول أن توحي إلى القارىء بما يشير إلى أنانية علي وحبه لنفسه وإيثاره لها على كل أحد حتى على أخيه . وبعضها يتهم فيه عقيل أخاه بأنه قد قطع رحمه ، وأن معاوية أوصل إليه منه !! .

سادساً : لقد تضمنت بعض تلك المرويات ما يكذب الدعوى القائلة بأن مفارقة عقيل لعلي كانت من أجل حرمانه من المال . . فقد تقدم أن عقيلاً قد أجاب معاوية ، عندما عرض له هذا بقطيعة أخيه له ، أجابه عقيل بأنه أجزل العطية وأعظمها ، ووصل القرابة وما قطعها الخ . .

فذلك يكذّب الرواية القائلة : إن معاوية قال له : إنه خير له من أخيه فقال له عقيل : إن أخاه خير له في دينه ، ومعاوية خير له في دنياه أو ما هو قريب من هذا .

بل يظهر من الجاحظ ـ وهو أقدم ناقل لها ـ التشكيك في هذه الرواية أيضاً

حيث قال : « وزعموا أنه قال له معاوية الخ . . » كما وتشكك بها غيره أيضاً . .

إذن . . متى ذهب عقيل إلى معاوية :

وبعد كل ما تقدم ، فلا يبقى إلا أن نقول بما قاله المعتزلي وغيره ، وصرح به ثقات الرواة ، من أن ذهاب عقيل إلى معاوية إنما كان بعد وفاة أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام وصلح الحسن صلوات الله عليه .

ويمكن أن يؤيد ذلك :

١ ـ بما ورد من أن معاوية قد سأل عقيلاً عن قصة الحديدة المحماة فحدثه عقيل بقضية أخرى عن علي ، فقال له معاوية : « . . ذكرت من لا ينكر فضله رحم الله أبا حسن ، فلقد سبق من كان قبله ، وأعجز من يأتي بعده ، هلم حديث الحديدة الخ . . » فحدثه به عقيل[1] فترحم معاوية على علي عليه السلام فهذا يؤيد أن هذا الكلام قد كان بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام ، هذا بالإضافة إلى أن عقيلا إنما كف بصره في أواخر حياة علي عليه السلام ، كما تقدم .

٢ ـ ما ورد من أن عقيلاً قد سأل معاوية عندما قدم عليه عن الحسن ، فقال له : إنه أصبح قريش وجهاً ، وأكرمها حسباً[2] . . فلو كان علي حياً حينئذ لكان السؤال عنه والثناء عليه أولى ، لأن الحسن لم يكن في حياة أبيه أكرم قريش حسباً . . إلا أن يقال : لا مانع من تعدد ذهاب عقيل إلى معاوية مرة في حياة علي وأخرى بعد وفاته . . ولأجل ذلك ذكرنا ذلك بعنوان التأييد لا الاستدلال . ونعتقد أن فيما قدمناه كفاية . . والنقاش هنا لا يضر في النتيجة التي توصلنا إليها في هذا البحث .

الافتراء على عقيل :

وعلى كل حال . . فإن الافتراء على عقيل ، بهدف النيل منه ، ومن ثم من أخيه علي عليه السلام كثير . .

---

(١) شرح النهج للمعتزلي / ج ١١ ص ٢٥٣ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٦٠ .
(٢) أنساب الاشراف ط الأعلمي / ج ٢ ص ٧٢ .

وقد قالوا : « كان عقيل أنسب قريش ، وأعلمهم بأيامها ، ولكنه كان مبغّضاً إليهم ، لأنه كان يعد مساويهم »[1] .

وقالوا : « كان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه بالباطل ، ونسبوه إلى الحمق ، واختلقوا عليه أحاديث مزورة . . »[2] .

وقال الجاحظ : « كان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه ، وحمقّوه ، وسمعت ذلك العامة ، فلا تزال تسمع الرجل يقول قد سمعت الرجل يحمقّه ، حتى ألف فيه بعض الأعداء الأحاديث ، فمنها ، قولهم : ثلاثة حمقى كانوا أخوة ثلاثة عقلاء ، والأم واحدة الخ . . »[3] .

إلى غير ذلك مما يجده المتتبع مسطوراً في كتب التاريخ والأدب .

فريتان على عقيل :

ونستطيع أن نذكر هنا قضيتين مكذوبتين على عقيل كشاهد حي على ما ذكر من تعمدهم تشويه سمعته والحط من كرامته :

أولاهما : ما ورد من أن علياً كان يقول : إنه لم يزل مظلوماً منذ صغره ، حتى إن عقيلاً كان إذا رمدت عيناه لا يرضى بأن يذرّ الكحل في عينيه حتى يذرّ في عيني علي (ع) قبله . .

مع أنهم يذكرون : أن عقيلاً كان يكبر علياً بعشرين سنة ، وإن كنا قد قوينا أنه كان يكبره بـ ١٣ سنة . . فهل يعقل أن يصدر مثل هذا العمل من عقيل ، الرجل الذكي ، والمعروف بسرعة الخاطر ، وحضور الجواب . . والذي قال عنه الجاحظ : « له لسانه ، وأدبه ونسبه ، وفضل نظراءه بهذه

---

(١) الاستيعاب هامش الإصابة / ج ٣ ص ١٥٨ ، وذخائر العقبى / ص ٢٢٢ عنه ، وتاريخ الخميس / ج ١ ص ١٦٣ ، وشرح النهج / ج ١١ ص ٢٥٠ ، ونكت الهميان / ص ٢٠٠ والدرجات الرفيعة / ص ١٥٤ ، والمنمق / ص ٤٨٤ .

(٢) الاستيعاب هامش الإصابة / ج ٣ ص ١٥٨ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ ، ونكت الهميان / ص ٢٠٠ .

(٣) البيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٤ .

الخصال . . »[1] . وسيأتي بعض ما يدل على مكانة عقيل وسؤدده عن قريب .

ثانيتهما : إن ابن سعد يذكر أن عقيلاً شهد غزوة مؤتة ، ثم رجع ، فعرض له مرض ، فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ، ولا الطائف ، ولا خيبر ، ولا في حنين . .[2] .

مع أنهم يذكرون : أنه ممن ثبت يوم حنين . .[3] .

بل لقد « قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم عن أبيه : أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة ، وسيفه متلطخ دماً ، فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ قال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادي رسول الله (ص) يقول : من أخذ شيئاً فليرده ، حتى الخياط والمخيط ، فرجع عقيل فقال : ما أرى ابرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فالقاها في الغنائم . . »[4] .

فهذه الرواية ـ وإن كان قد قصد بها إظهار خسة نفس عقيل ـ إلا أنها تدل دلالة واضحة على استقامة عقيل من جهة ، وعلى أنه قد شارك في حرب حنين مشاركة فعلية . .

وقال الطبراني وغيره : إن عقيلاً حضر فتح خيبر وقسم له النبي (ص) من خيبر[5] .

وبعد فإن هناك قضية أخرى مكذوبة على عقيل ، وهي قضيته مع معاوية

---

(١) البيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٢) طبقات ابن سعد / ج ٤ ص ٣٠ قسم ١ ط ليدن ، وعنه في الإصابة / ج ٣ ص ٤٩٤ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات / ج ١ ص ٣٣٧ لكنه لم يذكر خيبراً .

(٣) أسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٣ ، والإصابة / ج ٣ ص ٤٩٤ عن الزبير بن بكار عن الحسن بن علي ، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٥٤ ، عن الحسين بن علي . .

(٤) سيرة ابن هشام / ج ٤ ص ١٣٥ ، وأنساب الأشراف ط الأعلمي / ج ٢ ص ٧١ باختصار ، وطبقات ابن سعد / ج ٤ قسم ١ ص ٣٠ إلا أن هذا الأخير لم يذكر : أن ذلك كان يوم حنين . . وأسد الغابة / ج ٥ ص ٥٢٥ والإصابة / ج ٤ ص ٣٨٢ وغير ذلك .

(٥) مجمع الزوائد / ج ٩ ص ٣٧٣ ، وراجع : تهذيب الأسماء واللغات للنووي / ج ١ ص ٣٣٧ ، ومكاتيب الرسول / ج ٢ ص ٥٣٥ عن عدة مصادر .

بشأن الجارية التي اشتراها له ، فولدت له مسلماً . . الذي وقف من معاوية ذلك الموقف الغريب ، والذي كان سفيراً للحسين إلى أهل الكوفة ، الذين غدروا به وقتلوه ، وقد ناقشنا هذه الرواية على حدة في موضع آخر . .

مكانة عقيل :

لقد كان لعقيل مكانة خاصة في قريش ، وكان موضع احترام وتقدير من كل من عرفه ولسنا هنا في صدد استقصاء ما قيل أو يقال حول عقيل ثناءً وتعظيماً . . ونكتفي هنا بأن نضيف إلى عبارة الجاحظ المتقدمة . . أقوال بعض الشعراء فيه ، فنقول :

لقد افتخر به جعدة بن هبيرة ، فقال :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى علي بخاله ... وخالي علي ذو الندى وعقيل[1]

وقال قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون :

وخالي بغاة الخير تعلم أنه ... جدير بقول الحق لا يتوعر
وجدي علي ذو التقى وابن امه ... عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر
فنحن ولاة الخير في كل موطن ... إذا ما ونى عنه رجال وقصروا[2]

وقال حسان بن ثابت في قصيدة له يرثي بها جعفراً ، ويمدح بها بني هاشم :

بهاليل منهم جعفر وابن امه ... علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر[3]

---

(١) البيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٤ ، وشرح النهج للمعتزلي / ج ١٠ ص ٧٩ ونسب قريش ص ٣٤٤ .

(٢) البيان والتبيين / ج ٢ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام / ج ٤ ص ٣٧ ، وديوان حسان ط ليدن / ص ٢٣ ، وشرح النهج / ج ١٥ ص ٦٣ .

إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه واستقصائه . .

سرّ الافتراء على عقيل :

وأما سر الافتراء على عقيل ، فلعله يرجع إلى :

١ ـ أن عقيلاً كان له معهم مواقف مشهورة ، وأجوبة معروفة في تأييد علي وحق علي . . والازراء على معاوية وكل من كان على شاكلته ، وبيان تفاهات ونقائص مناوئي علي عليه السلام والناصبين له العداء . .

٢ ـ إنهم كانوا يريدون النيل من علي والحط من كرامته عن طريق النيل من أخيه عقيل والحط من كرامته . . ويريدون أن يقولوا أيضاً إن علياً لا يحتمل ، فحتى أخوه لقد فارقه وتركه ، وناصرعدوه ، فكيف بمن لم يكن أخاً لعلي ، ولا تربطه فيه قربى ولا وشائج رحم ، ولعلنا نستطيع أن نلمس هذا المعنى من تلك المنقولات المنسوبة إلى معاوية ، وأنه وجهها لعقيل عندما فارق أخاه وأتاه . .

٣ ـ إنهم يريدون أن يضيفوا صحابياً جديداً إلى قائمة المناصرين لمعاوية كان معاوية بأمس الحاجة للواحد منهم في مقابل علي وجيشه الذي كان يضم الآلاف من الصحابة الأبرار ، والمصطفين الأخيار . .

٤ ـ إنهم يريدون أن ينتقموا لأنفسهم ، وينفسوا عن حقدهم ، ويغطّوا على مثالبهم ، التي ما زال يكشفها عقيل العالم بالأنساب، والذي كان له بعد لسانه وأدبه ، وكان لا يجارى ولا يبارى ، ولا يثبت معه رأي ، ولا تلين صفاته من مكيدة . .

ولكن تأبى الحقيقة والتاريخ إلا أن يبقى وجه عقيل مشرقاً بابتسامة كلها سخرية وهزء بل واحتقار لكل أولئك الذين نسبوا الباطل إليه ، وأجهدوا أنفسهم بالكذب والافتراء عليه . .

والحمد لله وصلاته على عباده الذين اصطفى .

مصادر البحث

١ ـ الاستيعاب ..... لابن عبد البر
٢ ـ أسد الغابة ..... لابن الأثير
٣ ـ الإصابة ..... للعسقلاني
٤ ـ الأغاني ..... لأبي الفرج
٥ ـ الأمالي ..... للسيد المرتضى
٦ ـ الإمامة والسياسة ..... لابن قتيبة
٧ ـ أنساب الأشراف ..... للبلاذري
٨ ـ البحار ..... للمجلسي
٩ ـ البيان والتبيين ..... للجاحظ
١٠ ـ تاريخ الامم والملوك ..... للطبري
١١ ـ تاريخ الخلفاء ..... للسيوطي
١٢ ـ تاريخ الخميس ..... للديار بكري
١٣ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
١٤ ـ التنبيه والأشراف ..... للمسعودي
١٥ ـ تهذيب الأسماء واللغات ..... للنووي
١٦ ـ تهذيب التهذيب ..... للعسقلاني
١٧ ـ ثمرات الأوراق ..... لابن حجة الحموي
١٨ ـ جمهرة رسائل العرب .....
١٩ ـ الدرجات الرفيعة ..... للسيد علي خان
٢٠ ـ ديوان حسان .....
٢١ ـ ذخائر العقبى ..... للطبري
٢٢ ـ سفينة البحار ..... للقمي
٢٣ ـ سيرة ابن هشام ..... لابن هشام
٢٤ ـ السيرة الحلبية ..... للحلبي الشافعي
٢٥ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

٢٦ ـ الشهيد مسلم ..... للمقرم
٢٧ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
٢٨ ـ العقد الفريد ..... لابن عبد ربه
٢٩ ـ عمدة الطالب ..... لابن مهنا
٣٠ ـ عيون الأخبار ..... لابن قتيبة
٣١ ـ الغارات ..... للثقفي
٣٢ ـ الغدير ..... للاميني
٣٣ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
٣٤ ـ مجمع الزوائد ..... للهيثمي
٣٥ ـ مروج الذهب ..... للمسعودي
٣٦ ـ المعارف ..... لابن قتيبة
٣٧ ـ مكاتيب الرسول ..... للاحمدي
٣٨ ـ المنمق ..... لابن حبيب
٣٩ ـ الموفقيات ..... للزبير بن بكار
٤٠ ـ نسب قريش ..... لمصعب
٤١ ـ نكت الهميان ..... للصفدي
٤٢ ـ نهج البلاغة ..... (جمع الشريف الرضي)
٤٣ ـ نهج السعادة ..... للمحمودي

مسلم بن عقيل ومعاوية

رمضان/١٣٩٦ هـ.ق.

قال ابن أبي الحديد : « . . روى المدائني قال : قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب : هل من حاجة فاقضيها لك ؟ قال : نعم ، جارية عرضت عليّ ، وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً . فأحب معاوية أن يمازحه ، فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً ، وأنت أعمى ، تجتزىء بجارية قيمتها خمسون درهماً ؟!! قال : أرجو أن أطأها ، فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف . فضحك معاوية ، وقال : مازحناك يا أبا يزيد .

وأمر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلماً . .

فلما أتت على مسلم ثماني عشرة سنة ، وقد مات عقيل أبوه ، قال لمعاوية : يا أمير المؤمنين : إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة ، وإني أعطيت بها مئة ألف ، وقد أحببت أن أبيعك إياها ، فادفع إليّ ثمنها . .

فأمر معاوية بقبض الأرض ، ودفع الثمن إليه . .

فبلغ ذلك الحسين عليه السلام ، فكتب إلى معاوية : أما بعد فإنك غررت غلاماً من بني هاشم ، فابتعت منه أرضاً لا يملكها ، فاقبض من الغلام ما دفعته إليه ، واردد إلينا أرضنا . .

فبعث معاوية إلى مسلم ، فاخبره ذلك ، واقرأه كتاب الحسين عليه

السلام ، وقال : اردد علينا مالنا ، وخذ أرضك ، فإنك بعت مالا تملك . فقال مسلم : أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا . .

فاستلقى معاوية ضاحكاً ، يضرب برجليه ، فقال : يابني ، هذا والله كلام قاله لي أبوك ، حين ابتعت له امك . .

ثم كتب إلى الحسين : إني قد رددت عليكم الأرض ، وسوغت مسلماً ما أخذ . .

فقال الحسين عليه السلام : أبيتم يا آل سفيان إلا كرماً . . »[1] انتهى .

رأينا في الرواية :

ونحن نرى : أن هذه الرواية لا يمكن أن تصح ، لأن ما بأيدينا من النصوص التاريخية ، لا ينسجم ، ولا يتوافق معها ، بل يدحضها ويكذبها . .

وقبل أن نذكر عمدة ما نستند إليه في حكمنا هذا يحسن بنا أن نشير إلى الملاحظات التالية :

ملاحظات لا بد منها :

١ ـ إن أول ما يطالعنا فيها : هو تلك البداية غير الطبيعية التي تقول : إن معاوية قد طلب من عقيل : أن يكلفه بقضاء حاجة له !!! . فما كان من عقيل إلا أن كلفه بهذه الحاجة بالذات !! . . فطلب معاوية هذا قد جاء على خلاف العادة المألوفة على أقل تقدير . . كما أن طلب عقيل منه قضاء هذه الحاجة بالذات غير مألوف أيضاً ، ولا سيما من شيخ قد طعن في السن جداً . . حتى إنه قد يناهز الثمانين ، أو يزيد . . ذلك السن الذي تعزف فيه النفس عن النساء : إن لم يكن عن عجز وضعف ، فعن ترفع وإباء . . ويزيد الأمر غرابة هنا أن عقيلاً ـ حسبما يدعون ـ قد أولد هذه الجارية ستة أطفال رغم كبر سنه وشيخوخته . .

---

(١) شرح النهج للمعتزلي / ج ١١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، والبحار / ج ٤٢ ص ١١٦ ، ١١٧ عنه .

« قالت : يا ويلتا ، أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلي شيخاً ، إن هذا لشيء عجيب . . »[1] .

« قال : ربّ أنىّ يكون لي غلام ، وكانت امراتي عاقراً ، وقد بلغت من الكبر عتياً . . »[2] .

٢ ـ إن الرواية لا سند لها ، ليمكن التحقيق فيه ، سوى أنها من نقل المدائني ، وهو لا يعد وعن أن يكون مؤرخاً ، لا يتثبت فيما ينقله ، ولا يتحقق من صحته في كثير من الأحيان . .

هذا . . عدا عن أن ثمة بعض الشواهد التي تؤكد على تحيزه وممالأته لأعداء أهل البيت عليهم السلام . .[3] .

٣ ـ يلاحظ : أن الرواية ـ كغيرها من العديد من الروايات المفتعلة ـ[4] لا تعين النقود الواردة فيها : لا الأربعين ألفاً ثمن الجارية ، ولا المئة ألف ، التي تكرّم بها معاوية وسوغها لمسلم . . هل هي من الدراهم ؟! أو من الدنانير ؟!! .

٤ ـ تنص الرواية : على أن ثمن الجارية كان أربعين ألفاً !! وهو أمر غريب !! . فإن أثمان الجواري ، وإن كانت قد ارتفعت في أواخر العهد الأموي ، وأوائل العهد العباسي ، إلا أنها لم تكن في الصدر الأول الذي يفترض لهذه الرواية ، وهو عهد الخلفاء الأربعة الأول بهذه المثابة . . ويتضح ذلك بالمقارنة بين ما افترضه معاوية ثمناً لجارية ، وهو خمسون درهماً ، وبين ما افترضه عقيل ، وهو أربعون ألفاً . فمهما ترقّت الخمسون فإنها لن تصل إلى ربع أو ثلث ذلك المبلغ العظيم ـ أربعين ألفاً . . مهما جمعت من الميزات ، وحوت من الخصائص . .

---

(١) هود ، آية ٧٢ .

(٢) مريم ، ٨ .

(٣) الشهيد مسلم للمقرّم / ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) راجع : مقالنا : « الإمام علي بن الحسين (ع) وأموال مروان » .

وقد اشترى معاذ بن عفراء خمسة جواري بألف وخمسمأة درهم . .[1] وتواتر النقل بأن علياً عليه السلام لم يترك سوى سبعمأة درهم ادّخرها ليشتري بها خادماً لأهله . .

أضف إلى ذلك كله : أن النقود كانت في تلك الفترة قليلة ، الأمر الذي يجعل لها قيمة كبيرة ، والقليل منها يكفي للشيء الكثير . . ولا سيما مع ملاحظة كثرة الرقيق آنئذ لأنه كان عهد الفتوحات ، وكانوا قد كثروا بحيث خاف معاوية منهم ، فأراد أن يقتل منهم شطراً ، فنهاه الأحنف عن ذلك[2] .

٥ ـ إن الرواية تقول : إن مسلماً لم يبع أرضه في المدينة لمن دفع له بها مئة ألف ، وباعها إلى معاوية بنفس هذا الثمن ، وهنا يرد السؤال :

إذا كان معاوية بالشام ، ومسلم يسكن المدينة طبعاً ، فلماذا يتجشّم مسلم عناء السفر إلى الشام ، ليبيعها إلى معاوية بنفس ذلك الثمن الذي كان بإمكانه أن يحصل عليه في المدينة ؟! . . ويؤيد أن مسلماً قد سافر إلى الشام ليبيع الأرض لمعاوية رسالة الحسين التي تقول الرواية أنه (ع) قد أرسلها إلى معاوية في خصوص هذا الأمر . .

وإذا كان قد حصل البيع في المدينة ، فلماذا يرغب مسلم في بيع الأرض لمعاوية بالذات ، ولِمَ لَمْ يبعها إلى ذلك الذي أعطاه بها نفس الثمن ؟! .

أم يعقل أن يكون مسلم قد كذب على معاوية ، من أجل أن يحصل على المال ؟! .

٦ ـ يلاحظ : أن الرواية تفيد : أن مسلماً قد خاطب معاوية بصورة جافة ، لا أدب معها . بل هو يصدر له الأمر من فوق بدفع الثمن ، وأخذ الأرض . ومعاوية يستجيب له ، ولا يبدي أية مقاومة ولا يتصدى للمساومة ، ولا يتفحص عن صدق مسلم وكذبه ، أو على الأقل عن الأرض التي يدعيها

---

(١) صفة الصفوة / ج ١ ص ١٨٨ ، وحياة الصحابة / ج ٢ ص ٣١٨ .
(٢) راجع : كتابنا : الحياة السياسية للإمام الرضا (ع) ، فصل : قيام الدولة العباسية .

مسلم ، ويفرض عليه أن يشتريها . .

وعدا عما تقدم ، فإننا نشير إلى الأمور التالية :

مستندنا في الحكم على هذه الرواية :

أولاً : إن الرواية تقول : إن الحسين قد كتب إلى معاوية : بأنه غرّ مسلماً ، واحتال عليه في شراء الأرض منه . . فلماذا يتهم الحسين معاوية بهذه التهمة التي كان معاوية بريئاً منها . . بل كان قد أرغم على قبول شراء هذه الأرض . . فإذا كان الحسين لا يعلم الحقيقة فلماذا يقول بغير علم ، ويفتري على الأبرياء من دون تثبت . . وإذا كان يعلم الحقيقة فلماذا يتهم معاوية بما يعلم أنه بريء منه . . فهل يمكن أن نفهم من ذلك : أن الرواية تتعمد المساس بشخصية الحسين ، والحط من كرامته ؟! . الحسين . . الذي هو من أهل ذلك البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهّرهم تطهيراً . .

وبتعبير آخر أكثر تفصيلاً . . إنه إذا كان مسلم صادقاً في دعواه ملكية الأرض فما معنى ادعاء الحسين (ع) : أن الأرض ليست لمسلم . . وأنه باع ما لا يملك ؟! .

ولماذا لا يبادر مسلم إلى تبرئة نفسه ، وتأكيد ملكيته للارض . وتنزيه نفسه عن أحد أمرين : اما الجهل وكونه غرّاً كما ذكره الحسين عليه السلام . . وإما الاحتيال على معاوية ببيعه له أرضاً لا يملكها بهدف الحصول على المال . .

وإذا كان مسلم غرّاً جاهلاً ، أو محتالاً حقاً ، فلماذا يرسله الحسين نفسه ممثلاً عنه بعد فترة وجيزة إلى الكوفة ، ثم هو يقول عنه لأهلها : إنه أخاه وثقته من أهل بيته ، ثم يأمر أهل الكوفة ـ أكبر مصر إسلامي وأكثرها حساسية ـ باطاعته والامتثال لأوامره . .

وإذا كان مسلم غلاماً غرّاً . . فلماذا لا يتحرى معاوية هذا الأمر ؟! وهل كان حقاً بهذه البساطة والسذاجة ؟! وكيف استطاع هذا الغلام الغرّ أن يمرر حيلته على معاوية الرجل المسّن والمحنّك الداهية . .

وهل يكون ابن ثماني عشرة سنة غلاماً حدثاً ، لا ينفذ بيعه ، ولا يصح تصرفه ؟!.. أم أنه كان سفيهاً محجوراً عليه ؟!

ثانياً : إن الرواية تنص على أن الحسين عليه السلام قد مدح معاوية ، وآل أبي سفيان ، جميعاً ، وقال : « أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً » . وذلك ينافي الواقع ، وحقيقة الأمر ، كما أنه ينافي رأي أهل البيت ، والحسين عليه السلام بالذات في بني أمية عامة ، والسفيانيين منهم خاصة وعلى الأخص معاوية ، كما يظهر من تتبع أقواله عليه السلام فيهم ، ومواقفه منهم. وكيف يقرض معاوية بهذا التقريض ، وقد رأى رأي العين ما فعله معاوية مع أبيه علي ، وأخيه الحسن عليهما السلام ، وكان ولا يزال يلعنه وأباه وأخاه في صلاته ، وعلى المنابر ، ويطارد شيعتهم ومحبيهم في كل زمان ومكان ، وتحت كل حجر ومدر ، وفي كل سهل وجبل . .

وثالثاً : إن تاريخ وفاة عقيل يأبى أن تكون هذه الرواية صحيحة ، لأن ها هنا أربعة أقوال :

أحدها : إنه توفي سنة خمسين للهجرة ، وكان عمره حين وفاته ٩٦ سنة[1] .

ثانيها : إنه مات في خلافة معاوية ، من دون تعيين السنة . .[2] .

ثالثها : إنه توفي قبل وفاة معاوية بسنتين[3] .

رابعها : إنه توفي سنة ستين للهجرة ، بعد وفاة معاوية .

---

(١) شرح النهج للمعتزلي / ج ١١ ص ٢٥٠ ، والدرجات الرفيعة / ص ١٦٥ عنه . وليراجع : البحار ج ٤٢ ص ١١٥ ، عنه ورجال المامقاني / ج ٣ ص ٢١٤ ، ونكت الهميان / ص ٢٠١ ، وقال : « توفي في حدود الخمسين » وتذكره الخواص / ص ١١ .

(٢) طبقات ابن سعد ط ليدن / ج ٤ ص ٣٠ ، والبداية والنهاية / ج ٧ ص ٤٧ ، وأسد الغابة / ج ٣ ص ٤٢٤ ، والإصابة / ج ٢ ص ٤٩٤ عن ابن سعد ، ومعارف ابن قتيبة / ص ٨٨. وفي الدرجات الرفيعة، وذخائر العقبى/ ص ٢٢٣، وتاريخ الخميس/ ج ١ ص ١٦٣: أنه لم يوقف على السنة التي توفي فيها.

(٣) سفير الحسين ص ١١ .

ولعل القول الثاني يرجع إلى الأول أو إلى الثالث، أو على الأقل لا ينافيهما، كما هو واضح ولذا، ولعدم التعيين فيه، فلا يمكن المساعدة ولا الاعتماد عليه . .

والقول الرابع هو الصحيح والمعتمد لسببين :

أحدهما : ما قاله ابن حجر : « قال ابن سعد : قالوا : مات في خلافة معاوية بعدما عمي . قلت : في تاريخ البخاري الأصغر ، بسند صحيح : إنه مات في أول خلافة يزيد بن معاوية ، قبل وقعة الحرّة »[1] .

ثانيهما : إنه على هذا القول يمكن الملائمة بين مقدار عمره وتاريخ ميلاده ، على بعض الروايات . . أما على غيره فلا يمكن ذلك على الاطلاق . . وبيان ذلك :

أن علياً عليه السلام قد توفي سنة ٤٠ هـ عن عمر يناهز الـ ٦٣ سنة ويقول البلاذري : إن عقيلاً كان يكبر جعفراً بتسع سنين، وكان جعفر أكبر من علي عليه السلام بأربع سنين ، فيصير المجموع ١٣ سنة[2] تضاف إلى ٦٣ عمر علي ، ويضاف إليها ٢٠ سنة من سنة ٤٠ إلى سنة ٦٠ عاشها عقيل بعد وفاة علي فيصير المجموع ٩٦ سنة . وقد تقدم أن عقيلاً قد توفي عن ٩٦ سنة . .

وأما إذا أردنا أن نأخذ بالروايات الأخرى فلا يمكن أن يصح مقدار عمر عقيل ، ولا يمكن تطبيقه مع عمر علي على ٩٦ سنة ، كما هو ظاهر ، وكمثال على ذلك نقول :

لو قلنا إنه كان يكبر علياً بعشرين سنة فإن كان قد توفي سنة خمسين فيصير عمره حينئذ ٩٣ سنة . . وإن كان قد توفي سنة ستين زاد عمره على المئة سنة . .

---

(١) تهذيب التهذيب / ج ٧ ص ٢٥٤ ، وتقريب التهذيب / ج ٢ ص ٢٩ ، والإصابة / ج ٢ ص ٤٩٤ .

(٢) أنساب الأشراف ط الأعلمي / ص ٤٠ ـ ٤١ عن الصادق عليه السلام . وفي مروج الذهب / ج ٢ ص ٣٥٠ : أن عقيلاً كان يكبر جعفراً بسنتين وجعفر كان يكبر علياً بعشر سنين . فيصير المجموع بناء على وفاة عقيل سنة ستين : ٩٤ سنة . .

وإن كان عمر علي ٦٥ وكان عقيل قد توفي سنة ستين وكان يكبر علياً بعشرين زاد عمره على المئة أيضاً . . وإن كان يكبره بـ ١٢ أو ١٣ سنة صار عمره ٩٧ أو ٩٨ .

ولو كان توفي سنة خمسين وكان يكبره بـ ١٢ أو ١٣ سنة صار عمره أقل من ٩٠ وهكذا . . سائر الافتراضات . وتفصيلها أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان . .

وعليه فلا يمكن أن يصح إلا القول الذي وردت به رواية صحيحة وهو أنه توفي في أول خلافة يزيد . . وإذا كان كذلك فلا يمكن أن تصح رواية مسلم ومعاوية المتقدمة ، لفرض أن عقيلاً قد توفي في أول خلافة يزيد ، بعد موت معاوية . . مع أن الرواية تنص على العكس أي على أن عقيلاً مات قبل معاوية . . فكيف يذهب مسلم إلى معاوية الذي كان قد مات !! ويبيعه الأرض ، ثم يكتب الحسين (ع) إلى معاوية الميت إلى آخر ما تذكره تلك القضية ؟! . .

ورابعاً : إن تلك الرواية تنص على أن عقيلاً كان حينما جرى بينه وبين معاوية ما جرى أعمى ، وأن معاوية قال له : « وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً ، وأنت أعمى ؟ » . .

ولكن من الواضح : أن عقيلاً إنما عمي في أواخر خلافة علي عليه السلام أي بعد حرب الجمل وصفين والنهروان ، وبعد غارة الضحّاك بن قيس سنة ٣٩ هـ .[1] .

وأقل الروايات في عمر مسلم حينما قتل سنة ستين هي : ٢٨ سنة ، فمعنى ذلك : أن مسلماً كان قد ولد سنة ٣٢ . .

وعلى هذا . . فحتى لو سلمنا : أن وفاة عقيل كانت سنة خمسين وأن عمر مسلم كان حين وفاة أبيه ١٨ سنة فيكون قد ولد سنة ٣٢، فتوافق الرواية القول بأن مسلماً عاش ٢٨ سنة ـ إننا حتى لو سلّمنا ذلك ـ فإننا نجد : أن عقيلاً لم يكن

---

(١) راجع مقال : متى ذهب عقيل إلى معاوية .

قد عمي في سنة ٣٢ بل كان صحيح العينين، مع أن الرواية تنص على أنه كان قد عمي حينئذ . . وكون عقيل قد ذهب إلى معاوية بعد عماه وقبل وفاة علي يرده أننا قد ذكرنا في مقال آخر : أن عقيلاً لم يذهب إلى معاوية في حياة علي أصلاً . . هذا بالإضافة إلى أنه لا يكون عمر مسلم حين استشهاده ٢٨ سنة بناء على هذا بل أقل وكون ذلك قد جرى في سنة ستين . إنما يعني أن مسلماً كان عمره ١٨ سنة ، حين استشهد ، مع أن أقل الروايات في عمره هي ٢٨ سنة . .

وخامساً : وأخيراً . . إن عمر مسلم بن عقيل لا يتلاءم مع هذه الرواية ، فقد نقل عن العقاد : أن عمره حين استشهد كان يناهز الأربعين . . وقال البعض بل كان عمره ٢٨ سنة . .[١] وقيل غير ذلك[٢] . .

ونحن نستقرب ما قاله العقاد وذلك :

أ ـ لما ذكره الواقدي ، من أن المسلمين حينما فتحوا مدينة « البهنسا » في خلافة عمر كان مسلم بن عقيل مع الفاتحين ، فدخلها وهو يقول :

ضناني الحرب والسهر الطويل وأقلقني التسهد والعويل
فوا ثارات جعفر مع علي وما ابدي جوابك يا عقيل
سأقتل بالمهنّد كل كلب عسى في الحرب أن يشفى الغليل[٣]

وهذا يعني : أن مسلماً قد ولد في حياة النبي (ص) ، أي قبل فتح الشام بزمن طويل هذا إن لم تكن ولادته قبل إسلام معاوية نفسه الذي أسلم عام الفتح . .

وعليه . . فكيف يكون عمره حين وفاة أبيه سنة ستين ، أو خمسين ١٨ سنة فقط ؟! . .

نعم يمكن المناقشة في ذلك بأن أحداً لم يذكر مسلماً في الصحابة رغم

---

(١) رجال المامقاني / ج ٣ ص ٢١٤ .
(٢) فقيل : كان عمره ٣٤ سنة ، وقيل : ٣٨ سنة . راجع : سفير الحسين ص ١٢ .
(٣) فتوح الشام للواقدي / ج ٢ ص ٩٩ .

اعتنائهم الشديد في ضبط أسمائهم ، والتعرف على أحوالهم ، حتى الشاذ النادر ، فكيف بمن هو من أهل بيت النبي (ص) إلّا أن يقال: ربما يهمل ذلك من أجل أن لا يتهم نظام الحكم بأنه قتل صحابياً !! ولعل لذلك شواهد عديدة لا تخفى .

ولكننا مع ذلك نبقى غير مطمئنين لنقل الواقدي هنا ، باعتبار أنه ـ لو صحت نسبة هذا الكتاب للواقدي وأنا أشك في ذلك ـ فإن الواقدي قد اتبع في هذا الكتاب أسلوب الروائيين والقصاصين ، ولم يعتمد فيه الحقائق التاريخية بشكل دقيق . . وإذن . . فلا بد من التطلع إلى أدلة أخرى غير ما ذكرناه هنا لاثبات ما يراد إثباته . وذلك أيضاً غير عزيز ، إذ :

ب ـ أن مسلماً قد حضر حرب صفين ، وكان في ميمنة علي عليه السلام ، مع الحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر[1] وكانت صفين في سنة ٣٧ هـ . فهو يدل على أنه كان حينئذٍ بحيث يستطيع الحرب ، ويجيد الطعن والضرب ، بل يمكن استفادة : أنه قد ولد في زمن النبي (ص) أيضاً ـ ويصح قول الواقدي السابق ، إذ من البعيد أن يقرن بالحسن والحسين ، وابن جعفر ، وهو لا يدانيهم بحسب السن ، وكلهم قد ولد في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

ج ـ إنهم يقولون : أنه كان لمسلم ولدان قد حاربا مع الحسين عليه السلام في كربلاء ، وقتلا العديد من الأبطال والشجعان ، وهما عبد الله ، ومحمد ، هذا عدا عن طفلين آخرين مميزين ، قتلا على شط الفرات في الكوفة . . فاللذان قتلا في كربلاء ، كانا قد بلغا الحلم على الأقل ، وهذا لا يلائم ما يقال ، من أن أباهما قد استشهد وعمره ٢٨ عاماً على أقل الروايات . . هذا لو كان عقيل قد توفي في سنة خمسين . .

وأما على حسب ما ذكرناه آنفاً من أن عقيلاً قد توفي في أول خلافة يزيد ،

---

(١) المناقب لابن شهر أشوب / ج ٣ ص ١٦٨ ، وسفينة البحار / ج ١ ص ٦٥٣ عن البحار / ج ٨ ص ٥١١ . والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٣٢ . وفيه : أنه كان على رجالة الميمنة . وفي كتاب سفير الحسين ص ٣٥ مناقشة أوردها فمن أراده فليراجعه.

فلو فرضنا أن مسلماً قد ذهب إلى معاوية بعد وفاة عقيل فمعنى ذلك هو أنه قد استشهد وعمره ١٨ سنة حسب نص الرواية ، ولا نستطيع : أن نتعقل حينئذ أنه في غضون هذه الفترة يتزوج عقيل المسن جداً ، ويولد له من تلك الجارية ستة أولاد منهم مسلم[١] يقتل منهم ثلاثة مع الحسين (ع) هم : مسلم ، وعبد الله ، وعبد الرحمان . ويذكر أن كل هؤلاء كانوا رجالاً لهم أولاد[٢] ، وكان لمسلم ستة أولاد أو ثمانية من ثلاثة نساء[٣] ويكبر أولاد مسلم ويصيرون شباناً ، ويقتل منهم اثنان مع الحسين في كربلاء ، وطفلان مميزان في الكوفة . .

إن كل ذلك مما لا يمكن أن يتم في غضون ثمانية عشر سنة كما هو ظاهر .

واحتمال أن يكون قد اشترى معاوية منه الأرض في أيام امارته لا في أيام خلافته[٤] .

غير صحيح ، لأن الحسين عليه السلام لم يكن له حق التصرف حينئذٍ ، إذ كانت الامامة لأبيه أو لأخيه .

---

(١) راجع : أنساب الأشراف للبلاذري ط الأعلمي / ج ٢ ص ٦٩ ولكن في طبقات ابن سعد / ج ٤ ص ٢٩ وكذا في المعارف ذكر خمسة فقط . .

(٢) راجع : أنساب الأشراف / ص ٧١ ط الأعلمي / ج ٢ .

(٣) لمسلم خمسة أولاد ذكورهم : عبد الله ، ومحمد ، وقد قتلا في كربلاء ، وعلي ، ومسلم ، وعبد الله .
فأما عبد الله وعلي ، فامهما رقية بنت أمير المؤمنين (ع) وقد استشهد عبد الله في كربلاء .
وأم مسلم ، من بني عامر بن صعصعة .
وعبد الله لأم ولد ـ ولعل الصحيح ؛ « عبد العزيز » فتأمل ـ .
ومحمد لأم ولد أيضاً راجع : أنساب الأشراف / ج ٢ ص ٧٠ و ٧١ ، والمعارف لابن قتيبة / ص ٨٨ ومقاتل الطالبين ، وتذكرة الخواص .
وفي عمدة الطالب / ص ١٦ ، ذكر له أيضاً بنتاً اسمها حميدة .
وهناك ولدان آخران له اسمهما : إبراهيم ، وأحمد . وقيل : طاهر ومطهر ، وهما المذبوحان في المسيّب كما قال الصدوق . وقال الطبري : بل هما من أولاد عبد الله جعفر ، والأول أقوى .
وكان مسلم قد تزوج ببنتين لأمير المؤمنين (ع) أحداهما بعد موت الأخرى ، وكلتاهما تسمى (رقية) . والتي ولدت له هي الصغرى منهما ، وهي الملقبة بأم كلثوم . .

(٤) سفير الحسين ص ١٠ .

فضلاً عن أن عقيلاً أبا مسلم قد كان حياً حينئذٍ ، وإنما كان عمر مسلم ثمانية عشر سنة بعد وفاة أبيه حسب نص الرواية . .

وهكذا . . يتضح : أن هذه الرواية مفتعلة ومختلقة، ولا يمكن أن تصح .

سبب افتعال الرواية :

وبعد . . فلعل سبب افتعال تلك الرواية مما لا يحتاج إلى مزيد بيان بعد أن كانت الرواية نفسها صريحة في ذلك كل الصراحة ، وذلك لأنها تتضمن :

أولاً : النص على كرم معاوية ، وحلمه ؛ لأنه اشترى لعقيل الجارية بعدما اسمعه عقيل الكلام الجارح ، لمجرد أن معاوية كان قد أحب ممازحته ، كما أنه قد صفح عن جرأة مسلم ، وتهديداته له ، وأحسن إليه بأن سوغه المئة ألف ، وردّ عليه الأرض . . وكل هذا ولا شك كرم عظيم ، وحلم رجل وفيّ كريم . ولا سيما إذا اعترف بذلك له ولكل آل أبي سفيان مثل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام . .

ثانياً : الرواية تنسب في مقابل ذلك إلى الإمام الحسين عليه السلام : أنه يلقي التهم جزافاً ، بلا مبرر ظاهر ، بل مبنية على الحدس والتخمين المخالف للواقع ، وذلك ينافي ما يقال عنه من أنه ممن أذهب الله عنهم الرجس ، وطهّرهم تطهيراً . .

هذا عدا عن أن الرواية تتهم مسلماً بالاحتيال ، حيث يبيع أرضاً ليست له ، ثم إن الحسين (ع) يجعل هذا المحتال بالذات ممثلاً له ونائباً عنه ، ويصفه بأنه أخاه ، وثقته من أهل بيته !! ـ هؤلاء هم أصحاب الحسين وثقاته محتالون دجّالون ! .

ثالثاً : الرواية تظهر : أن آل أبي طالب : سواء في ذلك عقيل أو مسلم ، أو الحسين أو غيرهم . . هم أهل فظاظة وعدوان . . وأما آل أبي سفيان ، وعلى

رأسهم معاوية ، الذي حارب علياً ، وسن لعنه على المنابر ، وقتل ولده الحسن ، وفعل غير ذلك من الأفاعيل ، فهم ـ باعتراف من الحسين نفسه ـ أهل حلم ، وكرم ، وصفح ، حتى بالنسبة لأعدى أعدائهم الذين ما فتئوا يواجهونهم بقوارع القول ، وقواذع الكلام ، وهم في المقابل يوسعونهم صفحاً وحلماً وكرماً . .

ومعنى ذلك : أن الامويين إذا ما قسوا في وقت ما على آل أبي طالب ، أو لعنوا علياً ، والحسن والحسين ، وغيرهم على المنابر . . فلا بد وأن آل أبي طالب أنفسهم قد اضطروهم لذلك ، وألجأوهم إليه ، لأنهم دائماً هم المعتدون ، ولمثل ذلك العقاب مستحقون .

أي أن السوء ليس في معاوية والامويين ، وإنما السوء كل السوء هو في علي ، وأهل بيته من العلويين . . وقد أوضحت الرواية كيف واجه عقيل والحسين ومسلم معاوية بتلك القسوة ، التي لا تصدر من أي من شذاذ الاعراب . . وكيف كان معاوية بهم جميعاً رفيقاً ، وبالكرم والصفح عنهم حقيقاً ـ حتى لقد اضطر الحسين لأن يعلن رأياً في آل أبي سفيان يخالف رأيه ورأي الهاشميين المعروف فيهم . . وعليه فلا بد وأن يكون قتل مسلم والحسين فيما بعد ، على يد يزيد ولد معاوية إنما هو بما جنته أيديهما ، لا ظلماً لهما واعتداء عليهما . . كما يصوره الهاشميون ، ومن يتشيع لهم . .

الكلمة الأخيرة :

ولكن . . وبعد أن ثبت بما لا مجال معه للشك كذب وافتعال تلك الرواية . . فإن خير ما نختم به كلامنا هنا هو قوله تعالى : « . . أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » . .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ أسد الغابة ..... لابن الأثير

٣ ـ الإصابة ..... للعسقلاني

٤ ـ أنساب الأشراف ..... للبلاذري

٥ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير

٦ ـ البحار ..... للمجلسي

٧ ـ تاريخ الخميس ..... للديار بكري

٨ ـ تذكرة الخواص ..... لسبط ابن الجوزي

٩ ـ تقريب التهذيب ..... للعسقلاني

١٠ ـ تهذيب التهذيب ..... للعسقلاني

١١ ـ الحياة السياسية للإمام الرضا (ع) ..... للمؤلف

١٢ ـ حياة الصحابة ..... للكاندهلوي

١٣ ـ الدرجات الرفيعة ..... للسيد على خان

١٤ ـ ذخائر العقبى ..... للطبري

١٥ ـ رجال المامقاني .....

١٦ ـ سفير الحسين .....

١٧ ـ سفينة البحار ..... للقمي

١٨ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

١٩ ـ الشهيد مسلم ..... للمقرم

٢٠ ـ صفة الصفوة ..... لابن الجوزي

٢١ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد

٢٢ ـ عمدة الطالب ..... لابن مهنا

٢٣ ـ الفتوح ..... لابن أعثم

٢٤ ـ فتوح الشام ..... للواقدي

٢٥ ـ مروج الذهب ..... للمسعودي

٢٦ ـ المعارف ..... لابن قتيبة
٢٧ ـ مقاتل الطالبيين ..... لابي الفرج
٢٨ ـ مناقب آل أبي طالب ..... لابن شهر أشوب
٢٩ ـ نكت الهميان ..... للصفدي .

الإمام علي بن الحسين وأموال مروان

٨ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ الموافق ٨ نيسان ١٩٧٦م.

يذكر بعض المؤرخين أن مروان بن الحكم كان قد أقرض الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام مالاً ، ثم سامحه به هو ، أو سامحه به هشام بن عبد الملك فيما بعد .

قال ابن سعد : « علي بن محمد ، عن جويرية بن أسماء ، عن عبد الله بن علي بن زين العابدين قال :

لما قتل الحسين قال مروان لأبي ان أباك كان سألني أربعة آلاف دينار ، فلم تكن حاضرة عندي ، وهي اليوم عندي مستيسرة ، فإن أردتها فخذها ، فأخذها أبي . فلم يكلمه أحد من بني مروان فيها ، حتى قام هشام بن عبد الملك . فقال لأبي : ما فعل حقنا قبلكم ؟ قال : موفر مشكور . قال : هو لك . . . »[1] .

وقال ابن كثير : « . . . وروى المدائني عن ابراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد أن مروان كان أسلف علي بن الحسين حتى يرجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار ، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئاً ، فبعث إليه عبد الملك بذلك ، فامتنع

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٩ ، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ قريب منه . . .

من قبولها ، فألح عليه ، فقبلها . . »[1] .

وقال ابن كثير أيضاً : « . . وقال الأصمعي لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين . ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن[2] .

فقال له مروان بن الحكم لو اتخذت السراري يكثر أولادك ؟ . . فقال ليس لي ما أتسرى به ، فأقرضه مئة ألف ، فاشترى له السراري ، فولدت له ، وكثر نسله . ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله ، رحمه الله . . »[3] .

ونحن نعتقد أن ذلك كله لا أساس له من الصحة ، وإنما هو محض افتراء واختلاق ، ومن الأساطير التي لا تستند إلى أي سند تاريخي يصح الاعتماد عليه ، والاستناد إليه . . . بل التاريخ يناقضها ، ويكذبها . . .

واعتقادنا هذا يرجع إلى عدة اعتبارات . . . ولبيان ذلك نقول :

إن هذه النصوص تفيد أن علي بن الحسين كان يعاني من ضائقة مالية . جعلته يقترض من مروان ما يستطيع أن يتسرى به ، وينفق منه على سائر شؤونه وحاجاته . . . وأن أباه الحسين نفسه كان يعاني من قلة المال ، حتى لقد طلب من مروان إسعافه بأربعة آلاف دينار . . فلم يستطع هذا تلبية طلبه .

وتفيد أيضاً أن علي بن الحسين لم يكن يستطيع أن يفي بعض ما عليه ، حتى سامحه هشام بن عبد الملك في أيام خلافته . . إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن استخلاصها من هذه النصوص ، والتي يمكن أن يُفهم جانب منها في مطاوي هذا البحث . . .

ونحن . . . من أجل استيفاء البحث حول هذه النصوص نؤثر أن نتكلم حول كل واحدة منها على حدة فنقول :

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٥٨ .
(٢) الصحيح من ابنة عمه الحسن .
(٣) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

أما حديث الأربعة آلاف التي أقرضه إياها مروان ، وبقيت عنده إلى أيام هشام فسامحه بها ، فحديث غريب وعجيب . . فعدا عن التناقض بين الروايات .

أولاً : هي تنص على أن الحسين كان قد طلب أولاً من مروان هذا المال ، فلم يلب طلبه ، ثم أعطاه لولده علي بن الحسين . . والسؤال هنا هو :

لماذا يختار الحسين مروان بن الحكم ليقترض منه ؟ ألم يكن على اطلاع بعداوته وسائر بني امية لأبيه وأهل بيته ، وحارب أباه في وقعة الجمل ، وكان يلعنه على المنابر ، ويحاول جاهداً النيل منه ، ومن كل من يمت له بأية صلة أو رابطة ؟

ألم يرفض الحسين أبي الضيم صلة معاوية له ، وردّ ما كان أرسل به إليه ، ولم يقبل منه شيئاً ، وذلك عند ما قدم معاوية مكة ؟[1] .

وهل كان الحسين حقاً بحاجة إلى المال ؟ ولماذا هذا المبلغ الضخم ؟ أربعة آلاف دينار . . وإذا كان الحسين بحاجة إلى المال وقد توفي ، فهل هذه الحاجة تنتقل منه إلى ولده ؟! .

ومن الناحية الأخرى لماذا يقبل علي بن الحسين من مروان ما كان قد عرضه على أبيه ؟ مروان الذي لم يزل عدواً لبني هاشم حتى مات[2] ـ لماذا يقبل منه ذلك . . . ، بعد أن رآه يشير على أمير المدينة الوليد بن عتبة بقتل أبيه الحسين ـ باتفاق المؤرخين ـ وبعد أن رآه يتصرف مع رأس أبيه الحسين ذلك التصرف المشين الآتي بيانه ؟ . وكذلك موقفه عند وفاة عمه الإمام الحسن (ع) إلى آخر ما هنالك من مواقف مروان المعروفة منه ، ومن آل علي بشكل عام . .

وثانياً : كيف لم يستطع علي بن الحسين طيلة تلك المدة التي تزيد على الأربعين سنة أن يوفي هذا الدين ، حتى يضطر هشاماً إلى مطالبته بالحق الذي له

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٦٤ ، وملحقات احقاق الحق ج ١١ ص ٤٥٠ عنه .
(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٤ .

قبله ؟ مع أنه كان ينفق من الأموال الشيء الكثير الكثير . وكان « يعول مئة أهل بيت بالمدينة . ولا يدرون بذلك حتى مات»[1] و«دخل على محمد بن أسامة بن زيد يعوده ، فبكى ، فقال له ما يبكيك ؟ قال علي دين . قال وكم هو ؟ قال خمسة عشر ألف دينار ـ وفي رواية : سبعة عشر ألف دينار ـ فقال هي علي »[2] .

كما أنه قد أعطى الكميت عندما مدحه أربع مئة ألف درهم جمعها له من نفسه وأهله[3] على ما قيل . . وأعطى الفرزدق اثني عشر ألف درهم . . .

فلماذا لا يفي الأربعة آلاف إذن ؟ . وإذا كان يعجز عنها ، فلماذا لا يعجز عن السبعة عشر ألف دينار ؟ وعن الأربعماة ألف درهم ؟ ولماذا لا يعجز عن إعالة المئة أهل بيت ؟ ولماذا يعتق العبيد ، ويعطي الشعراء ، وغيرهم ؟ لماذا كل ذلك ؟ ألم يكن من الأفضل له أن يقضي دينه ، ويقطع ألسنة المطالبين له بحقوقهم ؟ .

أم يعقل أنه أراد أن يذهب بحق آل مروان ، ويجحده ؟ أم أنه كان يأمل أن ينسوا حقهم هذا ولا يذكروه ، بعد مضي تلك الأزمنة المتطاولة أكثر من أربعين عاماً .

ولماذا اختص هشام بالمطالبة له ، وسكت عنه الباقون ؟ فهل المراد غسل عار قضيته مع زين العابدين والفرزدق من قبل ، وأيضاً عار قتله زيد بن علي بن الحسين فيما بعد ذلك ؟ إلى آخر ما هنالك من الأسئلة التي لن تجد الجواب المقنع والمفيد قطعاً .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٦٤ ، والبداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٥ وتذكرة الخواص ص ٢٣٧ والأنوار الإلهية ص ٥١ ، وليراجع أيضاً ملحقات احقاق الحق ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠ عن مطالب السؤل ص ٧٨ ، وروض الرياحين ص ٥٥ ، والاتحاف بحب الأشراف ص ٩٠ ، ونور الأبصار ص ١٢٩ ، وإسعاف الراغبين هامش نور الأبصار ص ٢٤٠ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٣٥ ومشارق الأنوار ص ١٢٠ .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٥ ، وملحقات الاحقاق ج ١٢ ص ٥٨ ، ٥٩ عن حلية الأولياء ج ٣ ص ١٤١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٣٥ ، وتذكرة الخواص ص ٣٤١ ، ومطالب السؤل ص ٧٩ ، والمختار في مناقب الاخيار ص ٣٧ ، ومشارق الأنوار ص ١٢٠ ، وإسعاف الراغبين هامش نور الأبصار ص ٢٤٠ ، ونور الأبصار ص ١٨٩ .

(٣) ملحقات احقاق الحق ج ١٢ ص ٦١ ، عن تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٢٦ .

وثالثاً : لقد كفانا ابن كثير نفسه مؤونة الرد على ذلك ، حيث علق على ما ذكر بقوله :

« . . . قلت هذا الكلام فيه نظر وذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء وهي سنة أربع وتسعين ، قبل أن يلي هشام الخلافة بإحدى عشرة سنة ، فإنه إنما ولى الخلافة سنة خمس ومئة . .

فقول المؤلف[1] أن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولى هشام بالمال المذكور ، فيه نظر ، ولا يصح ، لتقدم موت علي على خلافة هشام . . . »[2] .

وأما حديث اقتراض علي بن الحسين عليه السلام من مروان ستة آلاف دينار ، من أجل أن ينفق على العيال في مسيرهم من الشام إلى المدينة ، بعد قتل أبيه الحسين ، فهو لا يستقيم أيضاً لعدة أمور .

فبالإضافة إلى بعض ما قدمناه من عداوة مروان لآل علي (ع) ، وغير ذلك مما لا نرى حاجة لإعادته . . نسجل هنا الملاحظات التالية :

١ ـ لا ندري لماذا يحتاج علي بن الحسين في الرجوع إلى المدينة إلى هذا المبلغ الضخم من المال ولا سيما في تلك الفترة ، التي كان المال القليل فيها يفي بالحاجات الكثيرة . .

٢ ـ إن هذاينا في ما يذكره المؤرخون من أن يزيد بن معاوية عندما رأى أن وجود آل علي بالشام في غير صالحه ، وأنه يوجب تأليب الرأي العام ضده ، وخصوصاً بعد خطبة زينب المشهورة في ديوان يزيد ، وأيضاً بعد خطبة زين العابدين في المسجد ، هذه الخطبة التي هزت العرش الأموي ، وزعزعت أركانه ، وأوجبت هياج الناس ، واضطرابهم . . الأمر الذي اضطر يزيد إلى أن

---

(١) هذه العبارة تنافي أن يكون هذا الكلام من ابن كثير ، وتدل على أنه هامش لأحد العلماء تخيله النساخ من الأصل ، فأدرجوه فيه . ويدل على ما ذكرنا أنه قد كتب في الهامش أن هذه العبارة كلها ليست في جميع النسخ ، بل هي زيادة من المصرية .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٢ .

يأمر المؤذن أن يرفع الأذان ، ليقطع على زين العابدين كلامه[1] .

فلقد أعلم زين العابدين الناس أن الحسين الذي قتله يزيد لم يكن خارجياً ، لا يؤمن بالدين ولا بالإسلام . . . وكذلك من كانوا معه ، وإنما هو ابن رسول الله ، والذين كانوا معه هم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً . . ومن شيعتهم ومحبيهم . . وهي الخطبة التي يقول فيها أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا الخ . . ولولا أن المقام لا يتسع لها لأوردتها بطولها ، مع كل ملابساتها . . . ولكن نرجىء ذلك إلى فرصة أخرى نسأل الله التوفيق لها . . .

والمهم . . . الذي نريد الإشارة إليه هنا هو أن يزيد لما رأى أن بقاء آل علي بالشام في غير صالحه ، غير سياسته معهم ظاهرياً ، وأظهر الندم عندما رأى مقت المسلمين وبغض الناس له[2] . . . وألقى اللوم على ابن مرجانة ، ووهبهم الأموال الكثيرة ـ على حد تعبير ابن كثير في البداية والنهاية ، وأزاح علتهم في سفرهم إلى المدينة . . .

٣ ـ إن مروان لم يكن حينئذ بالشام ، وإنما كان بالمدينة ، ولم يأت إلى الشام إلا بعد ذلك بمدة طويلة ، وإذا كان مروان بالمدينة ، وعلي بن الحسين بالشام ، فكيف أقرضه ستة آلاف دينار ؟ . . .

قال في الإصابة وهو يتحدث عن مروان : « . . . ثم ولى امرة المدينة لمعاوية ، ثم لم يزل بها إلى أن أخرجهم ابن الزبير في أوائل إمرة يزيد بن معاوية ، فكان ذلك من أسباب وقعة الحرة . وبقى في الشام إلى أن مات معاوية بن يزيد الخ . . . »[3] .

---

(١) راجع : الخطبة ، وتفصيل ما جرى في المسجد في مقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٩ فما بعدها والبحار ج ٤٥ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ وملحقات احقاق الحق ج ١٢ ص ١٢٧ فما بعدها عن الخوارزمي ومقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٢ عنه ، وعن نفس المهموم ٢٤٢ ، وأشار إليها في مقاتل الطالبيين ص ١٢١ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٨ .

(٣) الإصابة ج ٣ ص ٣٧٨ .

وقد أخرجهم منها ابن الزبير بعد قتل الحسين (ع) كما سنشير إليه .

ومما يدل أيضاً على أنه كان بالمدنية ما ذكره سبط ابن الجوزي ، قال « دفن رأس الحسين عند امه وذكر الشعبي أن مروان كان بالمدينة ، فأخذ الرأس ، وتركه بين يديه ، وتناول أرنبة أنفه ، وقال :

يا حبذا بردك في العيدين ولونك الأحمر بالخدين

والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان . . . »[1] .

وعن « تاريخ البلاذري أنه لما وافى رأس الحسين عليه السلام المدينة ، سمعت الواعية من كل جانب ، فقال مروان بن الحكم :

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

ثم جعل ينكت بالقضيب في وجهه ، ويقول :

يا حبذا لونك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
كأنما بت بعسجدين شفيت منك النفس يا حسين »[2]

أما ابن أبي الحديد فيذكر هذه الحادثة على النحو التالي : « . . وأما مروان فأخبث عقيدة ، وأعظم إلحاداً وكفراً . وهو الذي خطب يوم وصل إليه رأس الحسين (ع) إلى المدينة ـ وهو يومئذ أميرها ـ وقد حمل الرأس على يديه ، فقال :

يا حبذا بردك في اليدين وحمرة تجري على الخدين
كأنما بات بعسجدين

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي وقال يا محمد ، يوم بيوم بدر . . إلى أن قال : هكذا قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي . والصحيح : أن مروان لم يكن أمير المدينة يومئذ ، بل كان أميرها عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يحمل إليه

---

(١) تذكرة الخواص ص ٢٦٦ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٤٦٤ عنه .

(٢) مثير الأحزان لابن نما ص ٧٥ والبحار ج ٤٥ ص ١٢٤ ، ورياض الأحزان ص ٥٩ ، ومقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٧ عنهما وذكر في تذكرة الخواص ص ٢٦٦ البيت الأول فقط وهو ضربت دوسر الخ . . .

الرأس ، وإنما كتب إليه عبيدالله بن زياد يبشره بقتل الحسين عليه السلام الخ ... »[1] انتهى .

واعتراض ابن أبي الحديد على عبارة « وهو يومئذ أميرها » صحيح ، فإن مروان لم يكن حينئذ أمير المدينة . ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون مروان قد فعل ذلك مع رأس الحسين حينما أرسل إلى المدينة . . . ولا نستبعد أن تكون كلمة ـ وهو يومئذ أميرها ـ قد زيدت عمداً من أولئك الرواة الذين يغارون على مروان ، ويعطفون عليه ، بهدف إيجاد ما يوجب التشكيك في صدور هذا الأمر المشين منه .

ولكن اشكال ابن أبي الحديد بأن الرأس لم يرسل أصلاً إلى المدينة وإنما أرسل عبيدالله بن زياد يبشر بقتله ـ هذا الاشكال ـ في غير محله . . . إذ ينص عدد من المؤرخين على أن : « يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة ، فدفنه عند امه بالبقيع . . . »[2] ويدل عليه ما تقدم نقله عن البلاذري وابن الجوزي أيضاً . ونقل سبط ابن الجوزي عن جده أنه تعجب من رد يزيد « الرأس (أي رأس الحسين) إلى المدينة وقد تغيرت ريحه وما كان مقصوده إلا الفضيحة ، واظهار رايحة الرأس . . . »[3] .

ونحن . . . وإن كنا لا نوافق على دفن الرأس بالمدينة ، لكن لا مانع من أن يكون قد حمل إليها بهدف التشفي من آل علي وبني هاشم ، ومن الحسين ، ومن أهل المدينة أيضاً . . . ثم بعد ذلك تسلمه الإمام زين العابدين ، ورده إلى كربلاء ودفنه مع الجسد الشريف ، حسبما تنص عليه الرواية ، وأيده جمع من المؤرخين . . .

وعلى كل حال . . . فإن ما أشكل به ابن أبي الحديد غير وارد ، وليس له ما

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٤ ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤ ومآثر الانافة ج ١ ص ١١٩ وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٧٦ وتذكرة الخواص وغير ذلك .

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٩٠ .

يؤيده بل الشواهد والمؤيدات على خلافه . .

وكون مروان آنئذ في المدينة هو الظاهر . . الذي تؤيده النصوص ، والشواهد التاريخية ، ومما يدل عليه بالإضافة إلى كل ما قدمناه .

أنه لما بلغ ابن الزبير قتل الحسين خلع يزيد ، وكاتبه أهل المدينة ، وقال الناس أما إذا قتل الحسين ، فليس ينازع ابن الزبير أحد ، فبلغ ذلك يزيد ، فحلف ليأتينه في سلسلة فضة ثم أرسل السلسلة مع البريد إلى ابن الزبير ، ليبر بيمينه ، فمر البريد على مروان وهو بالمدينة ، فعلم بأمر الرسالة والغل فأنشأ مروان يقول :

فخذها فما هي للعزيز بخطة الخ الأبيات . . .

وأرسل ولديه عبد الملك وعبد العزيز ، ليحضرا جواب ابن الزبير ، ويسمعاه الأبيات ، الخ القصة[1] الدالة على أن مروان كان بالمدينة عند ما خلع أهلها يزيد ، بسبب ما انتهى إليهم من نبأ قتل الحسين . .

إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا لتتبعه واستقصائه . .

وبعد كل ما قدمناه ، فلعلنا لا نجد كبير عناء في الإجابة على حديث قرض مروان للإمام مئة ألف ، ليشتري بها الجواري ، ويتسرى بها ، ويكثر أولاده . . .

إذ بالإضافة إلى إننا :

١ ـ لا نجد مبرراً لاهتمام مروان بزيادة نسل علي بن الحسين ، بل نجد الكثير مما يبرر لنا اهتمامه بخلاف ذلك لا سيما بعد ملاحظة عدائه لعلي بن أبي طالب ، الذي حاربه مروان في واقعة الجمل ، ولولده الحسين الذي أشار هو على الوليد بقتله ، والذي فعل برأسه الشريف ما فعل مما تقدمت الإشارة إليه . . . وأيضاً لعنه علياً عليه السلام على المنابر إلى غير ذلك مما هو معروف ومشهور .

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٢ .

٢ ـ ما قدمناه من أن علي بن الحسين كان يملك من المال ما يكفيه لما هو أعظم من ذلك بكثير ، ولا يحتاج إلى الاقتراض من مروان ، وأشباه مروان .

ويذكرون أنه اعتق عشرات الألوف من الموالي فلم لا يتسرى ببعض الجواري ؟!

٣ ـ إننا لا نجد مبرراً لالتجائه إلى مروان للاقتراض منه لا سيما بعد أن كان في بني هاشم من يستطيع أن يقرض اضعاف ذلك المبلغ ، مثل عبد الله بن جعفر ، الذي أعطى الفرزدق على موقفه من علي بن الحسين مع هشام وقصيدته المشهورة أربعين ألف دينار حسبما ينص عليه البيهقي[1] . . وغير عبد الله بن جعفر من الأثرياء والمتمولين من الهاشميين . .

٤ ـ إن هذه الرواية لم تعين المال الذي اقرضه إياه مروان هل هودراهم ؟ أو دنانير ؟ ولعل ذلك لحاجة في نفس الأصمعي قضاها . .

٥ ـ تنص الرواية على أنه : « أقرضه مئة ألف ، فاشترى له السراري الخ . . » فهل ذلك يعني أن علي بن الحسين لم يكن يحسن أن يشتري لنفسه ؟ أم أن الهدف هو إظهار مدى غيرة مروان ، وتفانيه في سبيل هذا الأمر ، وهو أن يكثر نسل علي بن الحسين ويزداد ؟ . .

٦ ـ هل إن التسرى لكثرة الولد يحتاج إلى كل هذا المبلغ العظيم ؟ ، مئة ألف لا سيما في تلك الفترة التي كان النقد فيها عزيزاً ، والقليل منه يكفي للشيء الكثير ؟

إننا بالإضافة إلى كل ذلك ، نود أن نسجل هنا النقاط الثلاثة التالية :

أولاً : إن من يتسرى بمئة ألف لا بد وأن يبلغ أولاده من الكثرة ما يتناسب مع هذا المبلغ العظيم خمسين ، ستين ولداً ، فما فوق . .

ونحن لا نجد فيما بأيدينا من التاريخ ما يدل على بلوغ مجموع نسله عليه السلام ربع ، بل خمس هذا المقدار ، لأن مجموع نسله سواء قبل المئة ألف ، أو

(١) المحاسن والمساوي ، طبع مصر ج ١ ص ٣٤٨ .

بعدها ، يقال : ثمانية[1] ويقال : تسعة[2] ، ويقال : اثنا عشر[3] . ويقال : أربعة عشر عشرة من الذكور وأربعة من الإناث[4] .

ويقال خمسة عشر[5] ، وهو أقصى ما هنالك . .

ثانياً : إن الأرقام التاريخية تدل على أنه لا يمكن أبداً أن تكون المئة ألف ، قد أثرت في زيادة نسله عليه السلام ، ولو فرداً واحداً . . فضلاً عن كونها سبباً في كثرة نسله .

إذ أن أربعة من أولاده عليه السلام ، وهم الإمام محمد الباقر ، والحسن ، والحسين الأكبر ، وعبد الله[6] . . امهم هي ام عبد الله بنت الإمام الحسن عليه السلام ، التي تعترف الرواية نفسها بأن زين العابدين كان قد تزوجها ، وولدت له ، قبل قضية المئة ألف بل لقد تزوجها قبل واقعة الطف ، لأن الباقر كان قد ولد قبل واقعة كربلاء بأكثر من سنتين ، كما تدل عليه أقوال كل من تعرض من المؤرخين لتاريخ ولادة الباقر عليه السلام .

وخمسة من ولده عليه السلام ، وهم زيد ، وسليمان ـ توفي صغيراً ـ والحسين الأصغر ، والحسن ، وعلي[7] . . ويضيف إليهم ابن سعد خديجة ، وعمر[8] . . هؤلاء قد ولدتهم أم ولد ، أهداها له المختار بن أبي عبيد[9] . .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٠٥ والبحار ج ٤٦ ص ١٥٥ ونقله في كشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٤ عن ابن الخشاب .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٣) مناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ٣١١ .

(٤) نقله في البحار ج ٤٦ ص ١٥٥ عن كتاب العدد .

(٥) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩٥ وإرشاد المفيد ص ٢٧٨ .

(٦) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٠٥ . لكن اليعقوبي ذكر الحسن مع الآتين . .

(٧) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٨) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ لكنه أهمل ذكر الحسين الأصغر وذكر سليمان لأم ولد أخرى وعد الحسن في أولاد بنت الحسن . .

(٩) مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني ص ١٢٧ .

فيصير المجموع أحد عشر ، كلهم ليسوا من المئة ألف التي أقرضه إياها مروان أربعة من بنت الحسن ، وسبعة من جارية أهداه إياها المختار ، كما قلنا . . .

ويبقى على أبعد الأقوال بقية الخمسة عشر الذين ، ذكرهم البعض في أولاده ، لكن يشك كثيراً في أن يكونوا قد ولدوا له عليه السلام . . . بل يشك في بعض من ذكر آنفاً وعد في أولاده . لا سيما بملاحظة أن عدداً من المؤرخين يقولون بأن عدد أولاده لم يزد على الثمانية أو التسعة . . وبملاحظة تصريح آخرين : بأنه لم يولد لعلي بن الحسين انثى أصلاً[1] . . وبقية من يذكرون إناث كما يظهر من ملاحظة الأسماء التي يوردونها[2] فمن أين كثر نسله عليه السلام بسبب السراري التي اشتراها بمئة ألف مروان ؟

وثالثاً : الأصمعي . . معروف بالكذب ، وبالإنحراف عن علي عليه السلام ، وأهل بيته . .

وحسبنا أن نذكر شاهداً على ذلك أنه لما قال المتوكل لأبي العيناء بأنهم رموك بالرفض . . اعتذر له أبو العيناء بأمور ، منها أنه كيف ذلك وكان الأصمعي استاذي[3]؟

وفي المعجم أن أبا قلابة كان صديقاً للأصمعي وكان أبو قلابة شيعياً ، والأصمعي ناصبياً، فلما مات الأصمعي خرج أبو قلابة في جنازته ، وهو يقول :

لعن الله أعظماً حملوها لديار البلى على خشبات

---

(١) صرح بذلك في كشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٤ وحكاه في المناقب ج ٢ ص ٣١١ بلفظ قيل : وحكاه كشف الغمة على ما في البحار ج ٤٦ ص ١٥٥ عن ابن الخشاب ، وحكاه صاحب قاموس الرجال في رسالة تواريخ النبي والآل التي في آخر ج ١١ من قاموس الرجال ص ٥٧ ـ حكاه عن ابن الخشاب ـ وعن دلائل الطبري . . . لكن صاحب القاموس حاول إثبات وجود بنتين له عليه السلام فراجع رسالته المذكورة .

(٢) عد ابن سعد في طبقاته ج ٥ ص ١٥٦ أولاده عليه السلام كلثم ، ومليكة ، وحسنة ، وأم الحسين ، وفاطمة ، والقاسم وأهمل بعض من ذكرنا كما عرفت .

(٣) قاموس الرجال ج ٦ ص ١٨٠ وزهر الأداب ج ١ ص ٣٢٢ .

أعظماً تكره النبي وأهل البيت والطيبين والطيبات[1]»

وواضح أن الأصمعي كان يعرف أن العلويين كانوا أخطر المنافسين للحكم العباسي ، وأن العباسيين كانوا يحاولون جاهدين تشويه سمعتهم ، والحط من مكانتهم وبعد هذا . . فما الذي يمنع الأصمعي من أن ينفس عن حقده ، ويطرح بضاعته ـ الكذب في سوق التزلف للعباسيين ، والتقرب لهم بذم خصومهم ، ونسبة الأباطيل لهم ، إذا علم أن ذلك يروق لأُ سياده العباسيين ؟ .

وأخيراً . . . فإن ثمة أسئلة كثيرة أخرى تطرح نفسها ، بالنسبة لمجموع تلك الافتراءات . . وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، نقول :

لماذا هذا الاختلاف بين تلك النصوص في مقدار المال الذي كان لآل مروان ، عند علي بن الحسين ؟ . . . تارة أربعة آلاف دينار وأخرى ستة آلاف دينار وثالثة : مئة ألف ، لم يعرف هل هي من الدنانير ، أو من الدراهم . . .

وأيضاً لماذا هذا الاختلاف في تعيين السبب الذي جعل هذا المال في ذمة علي بن الحسين ؟ ثم الاختلاف في من سامح علياً بالمال ؟ هل هو مروان نفسه ؟ أم هو هشام بن عبد الملك فيما بعد . .

وهل سامحه مروان مرتين مرة بالستة آلاف ، ومرة بالأربعة ؟ . . . ولماذا لا يضيف إلى ذلك المئة ألف أيضاً فيسامحه بها أيضاً ؟

وكذلك ما هو السبب الذي يدعو مروان لمسامحته بهذا المبلغ الضخم ؟ . . . وهل حديث الستة آلاف والأربعة واحد ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟ إلى آخر ما هنالك .

الجواب عن ذلك كله هو : إن المهم هو فقط إثبات أن مروان قد أعطى علي بن الحسين مالاً ، وتفضل عليه ، وسامحه به . . ولكن لماذا يكون ذلك هو

---

(١) قاموس الرجال ج ٦ ص ١٨٠ نقلاً عن المعجم عنوان أبي قلابة ولا بأس أيضاً بمراجعة وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٠ طبع سنة ١٣١٠ والكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٨ ، ٣٩ .

المهم ؟ . . وهل ثمة حاجة إلى هذه الافتراءات ؟ . . أو ما يبرر هذه الافتعالات ؟

والجواب عن ذلك سهل ويسير . . وهو نعم . . إن ثمة حاجة إلى هذه الافتراءات . . ويوجد الكثير مما يبرر هذه الافتعالات . .

ونكتفي نحن بذكر نقاط ثلاث نرى أنها كلا أو بعضاً هي السر الكامن ، والباعث القوي على اختلاق مثل هذه الأساطير . . وإن كنا لا نمانع في وجود مبررات أخرى للاختلاق والافتعال ، وبالأخص على أئمة أهل البيت عليهم السلام . . . لكننا نرى أن هذه النقاط الثلاث هي الجديرة بالتسجيل في هذه العجالة :

وهذه النقاط هي :

١ ـ لقد أراد هؤلاء أن يكافئوا علي بن الحسين علي اليد التي أسداها لمروان ، عندما أخرج هو وسائر بني امية من المدينة ، حينما خلع أهل المدينة يزيد الذي انتقم منهم في وقعة الحرة شر انتقام . . حيث لم يجد مروان أحداً يجير له حرمه غير علي بن الحسين ، الذي ضمهم إلى عياله ، وآمنهم ، وأخرجهم إلى ينبع ، أو الطائف[1] .

فاخترعوا هذه الأساطير ، لأن مروان كان قد أصبح خليفة ، ولا يجوز أن يحسن إليه الآخرون ، وبالأخص آل علي ، الذين لا يجهل أحد ماضيه معهم . . إلا إذا كافأهم بأحسن من ذلك .

ولهذا نلاحظ أن الزهري ، الذي كان منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام[2] يحاول أن يسدي خدمة لمروان وآل مروان ، فنراه يقول عن علي بن

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٧٨ ، والأغاني ج ١ ص ٢١ ، طبع دار الفكر ، وملحقات احقاق الحق ج ٤ ص ٩٣ والأنوار الالهية ص ٥٢ والبحار ج ٤٦ ص ١٣٨ وسفينة البحار ج ٢ ص ٥٣٧ عن الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٥١ .

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٥٧٢ نقلاً عن ابن أبي الحديد .

الحسين : إنه كان : « أحبهم (أي أحب الناس) إلى مروان ، وابنه عبد الملك . . »[1] .

وليت شعري إذا كان أحب الناس إليهما ، فلماذا لا يقنعهما بالكف عن سب جده علي ، ولعنه على المنابر ؟ ولماذا مات مروان وهو عدو له كما تقدم عن ابن كثير .

وإذا كانوا يسبون جده على المنابر ، فلماذا يقترض منهم ، ويتقبل عطاياهم؟

أم يعقل أنه كان هو راضياً بذلك السب ، مقتنعاً به ؟ . .

٢ ـ إنه إذا كان الامويون يحبون آل علي ، ويعطفون عليهم ، ويعينونهم بالأموال وغيرها . . فلا يليق بالعلويين أن يقابلوا احسانهم ذاك بالإساءة . .

ومن هنا يوجد المبرر لأي تصرف أموي ، يبدو أنه قاس ضد العلويين ، حيث لا يبقى ثمة شك في أن العلويين هم الذين يعتدون ، ولمثل ذلك العقاب ، بل وللاكثر منه يستحقون . . فقتل زيد بن علي بن الحسين ، وولده يحيى ، بل وحتى قتل الحسين وأهله وصحبه في مذبحة كربلاء . . وحتى لعن علي على المنابر . . كل ذلك وسواه ، لا يعود له تلك الفظاعة والبشاعة ، التي يراها الناس فيه . .

٣ ـ كما أنه يصير لبني العباس ـ الذين يريد الأصمعي واضرابه التزلف لهم ـ الحق كل الحق في التشنيع على آل علي ، أخطر خصومهم لمألأتهم أعداءهم ، وأعداء الطالبيين على حد سواء ، والتعامل معهم . . وبالأخص عندما يكون الناس قد اقتنعوا بما كان يروّج له العباسيون واشياعهم من أن خروج العباسيين على الامويين وقتلهم لهم ، إنما هو للأخذ بثارات العلويين . . . وبالأخص ثارات الحسين ، أبي زين العابدين وثارات زيد ، ويحيى أبناء زين العابدين ، ويرى الناس في مقابل ذلك محبة مروان ، وولده عبد

---

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٩ .

الملك له ، وتساهل هشام بن عبد الملك معه ، وتعامله هو معهم ، وعلاقاته بهم .

ويرى الناس أيضاً أن هؤلاء العلويين المتعاملين مع الامويين ، يخرجون على العباسيين ، الذين أخذوا بثاراتهم ، وانتصروا لهم . .

وبعد هذه المعادلات فإن من الطبيعي أن يرتفع العباسيون في نظر الناس إلى أوج العظمة والرفعة والمجد . . . وقد يلحقونهم بدرجات الأولياء والقديسين . . . وتنحط في مقابل ذلك ـ بنفس النسبة ـ مرتبة أهل البيت عندهم ، وتتأكد نفرتهم منهم ، ولا ينظرون إليهم بعد ذلك ، إلا بعين النقص ، والمهانة والازدراء . . . وتلك هي ـ ولا شك ـ إحدى امنيات العباسيين ، بل هي أجلّ امنياتهم وأغلاها . . .

ولكن الحقيقة هي أن ذلك كله لم يكن لينطلي على الناس ، الذين كانوا يرون عن كثب سيرة العباسيين وسلوكهم اللا إنساني واللا أخلاقي ، ويرون في مقابل ذلك سلوك الأئمة ، ومواقفهم . . . فتبخرت كل هذه الأكاذيب ، ونسيها الناس ، ولم يلتفتوا لها . . . وبقيت ـ فقط ـ الصورة الحقيقية لهم عليهم السلام ، والتي تمثل كل معاني النبل ، والنزاهة ، والطهر والإباء ، وغير ذلك من صفات الإنسان ، الإنسان الحق . . .

٢٨ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ ـ ٨ نيسان ١٩٧٦م.

مصادر البحث

١ ـ الاتحاف بحب الأشراف ..... للشبراوي

٢ ـ احقاق الحق (الملحقات) ..... للمرعشي النجفي

٣ ـ الإرشاد ..... للمفيد

٤ ـ إسعاف الراغبين ..... للصبان

٥ ـ الإصابة ..... للعسقلاني
٦ ـ الأغاني ..... لأبي الفرج
٧ ـ الإمامة والسياسة ..... لابن قتيبة
٨ ـ الأنوار الإلهية ..... للقمي
٩ ـ البحار ..... للمجلسي
١٠ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
١١ ـ تاريخ الإسلام ..... للذهبي
١٢ ـ تاريخ الخلفاء ..... للسيوطي
١٣ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
١٤ ـ تذكرة الخواص ..... لسبط ابن الجوزي
١٥ ـ حلية الأولياء ..... لأبي نعيم
١٦ ـ رسالة في تواريخ النبي والآل ..... للتستري
١٧ ـ رياض الأحزان .....
١٨ ـ زهر الآداب ..... للحصري
١٩ ـ سفينة البحار ..... للقمي
٢٠ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
٢١ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
٢٢ ـ الفصول المهمة ..... للمالكي
٢٣ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
٢٤ ـ الكامل في التاريخ ..... لابن الأثير
٢٥ ـ كشف الغمة ..... للاربلي
٢٦ ـ الكنى والألقاب ..... للقمي
٢٧ ـ مآثر الانافة ..... للقلقشندي
٢٨ ـ مثير الأحزان .....
٢٩ ـ المحاسن والمساوي ..... للبيهقي
٣٠ ـ مقاتل الطالبيين ..... لأبي الفرج
٣١ ـ مقتل الحسين ..... للخوارزمي

٣٢ ـ مقتل الحسين ..... للمقرم
٣٣ ـ مناقب آل أبي طالب ..... لابن شهر أشوب
٣٤ ـ نور الأبصار ..... للشبلنجي
٣٥ ـ وفيات الأعيان ..... لابن خلكان

من هو الأمير الأول في غزوة مؤته

يذكر المؤرخون عموماً أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول في غزوة مؤتة ، ثم جعفر ثم عبد الله بن رواحة . وخالف في ذلك الشيعة ـ على حد تعبير ابن أبي الحديد ـ وبعض من غيرهم وقالوا بل الأول هو جعفر ثم زيد . . . وقد أيدهم ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال :

« . . . قلت اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول ـ وأنكرت الشيعة ذلك ، وقالوا كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول ، فإن قتل فزيد بن حارثة ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة . ورووا بذلك روايات ، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن اسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم . . . »[1] ثم استشهد بما يأتي من قول حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك . .

بل يمكن أن يستظهر ذلك من اليعقوبي حيث قال :

« . . . ووجه جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة في جيش إلى الشام ، لقتال الروم سنة ٨ . وروى بعضهم أنه قال أمير الجيش زيد بن حارثة فإن قتل زيد بن حارثة ، فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٢ ، وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٢٤ عنه . .

جعفر بن أبي طالب، فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل عبـد الله بن رواحة ، فليرتض المسلمون من أحبوا . .

وقيل بل كان جعفر المقـدم ، ثم زيد بن حـارثة ، ثم عبـد الله بن رواحة . . »[1] .

وقال العسقلاني عن جعفر : « استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غزوة مؤتة ، واستشهد . . . »[2] .

وقال الطوسي : « على أنه قد اختلفت الرواية في تقديم زيد على جعفر ؛ فروى أن جعفر كان أميراً أولاً ، وانشدوا في ذلك أبياتاً لحسان بن ثابت ، وهي الخ . . . »[3] .

ونحن بدورنا نقول إن جعفراً كان هو الأمير الأول ، وليس زيداً على عكس ما اشتهر بين المؤرخين والمحدثين . . .

ونستند في ذلك إلى عدة أمور :

١ ـ الروايات التي أشار إليها ابن أبي الحديد ، الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة ، كرواية أبان عن الصادق أنه قال : إنه استعمل عليهم جعفراً ، فإن قتل فزيد ، فإن قتل فابن رواحة . .[4] .

وقد قال السيد شرف الدين في هذا المقام إن « اخبارنا في هذا متضافرة ، عن طريق العترة الطاهرة . . . »[5] .

٢ ـ ما رواه ابن سعد في طبقاته ، باسناده عن أبي عامر ، قال : « بعثني النبي إلى الشام ، فلما رجعت مررت على أصحابي ، وهم يقاتلون المشركين

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٥ طبع صادر . .
(٢) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٩٨ .
(٣) تلخيص الشافي ج ١ ص ٢٢٧ .
(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشهوب ج ١ ص ٢٠٥ ، والبحار ج ٢١ ص ٥٥ ، واعلام الورى ص ١١٠ طبعة ثانية ، وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٢٤ .
(٥) النص والاجتهاد ص ٨٥ طبع سنة ١٣٨٦ هـ .

بمؤتة . قلت : والله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم . . .

فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ، ولبس السلاح (وقال غيره أخذ اللواء زيد بن حارثة) ، وكان رأس القوم ، ثم حمل جعفر ، حتى إذاهم أن يخالط العدو ، رجع فوحش بالسلاح ، ثم حمل على العدو ، فطاعن حتى قتل ، ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة ، فطاعن حتى قتل ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فطاعن حتى قتل ، ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة . . . »[1] .

٣ ـ الشعر الذي أشار إليه ابن أبي الحديد . . حيث قد روى أن حسان بن ثابت قد رثى شهداء مؤتة فكان من جملة ما قال :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة ، منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد ، وعبد الله ، حيث تتابعوا جميعاً ، وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الحرب ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم الضلالة مجسر[2]

إلى آخر القصيدة .

حيث لم يكتف في هذا الشعر بذكر التتابع جعفر ، فزيد ، فابن رواحة . . . بل صرح بأن القائد لهم إلى الحرب ميمون النقيبة أزهر أغر، من آل هاشم ، وهو جعفر ، رضوان الله تعالى عليه . . .

٤ ـ ما قاله كعب بن مالك الأنصاري ، في رثاء شهداء مؤتة أيضاً حيث كان من جملة ما قال :

فكأنما بين الجوانح والحشا مما تأوّبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلو

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ٩٤ طبع ليدن . وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٣٦ عن ابن عساكر .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٦ ، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٠ ، وسيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٧٢ ، والإصابة ج ١ ص ٢٣٨ ، وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٢٤ ، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٣ ، وديوان حسان ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١٠٠ .

إلى أن قال :

فمضوا أمام المسلمين يقودهم ... فنق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل[1]

فقد صرح هو أيضاً بتتابع القواد، وبأن جعفرا كان هو القائد، ولواؤه هو الأول فنعم الأول. . وأخيراً فإن شاعراً آخر من المسلمين، ممن رجع من غزوة مؤتة قد رثاهم فقال:

كفى حزناً اني رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله في رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم ... وخلفت للبلوى مع المتغبر
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا ... إلى ورد مكروه من الموت أحمر[2]

٥ ـ قال عبد الله بن جعفر ـ أو ابن عباس ـ لمعاوية : « يا معاوية ما علمت أن رسول الله (ص) حيث بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب ، ثم قال : إن هلك فزيد بن حارثة ، فإن هلك زيد ، فعبد الله بن رواحة ، ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم . . الخ »[3] .

وبعد كل ما قدمناه فلا يبقى مجال للقول بأن زيداً كان هو الأمير الأول في مؤتة . . ويتعين أن يكون سيد الجيش هو جعفر الذي يلاحظ أن النبي (ص) قد أظهر من الغم عليه ما لم يظهره على أحد ، حتى على عمه حمزة ، كما أنه قد سرّ بقدومه عليه من أرض الحبشة سروراً عظيماً ، حتى لقد قال ـ وكان قد قدم عليه حين فتح خيبر ـ : « لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على يد أخيك خيبر . . »

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦١ ، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ومقاتل الطالبين ص ١٥ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٢٥ وشرح النهج ج ١٥ ص ٦٣ وتهذيب ابن عساكر ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) سيرة ابن هشام / ج ٤ ص ٣٠ ، والبداية والنهاية / ج ٤ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ما عدا البيت الثالث .

(٣) كتاب سليم بن قيس / ص ١٨٨ ط النجف ، وقاموس الرجال / ج ٦ ص ٤٠.

وإذ قد ثبت أن جعفراً كان هو الأمير الأول في غزوة مؤتة ، وليس زيد بن حارثة . . فإننا نستطيع أن نفهم بساطة أن ثمة يداً تحاول أن تشوه الحقيقة وتتجنى على التاريخ ولعل ذنب جعفر الوحيد هو أنه أخو علي عليه السلام، وقد قالت عائشة : ما بعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه ، فلماذا تصر عائشة هذا الإصرار في المقام ؟!! حتى جعلته بحيث لو عاش النبي (ص) لاستخلفه !! ولولا علي لتوفرت الدواعي على الاحتفاظ بالحقيقة دون تشويه أو تحريف ، هذا إن لم تتوفر على جعل الأمور كلها في صالحه . . ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره . . والحمد الله ، وصلاته على عباده الذين اصطفى ولا سيما جعفر وعلي ، والأئمة الطاهرين من ولده الطيبين . .

مصادر البحث

١ ـ الإصابة ..... للعسقلاني
٢ ـ اعلام الورى .....
٣ ـ أعيان الشيعة ..... للسيد الأمين
٤ ـ البحار ..... للعلامة المجلسي
٥ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
٦ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
٧ ـ تلخيص الشافي ..... للشيخ الطوسي
٨ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ..... لابن بدران
٩ ـ تهذيب التهذيب ..... للعسقلاني
١٠ ـ ديوان حسان بن ثابت .....
١١ ـ سليم بن قيس .....
١٢ ـ السيرة النبوية ..... لابن هشام
١٣ ـ السيرة النبوية ..... لدحلان
١٤ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

١٥ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
١٦ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
١٧ ـ مقاتل الطالبيين ..... لابي الفرج
١٨ ـ مناقب آل أبي طالب ..... لابن شهر آشوب
١٩ ـ النص والاجتهاد ..... لشرف الدين

المؤامرة على مروان بن الحكم

يقولون : « . . عندما دنا أجل معاوية ، أوصى ولده يزيد بأنه يخاف عليه أربعة ، وعد منهم مروان بن الحكم . وقال له :

إذا أنا مت ، فسيقولون لك تقدم ، فصل على أبيك . فقل ما كنت لأعصي أبي فيما أوصاني به ، وقد قال لي : إنه لا يصلي علي إلا شيخ بني امية ، وهو عمي مروان بن الحكم فقدمه ، وتقدم إلى ثقات موالينا ، وهم يحملون سلاحهم تحت أثوابهم . فإذا تقدم للصلاة ، فكبر أربع تكبيرات ، فاشتغل بدعاء الخامسة فقبل أن يسلم ، فليقتلوه ، فإنك تراح منه ، وهو أعظمهم عليك .

فنمى الخبر إلى مروان فأسرها في نفسه . وتوفي معاوية . وحمل سريره للصلاة عليه فعندها قدموا مروان ، فكبر أربعاً ، وخرج عن الصلاة قبل دعاء الخامسة ، واشتغل الناس إلى أن كبروا الخامسة »[1] .

هكذا . . . يقولون . .

أما نحن . . فنعتقد أن ذلك من الأساطير التي لا أساس لها ، ونستند في اعتقادنا هذا إلى أمور أربعة :

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٥٣٦ عن الهداية للحسين بن حمدان .

الأول : إن هذه القضية لو صحت لكان يجب أن يكون موقف مروان من يزيد ، وموقف يزيد من مروان في مدة حكم يزيد مختلفاً تماماً عما كان عليه . . . مع أننا نرى أنهما كانا على غاية الوفق ، والتفاهم والانسجام . . . وهكذا يقال بالنسبة لمروان ومعاوية بن يزيد بعد ذلك !

الثاني : إن جمهور المؤرخين يرون أن الذي صلى على معاوية هو الضحاك بن قيس لأن يزيد كان غائباً بحواريين حين وفاة والده[1] .

وقال الشافعي ومحمد بن اسحاق : إن الذي صلى عليه هو ابنه يزيد وإنه دخل قبل موت أبيه دمشق ، فأوصى معاوية إليه . ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلا بعد موت أبيه ، وأنه صلى على قبره بالناس[2] .

الثالث : إن مروان بن الحكم كان حين وفاة معاوية بالمدينة ، فجاء إلى الوليد بن عتبة نعي معاوية ، وطلب البيعة ليزيد من الناس عامة ، ومن الحسين خاصة فأحضر الوليد مروان فأطلعه على الأمر واستشاره ، ثم استحضر الحسين وطلب منه ذلك فلم يقبل منه ، فأمره مروان بحبسه حتى يبايع أو يقتله ، وغضب الحسين لمشورة مروان ، بحبسه إلى أن يبايع أو يقتل وجرى بينهما ما جرى مما هو معروف ، ومشهور ، وحيث إن ذلك مما اتفق عليه المؤرخون ، ولم نجد أحداً منهم يخالف فيه على الاطلاق ، فإننا لا نجد حاجة لذكر مصادره . . .

وهكذا . . وإذا كان مروان حين وفاة معاوية بالمدينة ، فكيف يكون قد صلى عليه وهو في الشام . . . أما

الرابع : فعدا عن أن ناقل الرواية هو (الحسين بن حمدان) وهو من الغلاة الذين لا يوثق بروايتهم .

فإن الرواية تنص على أن مروان قد كبر على معاوية خمساً ومن الواضح :

---

(١) راجع : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ وليراجع أيضاً تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٩ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٧ ومآثر الانافة ج ١ ص ١١١ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ و١٤٤ ومآثر الانافة ج ١ ص ١١١ .

أن عمر كان قد أرجع الناس إلى أربع تكبيرات ولم يكن معاوية والامويون ليخالفوا سنة عمر . . ولهذا البحث مجال آخر . . .

وأما عن سر وضع واختلاق هذه الاسطورة ، فلعله لا يكاد يخفى على من أمعن النظر في تاريخ الوضع والاختلاق ، والدس في التاريخ الإسلامي . . .

فمروان . . . قد أصبح خليفة للمسلمين . . وله تاريخ حافل بالمواقف المخزية تجاه علي عليه السلام ، وأبنائه من بعده . . . ومنها موقفه المشار إليه آنفاً ، والذي يتلخص بأنه : أشار على الوليد بن عتبة بـ « قتل الحسين » (ع) وإذا كان هذا مما لا يرتاح إليه أي مسلمٌ يؤمن باللّه ، واليوم الآخر ، فلا بد من محاولة التمويه على الناس ، وتكذيب هذه الحقيقة ، ولا أقل من التشكيك فيها . . . وباختراعهم لهذه الاسطورة يكونون قد أبعدوا مروان عن المدينة ، وأوصلوه إلى الشام ، حين وفاة معاوية . . حتى لقد صلى هو عليه ، وتصرف تصرفاً أفشل به هذه المؤامرة الخيالية .

ولهذه القضية المفتعلة قضية أخرى نظيرة لها في الاختراع ، والافتعال وملخصها ، أنه عندما وصل الوفد الذي معه رأس الحسين إلى الشام ، دخلوا مسجد دمشق « فقال لهم مروان بن الحكم كيف صنعتم ؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا واللّه على آخرهم ، وهذه الرؤوس والسبايا ، فوثب مروان وانصرف الخ »[1] .

مع أن مروان لم يكن حينئذ بالشام ، وإنما كان بالمدينة ، وإنما الهدف من إبعاده من المدينة إلى الشام هو تبرئته من موقفه المشين من رأس الحسين عليه السلام ، عندما أرسل إلى مدينة الرسول . . حيث أنشد الشعر الدال على الشماتة ، ورمى بالرأس نحو قبر النبي ، وقال : يا محمد ، يوم بيوم بدر . . وقال : والله ، لكأني أنظر إلى أيام عثمان إلى آخر ما قدمنا تفصيله في بحث « علي بن الحسين ، وأموال مروان » .

وإذا كان مروان حينئذ بالمدينة ، حسبما بيناه في البحث المشار إليه

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩٦

آنفاً . . . فكيف وصل إلى الشام ، وجرى بينه وبين الوفد الذي معه رأس الحسين ما جرى ؟ .

إنه حتى وإن لم يكن حينئذ بالشام . . لا بد وأن يؤتى به إليها ـ من قبل الغيارى على الخلفاء ـ من أجل طمس حقيقة موقفه من الحسين ، واشارته على الوليد بقتله ، وأيضاً طمس حقيقة موقفه من رأسه الشريف حين أرسل إلى المدينة . . . ولكن هذه الأكاذيب كلها ما راجت على الناس ، ولا اطمأنوا إليها ، ولا أعاروها اذناً صاغية ، لأن الحقيقة كانت أقوى من كل زيف، ودجل ، وخداع ، والحق يعلو ولا يعلى عليه . .

مصادر البحث

١ ـ أسد الغابة ..... لابن الأثير
٢ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
٣ ـ تاريخ اليعقوبي ..... لابن واضح
٤ ـ سفينة البحار ..... للقمي
٥ ـ مآثر الانافة ..... للقلقشندي

الحنفية ليست من سبي أبي بكر

بداية :

يذكر المؤرخون : أن أم محمد ابن الحنفية كانت سبيّة من سبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد لمّا ارتدت بنو حنيفة ، وادعت نبّوة مسيلمة ، وأن أبا بكر دفعها إلى علي عليه السلام من سهمه في المغنم .

وقد اختلفوا فيها : هل هي أمة لبني حنيفة سوداء سنديّة[1] أم هي عربية من بني حنيفة أنفسهم . .

الاستدلال على خلافة أبي بكر :

وانطلاقاً مما تقدّم ، نجد البعض يحاول أن يتخذ من ذلك دليلاً على صحة خلافة أبي بكر . يقول السمعاني :

«كانت من سبي بني حنيفة أعطاها إيّاه أبو بكر الصديق (رض) ولو لم يكن إماماً لما صحّ قسمته ، وتصرّفه في خمس الغنيمة ، وعلي (رض) أخذ خولة ، واعتقها ، وقد تزوج بها»[2].

---

(١) طبقات ابن سعد / ج ٥ ص ٦٦ ، وليراجع غيره . .
(٢) أنساب السمعاني / ج ٤ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

كما أن ابن الجوزي جعل ما يذهب إليه الرافضة في أبي بكر من أعجب التغفيل بعد أن كانوا يعلمون باستيلاده الحنفية من سبيه الأمر الذي يدل على رضاه ببيعته . .[1] .

أهل السنّة في غنى عن هذا الاستدلال :

. . . واستدلال هؤلاء بهذا الدليل غريب وعجيب :

١ ـ فإن صحة سبي المشرك ، وصحة بيعه وشرائه ، والاستيلاء عليه لا تتوقف على أن يكون السابي له عادلاً ، أو حاكماً ، أو خليفة ، بل وحتى مسلماً أيضاً ، إذ يجوز ذلك حتى ولو سباه مشرك مثله ، أو سباه غير الحاكم ، وغير الخليفة ، ولا دلالة فيه على صحة خلافة أحد .

٢ ـ وخصوصاً عند من يجوّز خلافة كل متغلب ، ويرى وجوب طاعته ، والإيتمار بأوامره ، وعدم جواز الخروج بل ولا الاعتراض عليه ، وصحة كل تصرفاته . . كما هو مذهب هؤلاء المستدلين أنفسهم . .

ولعله لأجل هذا بعينه لم يرتض الشيخ عبد الرحمان المعلمي اليماني ، المعلق على أنساب السمعاني ، هذا الاستدلال . حيث قال :

« . . أهل السنّة في غنى عن مثل هذا الاستدلال »[2] .

الحنفية ليست من سبي أبي بكر :

ونزيد على ما تقدم : أن كون الحنفية من سبي أبي بكر غير معلوم ، بل نكاد نقطع بخلافه ، وذلك استناداً إلى الأمور التالية :

١ ـ قال المعتزلي : « وقال قوم وهم المحققون ، وقولهم الأظهر : إن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر الصديق ، فسبوا خولة بنت

---

(١) اخبار الحمقى والمغفلين / ص ٩٩ ـ ١٠٠ بتحقيق الخاقاني ط سنة ١٣٨٦ هـ .
(٢) أنساب السمعاني / ج ٤ هامش ص ٢٩٠ .

جعفر ، وقدموا بها المدينة ، فباعوها من علي عليه السلام ، وبلغ قومها خبرها ، فقدموا المدينة على علي عليه السلام ، فعرفوها ، وأخبروه بموضعها منهم ، فاعتقها ، ومهرها وتزوجها ، فولدت له محمداً فكنّاه أبا القاسم .

وهذا القول هو اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بـ : (تاريخ الأشراف) »[1] .

وقد ذكر ذلك البلاذري عن علي بن المغيرة الاثرم ، وعباس بن هشام الكلبي على نحو ما تقدم . . ثم قال : « وهذا أثبت من خبر المدائني »[2] .

ولكن نص رواية الكلبي عن خراش بن اسماعيل هو كما يلي : إن خولة سباها قوم من العرب في خلافة أبي بكر ، فاشتراها اسامة بن زيد بن حارثة ، وباعها من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلما عرف أمير المؤمنين صورة حالها اعتقها ، وتزوجها ، ومهرها .

وقال ابن الكلبي : من قال : إن خولة من سبي اليمامة فقد أبطل[3] .

ولكن الحقيقة هي أن ما ذكروه من شراء علي عليه السلام لها ، وإن كان صحيحاً ، ولكنهم غلطوا في قولهم : إن شراءها قد كان في زمن أبي بكر ، بل كان ذلك في زمن الرسول الأعظم (ص) كما ذكره الآخرون وتؤيده القرائن والشواهد الآتية :

٢ ـ قال البري التلمساني : « وأما أبو القاسم محمد بن علي ، ابن الحنفية ، فأمه من سبي بني حنيفة ، اشتراها علي ، واتخذها أم ولد ، فولدت له محمداً ، فأنجبت . واسمها خولة بنت اياس بن جعفر جانّ الصفا .

ويقال . بل كانت أمة لبني حنيفة ، سندية سوداء ، ولم تكن من

---

(١) شرح النهج للمعتزلي / ج ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ . وقاموس الرجال / ج ٨ ص ١٦٠ عنه .
(٢) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي / ج ٢ ص ٢٠١ .
(٣) عمدة الطالب / ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

أنفسهم ، وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ، ولم يصالحهم على أنفسهم »[1] .

٣ ـ إن بعض ما ذكر في وفاة ابن الحنفية ، وفي مدة عمره يؤيد : انه قد ولد في زمن الرسول (ص) وعدم ذكره في جملة الصحابة ولو على سبيل الاحتمال ، لعله لغفلة منهم ، أو لعدم ذهابهم إلى تلك الأقوال التي يقتضي الجمع بينها ذلك . . . أو لأنهم قد سلّموا بأن امه كانت من سبي أبي بكر ، ولم يخطر على بالهم غير ذلك . . وبيان ذلك :

أن ابن الحنفية قد عاش على أشهر الأقوال خمساً وستين سنة . . بل لقد وجد في هامش عمدة الطالب : إنه عاش ٦٧ سنة . . .[2] .

وإذا أضفنا إلى ذلك: أن ابن حجر يختار: أن وفاته كانت سنة ٧٣، وينسب سائر الأقوال إلى : (القيل) ، والظاهر أن دليله هو ما رواه البخاري في تاريخه : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي حمزة قال : قضينا نسكنا حين قتل ابن الزبير ، ثم رجعنا إلى المدينة مع محمد ، فمكث ثلاثة إيام ثم توفي . .[3] . فإننا لا بد وأن نستنتج : أن ولادة ابن الحنفية قد كانت سنة ٨ للهجرة بل قبلها .

وعلى هذا . . فلا يصح أن تكون من سبي أبي بكر على يد خالد بن الوليد كما يقولون . .

وقولهم : إن علياً لم يعرف في حياة فاطمة غير فاطمة لا يصح.

فإنه لما أرسله الرسول (ص) ليأخذ الخمس من خالد وأصحابه اصطفى جارية ، وأصابها ، وشكوه إلى رسول الله (ص) فناصره عليهم[4].

---

(١) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ٥٨ .
(٢) راجع عمدة الطالب ، هامش ص ٣٥٢ .
(٣) راجع : تهذيب التهذيب / ج ٩ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
(٤) البداية والنهاية/ ج ٧ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ عن كثير من المصادر، ومسند أحمد/ ج ٥ ص ٣٥١ و ٣٥٩ . =

وإذن فلا مانع من ولادة ابن الحنفية في عهد رسول الله (ص) .

٣ ـ قال أبو نصر البخاري الذي كان حياً في سنة ٣٤١ : « . . روى عن أسماء بنت عميس ، أنها قالت : رأيت الحنفية سوداء حسنة الشعر اشتراها علي عليه السلام بذي المجاز ـ سوق العرب ـ أو ان مقدمه من اليمن ، فوهبها لفاطمة عليها السلام ، وباعتها فاطمة من مكمل الغفاري وولدت له عونة بنت مكمل ، وهي اخت محمد لأمه . . ولا يصح أنها كانت من سبي خالد بن الوليد . . »[١] .

ويؤيد ذلك أن البلاذري نفسه يقول : « وزعم بعضهم : أن اخت محمد بن علي لأمه (هي) عوانة بنت أبي مكمل من بني عفان »[٢] لعل الصحيح (غفار) بدل عفان ، وصحفه النساخ . .

وعلى كل حال . . فإن هذا يدل على أنها كانت صحابية . ويدل عليه أيضاً ما في فوائد أبي الحسن أحمد بن عثمان الآدمي ، من طريق ابراهيم بن عمر بن كيسان ، عن أبي جبير ، عن أبيه قنبر ، حاجب علي ، عن علي : إن النبي (ص) رأى خولة في منزل علي ، فضحك ، ثم قال : يا علي ، أما إنك تتزوجها من بعدي ، وستلد لك غلاماً ، فسمّه باسمي ، وكنّه بكنيتي ، وانحله . .[٣] .

وقد وقع بين طلحة وبين علي كلام فعيّره طلحة بجرأته على الرسول حيث سمى باسمه ، وكنى بكنيته ، فاستشهد علي بنفر من قريش ، فشهدوا : أن رسول الله (ص) قال : إنه سيولد لك بعدي غلام ، فقد نحلته اسمي ، وكنيتي ، ولا تحل لأحد من امتي بعده[٤] .

= وراجع : الصحيح من سيرة النبي (ص) للمؤلف ج ٤ قصة تزويج علي (ع) ببنت أبي جهل .

(١) سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري / ص ٨١ ، وعمدة الطالب / ص ٣٥٣ عنه .

(٢) أنساب الأشراف ، تحقيق المحمودي / ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) الإصابة / ج ٤ ص ٢٨٩ .

(٤) طبقات ابن سعد / ج ٥ ص ٦٦ .

٤ ـ قال المعتزلي : « . . وقال قوم ، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني : هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً إلى اليمن ، فأصاب خولة في بني زبيد ، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب ، وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم ، فصارت في سهم علي عليه السلام . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي ، وكنه بكنيتي ، فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمداً ، فكناه أبا القاسم . . »[1] .

وأخيراً . . فلو كانت الحنفية أمة وسوداء سندية لرأينا عبد الله بن الزبير والامويين يعيرونه بها ولو مرة واحدة ولا سيما ابّان استفحال الخلاف بينه وبينهم كما هو معروف ومشهور وفي كتب التاريخ مسطور ، مع أننا لا نجد لذلك أثراً أبداً . . على رغم المراجعة الدقيقة للمحاورات القاسية التي كانت تجري فيما بينهم .

خاتمة المطاف :

وبعد كل ما تقدم يتضح بما لا مجال معه للشك أن ما يرسله الكتّاب والمؤرخون ارسال المسلمات من أن الحنفية كانت من سبي أبي بكر . . ليس له ما يبرره . . بل إن المحققين وقولهم هو الأظهر على حد تعبير المعتزلي يرون خلاف ذلك تماماً . . وعليه فالاستدلال بأمر كهذا ـ لو صح الاستدلال به ـ على خلافة أبي بكر ليس له ما يبرره ولا منطق يساعده . .

مصادر البحث

١ ـ اخبار الحمقى والمغفلين ..... لابن الجوزي

٢ ـ الإصابة ..... للعسقلاني

٣ ـ الأنساب ..... للسمعاني

---

(١) شرح النهج للمعتزلي / ج ١ ص ٢٤٤ ، وقاموس الرجال / ج ٨ ص ١٦٠ عنه ، وأنساب الأشراف تحقيق المحمودي / ج ٢ ص ٢٠٠ .

٤ ـ أنساب الأشراف ..... للبلاذري
٥ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير
٦ ـ تهذيب التهذيب ..... للعسقلاني
٧ ـ الجوهرة في نسب علي (ع) وآله ..... للبري التلمساني
٨ ـ سر السلسلة العلوية ..... لأبي نصر البخاري
٩ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي
١٠ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ..... للمؤلف
١١ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
١٢ ـ عمدة الطالب ..... لابن مهنا
١٣ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
١٤ ـ مسند أحمد ..... لابن حنبل

حديث اللدود خرافة

١٥/جمادي الأولى/ ١٤٠٠ هـ.ق.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يقولون : إن النبي (ص) قد أمر بمجازات الأبرياء في قضية رواها البخاري وغيره ، وإليك نص ما رووه في ذلك .

النصوص والآثار :

١ ـ ما رواه البخاري وغيره : قالت عائشة : لددناه في مرضه ، فجعل يشير إلينا : أن لا تلدوني ، فقلنا : كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : ألم أنهكم أن تلدوني ؟ قلنا : كراهية المريض للدواء ، فقال : لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم[1] .

٢ ـ ولفظ محمد بن سعيد : كانت تأخذ رسول الله (ص) الخاصرة فاشتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما أفاق قال : هذا من فعل نساء جئن من هنا ، وأشار إلى الحبشة ، وإن كنتم ترون أن الله يسلط علي ذات الجنب ، ما كان الله ليجعل لها علي سلطاناً ، والله لا يبقى أحد في البيت إلا لد ، فما بقى

---

(١) صحيح البخاري / ج ٣ ص ٥٤ ، وكتاب الطب باب اللدود ، وشرح النهج للمعتزلي / ج ١٣ ص ٣٢ ، ومسند أحمد / ج ١ ص ٥٣ .

أحد في البيت إلا لد ، ولددنا ميمونة وهي صائمة[1] .

٣ ـ ومن طريق أبي بكر بن عبد الرحمان : إن أم سلمة وأسماء بنت عميس اشارتا بأن يلدوه . . وفي رواية بسند صحيح رواها عبد الرزاق : إن قضية اللد قد جرت في بيت ميمونة وإن نساءه تشاورن في ذلك ، فلما أفاق قال : هذا من فعل نساء جئن من ها هنا وأشار إلى الحبشة[2] .

٤ ـ قال المعتزلي : « وإن أهل داره ظنوا : أن به ذات الجنب فلدوه وهو مغمى عليه ، وكانت العرب تداوي باللدود من به ذات الجنب ، فلما أفاق علم أنهم قد لدّوه ، فقال :

« لم يكن الله ليسلطها علي ، لدوا كل من في الدار » ، فجعل بعضهم يلد بعضاً »[3] .

٥ ـ وفي رواية عن العباس : إنه دخل على رسول الله (ص) وعنده نساؤه فاسترن مني إلا ميمونة ، فقال : لا يبقى في البيت أحد شهد اللد إلا لد الخ . .[4] .

٦ ـ وفي رواية مطولة عن عائشة ، قالت : وفزع الناس إليه ، فظننا أن به ذات الجنب ، فلددناه ثم سرّي عن رسول الله (ص) ، وأفاق فعرف أنه قد لد ، ووجد أثر اللدود ، فقال : ظننتم أن الله عز وجل سلطها علي ؟ ما كان الله يسلطها علي ، والذي نفسي بيده ، لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمي ، فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً .

وقالت عائشة ومن في البيت يومئذ فتذكر فضلهم ، فلد الرجال أجمعون ، وبلغ اللدود أزواج النبي (ص) ، فلددن امرأة امرأة ، حتى بلغ اللدود امرأة منا

---

(١) فتح الباري / ج ٨ ص ١١٢ ، ١١٣ .
(٢) راجع : فتح الباري / ج ٨ ص ١١٢ ، ومسند أحمد / ج ١ ص ٤٣٨ ، لكن فيه أن الذي اتهم نساء الحبشة هو غير النبي (ص) .
(٣) شرح النهج للمعتزلي / ج ١٠ ص ٢٦٦ .
(٤) مسند أحمد / ج ١ ص ٢٠٩ .

ـ قال ابن أبي الزناد : لا أعلمها إلا ميمونة قال : وقال بعض الناس : أم سلمة ـ قالت : إني والله صائمة . فقلنا : بئسما ظننت أن نتركك وقد أقسم رسول الله (ص) ، فلددناها ، والله يابن اختي ، وإنها لصائمة[1] .

٧ ـ عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله (ص) : إن خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة ، والمشي . فلما اشتكى رسول الله (ص) لده أصحابه ، فلما فرغوا قال : لدوهم ، قال : فلدوا كلهم غير العباس . .[2] .

وعنه أيضاً : إن رسول الله (ص) لدّه العباس وأصحابه ، فقال رسول الله (ص) : من لدّني ؟ فكلهم أمسكوا . فقال : لا يبقى أحد في البيت إلا لد غير عمه العباس.

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عباد بن منصور[3] .

٨ ـ وأخيراً . . فقد روت عائشة قالت : أغمي على رسول الله (ص) ، والدار مملوءة من النساء: أم سلمة، وميمونة، وأسماء بنت عميس، وعندنا عمه العباس بن عبد المطلب ، فاجمعوا على أن يلدّوه فقال العباس : لا ألده ، فلدوه ، فلما أفاق قال : من صنع بي هذا ؟ قالوا : عمك قال لنا : هذا دواء جاء من نحو هذه الأرض ـ وأشار إلى أرض الحبشة ـ قال : فلم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله ليقذفني به ، لا يبقى أحد في البيت إلا لد إلا عمي . قال : فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله (ص) عقوبة لهم بما صنعوا . .[4] .

---

(١) مسند أحمد (ج ٦ ص ١١٨ .

(٢) صحيح الترمذي / ج ٤ ص ٣٨٨ ، والفائق / ج ٣ ص ٣١٣ ، والنهاية / ج ٤ ص ٢٤٥ ، وزاد : أنه فعل ذلك عقوبة لهم .

(٣) صحيح الترمذي / ج ٤ ص ٣٩١ .

(٤) شرح النهج للمعتزلي / ج ١٣ ص ٣١ ، ٣٢ .

ونحن بدورنا لا نصدق هذه الرواية :

أولاً : فعدا عن المناقشة في أسانيدها . فإن الروايات فيها يناقض بعضها بعضاً ، ونحن نكتفي بذكر موارد خمسة لهذه التناقضات ونترك الباقي لنظر القارىء وملاحظته ، فنقول :

١ ـ واحدة تذكر : أن العباس قد لدّه . وأخرى تقول : إنه رفض أن يلّده واكتفى بالإشارة بذلك . . وثالثة تقول : لم يشارك لا في لدّه ولا في المشورة به .

٢ ـ واحدة تقول : إن صحابته قد لدوا رجلاً رجلاً حتى بلغ اللدود نساءه (ص) . وأخرى تذكر : أن اللد كان للنساء فقط . . وثالثة تذكر : إن اللد كان لصحابته ، ولا تشير إلى النساء أصلاً . .

٣ ـ ثم هناك الخلاف في من التدت وهي صائمة هل هي : أسماء بنت عميس ، أو هي ميمونة . .

٤ ـ واحدة تذكر : أنه (ص) لم يعرف باللد إلا عندما أفاق حيث وجد أثره في فمه ، وأخرى تذكر أنه نهاهم عن ذلك صراحة أو بالإشارة ولكنهم لم يمتثلوا لأنهم اعتبروا : أن ذلك منه كراهة المريض للدواء . .

٥ ـ رواية تذكر : أن اللدود دواء جاءهم من قبل الحبشة . . وأخرى تقول : « كانت العرب تداوي باللدود من به ذات الجنب » .

وثانياً : لقد صرحت رواية المعتزلي والزمخشري وابن الأثير[1] : بأن الرسول قد أراد أن يلدهم جميعاً عقوبة لهم وذلك . . «فيه نظر لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك»[2] فلماذا يعاقب غير الجناة ؟! . . ولو سلم أنهم جميعا استحقوا العقاب لتركهم الانكار على الفاعلين ، ولا سيما مع نهيه لهم عن ذلك . . فيرد عليه سؤال : أنهم قد ظنوا أنه قد نهاهم عن ذلك كراهية المريض للدواء كما يقولون فهم معذورون

---

(١) الفائق / ج ٣ ص ٣١٣ ، والنهاية / ج ٤ ص ٢٤٥ ، وفيهما : فعل ذلك عقوبة لهم ، لأنهم لدوه بغير إذنه .

(٢) فتح الباري / ج ٨ ص ١١٢ .

في ذلك لأنهم قد انساقوا مع تأويلهم وفهمهم . . هذا كله عدا عن أن بعض الروايات تنكر أن يكون (ص) قد نهاهم عن ذلك ، بل تصرح بأنه لم يعرف بالأمر إلا بعد افاقته من اغمائه . .

ولو سلم . . فإنهم في فعلهم ذلك كانوا يحسبون أنهم يحسنون له (ص) ويبّرونه ويحافظون عليه ، فهل مع هذا يستحقون عقاباً أو تأديباً كما يزعمه العسقلاني ؟![1] .

وهل ذلك منه لهم إلا كجزاء سنمار ؟! . .

ثم أليس يقولون : إنه (ص) لم يكن ينتقم لنفسه من أحد ؟! . .[2] فلماذا غيّر عادته في هذا الوقت بالذات ؟! . .

ولو سلم أنهم يستحقون العقاب ، فهل عقابهم لا بد وأن يكون على هذه الصورة ؟! .

وهل كل من لدّ شخصاً مع عدم رضاه يكون عقابه اللّد في المقابل ؟! .

وكيف صار عقاب المرتكب هو نفس عقاب الراضي بالفعل ، وهل كل من رضي بفعل قوم لا بد وأن يتعرض لنفس العقاب الذي يتعرّضون له ؟! فلو قتل رجل رجلاً ورضي به آخر ، فهل يقتلان معاً : الراضي والقاتل على حد سواء ؟! . .

إلى غير ذلك من الأسئلة التي لن تجد الجواب المقنع والمفيد . .

وثالثاً: الرواية تصرح : بأنه لم يكن الله ليبتليه بذات الجنب . . ولكننا نرى أن أبا يعلى قد روى بسند فيه ابن لهيعة عن عائشة نفسها : إن النبي (ص) مات من ذات الجنب[3] .

قال المعتزلي : « واحتج الذاهبون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روي

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق . .

(٣) فتح الباري / ج ٨ ص ١١٣ ، وشرح النهج / ج ١٠ ص ٢٦٧ .

من انتصابه وتعذر الاضطجاع والنوم عليه . قال سلمان الفارسي : دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه ، فقال لي : يا سلمان ، ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي ؟ فقلت : يا رسول الله ، ألا أسهر الليلة معك بدله ؟ فقال : لا ، هو أحق بذلك منك »[1] .

وقال : « . . قال : (وفاضت بين نحري وصدري نفسك) يروى أنه صلى الله عليه وآله قذف دماً يسيراً وقت موته ، ومن قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب ، وأن القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للاضلاع انفجرت في تلك الحال ، وكانت فيها نفسه صلى الله عليه وآله . . »[2] .

ورابعاً : لو سلمنا : أنه (ص) لم يمت من ذات الجنب ، وإنما مات بالحمى والسرسام الحار . . فإننا لا يمكن أن نقبل أنهم ظنوا : أن به ذات الجنب ، وذلك لأن الحاكم قد روى في المستدرك أن : « ذات الجنب من الشيطان . . »[3] .

وإذا كانت من الشيطان فلا مجال لتوهمهم أن به ذات الجنب ، لأن الشيطان ليس له سلطان على عباد الله الصالحين من المؤمنين فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان »[4] كما أن الشيطان قال : « لأغوينّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين »[5] .

وقول ابن حجر العسقلاني : إن ذات الجنب تطلق بازاء مرضين : الورم الحار الذي يعرض للغشاء المستبطن ، والآخر ريح محتقن بين الاضلاع ، والأول هو المنفي له (ص) عن نفسه[6] .

لا يحل الإشكال ، لأنه لو كان كذلك . . فقد كان عليه (ص) : أن يبين

---

(١)و(٢) شرح النهج للمعتزلي / ج ١٠ ص ٢٦٧و ٢٦٦ على الترتيب . .
(٣) فتح الباري / ج ٨ ص ١١٣ .
(٤) سورة الحجر: آية ٤٢.
(٥) سورة ص: آية ٨٣، وسورة الحجر: آية ٤٠.
(٦) فتح الباري / ج ٨ ص ١١٢ وج ١٠ ص ١٤٥ .

أيهما هو المعني بكلامه نفياً واثباتاً . . وكان على الباحثين ذكر ذلك عنه ، وإذا كان كذلك ولم يبين فلا بد وأن يحمل كلامه على ما هو المتعارف ، والتفكيك في كلامه يحتاج إلى دليل ، وليس ثمة دليل ، ثم كيف يكون هذا هو المنفي في كلامه مع أنه هو الذي يقولون : إنه مات به كما تقدم نقله عن المعتزلي ؟! . .

وخامساً : قول بعض الروايات : إن جميع أزواج النبي قد احتجبن من العباس سوى ميمونة غريب ، فإن العباس وإن كان زوج أخت ميمونة ، ولكن ذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً أجنبياً كسائر الرجال الأجانب ، فلماذا لا تحتجب منه ميمونة زوج النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ؟!! .

وأخيراً . . فقد قال المعتزلي : « وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد البصري عن حديث اللدود ، فقلت : ألدّ علي بن أبي طالب ذلك اليوم ؟ فقال : معاذ الله ، لو كان لدّ لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتنعاه عليه . قال : وقد كانت فاطمة حاضرة في الدار ، وابناها معها ، أفتراها لدّت أيضاً ؟ ولدّ الحسن والحسين ؟! كلاّ ، وهذا أمر لم يكن ، وإنما هو حديث ولّده من ولّده تقريباً إلى بعض الناس الخ . . » .

ثم يذكر أن من لدّ هو فقط أسماء بنت عميس وميمونة ، وإن الدواء جاء به جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة[1] . ولكن كيف ذلك ونحن نرى ابن أبي الحديد نفسه يصرّح بأن اللدود كانت تستعمله العرب لذات الجنب ؟![2] كما تقدم .

وهكذا يتضح : أن هذه الرواية لا يمكن أن تصح ، وان ذكرها في صحيح البخاري وغيره لا يبرر الالتزام بها ، وتصديقها . .

ولعل سر اختلاقها هو إظهار صحة نسبة الهجر إلى رسول الله (ص) في مرضه . ولعل النقيب المعتزلي يشير إلى هذا في عبارته الآنفة .

---

(١) شرح النهج للمعتزلي / ج ١٣ ص ٣٢ .
(٢) نفس المصدر / ج ١٠ ص ٢٦٦ .

وما أكثر الأكاذيب والمفتريات على نبي الأمة الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، رد الله كيد الكاذبين والمنحرفين إلى نحورهم ، وعصمنا من الزلل في القول والعمل والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين.

١٥ جمادى الاولى ١٤٠٠ هـ

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

٣ ـ صحيح البخاري ..... للبخاري

٤ ـ صحيح الترمذي ..... للترمذي

٥ ـ الفائق ..... للزمخشري

٦ ـ فتح الباري ..... للعسقلاني

٧ ـ مسند أحمد ..... لابن حنبل

٨ ـ النهاية ..... لابن الأثير

بحث فقهي

التكبير على الميت: خمس لا أربع

التكبير على الميت : خمس لا أربع

٢١/ جمادى الأولى/ ١٤٠٠ هـ.

ما هو مذهب أهل البيت « عليهم السلام » :

إن من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين المذاهب الإسلامية مسألة عدد التكبيرات في صلاة الجنازة على المسلم.

فذهبت طائفة تبعاً لأئمتهم إلى أن الواجب فيها هو فقط أربع تكبيرات. وهؤلاء هم جمهور أهل السنّة والجماعة..

وذهب أهل البيت عليهم السلام[1]، وشيعتهم، وتابعهم آخرون من غيرهم، كما سيتضح، إلى أن الواجب هو خمس تكبيرات.. وهذا الحكم إجماعي عند الشيعة الامامية، لا تجد فيه مخالفاً على الاطلاق، بل لعله من ضروريات المذهب عندهم[2] والأخبار عندهم في ذلك متواترة عن العترة الطاهرة، وقد رواه عن أهل البيت (ع) كل من :

زرارة، والحلبي، وأبي ولاد، وأم محمد بن مهاجر، وابن محبوب، وسماعة، وكليب الأسدي، وعمار الساباطي، وعلي بن سويد، واسماعيل بن

---

(١) وقد رواه في البحر الزخار ج ٣ ص ١١٨ عن العترة جميعاً، وراجع : نيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩.

(٢) راجع : مستمسك العروة الوثقى / ج ٤ ص ٢٣٤ طبعة ثالثة.

همام ، ويونس ، وهشام بن سالم ، وحماد بن عثمان ، وأبي بصير ، وجعفر الجعفري ، وأبي بكر الحضرمي ، واسماعيل بن سعد ، وعبد الله بن سنان ، وعبد الله بن مسكان ، وعلي بن أبي حمزة ، وقدامة بن زائدة ، والحسين بن النضر ، وإبراهيم بن محمد بن حمران ، والفضل بن شاذان ، وسفيان بن السمط ، وأبي حمزة ، والأعمش ، ومحمد بن الفضيل ، وفضيل بن يسار ، وعمرو بن شمر ، وجابر ، واسماعيل بن سعيد الأشعري ، وعبد الرحمان العرزمي ، وعلي بن عبد الله ، والحسين بن خالد . إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه . .[1] .

مذهب أهل البيت (ع) هو الصحيح :

ونحن بدورنا لا نجد مناصاً عن الالتزام بمذهب أهل البيت (ع) وشيعتهم . . ولا نستند فقط إلى الاجماع المذكور ، ولا فقط إلى الروايات عنهم عليهم السلام ، وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق ، واحد الثقلين الذين لا يضل أبداً من تمسّك بهما . .

وإنما نستند ـ بالإضافة إلى ذلك ، إلى العديد من الأدلة والروايات ذات الأسانيد الصحيحة عند غيرهم أيضاً ، والمروية في أوثق مصادرهم ، والتي تؤكد على أن الزيادة على الأربع ثابتة من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيته عليهم السلام ، وعدد من الصحابة وغيرهم . .

أدلة القائلين بالتكبيرات الأربع :

لقد استُدِلَّ على أن الواجب في صلاة الجنازة هو أربع تكبيرات بعدة أدلة :

الأول : إن الأربع هي آخر ما وقع منه (ص) ، كما أخرج الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ :

---

(١) راجع : الوسائل / ج ١ ص ١٤٤ فصاعداً طبعة حجرية ، ومستدرك الوسائل والكافي وجامع أحاديث الشيعة ، وغير ذلك من مجاميع الحديث والرواية . .

« آخر ما كبّر رسول الله (ص) على الجنائز أربع » . وكذا روي عن عمر ، وابن عمر ، وانس وابن أبي حثمة .

وفي بعضها : أنه (ص) كبّر على النجاشي أربعاً وثبت عليها حتى مات فكانت الأربع ناسخة لما قبلها . .[1] .

ولكن هذا الدليل لا يصح . . لأن هذه الروايات كلها ، والتي تريد أن تثبت أن آخر صلاة للنبي (ص) كبّر فيها أربعاً كلها لا تصح ، وطرق جميعها ضعيفة ، وقد تكلم على أسانيدها جميعاً الزيلعي والشوكاني وابن القيم والبيهقي[2] .

أضف إلى ذلك ما سيأتي من أنه (ص) قد كبّر على النجاشي خمساً . . هذا عدا عن إصرار كثير من الصحابة على غير الأربع ، كما سيتضح . .

وثمة روايات أخرى في التكبيرات الأربع فندها الزيلعي وابن قيم الجوزية وغيرهما فراجع[3] .

الثاني : الاجماع على الأربع ، حيث قد نقل عن ابن عبد البر ـ في الاستذكار ـ قوله : « وانعقد الاجماع بعد ذلك على أربع ، وأجمع الفقهاء ، وأهل الفتوى بالأمصار على أربع على ما جاء في الروايات الصحاح ، وما سوى ذلك شذوذ لا يلتفت إليه ، قال : ولا نعلم أحداً من فقهاء الأمصار يخمس إلا ابن أبي ليلى »[4] .

هذا كلامه . وقال البيهقي : « إن اجماع أكثر الصحابة (رض) على الأربع

---

(١) راجع : نيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، وتبيان الحقائق / ج ١ ص ٢٤١ ، والبحر الرائق / ج ٢ ص ٩٧ و ٩٨ ، والهداية في شرح البداية / ج ١ ص ٩٢ وهامش ص ٤٢٤ من كتاب الأصل / ج ١ عن شرح المختصر للسرخسي / ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) راجع : في تصنيف ذلك : نصب الراية / ج ٢ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ ، ونيل الأوطار / ص ٩٩ ـ ١٠٠ ، سنن البيهقي / ج ٤ ص ٣٧ ، وزاد المعاد لابن القيم / ج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

(٣) زاد المعاد / ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢ ، ونصب الراية / ج ٢ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩ .

(٤) راجع : شرح النووي على صحيح مسلم ، هامش إرشاد الساري / ج ٤ ص ٤٨٥ ، وفتح الباري / ج ٣ ص ١٦٣ ، وعون المعبود / ج ٣ ص ١٨٧ و ١٩٠ ط الهند .

كالدليل على ذلك »[1] .

ولكننا بدورنا نعتبر أن كل ما قاله أبو عمر هنا من أوله إلى آخره محض مبالغة لا مبرر لها ، وذلك استناداً إلى ما يلي :

أما بالنسبة إلى اختلاف الصحابة في ذلك ، فمن الواضح أن ذلك غير قابل الإنكار ، بل لم ينكره ابن عبد البر نفسه ، حيث قال :

١ ـ « وقطع عمر بن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله (ص) في التكبير على الجنائز وردهم إلى أربع »[2] .

٢ ـ وقال ابن رشد : « اختلفوا في عدد التكبير في الصدر الأول اختلافاً كثيراً : من ثلاث إلى سبع ، أعني الصحابة . . »[3] .

٣ ـ وقال النووي ، والقاضي عياض : « واختلفت الصحابة من ثلاث تكبيرات إلى تسع . . »[4] .

٤ ـ والعسقلاني أيضاً ذكر اختلاف السلف في ذلك لا سيما ما يذهب إليه زيد ، وعلي عليه السلام ، وابن مسعود ، وغيرهم ممن سيأتي[5] .

٥ ـ وقال في عون المعبود / ج ٣ ص ١٩٠ حول دعوى الاجماع هذه : « في دعوى الاجماع في نفسي شيء ، لأن زيد بن أرقم كان يكبّر خمساً ، ويرفعه إلى النبي (ص) » إلى آخر كلامه الذي سوف نشير إليه فيما يأتي . .

٦ ـ وقال أيضاً / ج ٣ ص ١٨٧ : « ثبوت الزيادة على الأربع لا مرّد له من حيث الرواية . . » .

٧ ـ وفي حاشية السندي على سنن النسائي : « قالوا : كانت التكبيرات على الجنائز مختلفة أولاً ، ثم رفع الخلاف ، واتفق الأمر على الأربع ، إلا أن

(١) السنن الكبرى / ج ٤ ص ٣٧ .
(٢) جامع بيان العلم / ج ٢ ص ١٠٤ .
(٣) بداية المجتهد / ج ١ ص ٢٤٠ .
(٤) شرح مسلم ، هامش القسطلاني / ج ٤ ص ٤٨٤ ، وعون المعبود / ج ٣ ص ١٩٠ .
(٥) فتح الباري / ج ٣ ص ١٦٢ .

بعض الصحابة ما علموا بذلك ، فكانوا يعملون بما عليه الأمر أولاً . . . »[1] .

وقال الترمذي : « . . وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا من أصحاب النبي وغيرهم . رأوا التكبير على الجنازة خمساً . وقال أحمد واسحاق : إذا كبّر الامام على الجنازة خمساً ، فإنه يتبع الامام »[2] .

وعن ابن المنذر : إن أحمد بن حنبل يرى أنه لا ينقص من أربع ، ولا يزاد على سبع ، ومثله قال بكر بن عبد الله المزني ، إلا أنه قال : لا ينقص من ثلاث . . وفي إحدى الروايتين عن ابن مسعود : أنه قال : كبّر ما كبّر الامام [3] .

وحماد بن سليمان يقول مثل قول أحمد[4] .

والصحابة أيضاً إلى زمان عمر كانوا يكبّرون أربعاً ، وخمساً وستاً ، وسيأتي تفصيله .

وبعد كل ما تقدم ، فلسوف نرى كثيرين جداً يلتزمون بخمس تكبيرات ، فأين هو الاجماع يا ترى . .

القول الحق :

ونحن نقول : إنه لا بد من الالتزام بالتكبيرات الخمس تبعاً للنبي (ص) وأهل البيت (عليهم السلام) ، وشيعتهم ، وعدد من الصحابة وغيرهم ، ونذكر منهم :

١ ـ زيد بن أرقم .
٢ ـ حذيفة بن اليمان .
٣ ـ ابن مسعود .

---

(١) هامش سنن النسائي / ج ٤ ص ٧٢ ـ ٧٣ .
(٢) صحيح الترمذي / ج ٣ ص ٣٤٣ .
(٣) فتح الباري / ج ٣ ص ١٦٢ ، والاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ١٠٠ ، ومجمع الزوائد / ج ٣ ص ٣٢ .
(٤) الاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ .

٤ ـ أبا ذر.
٥ ـ ابن الحنفية .
٦ ـ ابن عباس .
٧ ـ أمير المؤمنين (ع) .
٨ ـ الإمام الحسن المجتبى (ع) .
٩ ـ جابر بن زيد .
١٠ ـ أبا يوسف.
١١ ـ ابن أبي ليلى .
١٢ ـ عيسى مولى حذيفة .
١٣ ـ هو مذهب بني هاشم .
١٤ ـ أصحاب معاذ في الشام .
١٥ ـ أهل الشام .
١٦ ـ هو مذهب الصحابة قبل تقرير الأمر على الأربع.
١٧ ـ العباس بن عبد المطلب .

هؤلاء بعض من عرفناهم في هذه العجالة تفصيلاً هذا . . عدا عن غيرهم ممن لا يمانع في التكبير خمساً وأربعاً وستاً ، وغير ذلك من الأقوال التي تقدمت الإشارة إلى بعض منها فمن أراد فليراجع . . فالخمس إذن هي الأول والأساس ، عند هؤلاء كما سيظهر من التفصيل الآتي . .

هذا . . ولا بد من الإشارة هنا إلى اننا لا ننكر أن يكون النبي (ص) قد كبّر على بعض الجنائز أربعاً ولكن لذلك علة أخرى سنوضحها فيما يأتي إن شاء الله تعالى . .

وأما ما نستند إليه نحن هنا : ـ عدا عن الروايات التي تذكر الزيادة على الخمس ، حيث إننا سوف لن نتعرض لها هنا ـ[1] فنلخصه فيما يلي :

(١) راجع على سبيل المثال تعليقات المحمودي على ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٣٠٧، ٣٠٨ .

ما ورد عن النبي الأعظم (ص) :

١ ـ عن عبد الرحمان بن أبي ليلى ، قال : كان زيد يكبّر على جنائزنا أربعاً ، وأنه كبّر على جنازة خمساً ، فسألته ، فقال : كان رسول الله (ص) يكبّرها .

قال ابن البديع والشوكاني رواه الخمسة إلا البخاري[١] ويقصد بالخمسة : مسلماً ، والترمذي ، وأبا داود ، والنسائي ، وابن ماجة .

وعلى حسب نص آخر عن عبد العزيز بن حكيم قال : صلّيت خلف زيد بن أرقم على جنازة ، فكبّر خمس تكبيرات ، قال : وحدثني رجل سمعه يقول : هذه صلاة رسول الله[٢] .

وعن جابر بن عبد الله بن عبد العزيز الحضرمي ، قال : صلّيت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبّر خمساً ، فسئل عن ذلك ، فقال : سنّة نبيّكم[٣] .

وعلى حسب رواية أيوب بن سعيد الذي صلّى خلفه : فكبّر خمساً ، ثم قال : صلّيت خلف رسول الله (ص) على جنازة فكبر خمسا ، فلن ندعها لأحد . . وعلى حد تعبير المرقع الذي صلّى خلفه أيضاً : فإني لا أدعها لأحد بعده . . وعلى حسب رواية عبد الأعلى الذي صلّى خلفه أنه قال : « فلا أتركها أبداً » .

---

(١) صحيح مسلم / ج ٣ ص ٥٦ ط سنة ١٣٣٤ هـ . وتيسر الوصول ط الهند / ج ١ ص ٣٤٥ ، وبداية المجتهد / ج ١ ص ٢٤٠ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٨ ومنحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي / ج ١ ص ١٦٤ ، والترمذي / ج ٣ ص ٣٤٣ ، وزاد المعاد / ج ١ ص ١٤١ ، وسنن البيهقي / ج ٤ ص ٣٦ ، وسنن ابن ماجة / ج ١ ص ٤٨٢ ، ومسند أحمد / ج ٤ ص ٣٧٢ و ٣٦٧ و ٣٦٨ ، وفتح الباري / ج ٣ ص ١٦٢ ، وعون المعبود / ج ٣ ص ١٩٠ ط الهند ، والرصف / ج ١ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، والاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ ، وجواهر الاخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ ، وسنن النسائي / ج ٤ ص ٧٢ ، وشرح الموطأ للزرقاني / ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٢) هامش ص ٣٠٨ ج ٣ من ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ دمشق تعليق المحمودي عن المحاملي في أماليه / ج ٣ الورق ٢٨ ، والطرائف / ص ١٧٥ ، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٤٧٠ .

(٣) جواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ .

وعلى حسب رواية أبي سلمان الذي صلّى خلفه : أنه قال : بل عمداً إن النبي (ص) كان يصلّيها[1] .

وقوله : لا أتركها أبداً ، ولا أدعها لأحد بعده ونحو ذلك يدل على أن زيد بن أرقم لم يكن يترك التكبيرات الخمس . . وهذا يلقي ظلالاً من الشك على ما جاء في الرواية الأخرى من أنه كان يكبّر أربعاً . . . فالظاهر : أن هذا زيادة اجتهادية من الراوي لحاجة في نفسه . . .

وأخيراً فقد قال الترمذي : « حديث زيد بن أرقم حديث حسن صحيح[2] ».

٢ - عن يحيى بن عبد الله الجابر التيمي ، قال : صلّيت خلف عيسى مولى لحذيفة بالمدائن ، فكبّر على جنازة خمساً ، ثم التفت إلينا ، فقال : ما وهمت ولا نسيت ، ولكن كبّرت كما كبّر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان ، صلّى على جنازة ، وكبّر خمساً ، ثم التفت إلينا فقال : ما نسيت ، ولكن كبّرت كما كبر رسول الله (ص) على جنازة ، فكبّر خمساً .

وفي نص آخر :« ما وهمت ولكن كبّرت كما كبّر خليلي أبو القاسم »[3] .

وهذا يدل على أن ذلك كان بعد إرجاع الناس إلى الأربع ، وإلا فلا حاجة إلى اعتذارهما عن ذلك . . وكذلك الحال أيضاً بالنسبة لصلاة زيد بن أرقم ، واعتراضهم عليه، وجوابه لهم كما أن المعترضين لم يدركوا النبي (ص) ولا أبا

---

(١) راجع هذه النصوص في سنن الدارقطني / ج ٢ ص ٧٥ و ٧٣ ومسند أحمد / ج ٤ ص ٣٧٠ و ٣٧١ والاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ .

(٢) الجامع الصحيح / ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) مسند أحمد / ج ٥ ص ٤٠٦ ، ومجمع الزوائد / ج ٣ ص ٣٤ عنه وقال: يحيى الجابر فيه كلام . والإمام الصادق (ع) والمذاهب الأربعة المجلد الثالث جزء ٥ ص ٢٤١ عن أحمد، والغدير / ج ٦ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ عن عمدة القاري / ج ٤ ص ١٢٩ ، عن معاني الاثار للطحاوي ، وهو موجود كذلك في : سنن الدارقطني / ج ٢ ص ٧٣ وميزان الاعتدال / ج ٤ ص ٣٨٩ ، وتاريخ بغداد / ج ١١ ص ١٤٢ ، وعون المعبود ط الهند / ج ٣ ص ١٩٠ ، وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ١٠٠ - ١٠١ .

بكر ولا عمر . . كما هو ظاهر .

٣ ـ عن ابن أبي خيثمة : إن النبي (ص) كان يكبّر أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانياً حتى مات النجاشي ، فكبّر عليه أربعاً ، وثبت على ذلك حتى توفي (ص)[١] .

ولكن ذيل هذه الرواية لا يصح كما تقدم كما أن ذكر ما عدا الأربع والخمس محل شك كبير ليس هنا محل بحثه . .

٤ ـ عن كثير بن عبد الله ، عن جده عن أبيه ، قال : صلّى رسول الله (ص) على النجاشي ، فكبّر عليه خمساً . قلت : رواه ابن ماجة خلا ذكر النجاشي . رواه الطبراني في الكبير والأوسط[٢] .

٥ ـ عن كثير بن عبد الله عن أبيه، عن جده: إن رسول الله (ص) كبّر خمساً[٣] .

٦ ـ عن عبد الله بن الحارث قال : صلّى رسول الله (ص) على حمزة ، فكبّر عليه تسعاً ، ثم جيىء بأخرى فكبّر عليها سبعاً ، ثم جيىء بأخرى فكبّر عليها خمساً ، حتى فرغ من جميعهم غير أنه وتر[٤] .

٧ ـ عن ابن مسعود قال : قد كبّر رسول الله (ص) سبعاً وخمساً ، وأربعاً فكبّروا ما كبّر الإمام إذا قدمتموه[٥] .

٨ ـ وقريب من ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي (ص) : أنه كان يكبّر على البدريين سبعاً ، وعلى بني هاشم خمساً ، « ثم كان آخر صلاته أربع

---

(١) نصب الراية / ج ٢ ص ٢٦٨ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٨ عن أبي عمر في الاستذكار، والقاضي عيّاض ، وبداية المجتهد / ج ١ ص ٢٤٠ ، وعون المعبود ط الهند / ج ٣ ص ١٨٧ ، وشرح مسلم للنووي هامش القسطلاني / ج ٤ ص ٤٨٤ .

(٢) مجمع الزوائد / ج ٣ ص ٣٨ و ٣٥ .

(٣) سنن ابن ماجة / ج ١ ص ٤٨٣ .

(٤) طبقات ابن سعد / ج ٣ ص ٩ ط ليدن .

(٥) مجمع الزوائد / ج /٣ ص ٣٤ ـ ٣٥ .

تكبيرات حتى خرج من الدنيا »[1] .

والكلام في هذا الذيل قد تقدم . . وعرفنا أنه لا يصح . .

٩ ـ وعن أنس أن رسول الله (ص) كبّر على أهل بدر تسع تكبيرات ، وعلى بني هاشم سبع تكبيرات[2] .

١٠ ـ عن علي قال : نزل جبرئيل على النبي (ص) يعلمه السلام على الناس ، والصلاة على الجنازة ، فقال : يا محمد ، إن الله عزّ وجلّ فرض الصلاة على عباده خمس صلوات في كل يوم ، وليلة ، فإن مرض الرجل فلم يقدر يصلّي قائماً صلّى جالساً ، فإذا ضعف عن ذلك جاء وليّه ، فقال له : يكبّر عن كل وقت صلاة خمس تكبيرات ، فإذا مات صلّى عليه وليّه ، وكبّر عليه خمس تكبيرات ، مكان كل صلاة تكبيرة . .[3] .

١١ ـ وروى الخطيب في تاريخه ، وابن شيرويه الديلمي : ان النبي (ص) كان يصلّي على الميت بخمس تكبيرات[4] .

وأما ما ورد عن زيد بن أرقم في ذلك :

فقد تقدم : أنه ملتزم بأن لا يترك ذلك لأحد . . ونزيد هنا :

١٢ ـ أن البغوي قال : قال أبو يوسف : عن أيوب بن النعمان : شهدت سعد بن حبة ، فكبّر عليه زيد بن أرقم خمساً[5] .

---

(١) نصب الراية / ج ٢ ص ٢٦٩ عن أبي نعيم في تاريخ اصبهان ، ومجمع الزوائد / ج ٣ ص ٣٥ ، والاعتبار للحازمي / ص ١٢٥ .

(٢) المجرحون ج ٣ ص ٥٩ ولكن في ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٤٣ ولسان الميزان ج ٦ ص ١٤٦ سبع تكبيرات في الموضعين فراجع .

(٣) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد / ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٤) نهج الحق للعلامة ، ونقله المعلق عليه عن تعليقة صحيح مسلم / ج ٢ ص ٣٧٨ ، ومنتخب الكنز .

(٥) الإصابة / ج ٢ ص ٢٢ ، ومعارف ابن قتيبة ترجمة أبي يوسف القاضي / ص ٢١٨ .

وفي نص آخر : صلّيت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبّر خمساً ، ولم يرفعه[1] .

وعن عبد العزيز بن حكيم : صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة ؛ فكبّر خمس تكبيرات وقال : وحدثني رجل أنه سمعه يقول : هذه صلاة رسول الله (ص)[2] .

وقال العظيم آبادي : روي عن زيد بن أرقم أنه كان يكبّر خمساً[3] . ومثل هذا كثير عنه .

وليراجع : الاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، وغير ذلك . .

وما روي عن عيسى مولى حذيفة :

قد تقدم فلا حاجة لإعادته ، وليراجع : الاعتبار للحازمي ، وغيره . .

وما روي عن ابن مسعود :

١٣ ـ ما رواه ابن المنذر عن ابن مسعود : أنه صلّى على جنازة رجل من بني أسد ، فكبّر خمساً[4] . . وليراجع الاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ .

١٤ ـ قال الزرقاني : « وعن ابن مسعود : أنه صلّى على جنازة فكبّر خمساً ، وكان يكبّر على أهل بدر ستاً ، وعلى الصحابة خمساً ، وعلى سائر الناس أربعاً »[5] .

---

(١) سنن الدارقطني / ج ٢ ص ٧٣ .

(٢) هامش ترجمة علي (ع) لابن عساكر ، بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٣٠٨ وقال : وقريب منه بسند آخر في الطرائف ص ١٧٥ ، عن مسند زيد بن أرقم من كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي .

(٣) عون المعبود / ط الهند / ج ١ ص ١٧٨ .

(٤) عون المعبود / ج ٣ ص ١٨٧ ، و١٩٠ ط الهند ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٨ وفتح الباري / ج ٣ ص ٦٢ ، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٥ ص ٢٤١ .

(٥) شرح الموطأ للزرقاني / ج ٢ ص ٢٥٣ ، وليراجع : جواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ١٠٠ .

١٥ ـ عن ابن مسعود قال : كنا نكبّر على الميت خمساً وستاً ، ثم اجتمعنا على أربع تكبيرات[١] .

ويلاحظ : أنه لم يذكر أنهم كانوا يكبّرون أربعاً أيضاً . . كما أن ظاهره دعوى اجماع الصحابة على ذلك قبل الاجتماع على الأربع . . وسيأتي الكلام حول اجتماع الصحابة ذاك إن شاء الله تعالى . .

وأما ما روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام :

١٦ ـ فعن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن حماد ، عن ابراهيم : إن علياً كبّر على جناة خمساً .

وروي نفس هذا عن وكيع عن اسرائيل ، عن جابر ، عن عامر عن كاتب لعلي[٢] .

١٧ ـ عن ابن مسعود ، عن علي ، أنه كان يكبّر على أهل بدر ستاً وعلى الصحابة خمساً ، وعلى سائر الناس أربعاً[٣] .

وروى عبد خير عن علي مثل ذلك[٤] .

ولكن كونه يكبّر على سائر الناس أربعاً في غير محله ، وإنما أخذت الست من تكبيره على سهل بن حنيف على ما يظهر وسنرى أنه كان يكبّر على سائر الناس خمس تكبيرات أيضاً .

---

(١) هامش مصنف عبد الرزاق / ج ٣ ص ٤٨١ عن مصنف ابن أبي شيبة / ج ٤ ص ١١٤ .
(٢) مصنف الحافظ عبد الرزاق / ج ٣ ص ٤٨١ ، وهامش نفس الصفحة منه عن ابن أبي شيبة .
(٣) نيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٨ ، وعون المعبود ط الهند / ج ٣ ص ١٨٧ و ١٩٠ .
(٤) السنن الكبرى / ج ٤ ص ٣٧ ، وسنن الدار قطني / ج ٢ ص ٧٣ ، وفتح الباري / ج ٣ ص ١٦٢ عن ابن المنذر ، وشرح مسلم للنووي هامش القسطلاني / ج ٤ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، وزاد المعاد / ج ١ ص ١٤١ ، وعون المعبود / ج ٣ ص ١٩٠ وج ١ ص ١٨٧ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٨ الثلاثة عن الدارقطني والطحاوي وابن أبي شيبة ، وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ ، وقال : حكاه في الانتصار ، ونصب الراية / ج ٢ ص ٢٧٠ عن ابن أبي شيبة / ج ٣ ص ١١٥ وعن الدارقطني والطحاوي في ص ٢٨٧ .

١٨ ـ عن عمير بن سعيد . صلّى على سهل بن حنيف فكبّر خمساً ، فقالوا : ما هذا التكبير ؟! فقال : هذا سهل بن حنيف ، من أهل بدر ، ولأهل بدر فضل على غيرهم ، فأردت أن أعلمكم فضلهم .

وكذا روي عن ابن معقل عن علي ، وعن عبد الله بن مغفل عنه[١] ولعله نفس ابن معقل السابق لكنه صحف .

١٩ ـ وقال في هامش كتاب الأصل / ج ١ ص ٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي / ج ٢ ص ٦٣ : « . . وأهل الزيغ يزعمون أن علياً (رض) كان يكبّر على أهل بيته خمس تكبيرات ، وعلى سائر الناس أربعاً » .

٢٠ ـ صلّى عليه السلام على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فكبّر خمس تكبيرات ودفنها ليلاً[٢] .

وهذا يكذّب نقل السرخسي وغيره من أنه كبّر عليها أربعاً .

ومما ورد عن الحسن عليه السلام نذكر :

٢١ ـ إن الحسن عليه السلام صلّى على أبيه علي أمير المؤمنين وكبّر خمس تكبيرات[٣] .

---

(١) طبقات ابن سعد / ج ٣ قسم ٢ ص ٤٠ و ٤١ وراجع ج ٦ ص ٨ والإصابة / ج ٢ ص ٨٧ ، وهامش كتاب الأم / ج ١ ص ٢٥١ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ١٠١ ، وليراجع : البدء والتاريخ / ج ٥ ص ١١٩ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٥ وفتح الباري / ج ٧ ص ٢٤٥ عن أبي نعيم في المستخرج ، والبخاري في تاريخه ، والاسماعيلي ، والبغوي والبرقاني ، وسعيد بن منصور .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي / ص ١٣١ ، وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ .

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج / ص ٤١ ، وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ ، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي / ص ٤٦٩ ، وشرح النهج للمعتزلي / ج ٦ ص ١٢٢ ، وليراجع : تذكرة الخواص / ص ١٧٨ ، ويظهر من بعض النسخ أنه هو مختار سبط ابن الجوزي . . والاخبار الطوال ص ٢١٦ وتيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب ص ٨٥ .

ومما ورد عن ابن عباس :

٢٢ ـ عن ابن عباس : لما توفي آدم قال شيث لجبريل : صل على آدم . فقال : تقدم أنت فصل على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وخمس وعشرون تفضيلاً لآدم[١] وليراجع : نيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٥ ص ٢٤١ .

ومما ورد عن محمد بن الحنفية :

٢٣ ـ قال الصعدي : وروي عن محمد بن الحنفية : « أنه صلّى على ابن عباس فكبّر خمساً »[٢] وليراجع نيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٥ ص ٢٤١ .

وأما ما ورد عن حذيفة :

فقد تقدمت الرواية فيه ، وليراجع : الاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ .

ومما ورد عن أبي ذر :

٢٤ ـ عن حصين بن عامر ، قال : قال لي أبو ذر : « يا حصين إذا أنا متّ فاستر عورتي ، وانق غسلي ، وكفنّي في وتر ، وكبّر علي خمساً الخ »[٣] وليراجع : نيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٥ ص ٢٤١ .

---

(١) طبقات ابن سعد / ج ١ قسم ١ ص ١٥ ، وذكره في السيرة الحلبية / ج ١ ص ٣٤٦ عن العرائس بدون ذكر مقدار الصلاة والتفصيل . .

(٢) جواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ .

(٣) جواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار / ج ٣ ص ١١٨ .

ومما ورد عن أصحاب معاذ في الشام :

٢٥ ـ عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : إن أصحاب معاذ قدموا من الشام فكبّروا على ميت لهم خمساً . فقال ابن مسعود : ليس على الميت من التكبير وقت ، كبّر ما كبّر الإمام ، فإذا انصرف الإمام فانصرف[١] وليراجع : الاعتبار للحازمي / ص ١٢٢ .

ومما ورد عن أهل الشام :

٢٦ ـ إن علقمة قدم من الشام ، فقال لابن مسعود : إن اخوتك بالشام يكبّرون على جنائزهم خمساً ، فلو وقتم وقتاً نتابعكم عليه ، فأطرق عبد الله ، ثم قال : انظروا جنائزكم فكبّروا عليها ما كبّر أئمتكم ، لا وقت ولا عدد[٢] .

العباس بن عبد المطلب :

فإنه كبّر على النبي (ص) حينما صلى عليه خمساً (راجع : كنز العمال ج ٧ ص ١٨٤).

وما روي عن أبي يوسف :

٢٧ ـ ما قد قيل من أن أبا يوسف كان يكبّر خمساً[٣] .

وما روي عن جابر بن زيد :

٢٨ ـ قد نقله عنه ابن رشد في بداية المجتهد / ج ١ ص ٢٤٠ .

---

(١) سنن البيهقي / ج ٤ ص ٣٧ ، وزاد المعاد / ج ١ ص ١٤٢ .
(٢) مصنف الحافظ عبد الرزاق / ج ٣ ص ٤٨١ ـ ٤٨٢ وقال المعلق على نفس الصفحة إن: ابن أبي شيبة أخرجه بسند آخر في مصنفه / ج ٤ ص ١١٥ .
(٣) فتح الباري / ج ٣ ص ١٦٣ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، كلاهما عن المبسوط للحنفية . .

وأما ما نقل عن ابن أبي ليلى :

٢٩ ـ فقد نسبه إليه كثيرون ، مثل : شرح المختصر للزرقاني / ج ٢ ص ٢٥٣ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، وهامش كتاب الأصل للشيباني ط الهند / ج ١ ص ٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي / ج ٢ ص ٣ ، وفتح الباري / ج ٣ ص ١٦٣ وبداية المجتهد / ج ١ ص ٢٤٠ ، وعون المعبود ط الهند / ج ٣ ص ١٨٧ .

رأي الهاشميين في التكبير :

٣٠ ـ روى الزبير بن بكار : أن المنصور كبّر على هشام بن عروة أربع تكبيرات ، ثم صلّى على مولاه هو وكبّر عليه خمس تكبيرات . قال الزبير : « كبّر عليه أربع تكبيرات بالقرشية ، وكبّر على هذا خمس تكبيرات بالهاشمية » .

قال محمود محمد شاكر في تعليقته هنا على نسب قريش : « ومعنى ذلك أن قريشاً كان يرون التكبير على الجنازة أربعاً ، وأن بني هاشم وبني العباس كانوا يرون التكبير عليها خمساً »[1] . وقد تقدم أن الرسول (ص) كان يكبّر على بني هاشم خمس تكبيرات .

ولعله لأجل هذا نجد أن علي بن المهدي أخا الرشيد الخليفة العباسي قد كبّر على السيد الحميري خمساً ، بأمر من الرشيد نفسه ، فقد قال المرزباني ، وغيره :

٣١ ـ « . . ووجه الرشيد بأخيه علي ، وباكفان وطيب فردت اكفان العامة عليهم ، وكفن في اكفان الرشيد ، وصلّى عليه علي بن المهدي ، وكبّر خمساً ، ووقف على قبره إلى أن سطح ، ومضى ، كل ذلك بأمر الرشيد »[2] .

---

(١) راجع : نسب قريش / ص ٣٠٤ متناً وهامشاً ، ورواه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد / ج ١٤ ص ٤١ عن الزبير بن بكار وغيره ، وفيه : أن المنصور قال : « صلينا على هذا برأيه ، وعلى هذا برأيه » .

(٢) راجع : أخبار السيد الحميري / ص ٤٦ و ٤٩ ، وقاموس الرجال / ج ٢ ص ٦٩ ، والغدير / ج ٢ ص ٣٧٢ .

٣٢ ـ ومما يدل على أن ذلك هو مذهب الهاشميين ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام الجعفري : إن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الثائر على المنصور، والمقتول بباخمرى . . قد صلّى على جنازة بالبصرة ، فكبّر عليها أربعاً ، فقال له عيسى بن زيد : لم نقصت واحدة ! وقد عرفت تكبير أهلك ؟! »[1] مما يدل على أن الهاشميين يلتزمون بالتكبيرات الخمس .

٣٣ ـ « وذكروا : أنه صلّى عليه (أي على أبي الهذيل) أحمد بن أبي دؤاد القاضي فكبّر عليه خمساً . ثم لما مات هشام بن عمرو فكبّر عليه أربعاً ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن أبا الهذيل كان يتشيع لبني هاشم فصلّيت عليه صلاتهم الخ . . »[2] .

ومما روي عن عمر بن الخطاب :

٣٤ ـ سعيد بن المسيب يحدث عن عمر (رض) ، قال : كل ذلك قد كان : أربعاً ، وخمساً ، فاجتمعنا على أربع ، التكبير على الجنازة وذكره ابن المنذر عن ابن المسيب باسناد صحيح[3] .

كلام ابن قيّم الجوزية :

وأخيراً . . فإن ابن قيّم الجوزية بعد أن ذكر الروايات بالخمس عن النبي (ص) وعن أمير المؤمنين ، وزيد بن أرقم ، وغير ذلك . . قال : « وهذه آثار صحيحة ، فلا موجب للمنع عنها ، والنبي (ص) لم يمنع مما زاد على الأربع ، بل فعله هو وأصحابه من بعده » ثم ذكر ما استدل به المانعون من الزيادة على

---

(١) مقاتل الطالبيين / ص ٣٣٥ .
(٢) طبقات المعتزلة / ص ٤٨ .
(٣) فتح الباري / ج ٣ ص ١٦٢ ، وسنن البيهقي / ج ٤ ص ٣٧ ، وعون المعبود ط الهند / ج ٣ ص ١٨٧ عنه وعن ابن عبد البر ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ عنهما أيضاً . .

الأربع وضعفه ، فراجع[1] .

وأما سائر الشخصيات التي ذكرنا في أول البحث أنهم يقولون بوجوب التكبير خمساً على الجنازة ، فقد ذكرنا من عزا ذلك إليهم ثمة ، فلا نعيد .

الصحابة كانوا يكبّرون خمساً أيضاً ؛

لقد تقدم كلام ابن مسعود ، وكلام عمر ، الدال على أن الصحابة كانوا يزيدون في تكبيرهم على الجنازة على الأربع . ونزيد هنا :

١ ـ ما سوف يأتي تحت عنوان : (عمر أول من ألزم بالأربع) من أن الصحابة في عهد الرسول ، وعهد أبي بكر وعهد عمر كانوا يكبّرون خمساً وستاً وأربعاً . .

٢ ـ عن الحكم بن عتيبة ، أنه قال : كانوا يكبّرون على أهل بدر خمساً وستاً ، وسبعاً . .[2] .

٣ ـ عن ابن عيينة قال : كانوا يكبّرون على أهل بدر خمساً ، وستاً ، وسبعاً . .[3] .

٤ ـ عن ابراهيم : كل قد فعل ، فاجتمع الناس على أربع تكبيرات ، وروي مثله عن ابن مسعود أيضاً[4] .

ومثل ذلك كثير تقدم عن ابن عبد البر ، وابن رشد ، وعياض ، والنووي والسندي وغير ذلك مما لا مجال لتتبعه[5] .

---

(١) زاد المعاد / ج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

(٢) عون المعبود / ج ٣ ص ١٩٠ ط الهند عن سعيد بن منصور في سننه وعن المنتقى لابن تيمية ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ١٠١ .

(٣) زاد المعاد / ج ١ ص ١٤١ .

(٤) راجع مصنف عبد الرزاق / ج ٣ ص ٤٨١ وهامش نفس الصفحة عن ابن أبي شيبة في مصنفه / ج ٤ ص ١١٤ عن ابن مسعود . .

(٥) وليراجع أيضاً : زاد المعاد / ج ١ ص ١٤١ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ .

عمر هو أول من ألزم بالأربع :

١ ـ من أوليات عمر المعروفة عنه إرجاع الناس إلى أربع تكبيرات في صلاة الجنازة[١] .

٢ ـ عن ابراهيم النخعي : أن الناس كانوا يصلّون على الجنائز خمساً وستاً وأربعاً ، حتى قبض النبي (ص) ، ثم كبّروا كذلك في ولاية أبي بكر الصديق ، ثم ولي عمر بن الخطاب ، ففعلوا ذلك ، فقال لهم عمر : إنكم معشر أصحاب محمد متى تختلفون يختلف الناس بعدكم ، والناس حديث عهد بالجاهلية ، فاجمعوا على شيء يجمع عليه أمرهم ، فاجمع رأي الصحابة على أن ينظروا إلى آخر جنازة كبّر عليها النبي (ص) الخ .

وعلى حسب نص آخر : فأجمعوا أمرهم على أن يجعلوا التكبير على الجنائز مثل التكبير في الأضحى والفطر : أربع تكبيرات الخ . .[٢] .

ولكن قد تقدم أن كونه (ص) كبّر على آخر جنازة أربعاً لم يثبت . .

٣ ـ وعن أبي وائل : قال : كانوا يكبّرون على عهد رسول الله (ص) سبعاً ، وخمساً وستاً ، أو قال : وأربعاً . فجمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) ، فأخبر كل رجل بما رأى . فجمعهم عمر (رض) على أربع تكبيرات ، كأطول ما تكون الصلاة[٣] .

---

(١) الأوائل للعسكري / ج ١ ص ٢٤٠ ، وروضة المناظر لابن شحنة بهامش الكامل / ج ١١ ص ١٢٢ ، وتاريخ القرماني بهامش الكامل أيضاً / ج ١ ص ٢٠٣ ، وليراجع : الغدير / ج ٦ ص ٢٤٥ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٧ .

(٢) نصب الراية / ج ٢ ص ٢٦٨ عن الآثار لمحمد بن الحسن / ص ٤٠ ، والغدير / ج ٦ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ عن عمدة القاري / ج ٤ ص ١٢٩ عن الطحاوي .

(٣) سنن البيهقي / ج ٤ ص ٣٧ ، وإرشاد الساري / ج ٢ ص ٢٣١ ، وفتح الباري / ج ٣ ص ١٦٢ وعون المعبود ط الهند / ج ٣ ص ١٨٧ ، وشرح الموطأ للزرقاني / ج ٢ ص ٢٥٣ ، ونيل الأوطار / ج ٤ ص ٩٩ ، ومصنف عبد الرزاق / ج ٣ ص ٤٧٩ ، و ٤٨٠ وفي هامش / ص ٤٨٠ عن مصنف ابن شيبة / ج ٤ ص ١١٥ ، والغدير / ج ٦ ص ٢٤٤ عن المحلى لابن حزم ، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٥ ص ٢٤١ ، عن معاني الآثار للطحاوي / ج ١ ص ٢٨٨ .

٤ ـ قال ابن عبد البر : « وقطع عمر بن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله في التكبير على الجنائز ، وردهم إلى أربع »[١] .

٥ ـ وعلى حسب نص آخر عن أبي وائل ، قال : « جمعهم (يعني عمر) فسألهم عن تكبير النبي (ص) فقال بعضهم : أربع تكبيرات ، وقال بعضهم : خمس خمس . وبعضهم ست ، كلهم قال ما سمع ، فجمعهم على أربع . وكان آخر ما كبّر النبي (ص) أربعاً على سهيل بن البرصاء[٢] .

ولكن . . هذا الذيل الأخير محل نظر . . فقد تقدم قولهم : ان آخر صلاة صلاّها النبي (ص) كانت على النجاشي . . وقد تقدم أنه في نفس الوقت الذي نجد بعضها يقول : إنه كبّر عليه أربعاً ، فإننا نجد بعضها الآخر يقول : إنه كبّر عليه خمساً . .

أسد حيدر ماذا يقول ؟! :

وقد أنكر أسد حيدر : أن يكون عمر قد جمع الناس على أربع ، على اعتبار أنه يستبعد أن يقدم عمر على إحداث فريضة لم تكن على عهد رسول الله (ص) ، إذ ليس له حق التشريع ، ولو فعل ، فلا يجب اتّباعه ، لأن ذلك من وظيفة النبي (ص) إلى آخر كلامه[٣] .

ولكن . . ما ذكره إنما يرد . . لو لم يكن لعمر ، وللصحابة عذر فيما أقدموا عليه . وسيجيء وجه عذرهم في ذلك بما يزيل كل شبهة وريب إن شاء الله تعالى . .

هذا كله عدا عن أن أسد حيدر قد نسي أن هذه ليست هي المرة الأولى التي يحصل فيها مثل هذا الأمر ، بل له نظائر كثيرة جداً بسط العلماء الكلام فيها

---

(١) جامع بيان العلم / ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) الأوائل لأبي هلال العسكري / ج ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، وليراجع أيضاً هامش كتاب الأصل / ج ١ ص ٤٢٤ عن السرخسي في شرح المختصر / ج ٢ ص ٦٣ ، وما ذكره المحمودي هامش أنساب الأشراف / ج ٢ ص ٤٩٦ .

(٣) راجع : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٥ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

بما لا مجال له . فراجع : النص والاجتهاد لشرف الدين ، والغدير للاميني ، ودلائل الصدق للمظفّر .

سرّ الاختلاف في التكبير على الميت :

عن أبي عبد الله عليه السلام : « كان رسول الله (ص) إذا صلّى على ميت كبّر وتشهّد ، ثم كبّر وصلّى على الأنبياء ودعا . ثم كبّر ودعا للمؤمنين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ثم كبّر الرابعة ودعا للميت . ثم كبّر الخامسة وانصرف ، فلما نهاه الله عزّ وجلّ عن الصلاة على المنافقين : كبّر وتشهّد ، ثم كبّر وصلّى على النبيين ، ثم كبّر ودعا للمؤمنين ، ثم كبّر الرابعة وانصرف ولم يدع للميت[1] .

قال أبو عبد الله عليه السلام : صلّى رسول الله (ص) على جنازة فكبّر عليه خمساً ، وصلّى على أخرى فكبّر عليه أربعاً ، فأما الذي كبر عليه خمساً ، فحمد الله ومجّده في التكبيرة الأولى ، ودعا في الثانية للنبي (ص) ودعا للمؤمنين والمؤمنات في الثالثة ودعا في الرابعة للميت ، وانصرف في الخامسة .

وأما الذي كبّر عليه أربعاً ، فحمد الله ومجّده في التكبيرة الأولى ، ودعا لنفسه ، وأهل بيته في الثانية ، ودعا للمؤمنين والمؤمنات في الثالثة ، وانصرف في الرابعة ، فلم يدع له ، لأنه كان منافقاً . .[2] .

وورد أيضاً : إن النبي (ص) كان يكبّر على قوم خمساً ، وعلى قوم آخرين أربعاً . وإذا كبّر على رجل أربعاً اتهم ـ يعني بالنفاق ـ[3] .

ومن الواضح : ان آية النهي عن الصلاة على المنافقين قد نزلت في سنة تسع . وآية النهي عن الاستغفار للمنافقين قد نزلت في السنة الخامسة أو السادسة[4] .

---

(١) الوسائل ط قديم / ج ١ ص ١٤٥ ، وتفسير نور الثقلين / ج ٢ ص ٢٥٠ .
(٢) المصدران السابقان .
(٣) تفسير نور الثقلين / ج ٢ ص ٢٥٠ .
(٤) راجع : مقالاً بعنوان : « الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول » للأخ الكريم الفاضل السيد مرتضىٰ مرتضىٰ دام توفيقه. نشرته مجلة الهادي العدد ٣ سنة ٦/ ص ٨٠ /٨١.

وإذا كان النبي (ص) قد صلّى على آخر جنازة في سنة تسع : إما النجاشي ، أو سهيل بن البرصاء ، حسبما تقدم . . فإننا نستنتج من ذلك أن الرسول من حين نهي عن الاستغفار في الخامسة أو السادسة بدأ يكبّر على الميت من المنافقين أربع تكبيرات . . وعلى الصالح خمساً . .

فلما نهي عن الصلاة على المنافق سنة تسع امتنع من الصلاة عليه بالكلية من سنة تسع . . وعليه فيكون مقصود الرواية المتقدمة بالنهي عن الصلاة على المنافق هو النهي عن الاستغفار له بعد الرابعة ، فكأنه لم يصل عليه أصلاً . . أو لعل في الرواية اشتباهاً بين النهي عن الصلاة والنهي عن الاستغفار، وكيف كان فالأمر سهل.

وبعد كل ما تقدم ، نعود لنقول :

وهكذا . . فإننا لا نجد تعليلاً مقبولاً ، للزيادة والنقيصة في تكبيرات النبي (ص) ، وبعض الصحابة على الجنازة سوى هذا . . فاشتبه الأمر على بعض الصحابة ، ولم يعرفوا الوجه فيه ، فاختلفوا فيما بينهم ، وجمعهم عمر على أربع قياساً على بعض ما رأوه بنظرهم صالحاً للقياس عليه ، وعذرهم ـ كما قلنا ـ هو عدم معرفتهم بالسرّ الكامن وراء تكبيرات رسول الله (ص) المختلفة . .

ولكن الهاشميين وأهل البيت ، الذين هم أقرب إلى النبي (ص) ، وأعرف بدقائق أموره، وأسرار تصرفاته قد اطلعوا على ذلك وعرفوه . . وبيّنوه في الوقت المناسب بعد فترة . .

ولو أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يبين هذا الحكم في وقته ، وخصوصاً حين اختلاف الصحابة ، وجمع عمر لهم للزم من بيانه لذلك مفسدة عظيمة ، ولا سيما مع وجود بقايا المنافقين فيما بينهم . . وأيضاً مع وجود أبناء من صلّى عليهم النبي (ص) منهم وعشائرهم ، وأقربائهم .

نعم . . إن ذلك سوف يكون صدمة عنيفة لهم لا يؤمن معها من حصول ردّات فعل لا تحمد عقباها ، في مجتمع لم يزل قريب عهد بالجاهلية ـ على حدّ

تعبير عمر فيما تقدم ـ ولم تتأصل الروح الدينية في نفوسهم بعد .

فكان من الصالح أن يسكتوا حينئذ مؤقتاً . . ولكنهم قد استمروا على ممارسة ما يعلمون أنه الحق . . لتمر فترة يقل معها ارتباط الناس باسلافهم ، ليمكن طرح الحقيقة وبيانها ، وهكذا كان . .

واستمر عمل الهاشميين على الخمس ، وأخذ الآخرون بالأربع بحسن نية ، وسلامة طوية ، غفلة عن حقيقة القضية وواقع الأمر . .

وليس في ذلك من غضاضة ـ ما دام أنهم كانوا لا يعرفون وحقيقة الأمر يجهلون : ولأن هدفهم ليس إلا الاتباع للرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم . وخفاء بعض الأمور عنهم لا يقدح في إخلاصهم . .

والآن . . وبعد أن اتضح السرّ الحقيقي لذلك . . فإننا ندعو الجميع بكل محبة واخلاص إلى العودة إلى ما عليه أهل البيت عليهم السلام ، فهم مصابيح الهدى ، وباب حطة ، وسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق . . وهم أحد الثقلين ، الذين لن يضل من تمسك بهما وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً . .

٢١ / جمادي الاولى / ١٤٠٠ هـ .

مصادر البحث

١ ـ أخبار السيد الحميري ..... للمرزباني

٢ ـ الأخبار الطوال ..... للدينوري

٣ ـ إرشاد الساري ..... للقسطلاني

٤ ـ أسد الغابة ..... لابن الأثير

٥ ـ الإصابة ..... للعسقلاني

٦ ـ الأصل ..... للشيباني

٧ ـ الاعتبار ..... للحازمي

٨ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ..... لأسد حيدر

٩ ـ الأوائل ..... لأبي هلال العسكري
١٠ ـ البدء والتاريخ ..... للمقدسي
١١ ـ بداية المجتهد ..... لابن رشد
١٢ ـ البحر الرائق ..... لابن نجيم
١٣ ـ البحر الزخار ..... لابن المرتضى
١٤ ـ تاريخ بغداد ..... للخطيب
١٥ ـ تاريخ القرماني .....
١٦ ـ تبيان الحقائق ..... للزيلعي
١٧ ـ تذكرة الخواص ..... لسبط ابن الجوزي
١٨ ـ ترجمة الإمام علي (ع) من تاريخ دمشق ..... تحقيق المحمودي
١٩ ـ تيسير المطالب ..... لأبي طالب الزيدي
٢٠ ـ تيسير الوصول ..... لابن البديع
٢١ ـ جامع أحاديث الشيعة .....
٢٢ ـ جامع بيان العلم ..... لابن عبد البر
٢٣ ـ جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار ..... للصعدي
٢٤ ـ الرصف .....
٢٥ ـ روضة المناظر ..... لابن شحنة
٢٦ ـ زاد المعاد ..... لابن قيم الجوزية
٢٧ ـ السنن ..... لابن ماجة
٢٨ ـ السنن ..... للترمذي
٢٩ ـ السنن ..... للدارقطني
٣٠ ـ السنن ..... للنسائي
٣١ ـ السنن الكبرى ..... للبيهقي
٣٢ ـ السيرة الحلبية ..... للحلبي الشافعي
٣٣ ـ شرح صحيح مسلم ..... للنووي
٣٤ ـ شرح الموطاء ..... للزرقاني
٣٥ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

٣٦ ـ صحيح مسلم ..... لمسلم
٣٧ ـ الطبقات الكبرى ..... لابن سعد
٣٨ ـ طبقات المعتزلة .....
٣٩ ـ عون المعبود .....
٤٠ ـ الغدير ..... للاميني
٤١ ـ فتح الباري ..... للعسقلاني
٤٢ ـ الفصول المهمة ..... للمالكي
٤٣ ـ قاموس الرجال ..... للتستري
٤٤ ـ الكافي ..... للكليني
٤٥ ـ كفاية الطالب ..... للكنجي الشافعي
٤٦ ـ مجمع الزوائد ..... للهيثمي
٤٧ ـ مستدرك الوسائل ..... للنوري
٤٨ ـ المستمسك ..... للسيد الحكيم
٤٩ ـ مسند أحمد ..... لابن حنبل
٥٠ ـ المصنف ..... لعبد الرزاق
٥١ ـ المعارف ..... لابن قتيبة
٥٢ ـ مقاتل الطالبيين ..... لأبي الفرج
٥٣ ـ منتخب كنز العمال .....
٥٤ ـ منحة المعبود .....
٥٥ ـ ميزان الاعتدال ..... للذهبي
٥٦ ـ نسب قريش ..... لمصعب
٥٧ ـ نصب الراية ..... للزيلعي
٥٨ ـ نهج الحق ..... للعلامة
٥٩ ـ نور الثقلين ..... للحويزي
٦٠ ـ نيل الأوطار ..... للشوكاني
٦١ ـ الهادي ..... (مجلة)
٦٢ ـ الهداية في شرح البداية .....
٦٣ ـ الوسائل ..... للحر العاملي

الكلمة الأخيرة :

إلى هنا ينتهي الجزء الأول من كتاب : « دراسات وبحوث : في التاريخ والإسلام » .

فإلى الجزء الثاني من هذا الكتاب ، مع تقديم خالص شكري ، وأخلص تمنياتي للقارىء الكريم، حفظه الله ورعاه. . وسدد في سبيل الإسلام خطاه.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

محتويات الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثانية ٥
مقدمة الطبعة الأولى ٧
إعرف الكتب المحرفة ١١

بحوث تاريخية

لماذا نهى علي (ع) عن قتال الخوارج؟ ٣٥
مع جوائز الأئمة للشعراء ٤٧
المهدية بنظرة جديدة ٥٧
الإمام السجاد باعث الإسلام من جديد ٧٧
إستراتيجية الكوفة في خلافة الإمام علي (ع) ٩٣

أكاذيب وحقائق

أبو ذر في سطور ١٠٧
أبو ذر إشتراكي ـ أم شيوعي ـ أم مسلم ١١١
ضرب النقود في الإسلام ١٤١
قصة أرينب بنت اسحاق ١٥٥

أين دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٩٦
ذهاب عقيل إلى معاوية ١٨٣
مسلم بن عقيل ومعاوية ٢٠٥
الإمام علي بن الحسين (ع) وأموال مروان ٢٢١
من هو الأمير الأول في غزوة مؤتة ٢٣٩
المؤامرة على مروان بن الحكم ٢٤٥
الحنفية ليست من سبى أبي بكر ٢٤٩
حديث اللدود خرافة ٢٥٧

بحث فقهي

التكبير على الميت: خمس لا أربع ٢٦٧
الكلمة الأخيرة ٢٩٣
المحتويات ٢٩٥

دراسات وبحوث
في
التاريخ والإسلام
«الجزء الثاني»

٤٨٨

دراسات وبحوث

في

التاريخ والإسلام

جعفر مرتضى العاملي

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين . . والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين وعلى الأئمة الهداة من بعده وعلى أبنائه الطاهرين . .

وبعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب : « دراسات وبحوث : في التاريخ ، والإسلام » اقدّمه إلى القراء الكرام ومعه كل إخلاصي وتقديري راجياً من الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لنصرة دينه ، والعمل في سبيله إنه ولي قدير . .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

بحوث إسلامية

الحب في التشريع الإسلامي.
العقيدة والنظام.
السواك.
الحروف المقطعة في القرآن.
لمن هذه الكتب.
فلسفة الأخلاق في الإسلام.
نحن.. ونهج البلاغة.
الوحدة الإسلامية: أسسها ومنطلقاتها.
الرياضة.. والاستعمار.
من هم الخالدون؟.

الحب في التشريع الإسلامي

إنه إذا كانت بعض التشريعات قد اتخذت « القوة » أساساً لها ، ومحوراً ومنطلقاً وبعضها الآخر جعل « المادة » منطلقاً ومحوراً . وبعض ثالث اعتبر « الحرية المطلقة » هي المنطلق والأساس . . وهكذا . .

فإن الإسلام . . هذا الدين الخالد ، قد نظر إلى الإنسان نظرة أكثر دقة وشمولاً عندما رفض أن يكون كل ذلك ، وسواه أساساً صالحاً للتشريع ، أو منطلقاً واقعياً للنظم والأحكام . .

ونظر إلى الإنسان بمنظار آخر ، يعطيه هويته بما هو إنسان ، ويلبي احتياجاته بما هو كائن مرتبط بكل ما في هذا العالم ، ويفجر فيه طاقاته ؛ ليعمره ، ويجسد فيه الحياة الفضلى ، والعيش الكريم . .

فكان أن بنى علاقاته على أساس آخر ، يتلاءم مع فطرة الإنسان ، وينسجم مع طاقاته وقدراته . . لا يجحد حق موجود في سبيل تكريس امتياز لموجود آخر ، كما أنه لا يلبي احتياجات طاقة على حساب أي من الطاقات الأخرى .

هذا الأساس يمكن تلخيصه بكلمة واحدة ، وبكلمة واحدة فقط وهي كلمة « الحب » . .

وذلك لأنه إذا كانت علاقة الإنسان بالحياة ، وبكل الموجودات الطبيعية قائمة على أساس « الحب ، والكره » . . بل لقد بلغ حبه للدنيا حداً يجعله يهمل أمر الحياة الآخرة « كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة »[1] كما أن حبه العارم للمادة كان حباً جماً . . إلى غير ذلك مما يؤكد حبه العارم للمادي مما في هذا الوجود - إنه إذا كان كذلك - فإن من الطبيعي أن يوظف الإسلام شعوره الفطري والطبيعي هذا ، ويوجهه إلى تحقيق الأهداف الخيرة والنبيلة ، وإلى الوصول إلى القيم والكمالات الإنسانية الرفيعة كما أن من الطبيعي أن يكرس هذا الحب في مجالات علاقات الإنسان الأخرى ، التي يهتم الإسلام بالهيمنة عليها ، وضبطها والاستفادة منها لإسعاد الإنسان ، وتأدية دوره البناء في الحياة ، على النحو الأكمل ، والأشمل والأفضل .

* * *

وإذا استثنينا الحديث عن علاقات الإنسان بالطبيعة والكون ، والتي قلنا إنها قائمة على أساس الحب ، فإننا نجد : أن علاقاته في سائر المجالات - والتي يلاحظ أن الإسلام قد بناها أيضاً على أساس المودة والحب - يمكن رسمها في ثلاثة اتجاهات رئيسية :

١ - علاقات الإنسان أولاً بنفسه .
٢ - علاقاته بربه ، ومعتقداته .
٣ - علاقاته بغيره من بني الإنسان .

ولو أننا حاولنا مراجعة النصوص القرآنية وكذلك نصوص السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام لوجدناهما المعين الثر : الذي لا يزال يفيض ويفيض كل آيات المحبة والمودة والحنان ومعانيها ، وللمسنا في كل آية وفي كل قول ذلك الشمول في الحب الذي أراده الإسلام لمختلف شؤون الحياة ومجالاتها . وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله . فإننا نكتفي بالإشارة الموجزة لبعض هذه الموارد . وقد نحاول أن نركز بشكل موجز ومحدود على

---

(١) سورة القيامة ٢٠ - ٢١ .

البعض منها ، حينما تقتضيه المناسبة ، فنقول :

* * *

إننا قبل ذلك نود أن نشير إلى أن الإسلام قد جعل العلاقة بين الإنسان ، وبين الحق والخير والإيمان قائمة على الحب . فقد قال تعالى : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر ، والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون»[1].

وقال : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين »[2] .

وقال : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ؛ مما عرفوا من الحق »[3] .

وفي مقام التأكيد على فطرة الإنسان على حب الخير ، وإن كان ربما تطغى على هذه الفطرة بعض المؤثرات الخارجية ، قال تعالى : « وإنه لحب الخير لشديد »[4] .

* * *

وبعد هذا ، فأما عن علاقات الإنسان بنفسه ، فجعلها قائمة على أساس الحب والمودة مما لا يحتاج إلى بيان ، أو إلى إقامة برهان ؛ لأنه أمر فطري جبلي ومع ذلك لم يترك له الاختيار في تعامله مع نفسه ، بل منعه الإسلام من كل أمر يضربها وحبب إليه كل أمر ينفعها ويصلحها ، وجعل اعتداءه على نفسه ـ بأي لون من ألوان الاعتداء ـ لا يقل بشاعة وفظاعة عن اعتدائه على الآخرين ، ولعل إطالة الكلام في ذلك ، بعد وضوحه مما لا يحسن ولا يجمل . ولا سيما بملاحظة الآيات القرآنية ، والأحاديث الواردة عن النبي ، وأهل بيته المعصومين ،

---

(١) سورة الحجرات ـ ٧ .
(٢) سورة التوبة ـ ١٠٨ .
(٣) سورة المائدة ـ ٨٣ .
(٤) سورة العاديات ـ ٨ .

صلوات الله عليهم أجمعين .

* * *

وأما عن علاقاته بربه ؛ فيكفي أن نشير هنا إلى قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله ﴾[1] .

وقوله عن المؤمنين : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ، ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤيته من يشاء والله واسع عليم ﴾[3] .

وقد وردت آيات كثيرة تميز الذين يحبهم الله ، عن أولئك الذين لا يحبهم ؛ فهو تعالى يحب التوابين . المحسنين . المطهرين . المتقين . الصابرين ، المتوكلين . الخ . .

ولا يحب المعتدين . الظالمين . الخائنين . المسرفين . المستكبرين . الكافرين . الخ . . وستأتي الآية التي تؤكد على أن حب الله ورسوله ، والجهاد في سبيله يجب أن يتفوق على كل حب .

وبعد هذا ، فإننا نلاحظ : أنه تعالى لا يقبل من محبيه أن يشاب حبهم له بموالاة أعدائه ، بل لا بد من خلوص الحب له ، كما لا بد من خلوص الدين له « مخلصين له الدين » . ويدلك على ذلك الكثير من الآيات والروايات ، بل في بعضها عد موالاة أعدائه كفراً وشركاً ، قال تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران ـ ٣١ .
(٢) سورة البقرة ـ ١٦٥ .
(٣) سورة المائدة ـ ٥٤ .
(٤) سورة المائدة ـ ٥١ .

وقال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حاد الله﴾[1].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «من أحب كافراً فقد أبغض الله، ومن أبغض كافراً فقد أحب الله»[2].

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه..

وقبل أن نمضي في الحديث نود أن نشير إلى أمر جدير بالملاحظة هنا، وهو أننا نرى أنه تعالى قد بين أن هناك ملازمة بين الاتباع للرسول، وبين حب الله لهم حيث قال: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله..

وذلك لأن الذي يحب الله حقيقة لا بد وأن يؤثر حبه على كل شيء مما تتعلق به نفس الإنسان من آباء، وأبناء، وعشيرة، ومال ومساكن إلى آخر ما ستأتي الإشارة إليه في الآية ٢٤ من سورة التوبة..

وإذا اتبعوا الرسول؛ فإنهم سوف يتصفون بكل الصفات التي يحبها الله، ويرضاها ويأمر بها من: التقوى، والعدل، والإحسان، والصبر، والثبات، والتوكل، والتوبة والتطهر.. وغير ذلك.. لأن الله بمقتضى نص القرآن الكريم يحب المحسنين. الصابرين، والتوابين إلى آخر ما تقدمت الإشارة إلى بعض منه..

بل إن حب الله يجب أن يثمر ويعطي على نطاق أوسع، فيجب أن يمنع الإنسان من ارتكاب أية معصية على الاطلاق.. قال الصادق عليه السلام: «ما أحب الله من عصاه» ثم تمثل فقال:

تعصي الإلـه وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لاطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[3]

---

(١) سورة المجادلة - ٢٢.
(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١.
(٣) المصدر السابق.

كما أنه يجب أن يدفعه حبه هذا للتضحية وبذل المال ، مهما كانت حاجته ماسة إليه وقد مدح الله تعالى أمير المؤمنين وأهل بيته بأنهم : « يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ، ويتيماً وأسيراً » ، لا لشيء إلا لأجل حب الله وابتغاء مرضاته ، ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾[1] .

بل لقد اعتبر أن حب الله والرسول يجب أن يتفوق على كل حب ، ويزيد على كل علاقة كما سيأتي بيانه . .

* * *

وأما بالنسبة لعلاقة الإنسان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فقد بناها الإسلام أيضاً على أساس الحب والمودة .

وقد قال القرآن لموسى : ﴿ وألقيت عليك محبة مني ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ قل : إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ؛ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[3] .

وفي معنى هذه الآية عدة روايات أخرى . .

فعن الصادق (عليه السلام) : « لا يمحض رجل الإيمان حتى يكون الله أحب إليه من نفسه ، وأبيه ، وأمه ، وولده ، وأهله ، وماله ، ومن الناس كلهم »[4] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنه قال : « والذي نفسي بيده لا

---

(١) سورة الإنسان ـ ٨ ـ ٩ .
(٢) سورة طه ـ ٢٩ .
(٣) سورة التوبة ـ ٢٤ .
(٤) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .

يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وأبويه، وأهله ، وماله ، وولده ، والناس أجمعين»[1].

وروي عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ؛ فقال : والله ، لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه . .[2] .

وإذن . . فالإسلام يعتبر محبة الله والرسول ، والجهاد في سبيل الله هي الأهم والأولى في قبال كل الأشياء الأخرى على الاطلاق . . ويعتبر طغيان حب النفس ، والآباء والأبناء والأموال ، والمساكن ـ الخ ـ على حب هؤلاء خروجاً عن الفطرة ، وظلماً للحب الذي كان يجب أن يكون مقدماً ومهيمناً في مختلف شؤون الحياة ومجالاتها .

وإذن فحبه لكل شيء يجب أن يكون بمقدار . . وأن لا يظلم به حباً آخر ، ولا على حساب مودة أخرى ، وإلا فإنه يكون عرضة للعقاب والنكال ولا سيما بالنسبة لحب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، لأنه يعتبر ذلك هو الأساس في توجيه كل محبة وتوظيفها فيما فيه خير هذا الإنسان وسعادته .

ومما يدل على أنه يعتبر حب الله هو المعيار والميزان في كل حب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أوثق عرى الإيمان الحب والبغض في الله»[3].

وعن الصادق (عليه السلام) : « إن من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله ، وتبغض في الله وتعطي في الله ، وتمنع في الله عزَّ وجلَّ »[4] .

وعن الصادق أيضاً : « لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١.
(٢) الدر المنثور عن أحمد والبخاري .
(٣) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .
(٤) تحف العقول ص ٣٥٨ و٣٦٢ وسفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .

الخلق منه في الله ، ويبغض أقرب الخلق منه في الله »[1] .
إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه . .

* * *

وأما بالنسبة لعلاقة الإنسان ، بالقائد بعد الرسول علي (عليه السلام) ، وبالأئمة من بعده ، أئمة الحق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فهي أيضاً قائمة على أساس الحب والمودة . . وذلك لأن هذا الربط العاطفي بالادلاء على الحق ، والهداة إلى سبيله بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، هو من أهم أسباب تحقق القدوة الحسنة ، والاتباع بإحسان ، الذي يقربنا إلى الله ، ويحببه إلينا ، ويحببنا إليه . .

وقد ورد في أن حب علي (عليه السلام) إيمان وبغضه كفر روايات كثيرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم لا مجال لاستقصائها . .

وورد أيضاً : أن من أحب علياً ، فقد أحب رسول الله ، ومن أحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رضي الله تعالى عنه . . وعن الزهري أنه سمع أنس بن مالك يقول : والله الذي لا إله إلا هو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب »[2] .

وقال تعالى بالنسبة إلى محبة أهل البيت ومودتهم : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[3] .

وعن الكشاف، والثعلبي : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث : « ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل

---

(١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٩٨ - ٢٠٣ .
(٢) العمدة لابن بطريق ص ١٩٣ .
(٣) سورة الشورى - ٢٣ .

الإيمان »[1] إلى غير ذلك مما لو أردنا استقصاءه لاحتجنا إلى تأليف خاص ، ووقت طويل .

بل إن علاقة الإنسان الذي يتيقن بأنه مع الله والله معه بالموت تصير علاقة حبية ، وقد تكرر طلب الله ممن يدعون أنهم أولياء لله من دون الناس تكرر طلبه منهم : أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين .

وأما عن علاقات الإنسان بالآخرين ، فهي أول ما تبدأ بعلاقته بأبويه . . وقد جعل علاقته بهما من جهة ، وعلاقتهما به من الجهة الأخرى قائمة على أساس الحب والمودة أيضاً . .

فأمرهما ببره بعد بر والديهما وجعل له حقوقاً عليهما : كتسميته باسم حسن وتأديبه وتعليمه الكتابة ، والوفاء بالوعد له ، وتعليمه الطهارة ، ومعالم الدين ، والقرآن الكريم ، وإكرام امه وعدم الاساءة إليها ؛ لأن ذلك يوجب حزنه إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن تعداده . .

ويكفي أن نذكر هنا ما ورد من أن من قبّل ولده كتب الله له حسنة . وورد أيضاً أن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده . وورد أيضاً الأمر ببر الأولاد بعد بر الوالدين[2] .

بل لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق »[3] .

وقد نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجل له ابنان ، فقبل أحدهما وترك الآخر ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « فهلا آسيت بينهما ؟! »[4] .

إلى غير ذلك مما يضيق عنه المقام . . أما أوامره لهما بالنسبة إلى الولد ، وهو

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠٣ .
(٢) مرآة الكمال للمامقاني ص ٣١ - ٣٢ .
(٣) مكارم الأخلاق ط حجرية ص ١٣٣ ومرآة الكمال ص ٣٢ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ١٣٣ .

لا يزال طفلاً بل جنيناً ، بل وحتى قبل ذلك أيضاً فهي مما لا يمكن أن ينكره من له أدنى اطلاع على التعاليم الإسلامية . . وذلك يعكس مدى اهتمام الإسلام بالإنسان وأنه يعتبره كل شيء في هذا الكون ، وكل شيء مسخر من أجله وفي سبيله . . حيث لم يترك علاقة الأبوين للإحساس الفطري بالعطف والرحمة الناشيء عن مشاهدتهما لضعفه وعجزه . . بل وضع النظم والقوانين الكفيلة بتنظيم هذه الفطرة واستثمارها على النحو الأفضل والأكمل . .

وخلاصة القول : إنه لا بد وأن يكون الأساس هو الحب والمودة ، ولا سيما في مقام تربية الولد وتهذيبه ، أن يشعر بأن ما يلقى إليه صادر عن محبة وإخلاص له ؛ لأن الإنسان بطبيعته يخضع للحق إذا جاءه عن هذا الطريق . بخلاف ما لو جاءه عن طريق التحدي والغلظة والشدة فإنه سوف ينفر ويبتعد عنه ، ولو كان حقاً . .

وهذا الأسلوب هو الأمثل في تبليغ الرسالة ، ونقل الأفكار والآراء إلى الآخرين وقد قال تعالى مخاطباً رسوله : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ؛ فاعف عنهم ، واستغفر لهم ﴾[1] .

وسيأتي قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الخ ﴾ ومن الواضح : أنه إذا شعر الطفل بأن أبويه يحترمان آرائه ، ويخلصان له في كل شيء ، فإنه سوف يطمئن لهما ، ويثق بهما ، ولسوف يسهّل ذلك له البوح لهما بأسراره ومشاكله ، وما يعانيه ، وينطلق ويعيش معهما على سجيته ، وعلى حسب طبيعته ، من دون تزيّف ولا تكلف . . الأمر الذي يمكنهما من معالجة مشاكله ، وتقويم انحرافاته . .

أما إذا اعتقد : أن القصد هو إذلاله ، وتحطيم شخصيته ، فإن من الطبيعي أن لا يطلعهما على خلجات نفسه ، وأن لا يكشف أمامهما كل أوراقه . . ومن هنا نلاحظ : أن الكثيرين من أبنائنا يطلعون أصدقاءهم على كل شيء ، ولا يظهرون لآبائهم أي شيء ؛ وما ذلك إلا لأنهم ينتظرون منهم العقاب

---

(١) سورة آل عمران ـ ١٥٩ .

على كل خطأ ، واللوم على كل اشتباه .

وإذا ما رأينا بعض الأطفال يظهر لوالده احتراماً ؛ فإن احترامه في الحقيقة ليس له ، وإنما لعصاه . . وهذا في الواقع خوف لا احترام . . حتى إنه بمجرد أن يراه قد فقد عصاه ، وزالت قوته ، فلا يقتصر الأمر على عدم الاعتداد به والالتفات إليه ، بل قد تصل النوبة إلى ما هو أسوأ من ذلك وأشد . . شأن التعامل مع كل الأقوياء أياً كانوا ، وحيثما وجدوا .

وأما إذا لاحظنا علاقة الولد نفسه بأبويه فإننا نجد ، أن الإسلام كان أكثر تأكيداً ، وتشدداً فيهما . . وذلك لأنهما ليسا منه ، ولا يرتبط بهما بنفس الروابط ، وعلى نفس الطريقة . . بخلافهما معه ، حيث إنهما يشعران أنه جزء منهما ، وأنه امتداد لوجودهما . . ومن هنا نرى الإسلام يحاول في دعوته إلى محبتهما ، والبر بهما : أن يعلل له ذلك ، ويشير إلى بعض السر في دعوته تلك . . ثم هو يثير فيه عاطفته ، ويشدد على عطفه ، ورحمته لهما ، كما أنه يذكره بما لهما من الفضل عليه ، وبما ضحيا وقدما وقاسياه في سبيله ؛ فنرى الله تعالى بعد أن قرن الاحسان إليهما بعبادته ، وعدم الشرك به يقول :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما ، أو كلاهما ؛ فلا تقل لهما أفٍ ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين : أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾[3] .

---

(١) سورة الاسراء ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢) سورة النساء ـ ٣٦ .
(٣) سورة لقمان ـ ١٤ .

إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة الواردة في ذلك . .

* * *

وأما الإنسان في حياته الزوجية . . فلما كان من الواضح : أن الأسرة هي اللبنة الأولى في الهيكل الاجتماعي العام ، واللبنة الأولى في الأسرة هذه هي الزوجان . . فمن الطبيعي أن يهتم الإسلام فيها اهتماماً خاصاً ، ويوليها عناية خاصة .

وما ذلك إلا لإدراكه : أن الأسس التي يقوم عليها بناء الأسرة ، والعلاقات فيها : إذا كانت تجارية مصلحية شخصية ، أو تمليها ظروف سياسية ، أو اجتماعية معينة ، فإن تلك العلاقات سوف تنتهي بانتهاء تلك المصلحة الشخصية ، والبناء سوف ينهار بانتهاء ذلك الظر ف المعين ، وتحقيق تلك الأهداف التجارية أو السياسية ، أو غيرها . . ويكون مصير الحياة الزوجية ـ من ثم ـ هو الدمار ، والتلاشي والإنهيار .

ومن هنا كان نهي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن زواج كهذا ، الزواج الذي ينطلق من هذه النظرة الضيقة ، وينتهي إلى هذا الواقع المؤلم ، حيث نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح يراد به غير وجه الله والعفة، نهىٰ عن النكاح للرياء والسمعة . .

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال : « إذا تزوج الرجل المرأة لحسنها أو لمالها وكِلَ إلى ذلك ، وإن تزوجها لدينها وفضلها رزقه الله الجمال والمال ، قال الله عز وجل : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم »[1] .

وعنه (عليه السلام) : « أنه نهى أن ينكح الرجل المرأة لمالها أو لجمالها ، وقال : مالها يطغيها ، وجمالها يرديها ، فعليك بذات الدين»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٣٥

(٢) المصدر السابق .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نكح امرأة حلالاً بمال حلال ، غير أنه أراد به فخراً ورياءً وسمعة لم يزده الله بذلك إلا ذلاً وهواناً . . إلى آخر الحديث »[1] .

وبعد هذا . . فإننا نرى الإسلام في مقابل ذلك قد أرسى قواعد بناء الأسرة على أسس من المحبة والمودة والرحمة . ويكفي أن نذكر هنا قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[2] .

فقوله ﴿ من أنفسكم ﴾ هو بمثابة العلة لقوله ﴿ لتسكنوا إليها ﴾ . وذلك لأن المراد ـ وإن كان هو أن المرأة قد خلقت من جنس الرجل ، وليس لها ماهية وحقيقة مختلفة عنه فيصعب التفاهم والإنسجام بينهما ـ إلا أن اختيار كلمة ﴿ من أنفسكم ﴾ للتعبير عن هذا التوافق في الماهية ، إنما هو ليزيد من إظهار هذا الترابط ، وليؤكد ذلك الإنسجام . . ففيه إشارة إلى أن كلاً من الرجل والمرأة جزء مكمل لسعادة الآخر ومتمم لراحته . وإذا كان الشيء جزءاً ومكملاً للإنسان فلا بد وأن لا يرتاح بدونه وأن يحبه ، ويحافظ عليه بكل ما لديه . . أما لو كان غريباً منفصلاً عنه ؛ فقد يشعر أن بالامكان الاستغناء عنه .

وملخص القول في قوله : ﴿ من أنفسكم ﴾ أنه إشارة إلى أن كلاً من الزوجين متمم للآخر ، ناقص بدونه ؛ فإذا التأم مع جزئه المكمل له اطمأن وسكن . . ولعل هذا ما يفسر لنا أيضاً ميل كل من الزوجين إلى الآخر ، على اعتبار أن كل فقير ومحتاج يميل إلى ما يزيل فقره ، وترتفع به حاجته . .

ثم إنه تعالى قد عقب ذلك بقوله : ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

والمودة ـ على ما قيل ـ هي : الحب الظاهر أثره في مقام العمل[3] . أما الرحمة ، فهي : العطف الناشيء عن مشاهدة حرمان الغير ونقصه . الأمر الذي

---

(١) الوسائل ط حجرية ج ٣ ص ٧ .

(٢) سورة الروم ـ ٢١ .

(٣) كنز الكراجكي .

يدفع ذلك الراحم إلى الاقدام على رفع ذلك النقص عنه ، وانجائه من ذلك الحرمان .

وواضح أن في حياة الزوجين لا بد وأن يشعر كل منهما بما يفقده الآخر ، ويحس بحاجته إلى العون والمساعدة ، فيرحم كل منهما الآخر ، ويوجد الدافع لدى كل منهما ليرفع نواقص الطرف الآخر ، ويعملان في سبيل ذلك كل في مجال اختصاصه ، وفي حدود قدراته . .

وإذا لاحظنا من الناحية الأخرى : أن الحقوق والواجبات ، التي منحها الشارع لكل من الزوجين تجاه شريكه هي مما لا يمكن معه لأي منهما الاستقلال والاكتفاء عن مساعدة شريكه له . . بحيث لو أراد كل منهما أن يلتزم تجاه الآخر ـ فقط ـ بما يجب عليه شرعاً ، لم تقم للحياة الزوجية قائمة . .

وإنما اكتفى فقط بالحث على التعاون والتكافل ، بالمقدار الذي لا يجعل ذلك واجباً شرعياً . . ولا يزيد على أن يجعله وظيفة خلقية . .

إننا إذا لاحظنا ذلك فإننا سوف ندرك : أن الإسلام أراد أن يجعل التعامل بين الزوجين قائماً على أساس التضحية المتبادلة ، التي هي من أهم أسباب توثيق عرى المحبة والإلفة، وقد أشار (عليه السلام) إلى هذا المعنى عندما قال : ﴿تهادوا تحابوا﴾ . .

وقد اشتهرت وشاعت قضية معبرة عن هذا المعنى أيضاً ، وهي قضية الربيع ـ على ما أظن ـ عندما طلب من الخليفة : أن يحب ولده الفضل ؛ فأنكر الخليفة ذلك الطلب منه ، على اعتبار أن الحب ليس أمراً اختيارياً له ، يستطيع أن يمنحه لمن يشاء ، ويمنعه عمن يشاء ؛ فطلب منه الربيع أن يعطي الفضل ويهبه أموالاً وضياعاً ؛ فإنه إذا فعل ذلك فلسوف يحبه حينئذٍ .

وقال أبو الحسن المدائني : قام رجل إلى أسد بن عبد الله فسأله ؛ فأعرض عنه ، فقال : أما والله ، إن لأسألك من غير حاجة . قال : فما يدعوك إلى مسألتي إذن ؟! قال : « رأيتك تحب من اعطيته ؛ فأحببت أن تحبني ، فأعطاه

عشرة الآف درهم »[1] ويروون عن صفوان بن امية ، قال : « أعطاني رسول الله (ص) يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى صار وإنه لأحب الناس إلي »[2] .

وأخيراً . . فإن من المناسب أن نذكر هنا : أنه قد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا نبي الله ، لقد عجبت من أمر ، وإنه لعجب !! إن الرجل ليتزوج المرأة ، وما رآها ، وما رأته قط . . حتى إذا ابتنى بها ، أصبحا وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وجعل بينكم مودة ورحمة . .

* * *

وأما عن علاقة الإنسان بذوي رحمه . . فكونها قائمة على أساس المحبة والمودة مما لا يحتاج إلى بيان . . ويكفي أن نذكر هنا : أن الإسلام قد جعل صلة الرحم من الواجبات ، التي يعاقب الإنسان على تركها ، وتجاهلها . .

* * *

وأما عن علاقة الإنسان بجيرانه . . فيكفي أن نذكر أن جبرئيل ما زال يوصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجار ، حتى ظن أنه سيورثه . .

ثم تأتي بعد ذلك علاقة الإنسان بوطنه ، التي عبر عنها الإسلام حسبما ورد عنهم (عليهم السلام) بأن : « حب الوطن من الإيمان »[3] .

وأما عن علاقة المؤمنين بعضهم ببعض في كل مكان . . فإننا نلاحظ : أن الإسلام قد اعتبر الأمة المؤمنة المسلمة بمثابة أسرة واحدة ، يكون النبي هو المربي لها ، ثم وصيه من بعده . . يلاحظ ذلك كل من راجع آيات القرآن ، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (عليهم السلام) . . فنلاحظ : أن

---

(١) لباب الآداب ص ١٠٩ .
(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٠١ .
(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٦٨ .

القرآن بعد أن قرر الأخوة بين المؤمنين، بقوله «إنما المؤمنون إخوة»، قد رتب على ذلك أن هذه الأخوة لا بد وأن تكون مسؤولة ولا بد وأن تنتج وتثمر ، وتؤثر آثارها على الصعيد العملي ، حيث جعل مقتضى هذه الأخوة هو المبادرة للإصلاح بين الأخوة ؛ فقال تعالى : ﴿ فاصلحوا بين أخويكم ﴾[1] .

كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نقل عنه أنه قال « مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2] .

وعن الصادق (عليه السلام) ، أنه قال : « إنما المؤمنون إخوة ، بنو أب وأم ؛ وإذا ضرب على رجل منهم عرق ، سهر له الآخرون »[3] .

وعنه (عليه السلام) : « المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد ؛ إذا اشتكى شيئاً منه ، وجد ألم ذلك في سائر جسده . . إلى آخر الرواية »[4] .

كما أنه تعالى جعل المؤمنين بعضهم من بعض ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[5].

وفي معناها غيرها . . كما أنه تعالى يعتبر غير المؤمنين أيضاً كذلك ولكنهم في مقام العمل والنشاط على العكس منهم حيث قال تعالى ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف »[6] . كما أنه تعالى وصف المؤمنين بأنهم : ﴿ أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ﴾[7] إلى غير ذلك مما يضيق عنه المقام .

وإذا كان الإسلام يعتبر الأمة المسلمة المؤمنة بمنزلة الأسرة الواحدة ، يكون

---

(١) سورة الحجرات ـ ١٠ .
(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠ ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٧٠ وفي معناه غيره .
(٣) أصول الكافي ط سنة ١٣٨٨ ج ٢ ص ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) سورة التوبة ـ ٧١ .
(٦) سورة التوبة ـ ٦٧ .
(٧) سورة الفتح ـ ٢٩ .

الكل فيها إخوة متحابين متآلفين . . فإنه أيضاً يعتبر النبي ، والوصي بعده بمنزلة الأب ، والمربي لهذه الأسرة الكبيرة ، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « أنا وعلي أبوا هذه الأمة »[1] .

ثم إنه تعالى وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأوصاف التي يجب أن تتوفر في المسؤول عن الأسرة . . فقال عنه : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[2] .

ويلاحظ هنا مدى التوافق والإنسجام بين هذه الآية وبين الآية المتقدمة من سورة الروم ـ ٢١ ، والتي وضعت الأساس لبناء الأسرة الصغيرة ، التي هي لبنة في الهيكل الاجتماعي الكبير . .

ثم إن ما يلفت نظرنا هنا هو أن هذه الأخوة التي قررها الإسلام ، قررها أخوة مثمرة ، ومنتجة تتحمل مسؤولياتها كاملة كما تقدم بيانه في الآية المتقدمة ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله . « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » وفي معناه روايات مستفيضة[3] .

وسئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب الناس إلى الله ؟ قال : أنفع الناس للناس »[4] .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « المؤمن أخو المؤمن عينه ، ودليله ، لا يخونه ، ولا يظلمه ، ولا يغشه ، ولا يعده فيخلفه »[5] وفي معناه عدة روايات .

وقد عقد في الكافي فصلاً خاصاً لبيان حق المؤمن على المؤمن ، فلا بأس بمراجعة ج ٢ ص ١٣٥ فما بعدها . .

* * *

---

(١) راجع : موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام للمؤلف.
(٢) سورة التوبة ـ ١٢٨ .
(٣) راجع : أصول الكافي ج ٢ ص ١٣١ ط سنة ١٣٨٨ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق ص ١٣٢ .

وأخيراً . . فقد جعل المقياس في معرفة الخير في الإنسان ، هو محبة أهل طاعة الله ، وعدم محبتهم . . فعن أبي جعفر : « إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً ، فانظر إلى قلبك ؛ فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ، ويبغض أهل معصيته ؛ ففيك خير ، والله يحبك . وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل معصيته ليس فيك خير ، والله يبغضك ، والمرء مع من أحب »[1] .

* * *

كانت تلك بعض الأمثلة ، التي تظهر بوضوح كيف جعل الحب أساساً للعلاقات في الإسلام . .

وخير تعبير عن دور الحب في دين الله وشريعته هنا ، هو التعبير الذي ورد عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) . .

فعن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث له ، قال : « يا زياد ، ويحك ، وهل الدين إلا الحب ؛ ألا ترى قول الله ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ أو لا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ حبب إليكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ﴾ : وقال : « يحبون من هاجر إليهم» فقال: «الدين هو الحب، والحب هو الدين»[2] .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الآية : ﴿ حبب إليكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾[3] .

هذا غيض من فيض ، مما يتعلق بهذا الموضوع . . ونأمل أن نوفق لبحثه على النحو الأكمل والأشمل في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى . . والله هو الموفق والمسدد .

---

(١) المحاسن للبرقي ص ٢٠٩ وسفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .
(٢) المحاسن للبرقي ص ٢٠٨ .
(٣) المحاسن للبرقي ص ٢٠٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ والكافي .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ أعيان الشيعة ..... للسيد الأمين

٣ ـ تحف العقول ..... لابن شعبة

٤ ـ الدر المنثور ..... للسيوطي

٥ ـ سفينة البحار ..... للقمي

٦ ـ صحيح مسلم ..... لمسلم

٧ ـ العمدة ..... لابن بطريق

٨ ـ الكافي ..... للكليني

٩ ـ لباب الآداب ..... لأسامة بن منقذ

١٠ ـ المحاسن ..... للبرقي

١١ ـ مرآة الكمال ..... للمامقاني

١٢ ـ مستدرك الوسائل ..... للنوري

١٣ ـ مسند أحمد ..... لابن حنبل

١٤ ـ مكارم الأخلاق ..... للطبرسي

١٥ ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام ..... للمؤلف

١٦ ـ الوسائل ..... للحر العاملي

العقيدة والنظام

إن من الواضح أن تصرفات الإنسان وأعماله تنتظم في مجالين : خاص : وهو ما يخص حياته الفردية ، ويتعلق بشؤونه الخاصة به التي لا ترتبط بالأخرين لا من قريب ولا من بعيد . . وعام : وهو ما يرتبط بحياته الاجتماعية وعلاقاته مع الأخرين من أي نوع كانت تلك العلاقات ، وعلى أي مستوى كانت .

وتصرفات الإنسان في كل من المجالين ، الخاص والعام قد يكون فيها خير الإنسان وسعادته ، بل وخير الأخرين وسعادتهم . وقد تجلب له ، وللأخرين أحياناً ـ من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم ـ الضرر والبلاء والشقاء .

إذن . . فلا بد لكل هذه التصرفات والأعمال من قوانين ، ونظم ، وضوابط تضمن أن تكون جيمعها موجهة لما فيه خير الإنسان ومصلحته ، مبعدة له عن كل تصرف أو عمل يجر عليه الضرر والبلاء ، ويعكر عليه صفو حياته .

وإنما قلنا : « في كل من المجالين الخاص والعام » باعتبار أن كل تشريع يهمل أحد هذين المجالين ، أو يؤثر أحدهما ، أو يأخذ من أحدهما ليعطي الآخر ـ كل تشريع من هذا القبيل ـ يعتبر ناقصاً بل ظالماً للإنسان ، لا يصلح أبداً نظاماً لحياته ولا قانوناً لتصرفاته ، لأن إهمال أي من الناحيتين يعتبر جناية على الإنسان وجريمة في حقه ؛ حيث يبقى الباب مفتوحاً ، والمجال مفسوحاً أمام المفاسد

والأضرار لتتسرب إلى حياة الإنسان ، وتعكر عليه ـ من ثم ـ صفوها ، وتذهب ببهجتها وبهائها .

وجميع الأنظمة الوضعية التي تحكم المجتمعات البشرية اليوم ، أو تهيمن عليها قد وقعت في هذا الخطأ الفاضح ، الذي لم يكن الوحيد في سلسلة أخطائها المتعددة ، والذي جر على الإنسان ـ ولا يزال ـ الكثير من الويلات والمصائب ودفع بالبشرية سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة إلى متاهات ومنحدرات ، أو بالأحرى كوارث ونكبات أثرت أثراً بالغاً وعميقاً في شخصية الإنسان ، وفي حياته الحاضرة ، ولسوف تؤثر بطبيعة الحال على حياته في المستقبل .

ولعل السر في نقص تلك القوانين . . هو أن واضعها كلا أو بعضاً ومشرعها هو هذا الإنسان المحدود بحدود الوجود والزمان والمكان ، والذي لم يقدر أن يطلع ، بل هو لا يستطيع أن يطلع على سرائر البشر وأسرارهم ولا على عواقب الأمور ، ولا على حقيقة التطوارات والتحولات التي طرأت أو سوف تطرأ ـ وباستمرار ـ على هذا الإنسان ، بل هو لا يستطيع أن يفهم حتى الظروف التي يعيشها الإنسان فعلاً وتكتنف حياته .

وإذا كان الإنسان لا يستطيع ذلك ، فبالأحرى أن لا تكون له القدرة على أن يضع قانوناً ونظاماً كاملاً وشاملاً فضلاً عن أن يكون « أبدياً » ، يحكم تصرفات البشر ، وينظم أعمالهم ويأخذ بنظر الاعتبار جميع الظروف والأحوال التي تحيط بالإنسان وتكتنف وجوده .

* * *

وعليه فإن علينا أن نستمد التشريع من غير هذا الإنسان المحدود ، يكون واضعه المطلع على الحقائق والخفيات، والعالم بما كان ويكون من التحولات والتطوارات ، يكون واضعه من ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾[1] .

---

(١) سورة سبأ الآية ٢ .

وكان التشريع الوحيد الذي ينسجم مع واقع الإنسان ، ويلائم فطرته في كل حال وكل زمان ومكان ، هو التشريع الإسلامي ، الذي هو « دين الفطرة » . قال تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ . فكل تشريع يتنافى مع فطرة الإنسان ولا ينسجم معها هو بلا شك ليس من الإسلام ، لا من قريب ولا من بعيد .

ولقد لاحظ الإسلام في تشريعاته وقوانينه هذا الإنسان ، في جميع شؤونه الاجتماعية ، والشخصية ، ووازن بين روحه وجسده ، لم يظلم أحدهما بأن بخسه حقه ، ولم يظلم الآخر بأن اتخمه بالعطاء إلى الحد الذي يجعل ذلك ضرراً وبلاء ووبالاً عليه . . وهو أيضاً قد اهتم في أن يفرق بين آمال الإنسان الواسعة وبين الواقع ونفس الأمر ، كما أنه في نفس الوقت الذي منعه فيه من الاعتداء على الآخرين منعه أيضاً من الاعتداء على نفسه ، بأي نحو من أنحاء الاعتداء ، وأية صورة من صوره ، لأن اعتداء الإنسان على الآخرين بنظر الإسلام ليس بأسوأ من اعتدائه على نفسه .

كما أن تشريعات الإسلام تتخذ صفة العموم والشمول لكل حال وزمان ومكان فما من حركة من حركاته وتصرف من تصرفاته إلا وقد جعله الإسلام خاضعاً لقانون ، ووضعه ضمن ضابطة ، لا يشذ عنها ولا يخرج منها .

وهذا مفقود في جميع الأديان والتشريعات الأخرى (قديمها وحديثها) حتى تلك التي يدعى أنها سماوية في حين تختفي وراءها مطامع البشر وأفكارهم .

ومن كل ذلك تتجلى لنا عظمة الإسلام وسمو مبادئه لأنه من خالق العظمة ، وواهب السمو المطلع على حقائق جميع الموجودات ، والعالم بجميع السرائر والخفيات .

* * *

وإذ قد عرفنا هذا . . فإن من نافلة القول أن نقول : إن مجرد وضع قانون حتى ولو كان في أعلى درجة من الكمال لا يكفي في تحقيق الغرض المنشود ،

والمقصود من وضعه . . بل لا بد لأجل تحقيق ذلك الغرض من تطبيق ذلك القانون والالتزام بمقتضى النظام ، والعمل على وفقه . .

ومن أجل أن يتحقق الغرض المنشود والمقصود لا بد أن يتوفر في عملية التطبيق هذه عنصران :

الأول : أن يتخذ التطبيق صفة الشمول والسعة لجميع الوقائع ولمختلف الأحوال والظروف بحسب سعة وشمول نفس ذلك التشريع .

الثاني : أن يتوفر الدوام والاستمرار في التطبيق ما دام هناك إنسان يتصرف ويعمل ، وما دام هناك قانون يمكن أن تسير التصرفات على وفقه وتطبع الوقائع بطابعه .

* * *

والتطبيق على هذا النحو لا يمكن أن يكون عفوياً ، أو وليد الصدف . . كما أن الإنسان بملاحظة ما فيه من النزعات والميول لا يمكن أن ينساق إليه طواعية وبالاختيار ، فكان لا بد من إقامة مراقب ومحاسب واع ودقيق ، يشرف على الإنسان في تطبيقه لأحكام القانون ، والتزامه بمقتضيات النظام ، يحاسبه على كل مخالفة ، ويلفته إلى كل خلل أو خطأ يصدر منه ، بل ويدفعه ويحثه . . . بل ولو اقتضى الأمر يقهره ويجبره على الالتزام به ، وتطبيق أحكامه .

وقد رأينا النظم الحديثة والتي لم تلاحظ الإنسان إلا من خارج أي في خصوص المجال العام بل هي قاصرة محدودة حتى في هذا المجال[1] ـ رأيناها ـ قد فشلت وعجز بوليسها ، وقوى شرطتها ، وأمنها عن ضبط أعمال وحركات الإنسان التي تخص المجال العام ، بل إن القرائن والدلائل تشير إلى أنها سوف تعجز حتى ولووكلت بكل فرد فرد من الناس مراقباً ومحاسباً يختص به .

---

(١) فمثلاً لا نرى النظم الحديثة قد أخضعت الغيبة ، والكذب والنميمة ، ومعاملة الرجل أطفاله الصغار ، وكثيراً غيرها لأحكام القانون . ولضابطة معينة تكفل عدم صدورها من الإنسان مع أنها من جملة الجرائم التي من شأنها أن تجلب الضرر والبلاء عليه بخلاف الإسلام فإنه لم يهمل شيئاً يتصل أو يمكن أن يتصل بحياة الإنسان من قريب أو من بعيد ، كبيراً كان أو صغيراً .

وإذا عجزت الشرطة والبوليس ، وأجهزة الأمن عن ضبط أعمال الإنسان وتصرفاته ، وعن فرض النظام والقانون عليه في جانب من المجال العام . . فكيف يمكن أن نتصور أنها تتمكن بالإضافة إلى ذلك من الإشراف عليه، وضبط أعماله وتصرفاته في المجال الخاص الذي هو أكثر سرية وخفاء ؟! وكيف يمكن أن تضمن لنا تطبيق النظام والقانون في المجال الخاص تطبيقاً كاملاً ودقيقاً ؟!! إن ذلك بطبيعة الحال أمر غير ممكن ولا متصور . .

* * *

هذا . . وإذا كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي اتخذت تشريعاته صفة تميزها عن سائر القوانين والتشريعات الأخرى من حيث العموم لكل الظروف والأحوال والأزمنة والأمكنة ، بل ولجميع مراحل حياة الإنسان ، والشمول لجميع الوقائع وفي كل المجالات . . فإنه لا محالة يتحمل في مجال التطبيق مسؤولية كبرى تفوق مسؤولية أي تشريع آخر . إذ أن العموم والشمول في تشريعاته يحتم عليه أن يقيم على كل فرد حارساً ومراقباً يشرف على تطبيق أحكام النظام بدقة ووعي ، بل ويحثه ويدفعه على مواصلة التزامه العملي ، وإن اقتضى الأمر يجبره ويقهره على العمل وفق النظام ، وضمن حدود أحكام الإسلام .

فهل استطاع الإسلام أن يهتدي إلى ذلك المراقب ؟ وما ، أو من هو ؟ وعلى أي نحو يا ترى يقوم بعملية الرقابة ؟ .

* * *

نعم لقد استطاع الإسلام ذلك ، وكان اختياره للمراقب ، ولنحو وكيفية الرقابة كأحسن ما يكون الاختيار .

لقد كان في اختياره فريداً من نوعه ، مخالفاً في ذلك لجميع التشريعات والنظم الأخرى وما ذلك إلا لأنه صادر عن خالق الكون والحياة علام الغيوب أحكم الحاكمين .

لقد استطاع الإسلام أن يقيم مراقباً ومحاسباً على كل فرد فرد ، باستطاعته

أن يسجل عليه كل مخالفة ، وأن يحاسبه عليها فوراً ، وباستطاعته أيضاً أن يجبره ويقهره دائماً على موافقة القانون ، والالتزام بأحكام النظام .

ويبقى سؤال ما ، أو من هو ذلك المراقب الذي استطاع أن يتحمل هذه المسؤولية الخطيرة والشاقة في نفس الوقت ؟

إننا من أجل أن تتضح لنا الإجابة القاطعة على هذا السؤال نرى لزاماً علينا أن نسهب في القول ، ونتوسع في البيان ، في حدود ما يسمح لنا به المجال فنقول . .

* * *

إن الإسلام قبل أن يكلف الإنسان بالالتزام بالنظام ، ويطلب منه تطبيق الأحكام اهتم بأن يبنيه ويحافظ عليه من الداخل ليترتب على ذلك ـ تلقائياً ـ بناؤه والحفاظ عليه في الخارج . . اهتم بأن يتصل بعقله أولاً ، وعن طريقه يتصل بروحه وليكون العقل من ثم قائداً للروح ـ النفس ـ ومدبراً لأمورها وسيداً عليها لا تنساق وراء عاطفة ولا يسيرها سلطان هوى .

ومن هنا نعرف لماذا اهتم القرآن الكريم بالعقل فإنه لم يدع فرصة تمر دون أن يخاطب عقل الإنسان ويمجده بل لقد جعل العقل هوالفيصل في مختلف الأمور كبرت أو صغرت وجعل كلمته هي العليا في جميع المجالات ووبخ من يهمل عقله ولا ينقاد له في أكثر من مورد ومقام .

وهذا مما تفرد به دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لنا . . ومن هنا ومن أجل أن الإسلام قبل أن يطلب من الإنسان الالتزام بالنظام وتطبيق الأحكام يريد أن يبنيه من الداخل ويتصل بروحه ويجعل العقل هو القائد لها والمدبر لأمورها .

نراه قد أعطى الأمور الاعتقادية المقام الأول وجعلها الأساس للنظام إذ أن النظام ما لم يكن مرتبطاً وصادراً عن الاعتقاديات فإنه لن يحقق الغرض المنشود والمقصود منه هذا بالإضافة إلى أنها تلبي حاجة طبيعية في الإنسان وتقوم ببناء

شخصيته بناءً صالحاً وسليماً إلى غير ذلك من المنافع التي لسنا الآن بصدد بيانها .

ومن هنا أيضاً نراه قد قرر أن الاعتقاد بالاعتقاديات والحصول على القناعة النفسية فيها يجب أن يكون مستنداً إلى حكم عقله ـ وعقله وحده ـ فلم يقبل إلا ما كان الاعتقاد به عن طريق البرهان الجلي والدليل القاطع ، ولم يرض من الإنسان أن يقف من الاعتقاديات موقف اللامبالاة ، أو أن يأخذها عن طريق الوراثة أو التقليد مع أنه قد اكتفى في النظام بأن يستند فيه العبد إلى التقليد ، وإن كان قد شرط لذلك شروطاً ، ووضع قيوداً .

نعم . . لقد طلب من الإنسان في الاعتقاديات أن يهتدي بهدى العقل ، ويتخذه مرشداً وهادياً ، ليأخذ ـ عقله ـ بيده عن طريق الدليل والبرهان القطعي ، ويوصله إلى الإيمان بالله ، وقدرته وعدله وحكمته ، وسائر صفاته الجمالية . وإلى نبوة نبيه وإمامة أوليائه والنشر والحشر ، وغير ذلك مما يتفرع منه أو يضاف إليه . . وكذلك إلى أن يؤمن ويثق بدينه وقرآنه وبأن دينه يستطيع ـ لو التزم بجميع أحكامه ـ أن يحل له جميع مشاكله ، ويذلل له كل الصعوبات والعقبات التي تواجهه وتعترض مسيره في حياته ، وأنه نظام كامل وشامل لأنه صادر عن ساحة القدس والكمال ، وعن المحيط بجميع الموجودات ، والعالم بجميع الخفيات .

* * *

وبعد أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة وتتركز وتترسخ هذه العقيدة وما يلازمها وما يتفرع عنها في نفس هذا الإنسان، حيث إنها مستندة إلى الدليل والبرهان وبعد أن يصبح في مأمن من نوازع الشك والريب في الله ، وفي قدرته وفي دينه . .

نرى الإسلام أيضاً لم يوجب عليه الالتزام بأحكام النظام إلا بعد أن أفهمه صريحاً تارة وتلويحاً أخرى ، أنه ـ أي الإنسان ـ هو المسؤول عن جميع تصرفاته ، وهو المحاسب عليها لا يتحمل عنه أحد مسؤولية أي تصرف يصدر منه ، قال تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ و﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وعرفه

أنه سوف يحاسب على كل حركة من حركاته ، وكل سكنة من سكناته خيراً كانت أم شراً صغيرة كانت أم كبيرة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ . ﴿ ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ﴾

وعرفه أن المحاسب له هو أسرع وأدق الحاسبين ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ كما أنه عرفه أيضاً أنه إذا نجى من العقاب في الدنيا وتمكن من اخفاء نفسه من وجه العدالة فيما شرع له من العقاب الدنيوي ، فليس معنى ذلك أنه أصبح في مأمن ، وأنه سوف لا يناله عقاب بعد .

ومعنى هذا أنه سوف يبقى ينتظر عقابه ، وأنه في طريقة إلى ذلك العقاب ، أنفاسه خطاه إليه تقربه منه على الدوام . . ولسوف يدرك أنه لا ولن يقر له قرار إلا بالابتعاد عن المعصية ، ولا ولن يسعد إلا بالطاعة ، كل ذلك كان نتيجة جعل العقاب في مستقبل الإنسان ، في الدار الآخرة .

* * *

ومن جميع ما تقدم نعرف أن الإسلام قد اختار المراقب والمحاسب من داخل نفس الإنسان ، ليشرف عليه ويحاسبه ويراقبه لأنه بعد أن أقنعه بما يجب أن يقتنع به ، وحمله مسؤولية أية مخالفة تصدر منه ، وجعل العقاب أمامه وفي مستقبله ، فمن الطبيعي بعد هذا أن يحكم عليه عقله بمراقبة نفسه ، ومحاسبتها ، على كل خلل أو خطأ ، أو مخالفة تصدر منها وقد أشير إلى هذا المعنى في كثير من المواضع حيث قد أرشد الإنسان ودعي إلى مراقبة نفسه ، ومحاسبتها ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ .

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » .

« واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » . « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » ، إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي يضيق المقام باستقصائها ومن الطبيعي أن الرقابة التي تنبع من الداخل تكون أكثر فعالية ودقة من تلك التي تأتي من الخارج ، فإن ﴿ الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ ، وهو أكثر اشفاقاً على نفسه ، وحباً لها ، وتفانياً في سبيلها من الآخرين ، مما يدفعه لأن يبالغ في الحفاظ عليها ، وإبعادها عن كل ما يجلب لها ضرراً وبلاءً . .

إلا أن من الواضح أن مجرد أن يحمل الإنسان المسؤولية ، وإن يؤمر بمراقبة نفسه لا يكفي بحال من الأحوال لأن يكون دافعاً وباعثاً له على الالتزام بالنظام وتطبيق أحكام القانون تطبيقاً كاملاً وشاملاً ومستمراً ، لأن الإنسان قد ينسى ، وقد يغفل ، بل هو كثير الغفلة والنسيان . . بل إنه كثيراً ما ينساق وراء ميوله ونزعاته ، ولا تنفك نفسه تؤامره وتهون عليه الانحراف عن الخط القويم ، وتنكب النهج المستقيم . . . قال تعالى على لسان امرأة العزيز :

﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ .

وعلى هذا فإن من الضروري وضع ضمانات ومؤمنات ، تضمن وتؤمن استمرار اتصال الإنسان بالله تعالى ، ليستمر شعوره بالمسؤولية أمامه جل شأنه .

وكان لا بد أيضاً من تربية نفسية الإنسان من الداخل تربية صالحة تمكنه من السمو بنفسه على هذا العالم الذي يعج بالموبقات ويزخر بالمغريات والشهوات إلى عالم أصفى وأروع وأطهر . . وليكتسب منه ـ من ثم ـ طيبة ، وصفاء ، وطهراً ، وليستفيد من ذلك سمواً في تفكيره ، وفي أعماله ، وفي تصرفاته ، وفي نظرته للحياة من مختلف جوانبها نظرة الواعي المتزن ، الذي لا تبهره الأشكال ، ولا يغتر بالظاهر .

ولم يهمل الإسلام هذا الجانب أيضاً . . فكان هذا الغرض والهدف هو أحد الأغراض والأهداف التي تؤديها العبادات في الإسلام ، وإن لم يكن هو كل الهدف منها .

فالعبادات وخصوصاً « الصلاة » منها ، تضمن استمرار شعور الإنسان بالمسؤولية أمام ربه وخالقه ، لأنها مضافاً إلى ما فيها من الآداب والحقائق ، التي يجب أن يعيها الإنسان ، ويلتفت إليها باعتبار أن ذلك ضروري جداً لحياته . . ومضافاً إلى أنها قد اشتملت على الأسس الرئيسية للجانب العقيدي الذي هو الجانب الأهم في الإسلام . . فالتوحيد من قوله ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله ﴾ في التشهد وسورة الإخلاص وغيرها .

والنبوة كما في قوله ﴿ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴾ والعدل كما في قوله ﴿ سبحان الله وسبحان ربي العظيم وبحمده ﴾ وغيرهما حيث ينزه الله تعالى عن كل مشين وقبيح بما في ذلك الظلم ، والمعاد كما في قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، والتذكير بآل البيت أيضاً ، الذين هم أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ، والذين هم أحد الثقلين ، في قوله في التشهد ﴿ اللهم صل على محمد وآل محمد ﴾ .

إن الصلاة بالإضافة إلى كل ذلك تقوم بربط الإنسان بربه ، ووضعه أمامه وبين يديه خمس مرات يومياً ، وباستمرار وتذكره دائماً بأن لا ينساق وراء نزعاته ، وميوله وشهواته ، وإن لا يوافق نفسه على ما تؤامره عليه ، كما أنه لا يبقى مجال للغفلة ، أو النسيان وادعائهما .

وينعكس أثر ذلك بالضرورة على أعماله التي يقوم بها ، وتصرفاته التي تصدر عنه .

ويكون ذلك حافزاً ، ودافعاً بل وواضعاً للإنسان من حيث يشعر ، أو من حيث لا يشعر على الخط القويم الذي يجب أن يكون عليه ، ملتزماً بالنظام ومطبقاً للأحكام سواء في ذلك ما يرتبط منها بالمجال العام أو ما يرتبط منها بالمجال الخاص .

فالعبادات وخصوصاً الصلاة لولا أنها تضع الإنسان باستمرار أمام ضميره

وأمام الواقع وأمام الله الذي يعترف به وبقدرته وعدله وسائر صفاته عن الدليل والبرهان القطعي . . . لبقي الإنسان في منأى عن كل ذلك ولا يحسب له أي حساب ولا يرى له أية قيمة حيث تتضاءل مكانته في نفسه رويداً رويداً نتيجة لابتعاده عنه وتموت في نفسه الأبعاد الحقيقية للعقيدة . . . ولم يمكن تبعاً لذلك تطبيق أحكام القانون تطبيقاً كاملاً وشاملاً ومستمراً .

* * *

ومن هنا يتضح لنا جلياً كيف أنه اختار ذلك الرقيب من داخل نفس الإنسان الذي هو أشفق على نفسه وأعرف بها من أي رقيب آخر ولعل هذا هو السبب أيضاً فى كون الصلاة ﴿ تنهي عن الفحشاء والمنكر ﴾ وفي كونها عمود الدين .

ويتضح لنا كذلك مدى الترابط بين كل من العقيدة والنظام في الدين الإسلامي وأن النظام لا يمكن أن يكون ذا قيمة عملية إلا إذا اعتمد على العقيدة واستند إليها . . حيث إن الجانب العقيدي يكون الأساس الذي يقوم عليه النظام ويلعب الدور الرئيسي في إقامة وتجسيد ذلك النظام في الخارج ، وبعث الحياة فيه واستمرارها .

ونعرف أيضاً ما هو الدور الذي تؤديه العبادات وخصوصاً الصلاة منها في الربط والوصل بين العقيدة والنظام ، ومدى أهمية ذلك الدور وخطورته هذا بالإضافة إلى أنها تشريع يربي الإنسان ويبني شخصيته إلى جانب كثير من المنافع الأخرى التي لسنا بصدد بيانها .

وليكن هذا بمجموعه واحداً من تلك الأدلة التي توافرت على عظمة الإسلام وكماله وتفوقه على كل تشريع أو نظام سواه حيث إنه صادر عن الله الذي ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ .

وليعيش الإنسان ـ الفرد منه والجماعة ـ في ظل الإسلام ، ملتزماً بأحكامه

وتشريعاته لتكون حياته ـ من ثم ـ حياة هناء وسعادة ، تفيض باليمن والبركة والخير والرفاه .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

السواك

تمهيد :

إن الذي يدرس ، أو يطالع التشريعات الإسلامية ، والتعاليم الالهية يخرج بحقيقة لا تقبل الشك ، هي : أن تلك التشريعات والتعاليم منسجمة كل الإنسجام مع طبيعة الإنسان ، وفطرته ، لو لم تطغ على تلك الفطرة عوامل غريبة عنها ، وافدة عليها ؛ لأن الإسلام قد تعهد والتزم بأن تكون كل تشريعاته، ونظمه ، وسائر تعاليمه ملائمة للفطرة ، ومسنجمة معها ، بحيث لو ثبت منافاة أي تشريع لفطرة الإنسان لأمكن رفضه ، والحكم عليه بأنه ليس من الإسلام في شيء . . وهذا التعهد والالتزام هو ما تشير إليه الآية الكريمة : ﴿ . . فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . ﴾

* * *

هذا . . ومن الواضح : أن التشريعات الالهية ، والتعاليم القرآنية ، والتوجيهات النبوية . . ليس الهدف منها إلا تحقيق السعادة والهناء ـ كل السعادة والهناء ـ لهذا الموجود الذي اسمه الإنسان . . ، ولا تتطلب إلا الكمال له ، والسلامة ، والمعافاة ، بكل ما لهذه الكلمات من معنى . . فهذا هو المنطلق لتشريعات الإسلام السامية ، وهذا هو المبدأ لها ؛ فإليه تنتهي ، وعلى أساسه تقوم . .

وبديهي . . أنه كلما كانت النظم دقيقة وشاملة كلما كانت السعادة والسلامة لهذا الإنسان أكمل وأتم . . ومن هنا كانت الأنظمة والقوانين الإسلامية دقيقة وكاملة وشاملة لجميع شؤون الإنسان ، ومختلف أحواله وأوضاعه . . تكفل له ـ لو التزم بها ـ الحياة الفضلى ، والعيش الرغيد ، وتتيح له أن يكون إنساناً كاملاً وسليماً ومعافى في مختلف أنحاء وجهات وجوده . . وتحقق له السعادة والراحة والهناء على النحو الأكمل والأشمل . .

ولعل ذلك واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان ، أو إقامة برهان . .

* * *

ولقد كان شمول تعاليم الإسلام وتشريعاته أمراً يبعث على الدهشة والاستغراب ؛ حيث قد استطاع أن يستوعب كل حركة من حركات الإنسان ، وكل سكنة من سكناته . . بل وحتى خلجاته النفسية ، وأفعاله القلبية ، ولم يشذ عنه أي شأن من شؤونه ، وأي حال من أحواله ، في مختلف الظروف ، وسائر الأحوال . .

فقد جعل كل شيء محكوماً لقانون ، ويهيمن عليه نظام ؛ ليكون ـ كل شيء ـ في خدمة الإنسان ، وموجهاً لما فيه خيره ومصلحته ، مؤدياً إلى ما فيه هناؤه وسعادته . . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وكثيرة جداً . . فحتى أكل الإنسان وشربه ، وقيامه ومشيه ، وجلوسه ، بل وحتى نبرات صوته ، كل ذلك ـ له قانون ، ويخضع لنظام . . بل لقد تدخل الإسلام حتى في اختيار الإنسان للبيت الذي يعيش فيه ، والثياب التي يلبسها ، وفي كيفية تصرفه بها . . إلى غير ذلك من الشؤون والأحوال، التي يمر بها الإنسان ، أو تمر به ، والتي غفل عنها أي تشريع آخر ، سوى تشريع السماء ، لأنه وحده الصادر عن خالق الكون والسماء . المتفرد بإدراك كل ما فيه خير الإنسان ومصلحته ؛ فأمره به ، وكل ما فيه ضرره وبلاؤه ؛ فنهاه عنه . .

وبنحو آخر أكثر وضوحاً نقول :

إننا نلاحظ مثلاً أن من الجوانب التي اهتم بها الإسلام : المظهر الخارجي

للإنسان . . والذي قد يترك آثاراً على مكانته الاجتماعية كما أنه قد يؤثر في روحه ونفسه ، بل وصحته البدنية . . وحتى على ذوقه وسجيته ؛ فلم يشرع أي قانون يضر بمكانة الإنسان الاجتماعية ، أو بذوقه وسجيته ، وصحته البدنية بل كانت كل تشريعاته منسجمة مع ذلك كله متلائمة معه . . ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ تعاليمه المتعلقة بتقليم أظفاره ، وترجيل شعره ، وأوامره له بالتنظيف والتطهر ؛ حتى لقد ورد : إن الله ليكره المؤمن القذر . . بل لقد حرم عليه بعض الألبسة التي تضر بمكانته الاجتماعية وتوجب استهانة الناس به ، إلى غير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه . .

* * *

ولكن الشيء الذي مني به الإسلام . هو أن المسلمين ، وأخص منهم بالذكر الفقهاء وعلماء التشريع ، لم يهتموا بهذه التشريعات كثيراً ، على اعتبار أنها مستحبات أو مكروهات . . أو أمور وتوجيهات اخلاقية ومعيشية يمكن للناس أنفسهم أن يبحثوا عنها ويطلعوا عليها ، ومن ثم يطبقونها على حياتهم العملية . وأن اللازم ـ بنظرهم طبعاً ـ هو البحث عن الواجبات والمحرمات أولاً . .

* * *

ولكن الحقيقة هي أنه كما أن المكروهات ـ حسبما ورد ـ سياج المحرمات . . فكذلك الحال بالنسبة للمستحبات ؛ فإن الاتيان بها وامتثالها هو أول درجات امتثال الواجبات . . وخصوصاً إذا كانت من ذلك النوع الذي يشعر معه الإنسان بأنه يستفيد منه ، ويلمس بنفسه أن نفعه عائد إليه لأن الإنسان بدافع من حب الذات يميل إلى ما يؤكد له ذاته ، ويخدم وجوده . . وإذا ما التزام الإنسان بحكم ، ولو من أجل الحصول على منافع دنيوية ، وهو يعلم أنه من الإسلام فإن ذلك يكون موجباً لربطه بهذا الدين ، الذي أصبح يشعر بأن بالإمكان الاستفادة منه . . ويصير من ثم من الممكن أن يلتزم بأحكام أخرى ، إذا ما اقتنع أنها إنما شرعت من أجله ولمصلحته . .

وخلاصة الأمر : إن الحال بالنسبة للمتسحبات لا يختلف عنه بالنسبة

للمكروهات فكما أن اجتناب المكروه يهيء الإنسان نفسياً للاجتناب عن الحرام فكذلك امتثال المستحب يهيؤه أيضاً لامتثال الواجب . .

بل إنني أعتقد أن الاخلاقيات في الإسلام ـ وأعني بها ما يشمل المستحبات والمكروهات والارشاديات ـ لا تقل أهمية عن الالزاميات ، وأقصد بها الواجبات والمحرمات ؛ ولذا نلاحظ أن اهتمام القرآن ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والأئمة (عليهم السلام) ببيانها ، لا يقل عن اهتمامهم ببيان هذه . . حتى إن القرآن الذي يحتوي على ما يزيد على ستة آلاف آية ، لا تزيد آيات الأحكام فيه عن الـ (٥٠٠) آية معظمها من العمومات والمطلقات . . وأما ما تبقى فهو قصص ، وتوجيهات ، وعقائد ، وما يتصل بذلك من قريب أو بعيد . . وذلك نهج البلاغة ، أعظم كتاب بعد القرآن ، والصحيفة السجادية ، زبور آل محمد ، لا تكاد تجد إلا القليل القليل فيهما يتعرض لبيان الأحكام الشرعية الالزامية . .

ومن أجل ذلك ، فإنني أقول : إن من الواجب إعطاء هذا الجانب من التشريعات الإسلامية حقه من العناية والاهتمام ، بالمقدار الذي حظي به من جانب الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والأئمة (عليهم السلام) .

ولا أرى أنني أكون مجازفاً بالقول ، لو قلت : إن هناك مستحبات ومكروهات وتوجيهات يكون بيانها أهم بكثير من بيان مستحبات ومكروهات الصلاة والحج ونحوهما . .

* * *

وعلى هذا الأساس ، وحتى لا أكون ممن يقول ، ولا يفعل ، فقد بادرت في هذه العجالة ، ورغم مشاغلي الكثيرة . . ـ بادرت ـ إلى البحث عن واحد من تلك الأمور التي اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (عليهم السلام) ببيانها اهتماماً بالغاً ما كان يخطر لي على بال . . إلا أن فقهاءنا أيدهم الله ، قد

أهملوه تقريباً ، وقل من يذكره منهم ، مع أنه مما قام إجماعهم على استحبابه . . وهذا الأمر هو :

السواك : أي غسل الأسنان :

وحيث إنني لم أكن طبيباً ، وهذا الموضوع « السواك » يتصل اتصالاً مباشراً بسلامة الإنسان البدنية ، فقد بقيت في البحث بعض الثغرات والفجوات ، بانتظار استكمال المعلومات الصحيحة عنها من أهل الاختصاص في هذا الموضوع فأقول : ومن الله استمد العون والتوفيق . وعليه التوكل وبه الاعتصام . .

* * *

لم يكن يخطر في بالي ، قبل أن أراجع كتب ومجاميع الحديث بخصوص هذا الموضوع ، أن تزيد الروايات الواردة في هذا الموضوع عن أهل بيت العصمة ، ومهبط الوحي ، ومختلف الملائكة ، عن عشرة أو خمسة عشر أو على أبعد التقادير على عشرين حديثاً . . ولكن يا لدهشتي عندما فوجئت بها وهي أضعاف ذلك ؛ مما جعلني أدرك إلى حد ما مدى أهمية هذا الموضوع وخطورته ، والذي لا داعي فيه ، ولا رغبة للكذبة والوضاعين الذين حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة . . منهم . .

والسؤال الذي يطرح نفسه ـ بادي ذي بدء ـ هو :

* * *

لماذا يهتم الشارع بالاسنان ؟

والجواب عن ذلك واضح جداً .

فإن ضرورة الأسنان للإنسان لا يمكن أن ينكرها أحد ، وهي نعمة لا يشعر الإنسان ـ عادة بها ، أو بأهميتها إلا إذا فقدها . . . مع أنه يستفيد منها كل يوم أكثر من مرة . . وإن أي ضرر يلحق بها يوقعه ولا شك في الضيق والحرج ، ويؤثر عليه تأثيراً لا يكاد يخفى ، ويوجب اختلال أحواله إلى حد ما . .

ولعل من الأمور الواضحة لدى كل أحد أن الأسنان الصناعية لا تستطيع حتى في أفضل حالاتها أن تقوم بوظيفة الأسنان الطبيعة ، ولا هي من الكفاءة بحيث تستطيع أن تؤدي دور تلك دون أدنى تفاوت أو خلل . . .

ومن الواضح أيضاً أن الأسنان كما تساعد المعدة ؛ حيث تهيىء لها الطعام وتجعله في وضع يكون معه قابلاً للهضم ، أو على الأقل يجعل هضمه أسهل منه مما لو بقى على حالته الأولى . . كذلك هي تساعد الإنسان في المنطق ، ويؤثر فقدانها عليه بشكل ملحوظ . . وما علينا من أجل إثبات ذلك إلا تذكر حالة من فقدوا أسنانهم ، ومدى الجهد الذي يبذلونه من أجل إخراج الكلمات ، بنحو تكون واضحة ومفهومة . . وكذلك مدى ما يواجهونه من أجل جعل الطعام في وضع تتمكن معه المعدة من هضمه ، والاستفادة منه .

وعدا عن ذلك : فإن اختلال الوضع الطبيعي للأسنان ، ومرضها وموبوئيتها يؤدي في كثير من الأحيان إلى أمراض ، ومضاعفات سيئة في كثير من أجهزة الجسم . . ولسوف يتضح ذلك فيما يأتي عندما نتكلم عن الطائفة الثالثة والرابعة من الروايات إنشاء ـ الله تعالى . .

* * *

ومن هنا . . ومن أجل أمور أخرى هامة جداً أيضاً ، نرجوا أن نوفق للإشارة إليها عندما نتحدث عن الطائفة الثالثة ، والرابعة من الروايات ـ من هنا ـ كان اهتمام الإسلام بالأسنان ، وكانت دعوته الملحة ، للعناية بها والحفاظ على سلامتها ؛ فأمر بكل ما يحفظها ويصونها ، ونهى عن كل ما يسيء إليها ، ويضر بسلامتها . . إيماناً منه بأن سلامة الأسنان الطبيعية يؤثر في سلامة الإنسان ، وسقمها يؤثر في سقمه فإذن من المهم للإنسان أن يحافظ عليها ليستفيد منها أكبر قدر ممكن في حياته ، وأن يحتفظ بها سليمة ومعافاة ؛ لأن معنى ذلك هو احتفاظه ، وكثير من أجهزة جسمه بالسلامة والمعافاة . . .

* * *

ومن جملة ما أمر به الإسلام في نطاق اهتمامه بالأسنان مما له أثر كبير على صحتها وسلامتها كما قلنا :

« **السواك** » : أي غسل الأسنان :

الذي أجمع الفقهاء على استحبابه مطلقاً ، وخصوصاً للوضوء ، والصلاة . . وقد اتبع الإسلام في دعوته إلى السواك ، والحث عليه ، طرقاً مختلفة ، وأساليب شتى .

فلقد دأب أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ـ عملاً ـ على السواك ، وعملهم سنة لنا ؛ ويجب علينا الاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم . . وعندما رأوا أن الناس لم يلتفتوا إلى ذلك ، حاولوا توجيه الأنظار إلى هذا الأمر فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إنه (أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كان يستاك في كل مرة قام من نومه . وعن المقنع أنه صلى الله عليه وآله وسلم : كان يستاك لكل صلاة وعن الباقر (عليه السلام) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر السواك ، وليس بواجب . . الخ

إلى آخر ما هنالك من الروايات التي لا مجال لنا لذكرها هنا . .

وقد بلغ التزامهم (عليهم السلام) بالسواك حداً أنه لو ترك أحدهم السواك كان ذلك ملفتاً للنظر ومدعاة للتساؤل ؛ فعن مكارم الأخلاق : أن الصادق (عليه السلام) ترك السواك قبل أن يقبض بسنتين ؛ وذلك لأن أسنانه (عليه السلام) ضعفت . .

وأما أمرهم بالسواك ، وحثهم عليه بالقول . . فكثير جداً أيضاً ، ويمكن تقسيم النصوص التي وردت فيه ، والحث عليه إلى طوائف أربع . .

الأولى : تلك الطائفة من الروايات ، التي تحث على السواك وتحذر من تركه ، من جهة عامة ، أي : من دون تعرض لبيان أية خصوصية فيه . . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ما عن أبي جعفر (عليه السلام) قال لا تدعه في كل ثلاث ، ولو أن تمرَّه مرَّة واحدة . .

وهو تعبير صادق عن مدى اهتمامهم (عليهم السلام) بهذا الأمر ، كما أنه يوحي بما للسواك من عظيم الفائدة ، وجليل الأثر ؛ فإن إمراره مرة واحدة كل ثلاث ليال أمر مطلوب ، ومرغوب فيه ، وقد أشار الباقر (عليه السلام) إلى الفوائد العظيمة التي تترتب عليه حيث قال :

لو يعلم الناس ما في السواك ، لأباتوه معهم في لحاف .

فإن هذه الكلمة تعطينا أن فوائد السواك أكثر مما نتصور ، وأن مضار تركه لا تقل عن فوائد الاستمرار عليه . . إنه لمن المدهش حقاً أن يؤدي بنا معرفة فوائد السواك إلى أن نبيته معنا في لحاف . . مع أن أحدنا حتى لو كان مصاباً فعلاً بمرض . . فإنه لا يبيت الدواء معه في لحاف . . فكيف بالسواك الذي لا يعدو أن يكون عملية وقائية من أمراض محتملة ، فلولا أن تركه يستتبع أمراضاً خطيرة ، تهدد حتى حياة الإنسان ووجوده لم يكن معنى لقوله (عليه السلام) : لأباتوه معهم في لحاف ، ومن يدري فلعله (عليه السلام) يشير بذلك إلى أن غازات الفم الكريهة قد تنفذ إلى مجرى الدم ، وتفتك من ثم بالجسم كله . أو إلى أن موبوئية الأسنان من أسباب مرض السل، وغيره مما ستجيء الإشارة إلى بعضه . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « من سنن المرسلين السواك » ، وفي معناه عدة أحاديث أخرى . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك ، حتى خفت أن أحفى وأدرد . . وفي بعضها : حتى خفت أن يجعله فريضة . . وفي معناه غيره . .

وعن الصادق (عليه السلام) : نزل جبرئيل بالسواك ، والخلال ، والحجامة . .

فإذا كان السواك من سنن المرسلين فهو إذن ليس أمراً عادياً يمكن إهماله ، والتغاضي عنه بسهولة . . خصوصاً وأن جبرئيل ما زال يوصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم به ، حتى خاف أن يجعله فريضة . . فما أحرانا إذن أن نقتدي بالمرسلين ، ونهتدي بهديهم . . حيث إنهم لم يرسلوا إلا من أجلنا ، وبما فيه مصلحتنا وهذا لعله هو السر في التعبير بكلمة « المرسلين » ، بدل كلمة « الأنبياء » .

ولقد قيل لأبي عبد الله (عليه السلام) : أترى هذا الخلق كلهم من الناس ؟

فقال : « ألق التارك منهم للسواك » . .

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : نظفوا طريق القرآن . .

قيل : يا رسول الله ، وما طريق القرآن ؟ .

قال : أفواهكم . .

قيل بماذا ؟

قال : بالسواك .

وفي معناه غيره . .

بل إن الشارع لم يمنع حتى الصائم من الاستياك ، رغم احتمال سبق شيء إلى جوفه . .

فعن الحسين بن أبي العلاء ، قال : سألنا أبا عبد الله (عليه السلام) عن السواك للصائم ؟ فقال : نعم ، يستاك أي النهار شاء .

وعن الباقر (عليه السلام) : ولا بأس أن يستاك الصائم أي النهار شاء ، ولا بأس بالسواك للمحرم الخ . .

ونكتفي من هذه الطائفة هنا بهذا القدر ، ومن أراد فعليه أن يراجع مجاميع الحديث والرواية ، كالوسائل ومستدركها ، ومكارم الأخلاق ، وغير ذلك . .

الطائفة الثانية :

وهي التي تثبت استحباب السواك شرعاً . . حيث إنهم (عليهم السلام) لم يكتفوا بالطائفة الأولى ، رغم كثرتها ، ووضوح دلالتها ، ولم يكتفوا أيضاً بالإشارة إلى بعض فوائده ومنافعه ، حسبما سيأتي بيانه . . بل لقد أخبروا أن الله تعالى قد تكرم على عباده ، بأن جعل السواك عبادة ، ينال العبد على فعلها الأجر الجزيل ، والثواب الجميل . . وهذا ولا شك يعطي الإنسان المؤمن قوة دافعة على ممارسة هذا العمل الهام ، والاستمرار عليه ؛ لما يترتب عليه من ثواب أخروي ، فضلاً عن منافعه الجدية العاجلة . .

فمن تلك الروايات :

ما عن الصادق (عليه السلام) من أن : السواك شطر الوضوء . .

وعنه أنه قال : صلاة ركعتين بسواك ، أفضل من أربع ركعات بغير سواك .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك . . وفي بعض الروايات عن النبي أن صلاة بسواك خير من خمس وسبعين بدونه . . وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأمير المؤمنين : يا علي ، عليك بالسواك ، وإن استطعت أن لا تقل منه فافعل ؛ فإن كل صلاة تصليها بالسواك ، تفضل على التي تصليها بغير سواك أربعين يوماً .

وفي حديث الاثني عشر خصلة ، قال : « ويضاعف الحسنات سبعين ضعفاً »[1] وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي : عليك بالسواك عند وضوء كل صلاة .

---

(١) والتنافي الظاهر في إثبات الأجر في هذه الروايات ، يمكن أن يفسح مجالاً للتشكيك في صحة أكثرها . . إلا أنه يمكن أن يجاب عن ذلك بأنه : لعل السواك الذي تكون المنافع الدنيوية هي المقصودة منه ، هو الذي يفضل الركعتان معه الأربع ركعات أما الذي يقصد منه الثواب الأخروي فالصلاة معه تدل سبعين . . والتفاوت إنما هو بمقدار الإخلاص في النية على هذا الوجه .

وفي رواية أنه قال : عند كل صلاة . .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة . .

والظاهر أن المراد : الأمر على نحو الوجوب ، وإلا فإن الأمر الاستحبابي ثابت .

وقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إذا قمت بالليل فاستك ؛ فإن الملك يأتيك ؛ فيضع فاه على فيك ؛ فليس من حرف تتلوه ، وتنطق به ، إلا صعد به إلى السماء ، فليكن فوك طيب الريح . . . . وفي معناه غيره . .

وقد ورد بطرق مختلفة أن السواك : يرضي الرحمان .

إلى آخر ما هنالك من الروايات، التي لا يتسع المجال لذكرها. . وقد أشرنا إلى أنه قام الاجماع على استحبابه. .

الطائفة الثالثة :

ما ورد من الأخبار في بيان بعض ما للسواك من المنافع ، وما في تركه من المضار . . فإن مما يهتم الشارع المقدس له هو المحافظة على سلامة الإنسان ، وحفظ أفضل الحالات له . وإذا كان السواك مما له أثر في ذلك ؛ فإنه يكون مرغوباً ومطلوباً له تعالى بذاته ، حتى ولو لم يقصد به القربة ، ولا أتى به لأجل ما فيه من الأجر والثواب . .

وإذا ما عرف الناس منافعه . . فإذا كان هناك من لا يفعله اقتداء بالمرسلين ، أو من أجل تحصيل ما فيه من الأجر والثواب . . فإنه قد يفعله من أجل ما فيه من الفوائد والمنافع ، وما يدفعه من المضار فإن الإنسان ـ بطبعه ـ محب لنفسه ، يهمه جداً دفع كل بلاء محتمل عنها ، وجلب كل نفع يقدر عليه لها . . وفي السواك ، العديد من المنافع التي يهم الإنسان الحصول عليها ، والوصول إليها . . سواء بالنسبة لصحته في ذاته ، أو بالنسبة ، لعلاقاته بالآخرين . .

وهذه الطائفة من الروايات ، المتكفلة ببيان منافع السواك كثيرة .

وقد تقدم في الطائفتين السابقتين ما يدل على أن السواك يطيب ريح الفم ؛ حيث قال أبو عبد الله (عليه السلام) : فليكن فوك طيب الريح . . وتقدم أيضاً أنه ينظف الفم ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نظفوا طريق القرآن . .

ونزيد هنا على ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك . . .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) لكل شيء طهور ، وطهور الفم السواك . .

وفي هذا المعنى عدة روايات أخرى . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : لما دخل الناس في الدين أفواجاً أتتهم الأزد ، أرقها قلوباً ، وأعذبها أفواهاً . . فقيل يا رسول الله ، هذا أرقها قلوباً عرفناه ؛ فلم صارت أعذبها أفواهاً ؟ . . فقال لأنها كانت تستاك في الجاهلية . . . وفي معناه غيره . .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) : السواك يذهب بالبلغم ، ويزيد في العقل . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : السواك يذهب بالدمعة ، ويجلو البصر . .

وعنه (عليه السلام) : هو من السنة ، ومطهرة للفم ، ومجلاة للبصر ، ويرضي الرب ، ويذهب بالغم ، ويزيد في الحفظ ، ويبيض الأسنان ، ويضاعف الحسنات ، ويذهب بالحفر ويشدُّ اللثة ، ويشهي الطعام ، وتفرح به الملائكة . . وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : السواك يزيد الرجل فصاحة . .

وعن الرضا (عليه السلام) : السواك يجلو البصر ، وينبت الشعر ،

ويذهب بالدمعة . . وفي رواية أخرى أنه : يذهب بغشاوة البصر . . وفي ثالثة أنه : مجلاة للعين . . والروايات حول هذا المعنى كثيرة . . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : النشرة في عشرة أشياء ، وعد منها السواك . .

وعنه أنه قال : ثلاثة يذهبن النسيان ، ويحدثن الذكر : قراءة القرآن ، والسواك والصيام . .

وعنه أيضاً : عليكم بالسواك ؛ فإنه يذهب وسوسة الصدر . .

وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن السواك يوجب شدة الفهم ، ويمري الطعام ، ويذهب أوجاع الأضراس ، ويدفع عن الإنسان السقم إلى آخر ما هنالك ، مما لا يتسع المجال لذكره . .

* * *

وعلى أي حال فإن المتحصل من هذه الروايات وغيرها، أن فوائد السواك هي التالية؛

١ ـ أنه طهور ومعقم للفم .
٢ ـ أنه منظف له .
٣ ـ يذهب برائحة الفم الكريهة ويطيب رائحته .
٤ ـ يجعل الفم عذباً .
٥ ـ يذهب بالغم .
٦ ـ يذهب بالبلغم .
٧ ـ يزيد في العقل .
٨ ـ يجلو العين ، ويجلو البصر ، ويذهب بغشاوته . .
٩ ـ يذهب بالدمعة .
١٠ ـ يزيد في الحفظ .
١١ ـ يبيض الأسنان .

١٢ ـ يذهب بالحفر .
١٣ ـ يشد اللثة .
١٤ ـ وإذا كان بعود الآراك فهو أيضاً يسمنها .
١٥ ـ يشهي الطعام .
١٦ ـ ينبت الشعر .
١٧ ـ إنه من جملة أسباب النشرة، أو النشوة (على ما في بعض النسخ) .
١٨ ـ يزيد الرجل فصاحة .
١٩ ـ يذهب بالنسيان ، ويحدث الذكر .
٢٠ ـ يذهب بوسوسة الصدر .
٢١ ـ يوجب شدة الفهم .
٢٢ ـ يمري الطعام .
٢٣ ـ يذهب أوجاع الأضراس .
٢٤ ـ يدفع عن الإنسان السقم . .

* * *

وربما يتخيل أن بعضها تكرار للبعض الآخر ، ولكن بعد إمعان النظر والتأمل يظهر خلاف ذلك . . بل قد يظهر أننا تكلفنا إدخال بعضها تحت بعض . . وعلى كلٍ . . فإن من المناسب أن نقف وقفة قصيرة ـ بقدر ما يسمح لنا به المجال، وتسمح لنا به المعلومات الطبية المحدودة المتوفرة ـ نقف ـ عند هذه النبذة ، التي هي رشحة من رشحات أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، وخريدة من خرائدهم ، لنستوحي منها ، ونستهدي طريق الخير ، والرشاد ، والسداد ؛ فنقول ، والله المستعان ، ومنه نستمد الحول والقوة :

إن كثيراً مما بينته هذه الروايات قد يكون مما لا يزال العلم عاجزاً عن كشف مدى ارتباطه بالسواك ، وارتباط السواك به بشكل دقيق ، وشامل : إلا أن مما لا شك فيه أننا نستطيع أن نلمس من ذلك كله مدى اهتمام الإسلام بمختلف شؤون هذا الإنسان وأحواله ، ومدى إحاطته وشموله لهذه الأحوال ، وتلكم الشؤون .

ونستطيع أن نتبين بوضوح اهتمام الإسلام بمظهر الإنسان ، وبشخصيته وحرصه الشديد على أن يبدو في أبهى منظر ، وأحسن حلة ؛ لأن جمال المظهر ـ كما قلنا ـ يؤثر في اجتذاب الآخرين إليه ، ومحبتهم له ، بل ويؤثر في روحه ونفسه . ومن هنا فقد ورد أن السواك يبيض الأسنان ، وورد قوله (عليه السلام): مالكم قلحاً؟! مالكم لا تستاكون؟! والقلح: صفرة أو خضرة في الأسنان ولا شك أن بياضها أفضل من صفرتها، أو خضرتها وأكثر قبولاً لدى الآخرين؛ لأنه هو اللون الطبيعي لها.

ومن هنا أيضاً . . ورد أن السواك يطيب رائحة الفم . . ولا شك أن ذا الفم الكريه الرائحة ينفر الناس ، بل وحتى الملائكة منه . والإنسان يريد لنفسه والله أيضاً يريد له ـ أن يكون محبباً لدى الناس ، قريباً إلى قلوبهم ونفوسهم . .

* * *

وبما أن للأسنان علاقة بجميع أجهزة الجسم الأخرى ؛ حتى إنها إذا ما مرضت تأثرت تلك الأجهزة بمرضها ، وإذا صحت وقويت تأثرت أيضاً بذلك ، واكتسبت مزيداً من الصحة والقوة ، . . فإن من الطبيعي أن يكون ذلك حافزاً ودافعاً للإنسان ليحافظ على أسنانه ، وأن يهتم بصحتها ؛ لأنه يكون بذلك قد حافظ واعتنى بسائر أجهزة جسمه . .

ويقول علماء الطب الحديث : إن الجراثيم والميكروبات المتكونة في تجاويف الأسنان ، من فضلات الطعام المتخلفة فيها . . والوافدة من الفم إلى المعدة هي السبب في عسر الهضم ، وحزة المعدة أو حموضتها وهي السبب أيضاً في بعض أمراض الكلى والرئتين . . وقد تصل هذه الجراثيم أيضاً إلى اللوزتين ، وتؤثر أيضاً على الأنف ؛ بحيث توجب التهابات في الجيوب الأنفية . . بل إن أمراض الأسنان الناشئة من عدم تنظيفها وتعقيمها قد توجب التهابات في الأذنين . وتكون هي السبب في بعض أمراض العينين وذلك لاتصالها ـ الأذنين والعينين ـ بالأسنان عن طريق الأعصاب .

كما أن أمراض الفم قد تؤثر في روماتيزم المفاصل ، وتزيد من أعباء الكبد

بل إن أسنان المريض هي أول ما يلفت نظر الطبيب في معالجته للمريض بالسل . . وأسقام عديدة أخرى . .

وإن غازات الفم الكريهة قد تنفذ إلى مجرى الدم ، وتفتك من ثم بالجسم كله هذه الغازات التي تنشأ ـ في الغالب ـ من تخمر فضلات الطعام ، المتبقية في تجاويف الأسنان ؛ حيث إنها لا تلبث أن تتعفن ، وتصبح ذات رائحة كريهة جداً ، يشعر بها كل من يحاول تنظيف أسنانه بعد إهماله لها مدة من الزمن . . ثم تتحول شيئاً فشيئاً إلى مكروبات وجراثيم تعد بالملايين . ويتسبب عنها الكثير من أمراض الفم ، وتفد ـ كما قلنا ـ مع الطعام إلى المعدة ولتسبب للإنسان ـ من ثم ـ الكثير من المتاعب . .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله : أن تلك الفضلات المتبقية قد تسبب قروحاً في اللثة ، وإذا كانت المكروبات المتكونة منها حاضرة وجاهزة ، فإنها تعمد للفتك باللثة عن طريق تلك القروح . وإذا ما أدت تلك القروح إلى كشف عنق السن ، فلسوف ينتج عن ذلك ضعف ذلك السن ، وخلخلته وليصبح من ثم عديم الفائدة ، ومستحقاً للقلع . .

* * *

وهكذا . . فإن النتيجة بعد ذلك كله تكون ، هي : إنه لا بد للفم من منظف أولاً . . ومعقم ومطهر له ثانياً . . يقتل هذه الجراثيم التي فيه ، ويزيلها ، ويمنع من حدوث جراثيم أخرى . .

وقد قرر الشارع المقدس ، أن هذا المنظف ، والمطهر والمعقم هو السواك ، الذي يكون في نفس الوقت علاجاً ، وعملية وقائية ، من كثير من الأمراض ، التي لا بد وأن يتعرض لها الإنسان ، نتيجة لموبوئية الأسنان .

ومن هنا نعرف الحكمة في قولهم (عليهم السلام) عن السواك : إنه طهور للفم ، وأنه منظف له ، وأنه يدفع عن الإنسان السقم ، وأنه يذهب أوجاع الأضراس ، إلى غير ذلك مما تقدم ، وستأتي الإشارة إليه ، إن شاء الله تعالى . .

هـذا . . ويتكـون من تخمـر فضـلات الـطعـام في الفم حـامض : « الكتيك » ، الذي يؤثر في الطبقة الخارجية لتاج السن ، حيث يـذيبها ، ويفقدها نعومتها ، ويجعلها خشنة الملمس ، مما يساعد على تخلف مزيد من الفضلات ، وليتكون بعد المزيد من الجراثيم ومن ثم إلى مواجهة كثير من المتاعب .

كما أن هذه الأحماض المشار إليها ، هي من أسباب تسوس الأسنان ، ومن ثم فقدانها لصلاحيتها ؛ حيث يكون لا بد من التخلص منها .

* * *

ومن الواضح : أن موبوئية الفم ، وكثرة الجراثيم فيه ، تقلل من اشتهاء الإنسان للطعام ، وميله إليه . . بل إن من الأمور التي ثبتت الآن علمياً : أن تنظيف الأسنان يدفع الإنسان إلى الأكل ، ويزيد من الكميات التي يتناولها منه إلى حد ملفت للنظر ومن هنا ورد عنهم عليهم السلام أن السواك يشهي الطعام ويمريه . .

* * *

هذا . . ولا بد من الإشارة هنا ، إلى أن وفود الجراثيم إلى الفم ، لا ينحصر في تخمر فضلات الطعام فيه ؛ حيث يمكن أن تصل الجراثيم إلى الفم من ملامسة أجسام أخرى غير الطعام ، بل ومن الطعام الذي يكون ملوثاً بجراثيم خارجة عنه . . وأيضاً من الهواء غير النقي ، الذي لا بد أن يصل إلى الفم بل وغيره من أجهزة الجسم بواسطة التنفس . . ولهذا كانت أنواع الميكروبات في الفم مختلفة ، وكثيرة ولا يضاهيه في اختلافها أي عضو آخر من أعضاء الإنسان على الإطلاق . . وهو أكثر أعضاء الإنسان قابلية لاستقبالها ، وهو المكان الأمثل والأصلح لنموها ، وازديادها وبقاءها على قيد الحياة أقصى مدة ممكنة ، وذلك لوجود اللعاب الذي يتدفق باستمرار ، ويكون مادة غذاء لها لو حرمت من الغذاء . .

ومن هنا نستطيع أن نعرف أن السر في ترخيص الشارع للصائم

بالاستياك ، عند كل وضوء ، أو عند كل صلاة وكذلك السر في الحث على لاستياك عند الاستيقاظ من النوم وعند قيامه بالليل ، هو أن المكروبات قد تصل إلى الفم من غير فضلات الطعام كما قلنا .

* * *

وإذا كان الاستياك يوجب عذوبة الفم ، ونقاوة اللعاب .

وإذا كان أيضاً يوجب تقوية عضلات الفم . . وغير ذلك فإن من الطبيعي أن يكون من أسباب فصاحة الإنسان ، وطلاقته ، عندما تصير عضلات الفم أكثر قدرة على الحركة ، وأكثر تحكماً بالنبرات الصوتية . . وأكثر نشاطاً ودقة في أدائها لوظيفتها . .

* * *

وأيضاً فإن مما لا شك فيه ، أن تنظيف كل عضوٍ من أعضاء الإنسان ، وخصوصاً الفم يكون من أسباب بعث الفرح والنشوة في نفسه ، والحيوية والنشاط في مختلف أجهزة جسمه الأخرى ـ حتى الجهاز التناسلي منها ـ ، ويكون الإنسان حينئذٍ أكثر حيوية ونشاطاً بشكل عام . . الأمر الذي يزيد ـ بطبيعة الحال ـ من نشاطه الفكري والعقلي . . ومن هنا قيل : العقل السليم في الجسم السليم .

بل إننا نستطيع أن نؤكد على علاقة الأسنان بسلامة الإنسان النفسية . . ومن هنا نلاحظ : أن ظهور « ضرس العقل » كثيراً ما يوجب الاختلال النفسي لدى الإنسان ، ومن هنا فلا يكون من المجازفة القول بأن السواك له تأثير مباشر في الصفاء النفسي للإنسان ، ويذهب بكثير من الهواجس والوساوس التي قد تنتابه . . بل ويؤثر في إذهاب حالات الغم والهم ، التي قد تنتاب الإنسان ، ولا يعرف لها سبباً معقولاً . . مع أنها تكون ناشئة عن موبوئية الفم والأسنان ، في كثير من الأحيان ، حتى إذا ما نظفت ذهبت هذه الحالة عنه ، ويحل محلها الحيوية والفرح والنشاط . .

وإذا ما عرفنا : أن الهم والغم من الأسباب الرئيسة للنسيان ، وعدم التمكن من الحفظ ، بسبب اختلال الحال ، واشتغال البال ، وعدم القدرة على التركيز على نقطة معينة ، وعرفنا : أن النشوة وصفاء الفكر من أسباب سرعة الحفظ ، وزيادة قوة الحافظة إننا إذا عرفنا ذلك ندرك مدى علاقة السواك بحافظة الإنسان ، وتأثيره في اذهاب حالة النسيان من الإنسان . .

ومن هذا البيان . . يتضح كيف أن السواك ـ على حد قولهم (عليهم السلام) ـ يذهب بالغم ويزيد في العقل ، ويزيد في الحفظ ، ويشهي الطعام ، ومن أسباب النشرة[1] أو النشوة ، وأنه يزيد الرجل فصاحة ، ويذهب بالنسيان ، ويحدث الذكر ، ويذهب بوسوسة الصدر ، ويوجب شدة الفهم ، إلى غير ذلك مما ورد في الروايات عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم . . مما اتضح مما قدمناه . .

* * *

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله أن للأسنان علاقة بشعر الإنسان ؛ ولذا يلاحظ أن بعض المبتلين بأمراض الأسنان ، يتساقط عندهم الشعر المسامت للأسنان المريضة ، حتى إذا ما عولجت ، وشفيت يعود ذلك الشعر إلى النمو من جديد . . فإننا ندرك أن السواك الذي يؤثر في سلامة الأسنان يؤثر أيضاً في إنبات الشعر، حسب ما ورد في الرواية .

* * *

والسواك إلى جانب ذلك كله ، عامل مهم ، من عوامل تقوية اللثة وسمنها ؛ حيث إنه رياضة مستمرة لها ، وينبه عضلاتها ويحركها ، كما ويحرك الدورة الدموية فيها . .

* * *

---

(١) النشرة هي انتشار العضو التناسلي ، وذلك غير بعيد بعد أن كان السواك يبعث النشوة والقوة والنشاط في مختلف أجهزة الجسم .

كما أنه ـ أي السواك ـ يذهب بالحفر : أي أنه يقلع الحبيبات التي تؤدي إلى جرح اللثة ، وتقيحها ، وجعلها في معرض الالتهابات والأمراض . . كما ويمنع من وجودها من جديد . .

* * *

وأخيراً . . فإن للسواك علاقة بالعين فمرض الأسنان يؤثر في مرضها ، وقد أثبت الطب الجديد أن بعض أمراض الأسنان قد تسبب بالعمى الموقت ، حتى إذا ما عولجت الأسنان وشفيت ، عادت الرؤية إلى العين من جديد ؛ ولعل ذلك أصبح من الأمور المتسالم عليها . . ولذا نرى في كلماتهم (عليهم السلام) التأكيد على هذه العلاقة . . وأن السواك يجلوا البصر ، ويذهب بغشاوة العين ، ويذهب بالدمعة . . إلى غير ذلك مما تقدم . .

الطائفة الرابعة من الروايات

تلك التي تكفلت بالإرشاد إلى كيفية ، وأوقات ، وأمكنة السواك ، وما يتصل بذلك ، ويرتبط به ، بنحو من الارتباط والاتصال . .

وقد تقدم ما يدل على استحباب السواك عند كل وضوء ، أو عند كل صلاة ، وعند قراءة القرآن ، ونزيد هنا :

ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من أنه نهى أن يتخلل بالقصب ، وأن يستاك به . . وفي دعائم الإسلام أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن السواك بالقصب والريحان ، والرمان . .

وما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) : من أن الكعبة شكت إلى الله عز وجل ما تلقى من أنفاس المشركين ؛ فأوحى الله تعالى إليها : قرى كعبة ؛ فإني مبدلك بهم قوماً يتنظفون بقضبان الشجر ؛ فلما بعث الله محمداً ، أوحى الله إليه مع جبرئيل بالسواك والخلال . . وهو مروي بعدة طرق . .

وفي مكارم الأخلاق ، وغيره : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان

يستاك بالأراك ؛ أمره بذلك جبرئيل (عليه السلام) . .

وعن الرسالة الذهبية للرضا (عليه السلام) : واعلم يا أمير المؤمنين ، أن أجود ما استكت به ليف الاراك ؛ فإنه يجلو الأسنان ، ويطيب النكهة ويشد اللثة ، ويسمنها ، وهو نافع من الحفر ، إذا كان باعتدال . . والاكثار منه يرق الأسنان ، ويزعزعها ، ويضعف أصولها . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : نعم السواك الزيتون ؛ من الشجرة المباركة يطيب الفم ، ويذهب بالحفر وهي سواكي ، وسواك الأنبياء قبلي . وعن أبي الحسن (عليه السلام) : أنه كان يستاك بماء الورد . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : أنه كره للصائم أن يستاك بسواك رطب ، ولكنه لم يكن يرى بأساً بالاستياك باليابس . . .

وكان الرضا (عليه السلام) : إذا صلى الفجر جلس في مصلاه ، إلى أن تطلع الشمس ثم يؤتى بخريطة فيها مساويك ؛ فيستاك بها واحداً بعد واحد ، ثم يؤتى بكندر فيمضغه إلخ . . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أن الصائم : يستاك أي النهار شاء . .

وعن أبي جعفر أنه قال : لا تدعه في كل ثلاث ، ولو أن تمره مرة . .

وعنهم (عليهم السلام) : أدنى السواك أن تدلكه باصبعك .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنه كان يستاك كل ليلة ثلاث مرات : مرة قبل نومه ، ومرة إذا قام من نومه إلى ورده ومرة قبل خروجه إلى صلاة الصبح .

وروي أن السنة في السواك وقت السحر .

وروي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستاك في كل مرة قام من نومه .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إني لأحب للرجل إذا قام بالليل أن يستاك . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال : وإياك والسواك في الحمام ؛

فإنه يورث وباء الأسنان . . وفي معناه عدة روايات أخر . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) السواك على المقعد يورث البخر . .

وعنه أيضاً في حديث : والسواك في الخلا يورث البخر . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : من استاك فليتمضمض . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اكتحلوا وتراً ، واستاكوا عرضاً . .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم استاكوا عرضاً ، ولا تستاكوا طولاً . .

إلى آخر ما هنالك من الروايات الكثيرة التي لا مجال لنا هنا لذكرها . .

ونستفيد من هذه الروايات عدة فوائد هامة . . بالنسبة لهذا الأمر الذي اهتم به الإسلام ـ ومن حقه أن يهتم به ـ غاية الاهتمام . .

فإن مجرد إخراج الفضلات من تجاويف الأسنان ، وإن كان مفيداً . . إلا أنه إذا كان بطريقة غير صالحة قد تنشأ عنه أضرار تفوق ما سوف يجلبه من نفع . . ومن هنا تبرز الحاجة إلى الطريقة الأفضل والأصلح ، التي تؤدي المهمة المتوخاة من السواك ، على أكمل وأفضل وجه ، بحيث تتلافى معها جميع الأضرار والمضاعفات المحتملة . وهذا هو ما تكفلت به الطائفة الرابعة من الروايات ، التي قدمنا شطراً منها . . ونحن بدورنا نشير إلى بعض الملاحظات ، المتعلقة بهذه الطائفة ، مع الاعتراف بالقصور والعجز عن إدراك كل ما يشيرون ويرمون إليه ، مع روم الاختصار ؛ حيث قد نكون قد أطلنا على القارىء الكريم ، الذي لا بد وأن يمنحنا العذر ؛ بعد أن صار من الواضح له مدى تشعب هذا

الموضوع ، واختلاف مناحيه وأطرافه ، فنقول :

إن من الواضح : أن إخراج الفضلات من تجاويف الأسنان ، بواسطة آلة صلبة ـ كدبوس ، أو أي آلة معدنية أخرى ـ مما يتسبب عنه جرح الجدار الصلب ، الذي يغلف تاج السن . . كما وأنه قد يؤدي إلى جرح النسيج اللثوي ، الأمر الذي يكون من نتيجته تعرض الأسنان للنخر ، واللثة للالتهابات ، بفعل تلك الجراثيم الموجودة في الفم ، والتي تعد بالملايين . . ومن هنا نعرف أنه لا بد وأن يكون السواك والخلال بوسيلة لا صلابة فيها ، يؤمن معها جرح الجدار لتاج السن ، وجرح النسيج اللثوي . .وقد اختار الإسلام لهذه المهمة قضبان الشجر ، وبالخصوص عود الاراك ، « أو الزيتون » حيث يؤمن معها إلى حد ما . . ذلك . . كما أننا نعرف لماذا منع الإسلام عن السواك ، والخلال بالقصب وعود الرمان ، التي قد تجرح النسيج اللثوي وتؤثر في تاج السن ولعل منعه عن عود الريحان يرجع إلى وجود مواد فيه تضر باللثة والأسنان على حد سواء . . هذا . .

ونلاحظ أن الإسلام قد أجاز السواك ولو بأن يكون بالدلك بالأصبع وهو وإن لم يكن محققاً للغاية المرجوة منه ، إلا أن الميسور لا يترك بالمعسور إذ هو على الأقل مفيد في تقوية اللثة ، وتحريك عضلاتها . .

ومن الأمور الملفتة للنظر هنا أن الرضا كان يستاك كل مرة بأكثر من مسواك واحد . . وأن أبا الحسن (عليه السلام) : كان يستاك بماء الورد ، وأما الاستياك للصائم ، فقد أشرنا فيما سبق إلى وجه الحكمة فيه . .

* * *

ثم إن لكيفية السواك مدخلاً في التنظيف الكامل وعدمه ؛ إذ أنه مرة يمر المسواك على الأسنان مروراً ظاهراً . . وهذا بطبيعة الحال لا يكفي في الوصول إلى الغاية التي شرع من أجلها السواك . . ومرة يصل المسواك إلى جميع تجاويف الأسنان ، ويخرج الفضلات منها . . وهذا هو الذي يرمي إليه قوله (عليه السلام) : استاكوا عرضاً ، ولا تستاكوا طولاً . . والمراد أن تدعك الأسنان

بـالمسواك صعـوداً ونزولاً ؛ من أجـل أن تدخـل شعب المسواك إلى جميـع التجـاويف ، والفجـوات ، والخـلايـا ؛ حتى لا يبقى فيهـا أي شيء من الفضلات ، يمكن أن يسبب ضرراً على الأسنان ، أو أي من أجهزة الجسم الأخرى . . وقد تنبه علماء الطب حديثاً لهذه الطريقـة ، وبدؤا ينصحـون باتباعها . .

* * *

إلا أن من الواضح : أن مجرد إجراء هذه العملية ، لا يكفي في إخراج الفضلات من الفم وتنظيفه وتطهيره ، مع أن هذا هو أحد الأهداف الهامة من السواك ، كما صرحت به الكثير من الروايات . . بل لا بد لنا من القيام بعملية أخرى لأخراج هذه الفضلات من الفم، وليكون الفم من ثم نظيفاً طاهراً ، طيب الرائحة . . . إلخ . . وقد بين الأئمة (عليهم السلام) هذه الطريقة ، فأرشدونا إلى المضمضة بعد الوضوء : « فمن استاك فليتمضمض » . .

* * *

وكان أن لم يأمر الإسلام باتخاذ فرشاة ولا أرشد إلى صنع معاجين من مواد معينة ، معقمة ومطهرة للفم ، ومضادة إلى حد ما للجراثيم . . على النحو الشائع في هذه الأيام . . حيث لم يكن في ذلك الزمان معاجين ، ولا كان الناس يتخيلون ، أو يخطر في بالهم أنه لا بد في تنظيف الأسنان من الاستعانة بمواد كيماوية من نوع معين . . ولو أنه فعل صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وقال لهم لا بد من فرشاة ومعاجين مركبة من كذا وكذا . . لم يسلم أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد أن ينسب إليه . .

إلا أنه ـ أي الإسلام ـ أمرهم عوضاً عن ذلك باتخاذ عود الأراك مسواكاً ، وذكر له في الروايات منافع هامة ، أشرنا إليها في ما تقدم.

وإننا إذا ما أخذنا تلك المنافع وغيرها بنظر الاعتبار فإننا نحصل على القناعة التامة بأنه ليس من اللازم ، بل ولا من الراجح العدول إلى الفرشاة ولا إلى المعاجين التي يدعى أنها تساعد على التنظيف والتعقيم والتطهير . . بل لا بد من الاقتصار على عود الأراك ؛ حيث قد أثبتت المختبرات الحديثة أن عود الأراك

ـ الذي أمر به الإسلام ـ أفضل بكثير من الفرشاة ؛ إذ « قد وجد أحد معامل الأدوية في ألمانيا مادة خاصة في المسواك المأخوذ من شجر الأراك ، تكسب الأسنان مناعة على النخر ، شبيهة بمادة : « الفلور » ، وقاتلة للجراثيم . . ولوحظ أن نسبة نخر الأسنان لدى الذين يستعملون المسواك ، أقل بكثير من الذين يستعملون فرشاة الأسنان . وما زال هذا المعمل يواصل بحوثه وتحرياته ، ويحاول الاستفادة من هذه المادة ، واضافتها إلى معاجين الأسنان » .

أما الفرشاة : فليس فيها هذه المادة القاتلة للجراثيم ؛ ولهذا ينصح الأطباء بوضع الفرشاة في الماء والملح ، بعد تنظيف الأسنان بها ، حتى يقضي بواسطة ذلك على الجراثيم العالقة ، أو التي ربما وسوف تعلق بها ، وحتى لا تعود تلك المكروبات للفم مرة ثانية . .

أما عود الأراك فكل ما علق أو يعلق به يقضى عليه بواسطة تلك المادة التي فيه ، من دون حاجة إلى الماء والملح . . أو غير ذلك . . هذا إذا استطاع الماء والملح أن يقضي على جميع أنواع المكروبات ، وذلك مما لم يثبت حتى الآن . .

وأما بالنسبة لأوقات استعمال المسواك فقد ورد بالإضافة إلى ما تقدم من السواك عند وضوء كل صلاة أو عند كل صلاة ، أو عند قراءة القرآن ، وأنه لا بأس بالاستياك في النهار أي وقت يشاء ، وأيضاً بالإضافة إلى ما ورد من الإشارة إلى حسن الاستياك قبل النوم ، وهو ما ينصح به الأطباء اليوم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ قد ورد التأكيد على استعمال المسواك عند الاستيقاظ من النوم ، والحكمة في ذلك واضحة ؛ فإنه يقضي بذلك على الجراثيم التي تصل إلى الفم حال النوم ؛ نتيجة لتلوث الهواء الذي يصل إليه بواسطة التنفس أو بدونه ، وليقضي على ما تبقى منها ، مما بقي يسرح ويمرح ، ويفتك ويقوي نفسه في خلايا الفم الليل بطوله ، بكل هدوء وراحة واطمئنان . .

* * *

وأخيراً . . فلعل من الأمور التي لا تحتاج إلى بيان . . أن السواك في الحمام غير صحي ولا صحيح ، لأن السواك عبارة عن تنظيف الخلايا والفجوات من الفضلات ، فإذا تعرضت لجو الحمام الذي يزدحم بالمكروبات فإنها سوف

تتعرض لغزو عنيف منها ، ولسوف لا يمكن إخراجها بعد بسهولة ويسر ، لا سيما وأنه وهو في ذلك الجو كلما أخرج فوجاً ، استقر فوج آخر في مكانه واتخذ مواقعه ، ولا يوجد هناك أي شيء يحجز هذه الميكروبات والجراثيم عن الوصول إلى الأمكنة الحساسة ، حيث تبدأ عملها رأساً . . أما لو كان هناك لعاب ؛ فإنه يمنعها إلى حد ما من الوصول إلى الأمكنة الحساسة ؛ وذلك بسبب تغطيته لها ، ولزوجته ، التي يحتاج اختراقها إلى بعض الوقت ؛ مضافاً إلى تبدله ـ أي اللعاب ـ وتغيره باستمرار ، ولو بقى شيء منها مع هذا التبدل فإن النوبة الثانية لاستعمال السواك تكون قد أزفت . . وأما أثناء السواك في الحمام فاللعاب لا يصل إلى المناطق التي عليها المسواك ، بل هي مكشوفة معرضة للعطب بأسرع ما يكون . . ومن هنا نعرف سر النهي عن منعهم (عليهم السلام) السواك في الحمام المعلل بأنه يورث وباء الأسنان .

ونفس هذا الكلام ـ تقريباً ـ يأتي بالنسبة إلى السواك في الخلاء فإن نفس تلك الرائحة عبارة عن جراثيم . . فإذا وصلت إلى الفم واستقرت فيه ، وتناسلت ، وتكاثرت ؛ فإن النفس يبدأ بقذف الزائد منها إلى الخارج ؛ فتلتقطه حواس الشم لدى الآخرين ، مما يكون سبباً في تنفرهم وانزعاجهم . . ومن هنا نهوا (عليهم السلام) عن السواك في الخلاء . . وهكذا . . يتضح أخيراً : أن السواك يؤثر في مظهر الإنسان وفي سلامته البدنية بل وحتى النفسية والروحية والعقلية إلى آخر ما هنالك مما تقدم . . فما أحرانا إذن . أن نلتزم به ، ونستفيد منه الكثير الكثير ، مما عرفنا ومما لم نعرف بعد . وليس ما ذكرناه بالنسبة إلى ما لم نذكره والذي لا نعرفه إلا بمثابة غيض من فيض . . ولم يكن ما ذكرناه إلا بمثابة خطوة أولى على طريق التعرف على كافة الحقائق التي ترتبط بهذا الموضوع ، الذي هو واحد من تلك التعاليم السامية ، التي أهملناها ، ولم نعد نلتفت إليها ، وأصبحنا نستوردها ـ فيما نستورد ـ من أوربا وغيرها من مناطق العالم . . ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر بقول الله عز وجل : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . . .

الحروف المقطعة في القرآن

القي هذا البحث في مؤتمر الفكر الإسلامي
الذي انعقد في طهران بتاريخ الجمعة ١٤٠٤/٤/٩ هـ.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته .

وبعد . .

فإنني إذ اعتذر إليكم عن أنني لم استطع أن أوفر لهذا البحث ما يستحقه من وقت ، وجهد ، وتتبع . . أود أن أشير إلى أن مسؤولية ذلك تقع بالدرجة الأولى على عاتق الأخوة الذين أخبروني في وقت متأخر جداً ، بحيث لم يعطوني من الفرصة سوى يومين اثنين للتحقيق والكتابة .

فاليكم أيها الأخوة الشكوى ، ومنكم العذر . .

أما موضوع البحث ، فهو :

« الحروف المقطعة في فواتح السور من وجهة نظر قرآنية »

فلقد كثر الحديث عن الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور القرآنية ، وتعددت ، وتشعبت الأقوال والآراء حولها . حتى عد المفسرون ما يقرب من عشرين قولاً حول المراد منها . .

فقيل :

١ ـ هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه .

٢ ـ هي أسماء للسور التي وقعت في أوائلها .

٣ ـ إنها أسماء لمجموع القرآن . .

٤ ـ إنها أسماء لله سبحانه فـ « ألم » معناها : انا الله العالم و «ألمر» معناها : انا الله أعلم وأرى . . وهكذا . .

٥ ـ إنها أسماء لله مقطعة لو أحسن تأليفها لعلم اسم الله الأعظم ، فـ « ألر و حم و ن » . تصير : الرحمان . وهكذا .

٦ ـ إن هذه الحروف شريفة لكونها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وأصول لغات الأمم . . وقد أقسم الله تعالى بهذه الحروف .

٧ ـ إنها إشارات إلى آلائه سبحانه ، وبلائه ، ومدة الأقوام وأعمارهم وآجالهم .

٨ ـ إنها إشارة إلى بقاء هذه الأمة بحسب حساب الجمل . .

٩ ـ إنها تسكيت للكفار الذين تواصوا فيما بينهم أن : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » . فكانوا إذا سمعوا هذه الحروف استغربوها ، وتفكروا فيها ، فيقرع القرآن مسامعهم .

١٠ ـ إنها للإشارة إلى معان في السورة فكلمة (ن) إشارة إلى ما تشتمل عليه السورة من النصر الموعود وكلمة (ق) إشارة إلى القرآن أو إلى القهر[1] .

إلى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها . .

ولعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأياً في هذا المجال . . هو ما ذكره بعض المتاخرين ، واعتبر بمثابة « اعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم

---

(١) تفسير الميزان ج ١٨ ص ٦، ٧ .

مصري » . وهو يعني : أن هذه الحروف المقطعة تدخل كعنصر هام وحاسم في موضوع الاعجاز العددي للقرآن . .

ونحن لا نريد أن نسيء الظن فيما يتعلق بهذا الرأي ، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (١٩) ويتخذه محوراً في مجمل استنتاجاته ، وهو الرقم المقدس عند طائفة البهائية الضالة . .

كما أننا لا نريد المبالغة في التشاؤم إلى حد أن نعتبر ذلك يهدف إلى صرف الأنظار عن دقائق المعاني القرآنية الباهرة إلى الاهتمام بالظواهر والقوالب اللفظية . .

لا . . لا نريد ذلك . . فإننا نأمل أن يكون ثمة قدر كبير من حسن النية ، وسمو الهدف . . وإنما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين[1] قد تتبع هذه النظرية بالبحث والتمحيص ، حتى خرج بنتيجة حاسمة ، مفادها : الجزم بخطأ هذه النظرية ، وذلك لعدم صحة الأرقام التي قدمتها ، واعتبرتها أساساً صالحاً للتدليل على قيمتها العلمية .

فقد قال هذا المحقق الذي رمز لنفسه بـ « أبو محمد » :

قولهم : كلمة « اسم » تتكرر ١٩ مرة بالضبط . أقول : ذكر في المعجم المفهرس عدد ١٩ تحت كلمة اسم . وذكر أن كلمة « بسم » تكررت ثلاث مرات في قوله تعالى : بسم الله مجراها وبسم الله أو الحمد . وأنه من سليمان وأنه بسم الله . وذكر كلمة « اسمه » وقال أنها تكررت خمس مرات .

قولهم : إن كلمة الرحيم تتكر ١١٤ مرة . ونقول : بل تتكرر ١١٥ مرة بالضبط .

وقالوا : إن حرف (ن) قد تكرر في سورة القلم ١٣٣ أي ١٩×٧ .

ونقول : بل يتكرر ١٢٩ مرة فقط . ولو كررنا المشددات مثل أن ، فإن المجموع يصير أكثر من ذلك بكثير . .

---

(١) هو العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني.

وقالو: إن حرف (ص) يتكرر في كل من: سورة الاعراف التي أولها (المص) وسورة ص وسورة مريم التي أولها (كهيعص) ١٥٣ أي ١٩×٨ .

ونقول : إن عدد الصادات في سورة الاعراف ٩٠ صاداً ، ولعله قد اشتبه علي واحد أو اثنان . وفي سورة مريم ٢٤ (كذلك) وفي سورة ص ٢٧ مرة فليس المجموع ١٥٣ ولا في كل واحدة منها ١٥٣ أيضاً[1] .

أما العلامة الطباطبائي قدس سره ، فقد أورد على الأقوال التي سلفت باستثناء هذا الأخير ، حيث لم يذكره قدس سره . . بأن :

دعوى كون الحروف المقطعة من المتشابهات لا يصح ، وذلك لأن التشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها، وليست الحروف المقطعة من هذا القبيل .

وأما سائر الأقوال ، فإنما هي تصويرات لا تتعدى الاحتمال ، ولا دليل يدل على شيء منها ، وأما الروايات التي ربما يستظهر منها بعض التأييد لبعض تلك الأقوال ، فقد ردها رحمه الله تعالى لضعف السند تارة ولضعف الدلالة أخرى ، حيث لا يوجد فيها تقرير من النبي (ص) لما فهمه الآخرون منها . . أو لأن مفاد الرواية أن هذه الحروف من قبيل الرمز لمعان تكرر بيانها ، ولا حاجة لاستعمال الرمز في التعبير عنها .

ثم استظهر رحمه الله تعالى : أن هذه الحروف هي رمز بين الله سبحانه وبين رسوله ، خفية عنا ، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور ارتباطاً خاصاً ، حيث وجد رحمه الله تشابها في سياق وفي مضامين السور التي اشتركت حروف معينة في فواتحها ، كالطواسين والحواميم ، والميمات والراءات ونحو ذلك .

ونحن لا نستطيع الموافقة على ما ذكره رحمه الله تعالى ، فإن القرآن ليس كتاب الغاز ، أو أحاجي ، وإنما أنزله الله تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾[2] ،

---

(١) راجع مجلة المنطلق اللبنانية سنة ١٣٩٩ هـ العدد الخامس ص ٨٢ .
(٢) سورة البقرة ١٨٥ .

﴿ليدبروا آياته﴾[1] ﴿بلسان عربي مبين﴾[2]، قرآناً عربياً لعلكم تعقلون[3] ﴿كتاب فصلت أياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾[4].

وقد لاحظ بعض المحققين : أن تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين وواضح ، وأنه قرآن عربي لقوم يعلمون ، أو لعلكم تعقلون ، لا يناسب كون تلك الألفاظ رموزاً ، أو من قبيل الألغاز والأحاجي ، قال تعالى في سورة يوسف : ألم . تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون .

ومهما يكن من أمر ، فإن لدينا من الشواهد والدلائل ما يكفي لإعطاء فكرة عن المراد من هذه الحروف . ونستطيع بيان ذلك في ضمن النقاط التالية :

١ ـ إننا في نفس الوقت الذي نعتبر فيه أن ما سنذهب إليه ليس هو المقصود الأول من هذه الأحرف ، فإننا نؤكد على أننا لا نستبعد إرادة سائر المعاني ، مما ذكر أو لم يذكر منها ، إذا دل الدليل على إرادتها أيضاً ، فإن للقرآن ظهراً وبطناً ، ولعل لاختلاف الأزمنة ، وتقدم الفكر والعلم ، تأثير كبير في فهم الكثير من المعاني الأخرى ، التي يمكن أن تكون هذه الأحرف مشيرة إليها ، أو دالة عليها ، بنحو من أنحاء الإشارة والدلالة . .

٢ ـ إننا نلاحظ : أننا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى أن أيا من الصحابة أو من غيرهم من المشركين أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال أو الاستفهام عن معاني هذه الأحرف ، وعما ترمي إليه . . ولو سلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن أن يكون ناشئاً عن إيمانهم العميق ، وعن وصولهم إلى درجة التسليم والخضوع لكل ما يأتي به النبي (ص) نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة ، والمعجزات القاهرة ـ رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين غيرهم . . ورغم عدم منافاة ذلك للسؤال الاستفهامي عن أمر كهذا ـ فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين وغيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا ، وهم في موقع

---

(١) ص ٣٨ .
(٢) سورة الشعراء ١٩٩ .
(٣) سورة يوسف ٢ .
(٤) فصلت ٣ .

التحدي والمجابهة ، ويحاولون التشبث ولو بالطحلب للطعن في الإسلام والنبوة والقرآن .

فسكوتهم هذا ـ والحالة هذه ـ لا يعني إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريباً إلى أذهانهم وأن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات . .

٣ ـ إننا نجد : أن هذه الحروف قد وردت في تسع وعشرين سورة ، ستة وعشرون منها نزلت في مكة ، وثلاث منها نزلت في المدينة . وحتى هذه السور التي نزلت في المدينة يلاحظ : أن اثنتين منها قد نزلتا في أوائل الهجرة ، حيث كان الوضع الديني والإيماني فيها لا يختلف كثيراً عنه في مكة ، ولا سيما مع وجود اليهود وشبهاتهم ومؤمراتهم إلى جانب المشركين فيها . . .

وواحدة منها وهي سورة الرعد قد نزلت بعد أن كثر الداخلون في الإسلام رَغباً أوَ رهباً ، وكثر المنافقون حتى ليرجع ابن أبي بثلث الجيش في غزوة أحد . . وأصبح اليهود وغيرهم ممن وترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل ، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكرياً وفكرياً ، وعقائدياً بشكل سافر . . فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدي بهذه المعجزة : القرآن ، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدي وإيماني جديد في المسلمين ، ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لا يجدون لمواجهته سبيلاً إلا بالتسليم والبخوع والانقياد له .

وهذا ما يفسر لنا السر في أننا نجد اسلوب وأجواء سورة الرعد لا تختلف كثيراً عن أجواء وأسلوب غيرها من السور المكية ، وأن هناك توافقاً فيما بينها في إدانة وضرب كل أساليب التضليل أو التزوير ، والصدود عن الحق . .

ونستطيع بعد كل ما تقدم أن نصل إلى النتيجة التالية ، وهي :

أن ورود هذه الحروف في خصوص السور المكية ، وفي ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها إنما جاءت في مقام التحدي للمشركين ، ولأعداء الإسلام . . وإن عدم اعتراض هؤلاء ، أو حتى عدم سؤالهم ، وكذلك عدم سؤال أي من الصحابة المؤمنين عن معاني هذه

الحروف إنما يشير إلى أنهم إنما فهموا منها معان قريبة إلى أذهانهم ، كافية للإجابة على ما ربما يختلج في نفوسهم من أسئلة حولها . وليس ذلك إلا ما ذكرنا من التحدي بهذا القرآن ، المركب من أمثال هذه الحروف التي هي تحت اختيار الجميع ، مع أنه يعجز عن مجاراته والاتيان بمثله وحتى بسورة من مثله الجميع .

٤ ـ إننا إذا راجعنا الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف ، فإننا نجد :

ألف : إن جميع السور التي وقعت الحروف المقطعة في فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث نجد الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب وآياته ، أو القلم أو القرآن ، أو نحو ذلك ، كقوله تعالى :

﴿ المص * كتاب انزل إليك ﴾ (الاعراف) .

﴿ المر * كتاب أنزل إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ (ابراهيم) .

﴿ حم * والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (الزخرف) .

﴿ الر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (هود) .

﴿ حم * والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ (الدخان) .

﴿ ص * والقرآن ذي الذكر ﴾ .

﴿ ن * والقلم وما يسطرون ﴾ .

وحتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث يمكن أن يكون في تلك القصة ، أو التنبؤات، أو الحكم التي تذكر بعد هذه الحروف ـ فيها ـ من الاعجاز ما يكفي لأن يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكورة ، وعجز الغير عن الاتيان بمثلها كافياً عن التصريح في ذلك . .

باء : إننا نجد أن بعض الآيات التي وقعت بعد الأحرف المقطعة قد

جاءت باسم الإشارة ليكون خبراً عن الحروف المقطعة ، لأنه إشارة لما قبله . ولا يصح أن يكون إشارة لما بعده لأن ما بعده ليس فيه الالف واللام ليكون بدلاً أو عطف بيان له . . وذلك مثل قوله تعالى :

﴿ الر * تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف) .

﴿ الر * تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ (الحجر) .

﴿ الر * تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ (يونس) .

وكذلك الحال بالنسبة لسورة الرعد ، والحجر وغيرها من السور .

أما مثل قوله تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب ﴾ ، فالكتاب بدل أو عطف بيان .

جيم : ما هو من قبيل قوله تعالى :

﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ (فصلت) . فإن قوله تنزيل خبر لقوله : ﴿ حم * ﴾ كما قاله الفراء ، وكما هو الظاهر . . وجعل كتاب خبراً لتنزيل لا يستسيغه الذوق السليم ، ولا ينسجم مع المعنى المقصود ، ولا سيما مع تنوين كلمة تنزيل وتنكيرها وكذلك الحال في قوله تعالى :

﴿ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ (السجدة) .

﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ (المؤمن) .

وكذا الحال فيما ورد في أول سورة الجاثية والاحقاف . .

وقد أعرب المفسرون ، وغيرهم هذه الموارد على أن كلمة تنزيل خبر لمبتدأ محذوف ، أو نحو ذلك مع أن إعرابها على النحو الذي ذكرناه هو الأنسب والأظهر ، وإن كان إعرابهم لا ينافي ما ذكرناه أيضاً ، فإن تقدير كلمة (هو) أو كلمة : (هذا) المقدرة مبتدأ ظاهرها الإشارة إلى ما قبلها أيضاً . .

دال : قوله تعالى :

﴿ حم عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ (الشورى) .

فإن قوله (كذلك) يشار بها في القرآن عادة إلى ما قبلها . أي كتلك الحروف التي سبقت يوحي إليك الله تعالى . أي أن آيات الله هي من جنس هذه الأحرف .

هـ : وبعد فلقد جاء في رواية عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « كذبت قريش واليهود بالقرآن ، وقالوا : سحر مبين تقوله . فقال الله : ﴿ الم * ذلك الكتاب ﴾ أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها (ألف ، لام ، ميم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم ، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين ، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم . ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله : قل : ﴿ لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . . ﴾[1] . وضعف هذه الرواية لا يضر ما دامت مؤيدة بما قدمناه من الشواهد والدلائل . . هذا على الرغم من أننا نجد في كلام المجلسي ما يشير إلى امكان الاعتماد على روايات تفسير العسكري . . مع أننا لا نجد ما يبرر الوضع والجعل في أمر كهذا . .

والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الجمعة ١٤٠١/٤/٩

---

(١) معاني الاخبار ص ٢٢ ، وتفسير البرهان ج ١ ص ٥٤ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٣ والبحار ج ٩٢ ص ٣٧٧ وتفسير الميزانج ١٨ ص ١٦ .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ البرهان في تفسير القرآن ..... للبحراني

٣ ـ معاني الأخبار ..... للصدوق

٤ ـ المنطلق ..... مجلة

٥ ـ الميزان في تفسير القرآن ..... العلامة الطباطبائي

٦ ـ نور الثقلين (تفسير) ..... للحويزي

بسم الله الرحمن الرحيم

لمن هذه الكتب

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين .

وبعد . .

فإن العديد من كتب التراث ـ ولأسباب مختلفة ـ قد نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين ، عن عمد تارة ، وعن غير عمد أخرى .

وكمثال على ذلك نشير في هذه العجالة إلى الكتب الثلاثة التالية :

١ ـ الكنز المدفون في الفلك المشحون :

لقد طبع الكتاب في القاهرة ، في سنة ١٣٧٦ هـ . ١٩٥٦م في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . .

ونسب إلى المؤلف المكثر المعروف : جلال الدين عبد الرحمان السيوطي .

ولكن الظاهر هو أن نسبته إليه لا تصح ، إذ :

أ ـ قد جاء في ص ٢٠٩ من نفس هذا الكتاب قوله :

« اجتمعت بالأخ في الله ناصر الدين بن الميلق بالقدس في ثالث عشرين

من شعبان ، سنة سبع وستين وسبع مئة ، ووقع بيننا مذاكرة الخ . . » .

ب ـ وقال في ص ٣٢٣ :

« أنشدني أبو العباس ، أحمد بن عبد المعطي ، نفع الله به لنفسه ، بالمسجد الحرام في شهر ذي القعدة ، سنة أربع وستين وسبع مئة ، فقال :

كم أقطع العمر في قيل وفي قال وكم أزين أقوالي وأفعالي

الأبيات . . . : .

ج ـ وقال في ص ١٤٧ :

« ورأيت لكاتبه عند زيارته سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، استغفر الله العظيم :

بشراك يا نفس هذا سيد الرسل جوزي حماه ونادي واطلبي وسلي

بشراك الخ . . » .

٥ ـ وقال في ص ٢٤٨ :

« أخبرنا شيخنا الحافظ الذهبي رحمه الله ، قال : أخبرونا عن القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمي ، أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ هو السلفي الخ . . » .

ومعلوم أن الذهبي قد توفي سنة ٧٤٨ هـ .

والسيوطي قد ولد في سنة ٨٤٩ هـ . وتوفي سنة ٩١١ هـ . أي أن ولادته قد كانت بعد اجتماع المصنف بابن عبد المعطي بخمس وثمانيين سنة وبعد اجتماعه بابن الميلق باثنتين وثمانين سنة وبعد وفاة الذهبي بأكثر من مئة سنة ، وبعد زيارته لرسول الله بست وتسعين سنة .

أما عن مؤلف الكتاب فقد جاء في ص ٢١٦ قوله :

« الحمد لله . من كلام كاتبه جامع هذا الكتاب الفقير :

ى و ن س . ال م ا ل ك ى ، خدم بها سيدنا رسول الله (ص) ،

وأنشدها بالحضرة الشريفة ، فقال :

أيا ملجا الأنام بكل قطر ويا غوثاً لبدو ثم حضر

اتيتك اشتكى الخ . . » .

فهو يصرح هنا بأن مؤلف الكتاب هو يونس المالكي ، وليس هو جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، ويلاحظ أنه قد كتب اسم المؤلف بصورة الحروف المقطعة !!

وقد قال الزركلي في اعلامه ج ٩ ص ٣٤٧ : يونس المالكي (. . نحو ـ ٧٧٠ هـ . ـ ١٣٦٨م) .

« يونس المالكي ، شرف الدين ، صاحب الكنز المدفون » ، والفلك المشحون ط . « المنسوب إلى جلال الدين السيوطي » ، و « الجوهر المضمون ـ خ ـ » كان من تلاميذ الذهبي (المتوفي سنة ٧٤٨) .

ثم قال في هامش الصفحة ما يلي :

« كشف الظنون ١٥١٩ ودار الكتب ٣ : ٣٠٨ و

قلت : اقتبست هذه الترجمة من المصادر المذكورة ، وأنا غير مطمئن إليها، لأني لم أر في كتابه «الكنز المدفون» أسلوب القرن الثامن في التأليف. أما تقدير وفاته، فاستخرجته من قول المصدر الثاني أنه كان من تلاميذ الذهبي». انتهى .

ونحن فيما يرتبط بهذا الهامش نشير إلى ما يلي :

أولاً : إن نفس المصنف قد أشار إلى تلمذه على يد الحافظ الذهبي وقد تقدمت عبارته . . . فالاستناد إليها كان أنسب ، ولكن عذر الزركلي هو أنه لم يطلع على هذه العبارة في الكتاب ولكن مع ذلك فإن ذلك لا يوجب تحديد وفاته بنحو عام ٧٧٠ هـ . نعم ما ذكره المصنف في ص ٣٢٣ من ملاقاته أحمد بن عبد المعطي سنة ٧٦٤ وما ذكره ٢٠٩ من اجتماعه بابن الميلق سنة ٧٦٧ هـ يقرب ذلك ، كما لا يخفى . . .

وثانياً: إنه قال: إنـه لم ير في كتـاب الكنز المـدفون أسلوب القـرن الثامن في التأليف ونقول : إننا لم نجد في الكتاب ما ينافي أسلوب ذلك القرن ولا سيما بملاحظة : أن الكتاب عبارة عن كشكول يهتم مؤلفه بإيراد الفرائد والخرائد التي تمتاز بنوع من الطرافة والجاذبية ، ولم يتخذ موضوعاً خاصاً للمعالجة والتمحيص ليقارن فيه بين أسلوب القرن الثامن وغيره من القرون . .

هذا . . . ولا بد من الإشارة هنا إلى نصوص أخرى وردت في الكتاب من شأنها أن تلقي ظلالاً من الشك والريب على الكتاب ومؤلفه وهي :

١ ـ **النص الأول** : قال في ص ٦٥ حتى ص ٦٧ : حول زيادة النيل ونقصانه على مر السنين :

« فائدة : الذي كشف عنه من التاريخ من انتهاء الانيال المباركة ، من الأكثر والأقل ، من الهجرة النبوية إلى الآن . . » .

من الأعلى خمسمائة عام وستة أعوام . تفصيله من إحدى وعشرين ذراعاً وكسر عام واحد وذلك في سنة اثنتي عشرة وثمان مئة الخ . .

ثم يستمر في ذكر الزيادة والنقصان حسب السنين حتى ينتهي إلى سنة أربع وخمسين وثمانمائة . . .

وهذا يعني أن المؤلف الذي تلمذ على الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ قد كان حياً في سنة ٨٥٤ وهذا أمر بعيد جداً ، ولا مجال للتسليم به . .

ولكن الأمر الذي لا بد من الإشارة إليه هو : أن ما ذكر هنا حول زيادات النيل لا يؤيد كون السيوطي هو مؤلف الكتاب أيضاً فإن السيوطي إنما ولد سنة ٨٤٩ هـ . حسبما تقدم . هذا بالإضافة إلى النصوص التي تقدمت في أوائل هذا البحث .

٢ ـ **النص الثاني** : قال في ١٥٤ :

« ثم الملك الأشرف قانصوه الغوري ، فصار بعسكره إلى مرج دابغ لملاقاة

السلطان الملك المظفر سليم بن عثمان ، فلما التقيا خرّ ميتاً ، وجهل أمره ولم يوجد . ثم مات الملك المظفر سليم بن عثمان بجمرة في ظهره ، وولي ولده السلطان الملك المظفر سليمان شاه أدام الله تعالى أيامه وأصلحها ، وأبعد عنه قرناء السوء الخ . . . » .

ومعلوم أن سليمان شاه هذا قد تولى الحكم في سنة ٩٢٦ هـ . وأن المؤلف قد كان حياً في عصره ويدعو له في كتابه .

ولكن ذلك لا يعني كذلك أن السيوطي هو المؤلف للكتاب أيضاً ، فإن السيوطي قد توفي قبل هذا التاريخ بخمسة عشر سنة ، أي في سنة ٩١١ هـ .

ومن الواضح كذلك : أن المؤلف لا يمكن أن يكون هو تلميذ الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ حسبما أسلفناه . .

٣ ـ **النص الثالث** : قال في ص ٣٠٠ : بعد ذكره مواضع الامالة في القرآن :

« . . . وقد نظم تلك المواضع المذكورة عند مطالعة هذه الفائدة كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محيي الدين الغزى ، فقال :

إن شئت أن تعرف ما يمال خذه مجملاً

شليته الخ . . . » .

وهذا النص معناه أن مؤلف الكتاب ليس هو السيوطي ولا يونس المالكي ، وإنما هو محيي الدين الغزى . . . ولم أجد له ترجمة فيما لدي من الكتب ، حتى أعرف تاريخ مولده أو وفاته . . . إلا أنه يمكن أن يستظهر من كلامه أنه ليس هو مؤلف الكتاب ولكنه أحد من استنسخه وكتبه ، بدليل قوله : « عند مطالعة هذه الفائدة كاتبه العبد الفقير الخ . . » .

فالظاهر أنه حينما انتهى في استنساخه الكتاب إلى هذه الفائدة نظم هذه الأبيات وأضافها في الهامش ثم جاء النساخ بعده فأدرجوها في المتن . . . إن لم يكن هو نفسه قد أدرجها فيه أملاً بخلود الذكر على مر الزمان . .

ومهما يكن من أمر فإن الظاهر هو أن هذا الكتاب قد عبثت به الأيدي وعدت عليه الخطوب . . ولعله قد اختلطت أوراقه بأوراق كتب أخرى ، أو لعله ابتلي بالزيادات والتصرفات المطردة من قبل الأيدي التي تعاقبت عليه ، رغبة في جمع الفوائد واستكمالها قدر الامكان ولعلها هوامش أدرجت في الأصل من قبل النساخ ، ويكون مؤلفه الحقيقي هو يونس المالكي . .

ويمكن نسبة معظم ما جاء في الكتاب إلى هذا المؤلف ، وإن لم يمكن نسبة جميعه إليه . .

والله هو الموفق . . وهو الهادي إلى الصواب .

٢ ـ سر العالمين:

طبع هذا الكتاب في إيران ، وفي الهند ، وفي مصر ، ثم في النجف الأشرف في العراق . . ونسب إلى أبي حامد ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، والمولود سنة ٤٥٠ هـ . المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

وقد نسبه إليه « في تذكرة خواص الأمة ، وتاج العروس ، والاتحاف في شرح الأحياء فراجعه[١] » .

وإن كانت عبارة تذكرة الخواص التي ذكرها كاتب مقدمة كتاب سر العالمين ليس فيها دلالة على ذلك . . . فالعبارة قد جاءت على النحو التالي : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه . فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . . إلى أن قال ابن الجوزي : هذه صورة كلام الغزالي . انظر القصة في كتابنا هذا »[٢] .

فإن سبط ابن الجوزي لم يعين في أي كتب الغزالي ورد هذا النص .

---

(١) الذريعة ج ١٢ ص ١٦٨ .

(٢) مقدمة كتاب سر العالمين ص ٦ عن تذكرة خواص الأمة ط سنة ١٣٨٥ هـ ص ٣٦.

ونسبه إلى الغزالي أيضاً : القاضي نور الله التستري في مجالس المؤمنين ، والشيخ علي بن عبد العالي الكركي ـ فيما نقل عنه ـ والمولى محسن الفيض الكاشي صاحب الوافي ، والطريحي في مجمع البحرين ، زاعمين أنه تشيع في آخر عمره[1] .

ولكننا بدورنا نشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الغزالي إذ :

١ ـ قد قال في نفس هذا الكتاب في ص ١٤٢ :

« أنشد المعري لنفسه ، وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الإسلام :

أنا صائم طول الحياة وإنما فطرى الحمام ويوم ذاك أعيد

لو فزت الخ . . . » .

ومن المعلوم أن المعري قد توفي في سنة ٤٤٩ هـ . والغزالي إنما ولد في سنة ٤٥٠ هـ . فلم يكن شاباً في حياة المعري ليسمعه ، وهو ينشد لنفسه ذلك . .

٢ ـ أضف إلى ذلك : أنه يقول وهو يعد علماء الآخرة : « والقفال ، وأبو الطيب ، وأبو حامد ، واستاذنا امام الحرمين أبو المعالي الجويني » .

فإن المقصود بأبي حامد هو الغزالي نفسه ، وليس من المألوف أن يذكر مؤلف الكتاب نفسه في موارد كهذه ، وبأسلوب كهذا « أبو حامد ، واستاذنا الخ . . » فهذا قرينة على أن مؤلف الكتاب رجل آخر . .

إلا أن يقال : أن ثمة خطأ من النساخ ، وأن الصحيح هو ابن حامد ، ويكون المقصود الحسن بن حامد ، امام الحنابلة في زمانه . . وما أكثر ما يتفق للنساخ تصحيفات من هذا القبيل . . ولكنه على أي حال مجرد احتمال . .

٣ ـ وبعد . . فإننا نلاحظ : أن مؤلف هذا الكتاب ينسب لنفسه كتباً

---

(١) المصدر السابق .
(٢) سر العالمين ص ١٧٦ .

كثيرة لم نجدها في قائمة كتب الغزالي ، وذلك مثل :

١ ـ السلسبيل لأبناء السبيل ذكره في ص ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و ٣٩ و ٥٨ و ٦٨ .
٢ ـ قواصم الباطنية ص ٥٨ .
٣ ـ الأشراف في مسائل الخلاف ص ٨٧ .
٤ ـ المتخل في علم الجدل ص ٨٧ .
٥ ـ نهاية الغور في مسائل الدور ص ٨٩ .
٦ ـ عين الحياة ص ١٠٢ و١٠٤ في موضعين و ١٠٦ و ١١٠ .
٧ ـ معايب المذاهب ص ١٨١ .
٨ ـ نسيم التسنيم ص ١٨٣ .
٩ ـ خزانة سر الهدى ، والأمد الأقصى إلى سدرة المنتهى ص ١٨٩ و ١٨٨ .
١٠ ـ نجاة الأبرار ص ١٨٨ .

ولعل المتتبع في الكتاب يعثر على أسماء مؤلفات أخرى لا يجدها في قائمة مؤلفات الغزالي. ولعل الذين نسبوا بعض الكتب المتقدمة إلى الغزالي قد اعتمدوا على ورودها في هذا الكتاب.

هذا كله . . عدا عما يظهر في الكتاب من هنات ، ولا سيما ما فيه من الخلط وعدم الإنسجام فليلاحظ ذلك .

٣ ـ المعيار والموازنة :

لقد طبع الكتاب في بيروت على ما يظهر سنة ١٤٠٢ هـ. ١٩٨١ م ، ونسب إلى أبي جعفر الاسكافي، محمد بن عبد الله المعتزلي ، المتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

ولكن الظاهر ـ حسبما أشار إليه بعض المحققين ـ هو أن نسبة هذا الكتاب لا تصح ، وإن أبا جعفر الاسكافي لم يؤلف كتاباً بهذا الأسم.

والكتاب على ما يظهر إنما هو لـ « ابن الاسكافي » قال ابن النديم « وهو

أبو القاسم جعفر بن محمد الاسكافي ، وكان كاتباً بليغاً، ورد إليه المعتصم أحد دواوينه ، وتجاوز كثيراً من الكتاب ، وله من الكتب كتاب : المعيار والموازنة في الامامة »[1] .

وقد ذكر محقق الكتاب حفظه الله العبارة الآنفة الذكر حول أبي القاسم ، بعد أن ذكر ترجمة أبي جعفر مباشرة . . فيظهر أنه تخيل الرجلين واحداً ، مع أن الأول اسمه : أبو جعفر محمد بن عبد الله ، والثاني اسمه : أبو القاسم ، جعفر بن محمد بن عبد الله . .

ويظهر : أن الثاني كان ابن الأول ، ولذا يقال له : ابن الاسكافي . . ولا سيما إذا لاحظنا : أن الأول اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ، واسم الثاني جعفر ، واسم أبيه محمد . .

وأخيراً . . فيلاحظ أن النجاشي ذكر في جملة كتب الفضل بن شاذان كتاب : المعيار والموازنة[2] . فراجع .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢١٣ .

(٢) رجال النجاشي ط مركز نشر لكتاب ص ٢٣٦ ، وراجع الذريعة ج ١ ص ٢٧٧ .

مصادر البحث

١ ـ سر العالمين .....

٢ ـ الذريعة ..... للطهراني

٣ ـ مقدمة كتاب سرّ العالمين .....

٤ ـ تذكرة الخواص ..... لسبط ابن الجوزي

٥ ـ الفهرست ..... لابن النديم

٦ ـ رجال النجاشي ..... للنجاشي

فلسفة الأخلاق في الإسلام

محاضرة ألقيت في أمريكا سنة ١٤٠٤ هـ
في المؤتمر السنوي للجماعة الإسلامية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين . .

السلام على سيدنا وإمامنا الحجة ابن الحسن المنتظر ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ورحمة الله وبركاته . .

جعلنا الله من أعوانه وأنصاره والمجاهدين والمستشهدين بين يديه حتى يظهر الله دينه ، ويعز جنده . . إنه ولي قدير . .

والسلام على إمام الأمة وقائدها ، ومفجر الثورة الإسلامية في إيران ، سيدنا نائب الإمام الخميني العظيم حفظه الله تعالى .

والسلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته . . وبعد : .

فإنني أحمل لكم من إيران بلد الإيمان والإسلام تحيات أمل الإمام والامة سماحة آية الله العظمى الشيخ المنتظري حفظه الله تعالى وتمنياته لكم بالتوفيق والتسديد ، وإعجابه بموافقكم الرسالية ، وبإيمانكم المعمق ، الذي دفعكم لإقامة مؤتمرات إسلامية ، تبحث في قضايا وموضوعات إسلامية هامة ومتنوعة ، وبالذات في موضوع « الأخلاق في الإسلام » مع أنكم تعيشون في البلد المتخم

بالانحرافات الخلقية والمفاسد الاجتماعية ، الغارق بالمادة ، الزاخر بالمغريات إلى حد بعيد . .

فمن بلد الإيمان والإسلام ، ومن الشيخ المنتظري إليكم أيها الأخوة أعطر التحيات ، وأعظم التهاني والتبريكات ، مع المزيد من التقدير والإكبار لهذه الأرواح الصافية ، والمطمئنة ، ولتلك الإنسانية الرفيعة النبيلة .

أما فيما يتعلق بموضوع البحث ، وهو « الأخلاق في الإسلام » فإننا نقول :

إنه لا ريب في أن كثيراً من الأعمال لها قيمة مادية ، يحددها الناس والعقلاء ، بملاحظة خصوصيات ، وظروف معينة ، تختلف وتتفاوت من عمل لآخر ، ومن ظروف لأخرى . . فإذا كان العامل الذي يشتغل في البناء ثمان ساعات مثلاً يستحق بنظرهم عشر ليرات مثلاً ، بحيث لو زاد عليها زيادة فاحشة عد ظالماً ، أو نقص عنها كذلك عد مظلوماً . . فإن الطبيب الذي يجري عملية جراحية معقدة في وقت أقل ، يستحق ـ بنظرهم أيضاً ـ أضعاف ما يستحقه عامل البناء ذاك . . وهكذا . .

وفي المقابل . . فإنه لا ريب أيضاً في أن بعض الأمور لا يمكن تقييمها بالمادة مهما عظمت وكثرت ، ولا تكافأ ولا تعوض إلا بمثلها أو بما هو من سنخها ، كالايثار على النفس ، والعفو ، والتضحية في سبيل الآخرين . . فإنها لا تعوض إلا بمثلها ، ولا يوازيها مال ، ولا تعوضها المادة أما المكافأة على ذلك باللامبالات أو بالسوء[1] . . فإنه قبيح ومرفوض من الناس كل الناس ، على اختلاف اتجاهاتهم ، ونحلهم ، وأذواقهم . .

أما إذا استطعنا التعرف على تلك الخصوصية ، وعلى المنطلقات والقيم ، التي تعطي لهذا العمل قيمته المعنوية، فلسوف يساعدنا ذلك على التقييم الصحيح ، والتخطيط السليم في مجال العمل المنسجم ، والمدروس على بعث الأخلاق في المجتمع ، وتقويتها ، وترسيخ قواعدها بحيث تتخذ صفة الأصالة

(١) ليس الاختلاف فيما بينه وبين سابقه بالذات والحقيقة إنما في الكم والمقدار .

وتساهم في الحركة ، وفي الموقف ، وفي صنعهما . . وإن اختلاف الأنظار في فهم ذلك يستتبع اختلافاً في مجالات العمل والنشاط، واختلافاً في التركيز على المنطلقات الضرورية ، التي تساهم في دفع الإنسان ليكون عمله نبيلاً ، واخلاقياً . . الأمر الذي ربما يؤدي الخطأ فيه إلى أضرار كبيرة ، وخسائر فادحة على الصعيد النفسي وفيما يرتبط بالنظام الاجتماعي بصورة عامة . . وكشاهد على هذا الاختلاف في الرأي والنظر بالنسبة للركائز والمنطلقات ، الذي يستتبع الاختلاف في العمل لتقويتها وترسيخها ، فإننا نشير إلى المثال التالي:

إننا نجد المسيحية مثلاً تركز على تقوية روح الحب والعطف والحنان بين الناس ، وذلك إنطلاقاً من نظرتها وتقييمها للعمل الأخلاقي ، ولما يرتكز عليه ، ولمقاييسه ومعاييره بصفة عامة . .

فالمسيحية ترى : أن كل فعل لا بد أن ينشأ عن ميل ورغبة ، وعاطفة ، واندفاع من جهة . . كما أنه لا بد له من غاية وهدف من جهة أخرى . . فإن كانت الغاية للعمل والهدف هي نفس الشخص الفاعل له ، كالعمل من أجل الحصول على مال أو مقام ، أو نحو ذلك ، فإن ذلك العمل لا يكون أخلاقياً . . وإن كان الهدف هو الغير من سائر بني البشر (الإنسان) ، كان عملاً أخلاقياً . . إن كان منشؤه هو العاطفة لا غيرها من سائر الدوافع .

ولأجل ذلك تعمل المسيحية على تقوية روح المحبة بين الناس وربط الإنسان بسائر بني جنسه برباط العاطفة والحنان. . كما قلنا. . ولكنهم لم يلتفتوا إلى أن نظريتهم هذه غير وافية ولا سليمة . . فإن الحب وإن كان أمراً أساسياً وضرورياً وهاماً جداً في حياة الإنسان . . وقد اهتم الإسلام به بصورة فائقة ، كما يظهر من عشرات الآيات والروايات . . ولكنه ليس هو كل شيء في مجال تقييم العمل الخلقي إذ أنه :

أولاً : إننا نجد : أن عملاً قد يكون ناشئاً عن اندفاع عاطفي ، ويكون هدفه هو الغير . . ولكنه ليس أمراً أخلاقيا كالعطف على المجرمين ، الذي يتبعه التدخل لمساعدتهم أو لمنع تعرضهم للعقاب الذي يستحقونه ، من أمثال :

يـزيد بن معـاوية ، والحجاج بن يوسف ، وصـدام المجرم . . وغـيرهم من الطواغيت والمجرمين . .

بل إن التدخل لصالح أمثال هؤلاء يكون أمراً منافياً للأخلاق ، ومضاداً لها . . وقد قال تعالى في مقام الإشارة إلى المنع من التأثر بعاطفة كهذه .

« الزانية والزاني ، فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الخ . . »[1] .

ثانياً : إنه ليس كل عاطفة تؤثر أثرها تجاه الغير ، يكون ما ينشأ عنها عملاً أخلاقياً . . فإنه حتى عاطفة الأم المؤثرة إنما هي ناشئة عن الإحساس الغريزي الطبيعي ، الذي هو أمر غير اختياري ، ويوجد حتى لدى الحيوان ، من أجل حفظ الحياة والوجود ، كسائر الغرائز الأخرى التي لا بد منها من أجل ذلك أيضاً ، مثل حب الإنسان لنفسه ، وغريزة الجنس ، ومثل الجمال ، والقوة ، وغير ذلك . .

ثالثاً : إن عاطفة كهذه قد تؤثر في اتخاذ موقف ما تجاه غير الإنسان أيضاً ، فإن المنع من إطالة الأظافر حتى لا تؤذي ضرع الحيوان حين حلبه . والذي هو من تعاليم الإسلام الزاخر بأمثال هذه التعاليم . إن هذا . . لا شك في كونه عملاً أخلاقياً ونبيلاً ، فلا معنى لتخصيص العمل الأخلاقي ، بما كان يهدف إلى خدمة خصوص الإنسان . .

أما « كانت » فيرى :

أن الأخلاق تنبع من ضمير الإنسان ووجدانه، فكل ما يحرك الوجدان فهو عمل أخلاقي .

وهو يقول : أن العقل العملي ، والوجدان ، توأمان ، فالأول يحكم بحسن العمل ، وأنه مما ينبغي المبادرة لإيجاده خارجاً (وهو ما يسمى بالعقل

---

(١) سورة النور : الآية ٢ .

العملي) . والوجدان يحرك نحو تحقيق ما يحكم به العقل العملي . . وأحكام العقل العملي هذه أحكام عامة مطلقة ، فهو يحكم بحسن الصدق مطلقاً ، أي أنه يكون حسناً على كل حال ، وفي كل مورد . .

أما العقل النظري (والمراد به : الذي يتصدى للأمور العقلية النظرية الصرفة ، فيستدل عليها بالدور أو بالتسلسل مثلاً ، من أجل أن تعلم ، لا من أجل أن تعمل وتفعل ، كما في الاستدلال على وجود الله سبحانه وغير ذلك . .)

هذا العقل النظري لا وجود له عند« كانت » على الاطلاق . .

ويضيف : أن الأخلاق إنما تدعو إلى الكمال ، لا إلى السعادة ، أي أن الإنسان يتطلب بعمله الأخلاقي الوصول إلى الكمال . . وليس ثمة تلازم بين الكمال والسعادة عنده ، فقد يصل الإنسان إلى الكمال بواسطة عمل أخلاقي ما ، ولكنه لا يكون سعيداً ، بل يكون في ألم وعناء ، وشدة وبلاء . .

وهو يقصد بالسعادة خصوص اللذة والراحة الجسدية والمادية . .

ولكن جميع ما تقدم مما لا تمكن الموافقة عليه بأي وجه ، وذلك بملاحظة النقاط التالية :

١ ـ إن إنكار العقل النظري ما هو إلا إنكار لأمر بديهي ، إذ بهذا العقل يمكن إثبات وجود الله تعالى ، وإثبات أن الإنسان مختار ، وأنه مريد ، وغير ذلك من أمور كثيرة وضرورية .

٢ ـ إن معنى كون الأحكام الأخلاقية مطلقة ، هو أن يكون الصدق حسناً مطلقاً حتى ذلك الصدق الذي يوجب هلاك نبي أو مصلح اجتماعي كبير أو هلاك أمة بأسرها ـ نعم هلاكهم ـ بلا ذنب وبلا سبب وبفعل عمل طاغوت متجبر . . .

٣ ـ إن ما ذكره من عدم التلازم بين الكمال والسعادة ، واعتبار السعادة ، منحصرة بالأمور المادية . . لا يصح . . أيضاً . . فإن لذة الروح والنفس هي اللذة الحقيقية ، وهي الأبعدُ أثراً ، وأكثر أصالة . . فقد يكون الإنسان معذباً

جسدياً ، لكنه سعيد روحياً ، وهذا هو السر في أن طعم الموت يكون أحلى من العسل لدى القاسم بن الحسن . وهو ما يفسر لنا قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، حينما ضربه ابن ملجم . . « فزت ورب الكعبة » .

كما أننا نجد الشباب المؤمن في الجمهورية الإسلامية يتسابقون للموت ، ويرون أعلى درجات سعادتهم هو استشهادهم ، حتى إن من لا ينال هذه الدرجة منهم يكون كئيباً وحزيناً وغير سعيد . .

وبعد . . فإن لذة العلماء في اكتشافاتهم العلمية ، وكذلك لذة العباد والزهاد في عبادتهم وتهجدهم ، لا يمكن أن ينكرها أحد ، رغم أنهم قد يكونون يعانون الكثير من التعب ، والعناء ، والجهد والبلاء الجسدي في ذلك .

بل إن نفس وصول الإنسان إلى درجة الكمال يمثل لذة روحية عالية ، لا يمكن إنكارها ، ولا المماراة فيها[1] .

وثمة نظريات أخرى حول الأخلاق . . فإن الأخلاق عند الشيوعيين تقوم على أساس مادي بحت ، إنطلاقاً مما أسموه فلسفة لهم عن الكون وعن الحياة . . .

وقد ناقش العلماء والمفكرون ، ونخص بالذكر منهم : العلامة الطباطبائي ، والشهيد الصدر ، والشهيد المطهري ـ ناقشوا نظريات الشيوعيين هذه ، وأبطلوها بالبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة ولم يبقوا عذراً لمعتذر ، إلا من مداج أو مكابر متكبر ، لا يؤمن إلا بما يمليه عليه الهوى ، وتفرضه عليه الرغبات والميول . .

كما أن بعض النظريات قد حاولت إنكار الأخلاق من الأساس . . وبعضها حاول إعطاءها صفة غير إنسانية . . ونحن لا نرى حاجة للتعرض

---

(١) قد استفدنا في كثير مما تقدم من بعض أفكار الشهيد المفكر الإسلامي الكبير الشيخ المطهري رحمه الله تعالى ، مع بعض التقليم والتطعيم ، فليلاحظ ذلك . .

لتفنيدها في عجالة كهذه معتمدين على تنبه وحصافة من يتسنى له الاطلاع عليها . .[1] .

ويبقى أن نشير إلى رأي الإسلام في الأخلاق فنقول :

١ ـ إن الإسلام يمتاز بالشمولية ، وبالعمق ، وبأنه كل مترابط لا يتجزأ . . وهذا يعني : أن التعرف على رأيه في أية قضية كانت يتطلب جهداً خاصاً وكبيراً ، ومزيداً من البحث والدراسة والتمحيص ، ولا سيما إذا لاحظنا أن كلام الله سبحانه ، وكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلام الأئمة عليهم السلام دقيق وعميق ، يحتاج إلى المزيد من الدقة في فهم معانيه ومراميه ، حتى إن تغير كلمة واحدة في جملة صغيرة لربما يغير المعنى تغييراً أساسياً له آثاره على الصعيد العلمي بشكل واسع .

ولأجل ذلك . . ولأجل عوامل أخرى ، لا مجال لبحثها الآن ، نقول : إنه ليس منطقياً ـ إذا أردنا معرفة رأي الإسلام في قضية ما ـ أن نكتفي بمراجعة بسيطة وعابرة وساذجة لآية أو لحديث أو أكثر ، ثم إصدار الأحكام وإعطاء النظريات والضوابط على أنها هي كل رأي الإسلام في ذلك .

فمثلاً : العفو عن الآخرين ، وإن كان لا ريب في رجحانه على وجه العموم . . ولكن إذا أردنا تحري التفاصيل والجزئيات فيه ، فإننا نحتاج إلى مزيد من البحث ، والمزيد من الدقة في الآيات والروايات لنستخلص ممن ، وعمن يكون العفو ، وما هي غايته ؟ وما هي آثاره على العافي ، من جهة ، وعلى المعفو عنه من جهة أخرى ؟ وما هي آثار العفو على صعيد الواقع العام ؟ وما هي شرائطه وحدوده ؟ وما هو مدى ربطه بأخلاق وخصائص الإنسان ؟ وكيف ؟ وهكذا . .

ولأجل كل ما تقدم : فإننا سوف نكتفي في هذه العجالة بعرض سريع لما أمكن فهمه فيما يرتبط بالأخلاق في الإسلام . . مع تأكيدنا على مسيس الحاجة

---

(١) راجع على سبيل المثال : مجلة « التوحيد » ، السنة الأولى العدد الخامس .

للتوفر على دراسة هذا الموضوع بشكل أعمق ، وبصورة أتم وأوفى . .

٢ ـ إن الإنسان في مسيرته الحياتية ، وفي كل حركاته ، وأفعاله ، ومواقفه يحتاج إلى دافع ومحرك ، وإلى هدف وغاية . . ولا بد من التعرف على كلا الأمرين من وجهة نظر الإسلام أولاً . .

فأما بالنسبة للهدف والغاية . . فإننا نبادر إلى القول : إن هدف الإسلام هو إيصال الإنسان كفرد ، وكأمة إلى السعادة التامة والشاملة ، والحقيقية ، بكل ما لهذه الكلمات من مدلول ومعنى . .

وهذه السعادة لا تنتهي بانتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا ، وإنما تتجاوزها ، لتكون دائمة وخالدة وأبدية ، ليست الدنيا إلا مرحلة تهيؤ وإعداد لها ، حيث ينتقل الإنسان منها إلى مرحلة أخرى ، أكبر وأوسع تتجسد فيها إنسانية الإنسان ، ليعيش واقعه وأصالته ، بحيوية ، وواقعية وعمق . .

وفي الحقيقة : فان هذه السعادة لا يمكن الحصول عليها إلا في ظل الرعاية الالهية ، والهيمنة والتربية الربانية ، فإليه القصد ، وهو الهدف والغاية ، وكل شيء يجب أن يكون في سبيل الله ، ولوجه الله ، وباتجاه الله سبحانه ، وبذلك يحصل التكامل لإنسانية الإنسان ويحصل السمو له . .

﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ، فملاقيه ﴾[1] .

نعم . . هذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية بنظر الإسلام . وإدراك ذلك ، وإدراك كثير من خصوصياته إنما هو من معطيات العقل النظري ليس إلا . .

وواضح : أن للهدف والغاية من الفعل دوراً أساسياً في كون الفعل أخلاقياً أولاً . فالعمل المعبر عن الشجاعة قد يكون لإذلال الآخرين ، والتعدي عليهم ، وقد يكون لاحقاق الحق ، والدفع عن المستضعفين . كما أن بذل المال مثلاً ، حين يقصد بها الرياء والسمعة ، أو إذلال الآخرين واستعبادهم أو ليشوه

---

(١) سورة الانشقاق ٦ .

حقيقة ، أو ليقتل إنساناً ، أو شعباً ـ ولذلك الكثير من الشواهد التاريخية ـ إنه حين يكون كذلك ، فإنه يكون عملاً منافياً للأخلاق ومضاداً لها .

وأما إن كان لعاطفة جاشت بسبب رؤية عجز وحاجة وضعف الآخرين ، وليس وراء ذلك أي شيء آخر ، فهو من قبيل عواطف الأم تجاه ولدها حسبما قدمناه . أما إذا كان لله سبحانه وفي سبيله ، ولمحض رضاه ، فإنه يكون عملاً أخلاقياً ، يستحق فاعله الأجر الجميل والثواب الجزيل . . قال تعالى وهو يمدح أمير المؤمنين ، والزهراء ، والحسنيين عليهم السلام على إطعامهم اليتيم ، والمسكين ، والأسير ، في حين أنهم عليهم السلام كانوا بأمس الحاجة إلى ذلك الطعام حيث إنهم كانوا يصومون تلك الأيام ، ولا يجدون إلا الماء ليفطروا عليه ـ قال تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ، ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، فجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾[1] .

وقال تعالى في موطن آخر : ﴿ الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم ، وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ، والذين آمنوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾[3] .

والآيات والروايات التي تدخل في هذا المجال كثيرة جداً لا مجال لإحصائها .

وبالنسبة للأمر الثاني ، وهو الدافع والمحرك ، فإننا نقول : إن من الطبيعي أن تكون إطروحة الإسلام في مجال الدفع ، وتنظيم الحركة نحو ذلك الهدف منسجمة مع نظرته تلك ، ومع حجم المسؤولية التي يتحتم عليه

---

(١) سورة الإنسان ٨ ـ ١٢ .
(٢) سورة التوبة ٢٠ .
(٣) سورة الأنفال ٧٤ .

الاضطلاع بها في هذا المجال . . الأمر الذي يعني : أنه يقيم علاقات الإنسان بالدنيا ، وبكل ما يحيط به ، وحتى بنفسه تقييماً صحيحاً ، يعطيها حجمها الطبيعي ، الذي ينسجم مع حجم الدور الذي يؤهله الله للقيام به ، في مسيرته نحو هدفه الأسمى في حياته الخالدة والدائمة والباقية .

وواضح : أن الإنسان تارة ينساق نحو إيجاد فعل من نوع ما في الخارج ، بدافع العاطفة ، كما في اندفاع الأم لإرضاع طفلها ، وأخرى ينساق إلى ذلك استجابة لأمور طبيعية ، أو غريزية كداعي غريزة الجنس ، أو دافع الجوع ، أو العطش ، أو نحو ذلك ، فيأكل ، ويشرب ، ويمارس الجنس الخ . . . وقد يكون العقل هو الذي يدرك المصلحة في عمل ما فيصدر الأمر للإرادة للتحرك نحو إيجاد ذلك الفعل ، حتى ولو كان ذلك على خلاف المشاعر العاطفية ، والمتطلبات الغريزية فعلاً . . فنجد الأم تقدم على إجراء عملية جراحية لولدها ولو ببتر أحد أعضائه لتنجيه مما هو أقسى وأدهى ، رغم أن ذلك لا ينسجم مع انفعالاتها العاطفية ، وميولها ورغباتها الطبيعية . . وكذلك فيما يرتبط بالإقدام على شرب الدواء المر من أجل الحصول على الشفاء .

وذلك لأن العقل قد أوضح لها : أن الأقرب إلى حفظ ولدها وسعادته وكماله هو هذا العمل بالذات ، والشواهد على ذلك كثيرة .

وعلى هذا الأساس . . فإن العقل لا بد وأن يكون هو المهيمن على جميع القرارات ، والتصرفات ، التي يكون الدافع إليها هو الرغبات والعواطف والنزعات الغريزية والطبيعية ، فهو المبدأ ، وإليه المنتهى ، وهو صاحب القرار النهائي ، الذي يصدر تعليماته للإرادة سلباً أو إيجاباً وعليه أن يستفيد من هذا الرصيد العاطفي ، والطبيعي والغريزي ـ كالحب والجمال ، والشجاعة والجنس ، وغير ذلك ـ في مجال تنفيذ أحكامه ، وتطبيق قراراته ، التي تقوم على أساس إدراكه للواقع الموضوعي وترجيحاته فيما بين المصالح والمفاسد التي يواجهها ، ويوجهها بمساعدة العقل النظري نحو الهدف الأقصى ، وهو المولى جل وعلا : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ . .

وأما إذا كان لا بد من إطلاق العنان لتلك الرغبات والغرائز ، والعواطف والميول ، واعتبار الأعمال والمواقف التي تنشأ عنها ـ بمفردها ـ من الأخلاق . . فإن معنى ذلك هو أن يصير عقاب المجرمين قصاصاً حتى يزيد بن معاوية ، والحجاج بن يوسف ، عملاً غير أخلاقي .

بخلاف ما لو كانت الهيمنة ، وكلمة الفصل هي للعقل ، فإن عدم قصاص المجرم يكون عملاً منافياً للأخلاق ، ومضاداً لها . . حتى إننا نجد جميع العقلاء لا يرضون عن موقف كهذا ، ويقبحونه ، ويقفون ضده . .

وإذن . . فقد يقتل الإنسان المئات أو حتى الالف والالآف من الأشخاص في ساعة واحدة ، كما فعل رسول الله (ص) في بني قريظة ويكون عمله أخلاقياً . . ثم هو في نفس الوقت يذوب حناناً وعطفاً على من قتلهم بالذات ، حتى ليعاتبه الله على شدة حزنه على أعدائه الذين أخرجوه، وحاربوه، ويبغون له الغوائل : فيقول : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾[1] ، ويقول : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ، إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾[2] . .

وكذلك بالنسبة لمواقف الحسين عليه السلام ، وتقديمه أصحابه ، وأولاده وأهل بيته ونفسه ضحايا في سبيل اعزاز الدين ، وإعلاء كلمة الله سبحانه . . وكذلك يقال في آباء وأمهات الشهداء في الجمهورية الإسلامية المباركة . . وكل ذلك عمل أخلاقي ، غايته وهدفه هو الله ، ومبدؤه الفكر الصحيح وحكم العقل بحسن ذلك وجدواه . .

٣ ـ ولكن . . يبقى أن نشير إلى أن هذا العقل ، نتيجة لمحدوديته وقصوره ، بسبب كثير من العوامل الأخرى . . قد يعجز عن إدراك كثير من الأمور والملابسات ، التي لها مساس مباشر أو غير مباشر في امكانية إصداره للقرارات أو في صحة وسلامة ، واستيفاء سائر الجوانب التي لا بد من ملاحظتها في القرارات الصادرة . . الأمر الذي يحتم عليه الاستعانة بمن هو أكثر إطلاعاً

---

(١) سورة فاطر ٨ .

(٢) سورة الكهف ٦ .

منه ، وأكثر إدراكاً لـحقيقة الظروف الموضوعية وملابساتها التي تفرض نفسها . . ومَن غير الله العالم بكل شيء ، والمهيمن على كل شيء ، يعلم بحقائق الأمور ، وبحقيقة العوامل والظروف والملابسات المؤثرة فيها ، سلباً أو إيجاباً ؟ !

فعلى العقل بعد أن يدرك نظرياً حقيقة التوحيد ، ويلم بالقدرة والصفات الالهية ، ـ عليه ـ أن يستمد من ناحيـة المولى جل وعلا ، وأن يستعين بالوحي للوصول إلى كنه ما يعجز عن الوصول إليه لولاه . .

فإذا أمده الوحي الإلهي ، فإن عليه أن يصدر تعليماته الحاسمة للإرادة لتتحرك نحو تحقيق وإيجاد ذلك الفعل لوجه الله ، وفي سبيله ، ولمحض القربة له سبحانه . .

وهكذا . . فإنه حتى قطع يد السارق ، وقتل القاتل يصير عملاً إنسانياً وأخلاقياً ، إذا نشأ عن حكم العقل ـ ولو بمعونـة الوحي ـ بحسنه ، وبـتحقق المصلحة فيه . . إذا كان تحقيقه وإيجاده بداعي القربة إلى الله ، وفي سبيله سبحانه وتعالى . .

وهكذا . . يتضح : أن الأخلاق لا تختص بالأفعال الراجحة ، التي تتخذ صفة الرجحان مـن خلال تعبيرها عن السهولة في التعامل ، وعن المشاعر المرهفة ، والعواطف الجياشة ، وما أشبه ذلك . . وإنما تشمل كل الأحكام التي تـوصل إلى السعادة، وإلـى الهدف الأسمى الذي هو لقاء الله سبحـانه. فهي إذن تشمل جميع أحكام الشرع ، وتعاليم الدين حتى السياسية منها ، وحتى أحكام القصاص والحدود ، والديات وغير ذلك . .

ويؤيد ذلك بل يدل عليه . .

أ ـ قوله تعالى بالنسبة لقوم هود ، حينما دعاهم للإيمان ، والتقوى ، والطاعة ، وأنذرهم فكذبوه . . قال تعالى بعد عدة آيات مباركة :

﴿إني أخـاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ . قالـوا: سواء علينا، أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين. وما نحن بمعذبين فكذبوه

فأهلكناهم . . . الخ . . ﴾[1] .

فقد كان جوابهم لهود (ع) : أن الدين الذي يلزمون به أنفسهم هو دين الأولين من الآباء والأجداد ، ولا يريدون التحول عنه ، كما قال تعالى : ﴿ اجئتنا لنعبد الله وحده ، ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله قالو: بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[3] .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ ن . والقلم ، وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . إن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم . فستبصر ويبصرون . بايكم المفتون . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾[4] .

فإن سياق الآيات يعطي : أن المقام مقام الموازنة والمقارنة بين ما هم عليه وبين ما جاء به النبي (ص) وأن النبي ليس بمجنون كما يدعون وإنما هو مدرك وعاقل ، وملتفت لما جاء به . . وهذا يناسب أن يكون المراد بقوله : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم﴾ هو الدين، والنبي (ص) ليس بمجنون * ولسوف يبصر ويبصرون صحة ذلك . . والله هو العالم بالضال من المهتدي .

وليست الآيات في مقام مدح الخصال الخلقية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وليس فيها ما يناسب ذلك وقد روى عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وانك لعلى خلق عظيم قال: هو الإسلام﴾ وروى أن الخلق العظيم: الدين العظيم . وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر (ع) في تفسير الآية قال : أي على دين عظيم[5] .

---

(١) سورة الشعراء ١٣٥ ـ ١٣٩ .
(٢) سورة الاعراف ٧.
(٣) سورة البقرة ١٧٠ وراجع سورة المائدة ١٠٤ .
(٤) القلم : ١ ـ ٧.
(٥) راجع تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٦٩ .

ج ـ ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، من أنه قال : « إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق »[1] . . وذلك بملاحظة حصر ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، بواسطة كلمة إنما . كما ويفهم من ذلك أن ما جاء به الأنبياء السابقون هو ذلك أيضاً . . ويؤيده أيضاً ما روى من طريق أهل البيت عنه (ص) من أنه قال « عليكم بمكارم الأخلاق فإن ربي بعثني بها . . » .

والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى ، محمد وآله الطاهرين .

المصادر والمراجع :

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ تفسير البرهان ..... للبحراني

٣ ـ التوحيد ..... (مجلة)

٤ ـ سفينة البحار ..... للقمي

٥ ـ مكارم الأخلاق ..... للطبرسي

بالإضافة إلى بعض كتب الشهيد المطهري .

(١) راجع : مقدمة كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٨ سنة ١٣٩٢ هـ وسفينة البحار ج ١ ص ٤١٠ و ٤١١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن .. ونهج البلاغة

كتب هذا البحث ليكون مقدمة لكتاب حول موضوعات نهج البلاغة ألفه سماحة آية الله المشكيني حفظه الله، ونحن نورده هنا أيضاً رجاء أن ينفع الله به، إنه ولي التوفيق .

بتاريخ ١/شوال/١٤٠٤ هـ.

بداية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين . .

وبعد :

فإنه إذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ، هو ذلك التجسيد الحي ، والنموذج الفذ للإنسان الكامل في إنسانيته ، الذي أراد الله له أن يكون منار السالكين ، ومدرسة الأجيال ، وقدوة الأمم . . فإن نهج البلاغة ـ كتاب علي عليه السلام ـ هو ذلك الكتاب الغني عن التعريف والتوصيف ، بعد أن كان دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوق . . ولقد كان وسيبقى على مر العصور نوراً تشرق به دروب العارفين، وبصيرة وهدى للمستبصرين . .

وكذلك . . فإنه إذا كانت معرفة علي عليه السلام ضرورة لا بد منها لكل مسلم مؤمن بربه ، تابع لدينه ، فإن معرفة نهج البلاغة ـ كتاب علي (ع) ـ وهو فكر علي (ع) وعقله ، وأسلوبه ، وحياته . . وغير ذلك ضرورة لا بد منها لكل

مؤمن تقي، وعارف وفي، بل وحتى لكل كيس عاقل، ومتعلم عامل..

كما أنه بمقدار استغناء أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام عن الناس، كل الناس.. ـ نعم.. بهذا المقدار إن لم يكن بأزيد منه ـ كانت حاجة الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وافتقارهم إلى النهل من معينه الذي لا ينضب، وإلى التأسي والاقتداء به، وهو الأمثولة التي لا تجارى، وإلى الاقتباس من نوره، وهو الشعلة التي لا تخبو..

الظلم المزدوج :

ولكن الحقيقة هي: أن نهج البلاغة قد ظلم في علي عليه الصلاة والسلام.. تماماً كما ظلم علي عليه السلام في نهج البلاغة.. فأما ظلم نهج البلاغة في علي عليه السلام؛ فلأن أعداء علي عليه السلام، والحاقدين عليه، قد طعنوا في هذا الكتاب وأثاروا الشبهات حوله، سعياً في إبطال آثار أمير المؤمنين عليه السلام، والتعتيم على مناقبه الجليلة، وآثاره الفريدة والنبيلة.

هذا.. عدا عن أنهم أرادوا التمويه والتشويه في حقيقة موقفه صلوات الله وسلامه عليه من كثير من القضايا، التي صرح في نهج البلاغة، وفي غيره بما يخالف هوى نفوسهم فيها، وبما ينافي ما يعتقدونه، أو ما بنوا عليه أفكارهم وعقائدهم، ولا سيما فيما يتعلق بموقفه من الخلفاء، الذين تسلموا أزمة الأمور قبله، وبالأخص ما جاء في الخطبة الموسومة بالشقشقية، التي ربما يكون فيها من شيء القسوة والمرارة، الأمر الذي دعاهم لأن ينكروا هذا الكتاب وغيره من مواقفه وآثاره عليه السلام من الأساس؛ ظناً منهم: أن ذلك سوف ينهي بشكل أو بآخر أمر ذلك الذي رأوا فيه مصدراً لمتاعبهم، ومناقضة لأفكارهم وعقائدهم، أو فقل هكذا خيل لهم.

وقد يكون الكثيرون منهم إنما يفعلون ذلك بحسن نية، وسلامة طوية؛ وذلك لأن اعتقادهم بأنه عليه السلام يذهب إلى نفس رأيهم في الخلافة والإمامة

بعد رسول الله (ص)، وفيمن تصدى لها قبله (ع)، وفي غير ذلك من أمور - إن اعتقادهم بذلك - قد جعلهم يقتنعون - ومن دون أي تبين أو تحقيق - بافتئات ذلك عليه ، وعدم صحة نسبته إليه عليه السلام . .

ولا نريد أن نفيض في الرد على هؤلاء وأولئك ، ولا أن نسهب القول في إثبات صحة نسبة ما في نهج البلاغة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد كفانا العلماء الأبرار ، والمحققون المنصفون الأخيار مؤنة ذلك ، حيث قد أثبتوا بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة : أن النهج لا يمكن أن يكون من إنشاء الرضي ، ولا من إنشاء غيره عدا أمير المؤمنين عليه السلام ، وأثبتوا أن مضامينه ونصوصه موجودة في عشرات بل في مئات المصادر التي ألفت قبل عهد الشريف الرضي بزمان ، أو ألفت بعده . . لكنها لم تعتمد على كتاب الرضي فيما أوردته من نصوص . إلى غير ذلك من الدلائل والشواهد القاطعة فيما يرتبط بذلك . .

وأما ظلم علي عليه السلام في نهج البلاغة . . فقد كان من الأعداء والحاقدين - على النحو الذي قدمناه آنفاً - ومن الأصدقاء والمحبين أيضاً ، على حد سواء ، وما ذلك إلا لأن هذا الكتاب لم ينل بعد من الأصدقاء والمحبين ما يستحقه من عناية واهتمام ، ولا نظروا إليه تلك النظرة الشمولية والواعية ، التي تمنحهم القدرة على استخراج كوامنه ، والاستفادة من كنوزه وجواهره . .

كلام علي عليه السلام :

وإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو القرآن الناطق ، وهو ذلك التعبير الصادق ، والتجسيد الحي للإسلام ، كل الإسلام . . حيث إن الإسلام قد ذاب في علي عليه السلام ، كما ذاب علي عليه السلام في الإسلام . . فكان الإسلام في سلوكه ومواقفه ، والإسلام في فكره ووجدانه ، والإسلام في كلماته وتوجيهاته .

وكذلك . . إذا كان الإسلام هو ذلك الكل المترابط الذي لا يتبعض ولا يتجزأ . . وإذا كان لا يقبل من أحد أن يؤمن ببعض الكتاب ، ويكفر ببعض ،

بل هو يصدق بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً . .

إذا كان كذلك . . فإن فهم فكر ، ومواقف ، وسلوك وعواطف ، وكلام وتوجيهات علي عليه السلام يحتاج إلى استيعاب وشمولية في الإطلاع على ذلك كله ، وكذلك إلى عمق في التفكير ، ودقة في الملاحظة ، وسلامة في المقارنة والربط بين ذلك كله . . حتى بالنسبة لما ربما يبدو للوهلة الأولى سهلاً ، وواضحاً ، وحتى بديهياً أيضاً . . ولكنه بعد التأمل والتدقيق ، وملاحظة مدى ارتباطه بغيره يعلم : أنه ليس بتلك السهولة ، ولا هو بذلك الوضوح .

بين اختيارات الرضي . . واختيارات غيره :

ولعل أول من صنف في كلام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو أصحابه الميامين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، مثل زيد بن وهب الجهني ، الذي أدرك الجاهلية والإسلام ، الذي له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمعة والأعياد وغيرها[1] ؛ كما أن لعبد الله بن الحر الجعفي كتاباً عن علي عليه السلام[2] ؛ ومنهم أيضاً الحارث الأعور الهمداني رحمه الله ؛ فقد روى الكليني والصدوق : أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب مرة خطبة بليغة ؛ فقال أبو اسحاق السبعي للحارث الأعور : « أو ما حفظتها ؟ قال : قد كتبتها ، فأملاها علينا الحارث من كتابه »[3] .

وغير هؤلاء ممن جاء بعدهم كثيرون وكثيرون جداً ، كما يعلم من مراجعة كتاب مصادر نهج البلاغة (ج ـ ١) ، و « يادنامه كنگرهٔ هزارهٔ نهج البلاغة » مقال العطاردي (فارسي) ، وغير ذلك . .

وإنه وإن كان الكثيرون قد سبقوا الشريف الرضي (رض) إلى جمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه ومواعظه ، إلا أن أفضل ما وصل إلينا منها ،

---

(١) الفهرست للشيخ الطوسي ص ١٤٨ ومصادر نهج البلاغة ص ٥١ .
(٢) رجال النجاشي ص ٧ .
(٣) الكافي ط . الإسلامية ج ١ ص ١٠٩ وبهج الصباغة ج ١ ص ٥ . عنه وعن الصدوق ، وراجع أيضاً سفينة البحار ج ١ ص ٣٩٢ .

وأكثرها نفعاً واتقاناً ، وأعظمها بركة كان كتاب الرضي (رض) هذا .

ولعل امتياز هذا الكتاب يكمن في أنه عدا عن أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وحسبه ذلك عظمة وسمواً وخلوداً ، قد اختاره الشريف الرضي على أنه يمتاز ـ بنظره ـ بصفة كونه في أرقى درجات الفصاحة والبلاغة ، وحسن السبك ، وجمال الأداء ، مع كونه جامعاً لمختلف ضروب الحكمة ، وسائر فنون الكلم ، وكافة روائع الأدب ، هذا عدا عن أن جامعه هو علم من الأعلام ، وغرة زاهرة في جبين الأيام ، معروف بالعلم والأدب والفضيلة ، مع كرم وإباء ، وعزة وسناء ، ووفاء وإخاء .

شروح نهج البلاغة :

ولقد أدرك العلماء والباحثون ـ نسبياً ـ مكانة وأهمية نهج البلاغة ، فشمروا عن سواعد الجد ، للكشف عن مراميه ، وشرح معانيه ، وقد ظهر له من الشروح حتى الآن ما يعد بالعشرات . . وقد بدأ ذلك من عصر الرضي نفسه ، حيث كتب معاصره السيد علي بن ناصر ، شرحاً لهذا الكتاب ، وشرحه أيضاً القاضي عبد الجبار والموبري وهما من أعلام القرن الخامس ثم توالت الشروح له ، وتتابعت ، فشرحه البيهقي الشهير بفريد خراسان ، والراوندي والكيدري . والفخر الرازي ، وابن أبي طي ، وابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي ، وابن طاووس وابن الساعي ، وابن ميثم البحراني ، والصغاني العمري الحنفي[1] وغيرهم كثيرون . .

إلا أن ملاحظة ما انتهى إلينا من هذه الشروح ، يعطي : أنهم عموماً يعتمدون طريقة التفسير التجزيئي . وإن كان بعضهم يكتفي بشرح كلماته لغوياً ، وآخر يهتم بإبراز الجانب التاريخي أكثر من سائر الجوانب ، كما هو الحال بالنسبة لابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي ، وثالث : يطغى على شرحه طابع

---

(١) راجع في ذلك كله كتاب : مصادر نهج البلاغة ج ١ من ص ٢٠٢ حتى ص ٢٢٦ . وذكر أثناء ذلك ، وبعده شروحاً كثيرة أخرى زادت على المئة . .

خاص فرضته عليه طبيعة تكوينه الثقافي والفكري ، كالناحية الفلسفية ـ كابن ميثم ـ.

أما التستري ، فيقول عن نفسه : « فرأيت أن أكتب بعون الله تعالى شرحاً جامعاً فيه من التاريخ ، والأدب والأخبار القوية ، والأخبار التي تكون حجة بقدر الحاجة الخ »[1] إلى غير ذلك من نواح فكرية وعقائدية ، وأدبية وغيرها ، تركت بصماتها ظاهرة على ما ظهر لهذا الكتاب من شروح .

وأما عن البحوث التي كتبت ، وتكتب حول نهج البلاغة وموضوعاته ، فهي تعتمد في أكثرها ـ فيما أعلم ـ أسلوب الملاحظة العامة المبني على بعض المقارنات . والمرتكز بالدرجة الأولى على الأجواء والمنطلقات ، والأفكار والرواسب التي يحملها ذلك الباحث نفسه من دون التفات إلى حقيقة فهم الإمام علي عليه السلام نفسه للقضية ، ومنطلقاته في التفكير فيها ، ونوعية تفاعله معها ، وكيفية وأسلوب معالجته لها .

فهي تفتقر إلى المزيد من التحري والدقة ، وإلى المزيد من العمق في فهم حقيقة ما يرمي إليه عليه السلام ، وإلى التعامل مع النص من نفس منطلقاته عليه السلام ، وبنفس أسلوب معالجته .

هذا كله . . إلى جانب : أن الكثيرين من الباحثين يكررون الكثير من الأفكار والأبحاث ، ولا يأخذون بمبدأ توفير الوقت والجهد ، وعدم الحاجة إلى تكرار التجربة ، وهدر الطاقات . .

ولعل من المفيد في هذا المجال : أن يزوَّد الباحثون الذين يطلب منهم تقديم دراسة في ، أو عن نهج البلاغة ـ يزودّون ـ بما كتبه الآخرون ، وتوصل إليه العلماء والباحثون .

أضف إلى ذلك : أن من الضروري التوجه لإبراز كافة جوانب نهج البلاغة ، ولا سيما ما كان منها أسلوباً وحركة ، وحياةً ، وموقفاً . . حتى وإن

---

(١) بهج الصباغة ج ١ ص ٨ .

كان ذلك على شكل بحوث جزئية ومتناثرة في البداية ، لتكون النواة والبداية للنظرة الشمولية الواعية والمتكاملة . .

الشريف الرضي ونهج البلاغة ؛

هذا ولا بأس بالإشارة هنا إلى الأمور التالية :

ألف : إن الشريف الرضي قد اهتم في اختياراته لخطبه وكتبه وكلماته عليه السلام بالجانب البلاغي ، فاختار من ذلك ما يدخل في هذا السياق ، وما رآه واضح النهج والأسلوب ، تام الظهور والدلالة في الناحية المشار إليها . . وأهمل ذكر الأسانيد التي اعتمد عليها ، إما لشهرة ذلك عنه عليه السلام ، أو لكونه موجوداً في الكتب والمصادر المتداولة في زمنه رحمه الله تعالى بشكل مكثف . وإن كان الكثير من تلك المصادر لم يصل إلينا حتى الآن ، بسبب طول المدة ، وتوالي عوادي الزمن .

هذا : ولكن بعد أن ظهرت بعض الشبهات والتشكيكات من بعض المتعصبين والحاقدين ـ وليس ذلك بالأمر العجيب ، فقد حاول المشركون من قبل والمستشرقون وتلامذتهم من السطحيين الحاقدين من بعد التشكيك حتى بالقرآن ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ بعد أن ظهرت هذه التشكيكات ـ قام عدد من العلماء والباحثين بتحري المصادر التي أوردت نفس النصوص الموجودة في نهج البلاغة . .

حسبما أشرنا إليه فيما سبق ـ بعد ذلك كله ـ فإننا نجد : أن ما جاء منها في هذه المصادر يختلف جزئياً عما جاء في نهج البلاغة ؛ وذلك بسبب أن الشريف الرضي قد اعتمد فيما نقله على مصادر أخرى غيرها على ما يظهر ، فلا بأس بالمقابلة والمقارنة بين النصوص ، والتحقيق قدر الإمكان فيها .

باء : وإننا في نفس الوقت الذي نشكر فيه لهؤلاء العلماء جهودهم الكريمة في الدفاع عن نهج البلاغة ، وحشدهم الكثير من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، التي تؤكد على أنه لا مجال لأي من تلك الشبهات التي أثيرت حول

هذا الكتاب . . إلا أننا لا بد وأن نعبر عن مزيد أسفنا حين نجد : أنهم قد اكتفوا بذكر المصدر ، ورقم الجزء والصفحة ، مع بعض الإيضاحات ، التي لا ترتبط بالتوثيق السندي ، بل ومن دون أن يتعرضوا لذكر الأسانيد أصلاً . . فضلاً عن أن يهتموا أو يلتفتوا إلى مناقشتها ، وتوثيق ما أمكن توثيقه منها .

وطبيعي أن هذه المناقشة وذلك التوثيق ـ لو كان ـ فإنه يساعد كثيراً على تقوية النصوص الأخرى ، التي يمكن بمساعدتها رفع مستوى الإطمئنان فيما يرتبط بدلالة ومرامي ذلك النص الصحيح نفسه ، والذي ربما ، بل كثيراً ما يكون منقولاً بالمعنى ، أو قد تعرض لشيء من التصحيف أو التحريف في العصور المتمادية .

جيم : إن المراجع للنسخ المختلفة لنهج البلاغة ، سواء المطبوع منها أو المخطوط ، يجد الكثير من التفاوت والاختلاف فيما بينها ، وذلك يرجع إلى :

أن الظاهر من بعض الدلائل والشواهد ، هو أن الشريف الرضي رحمه الله تعالى قد جمع هذا الكتاب أولاً . . ثم كان يزيد وينقص ، ويغير ويبدل فيه باستمرار . . حيث إنه أيضاً كان يعمل باستمرار على اقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد ، كلما سنحت له فريدة من الفرائد ، أو لاحت له آبدة من الأوابد . وكانت هذه النسخ المختلفة والمتفاوتة تنتشر في عهده ويتداولها الناس . .

هذا كله . . بالإضافة إلى خلط بعض الحواشي بالمتن من قبل النساخ في بعض الموارد . ولأجل ذلك ولغيره من أمور لا مجال لذكرها الآن . . فإن الحاجة تمس كثيراً للتحقيق حول نسخ النهج ، المطبوع منها والمخطوط على حد سواء ، ومقابلتها مع بعضها البعض ، مع تبيين موارد هذه الإختلافات بدقة وأمانة ، وبيان تلك الموارد ، التي وقع فيها التصحيف أو التحريف ، أو خلط فيها بعض الحواشي بالمتن نتيجة لتعدد استنساخ الكتاب في الأزمنة المتمادية ، أو لغير ذلك . .

دال : إن الشريف الرضي رحمه الله تعالى قد ركز في اختياراته على ما رآه

منسجماً مع هدفه الذي يرمي إليه . وهو ما كان واضح النهج والأسلوب ، تام الظهور في تلك الناحية التي أراد ، وهي « الفصاحة ، والبلاغة » فكان أن أختار من خطبة عليه السلام، ومن كتبه، وكلماته ، خصوص الفقرات التي تدخل في هذا السياق ؛ فأوجب ذلك أن لا يتمكن الباحث من الإطلاع على تمام مراداته ومراميه عليه السلام ؛ فتمس الحاجة إلى اتخاذ طريقة يعرض فيها النص الكامل لكلامه عليه السلام ، مع إعطاء لمحة ، مهما كانت خاطفة وموجزة عن بعض الظروف التي أحاطت بالنص إبان صدوره ، سواء في ذلك الظروف السياسية ، أو الثقافية ، أو الإجتماعية ، أو النفسية والعاطفية ، أو غيرها . .

هاء : إننا نجد أن ما يكتب حول نهج البلاغة يختص في معظمه بفئات معينة من ذوي الاختصاصات العالية عموماً . . حتى لقد أصبح نهج البلاغة الذي خاطب به أمير المؤمنين عليه السلام الناس كل الناس : كبيرهم وصغيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، ويعالج به قضاياهم ، ويعيش من خلاله مشاكلهم ـ أصبح ـ لفريق بعينه ، ولا يعالج إلا أموراً نظرية عالية ، وقضايا فكرية خاصة ، لا تهم إلا أهلها ، ولا يستفيد منها عامة الناس .

فتمس الحاجة لمزيد من الاهتمام بتبسيط هذا الكتاب على مراحل يمكن معها للنشء الصاعد ولغيره من المستويات ، الإستفادة منه على النحو الأكمل والأفضل ، مع لزوم مراعاة الأهم فالأهم في مجال عرض الموضوعات التي تمس إليها الحاجة ، وتقضي بها الضرورة .

واو: إننا نجد أن الباحثين لم يهتموا كثيراً كذلك بإعداد الفهارس الفنية لهذا الكتاب وموضوعاته ، والتي من شأنها أن تسهل على القارىء والباحث الإستفادة منه بالشكل المناسب والمطلوب .

هذا الكتاب :

أما هذا الكتاب ، الذي بين يدي القارىء الكريم ، والذي هو من تأليف سماحة آية الله المشكيني ، الذي هو علم فذ ، من أعلام الإسلام ، والثورة

الإسلامية في إيران الإسلام ـ أما هذا الكتاب ـ فهو محاولة جديرة بالاحترام وبالتقدير ، حيث إنها جاءت جديدة وجليلة ، تعنى بتسهيل الإستفادة من نهج البلاغة ، أعظم كتاب بعد القرآن الكريم ، وتحمل في طياتها التنبيه ـ تلويحاً ـ على ما يحويه هذا الكتاب من طروحات جامعة ومستوعبة لمختلف شؤون الحياة ؛ حيث أخذ على عاتقه مهمة تبويب هذا السفر الجليل على أساس ما جاء فيه من موضوعات ؛ فيجمع النصوص التي تشير إلى موضوع واحد ، في صعيد واحد ، متوخياً التركيز على الموضوعات الكلية البارزة ، التي رأى فيها المؤلف مناسبة وخصوصية من نوع ما . وإن كان البحث العميق لربما يشير إلى خصوصيات أخرى هامةٍ أيضاً ؛ فإن ما كان من هذا القبيل إنما يوكل إلى مناسبته عادة ، ولا مجال لتحمل أعباء البحث عنه والالتزام بتقصي موارده في عمل يخضع لقيوده الخاصة ، ولمنهجيته المحددة والملتزمة ، التي تفرض نفسها على الكتاب وعلى الكاتب بصورة عامة . .

خطوة رائدة :

وأخيراً . . فإن « بنيـاد » ، أو فقل : « مؤسسة نهج البلاغة » قد كانت في مضمونها هي تلك الخطوة الرائدة والفذة على طريق العمل الجاد والدائب ، من أجل الإستفادة على النحو الأكمل والأشمل من فكر وطروحات الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام . .ولعلها توفق للإجابة على جل ، إن لم يكن كل التساؤلات والتوقعات منها ، في نشاطاتها المستقبلية في هذا المجال ، إن شاء الله تعالى .

والله هو الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

(والحمد لله رب العالمين)

مصادر البحث

١ ـ بهج الصباغة ..... للتستري

٢ ـ رجال النجاشي .....

٣ ـ سفينة البحار ..... للقمي

٤ ـ الفهرست ..... للنجاشي

٥ ـ الكافي ..... للكليني

٦ ـ مصادر نهج البلاغة ..... للخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة الإسلامية أسسها ومنطلقاتها

كتب هذا البحث ليكون مقدمة لكتاب ألفه سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الأحمدي حفظه الله أسماه تبرك الصحابة والتابعين بآثار الأنبياء والصالحين، ونحن نورده هنا أيضاً رجاء أن ينفع الله به ، إنه ولي التوفيق

٢٣/ جمادي الأول/ ١٤٠٤ هـ . ق

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين ، من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

بداية :

قال الله تعالى في كتابه المجيد : ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ﴾[٢].

ومن البديهي : أن الله سبحانه يريد للإسلام أن يحكم العالم ، ويهيمن على كل سلوك ومواقف البشرية جمعاء ، بهديه وتعاليمه المعمقة للإيمان ، والمثمرة للعمل الصالح ، ولا يختص ذلك بأمة دون أمة ، ولا يقتصر على جيل دون جيل ، قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس ، بشيراً ونذيراً ﴾[٣] . فالإسلام يريد وحدة الأمة ، ووحدة الهدف ، ووحدة المصير ، وعلى أساس ذلك

---

(١) سورة الأنبياء ٩٢ .
(٢) سورة المؤمنون ٥٢.
(٣) سورة سبأ ٢٨ .

تقوم وحدة الرسالة والدعوة . ولكن ما هو الرابط الذي يشد الأمة بعضها ببعض ، ثم يربطها بما سبق ويأتي . . وعلى أي أساس يقوم ذلك الربط بنظر الإسلام . .

نعم . . لا بد من طرح هذا السؤال أولاً ثم الإجابة عنه بوعي وموضوعية وعمق . إذ أن الإجابة عليه هي التي تحدد اتجاه العمل ، وبها تنضبط كل المواقف والحركات الهادفة ، من خلال الإحساس بالمسؤولية الشرعية ، والإنسانية ، والوجدانية ، حيث تتوجه الطاقات كلها نحو تركيز تلك الأسس ، وتحقيق هاتيك المنطلقات التي لا بد وأن تقوم عليها عملية الربط الضرورية التي تحدثنا عنها . .

وفي مجال المساهمة في التعرف على ما ذكر ، فإننا نشير إلى ما يمكن أن نعتبره يمثل رأي الإسلام في هذا المجال ، بقدر ما تسمح لنا به الفرصة في عجالة كهذه . . فنقول :

الأخوة مسؤولية :

إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم ، ثم إلى سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، فلسوف نجد : أن الإسلام يعتبر الأمة المؤمنة المسلمة بمثابة أسرة واحدة ، لها قيم ومرب واحد ، يشرف على شؤونها ، ويدبر أمورها ، وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم وصيه عليه الصلاة والسلام ، وقد روى عنه (ص) قوله : أنا وعلي أبوا هذه الأمة[1] . وبهذا المعنى أيضاً روايات كثيرة فلتراجع في مظانها[2] .

أما ما يشد هذه الأسرة بعضها إلى بعض ، فهو روح الأخوة النبيلة ، التي ليس فقط يغمرها العطف والمحبة والحنان ، وإنما هي أخوة مسؤولة ، تتحمل

---

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٣٦٩ عن الفائق للزمخشري وعن ابن شهر أشوب وتفسير الميزان ج ٤/٣٥٧ عنه وعن العياشي ، والبحار ج ١٦ ص ٩٥ وج ٤٠ ص ٤٥ ومعاني الاخبار ص ٥٢ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٥ وعلل الشرائع ص ١٢٧ وراجع لسان الميزان ج ٢ ص ٤٠ .

(٢) راجع هذه المصادر في : موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام ص ٣٣ .

مسؤولياتها بوعي ، وحيوية ، وعمق ، وتؤثر آثارها الإيجابية على الصعيد العملي ، والواقع الخارجي ، كما قال سبحانه : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ ثم فرع على ذلك قوله : ﴿ فاصلحوا بين أخويكم ﴾[1] .

وفي موضع آخر نجده تعالى بعد أن قرر القاعدة الأساسية : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض ﴾ نجده قد فرع على ذلك ـ قوله : ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[2] .

وعن الصادق عليه السلام : « إنما المؤمنون أخوة بنو أب وأم ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون »[3] .

وعنه عليه السلام : « المؤمن أخو المؤمن ، كالجسد الواحد ، إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده »[4] .

وعنه عليه السلام : « المؤمن أخو المؤمن : عينه ، ودليله ، لا يخونه ، ولا يظلمه ، ولا يغشه ، ولا يعده ؛ فيخلفه »[5] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »[6] . وبمعناه غيره .

والروايات التي تدخل في هذا المجال كثيرة ، لا مجال لتتبعها وحصرها . .

مرتكزات الأخوة المسؤولة :

وبعد كل ما تقدم . . وبعد أن تأكد لدينا عالمية الإسلام ، وأنه يسعى لإيجاد وحدة حقيقية ، تقوم على أساس الأخوة المسؤولة والواعية . . فإننا إذا

---

(١) سورة الحجرات ١٠ .
(٢) سورة التوبة ٧١ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ط سنة ١٣٨٨ هـ .
(٤) المصدر السابق ، وراجع : صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠ ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٧٠ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ط سنة ١٣٨٨ هـ .
(٦) المصدر السابق ص ١٣١ .

راجعنا التاريخ الإسلامي ، فلسوف نجد أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما آخى بين المسلمين في المدينة قد جعل تلك الأخوة مرتكزة على أمرين اثنين . .

الأول : الحق .

الثاني : المواساة .

فعن طريق الحق يحصل التفاهم ، ثم الرضا ، ثم الثقة المتبادلة ، ويكون ـ من ثم ـ هو الفيصل في كل مقام تختلف فيه الاهواء والمصالح . .

فالحق هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات ، وتبنى عليه المعاملات والمواقف ، وليس هو المصالح الشخصية ، ولا الأهواء ولا الميول ، ولا الانفعالات العاطفية ، ولا هو المصالح القبلية ، أو الاقليمية ، أو الفئوية ، أو غيرها . .

وإذا جاء الحق عن طريق الإحساس بالمسؤولية الشرعية والإنسانية ، وعن طريق الأخوة والمحبة والحنان ، فإن ذلك أضمن لبقائه واستمراره فإن الإنسان بطبيعته يخضع للحق إذا جاء عن هذا الطريق بخلاف ما لو جاء عن طريق القهر والتحدي والقوة ، والتلويح بالعصا ، فإن علينا أن ننتظر غياب الحق بمجرد غياب تلك العصا ، وهاتيك القوة .

وعن طريق المواساة التي هي في الحقيقة درجة أعلى من العدل ، لأنها تعني في أحيان كثيرة البذل والتضحية في سبيل الآخرين والتخلي عن كثير مما اكتسبه لشخصه عن طريق العدل ، الذي يرجع في الحقيقة إلى الحق . .

نعم ـ عن طريق المواساة ـ تستطيع الأمة المؤمنة مواجهة الظروف الطارئة ، والتقليل من آثارها السلبية عليها . وكذلك مواجهة جميع اشكال الضغوط التي يمكن أن يمارسها أعداؤها أعداء الله والإنسانية ضدها من أجل القضاء عليها أو على الطاقة الإيمانية فيها : من سياسية واقتصادية ، وعسكرية وغيرها . .

بين الوحدة والاتحاد :

وإذا كانت الوحدة الحقيقية التي يريدها الإسلام هي تلك التي تقوم على أساس الأخوة التي ترتكز على الحق ، والمواساة ، وهما عنصران واقعيان يضمنان بقاءها واستمرارها ، رغم كل ما يمكن أن يعترض مسيرة التكامل الإنساني فيها من مشاكل ، وعقبات . .

وإذا كانت هذه الوحدة تحتاج إلى بذل الكثير من الجهد للوصول بالأمة إلى درجة من النضج الفكري والإنساني ، ربما لا يكون متوفراً في أحيان كثيرة حتى إن عدم وجود هذه الوحدة يعتبر دليلاً على عدم النضج في الوعي وفي الالتزام لدى الأمة المسلمة ـ إذا كان كذلك ، فتمس الحاجة مرحلياً ـ إلى تعامل وحدوى من أجل دفع الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها الأمة في مسيرتها سواء كانت أخطاراً طبيعية ، أو من قبل أعدائها ، أعداء الله والإنسانية . .

وذلك لأن خطراً كهذا لا يتخير طائفة دون طائفة ، ولا يختص بفريق دون فريق ، وهذا يعني أن مسؤولية التصدي له لا تختص كذلك بفريق دون آخر ، ولا بطائفة دون أخرى . . فإن وحدة المصير تحتم وحدة النضال والتصدي ، وإذا استندت وحدة النضال والتصدي إلى وحدة المنطلقات والأهداف ، فإنها تكون أعظم فعالية ، وأبعد أثراً . . وإلا . . فإنها لا تعدو عن أن تكون عملاً مرحلياً ـ يسير معه جنباً إلى جنب ـ العمل على توحيد المنطلقات والأهداف على الأسس الصحيحة والواقعية ، التي لا بد وأن يتم التعرف عليها من مصادرها الحقيقية ، ثم العمل في سبيل تحقيقها والحصول عليها بوعي ، وجدية ، ومثابرة . .

فهذا الاتحاد ، أو فقل هذا التعامل الوحدوي مطلوب إسلامياً ، ومحبوب ، بمختلف أبعاده ودرجاته ، وعلى جميع المستويات ، ولكنه ليس هو كل المطلوب ، وإنما هو بديل اضطراري موقت ، لا بد من القبول والرضا به ، بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية على أسسها الإسلامية ، والإنسانية الواقعية . .

نعم . . لا بد من القبول بهذا البديل الاضطراري ، الذي هو مطلوب ومحبوب إسلامياً أيضاً ، إذ لا يمكن ترك الخطر يجتاح الأمة الإسلامية ، ويلتهم

كل مقدراتها، ويستأصل شأفة الإسلام والمسلمين ـ بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية ، بل لا بد من التحرك في المجالين معاً ، لأن أحدهما ضرورة مرحلية فعلية ، فرضتها الأخطار الجسام التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون . بالفعل . والآخر ضرورة إنسانية ومصيرية ، ربما تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد ، والبحث والتمحيص للحقائق العلمية ، ثم إلى تربية نفسية لخلق درجة من الاستعداد النفسي والسمو الإنساني لتحقيقها . .

الحق . . والناس :

وواضح . . أن الحق واحد ، وواحد فقط ، لا يمكن أن يتغير ، أو يتبدل إلا إذا تغيرت الظروف والأحوال ، التي لا بد وأن تبرر وجود حق آخر ينسجم مع واقع المتغيرات والظروف الموضوعية الطارئة ، أما الباطل . . فليس إلا تعبيراً آخر عن العدم والفساد ، والنقص في تجلي الحق وحضوره ، ولا أثر له إلا ذلك في الواقع ، على المدى القريب والبعيد على حد سواء . . وإذا كان كذلك . . فإنه لا بد من السعي لاحقاق الحق ، لأنه خير وسعادة وحياة ، وإبطال الباطل ، لأنه شر وفساد وممات . .

ولا يختص إدراك هذه الحقيقة بأحد دون أحد ، ولا بفريق دون آخر . . وإن كان الناس يختلفون في تعيين ما هو حق وما هو باطل ، وذلك تبعاً لاختلافهم في النظرة إلى الكون وإلى الحياة ، الذي نشأ عنه اختلاف في المقاييس والمعايير التي لا بد من الاستفادة منها في مجال التعرف على كل منهما ؛ وليتحدد بالتالي موقف الرفض أو القبول على هذا الأساس .

بل إننا لا يجب أن نستغرب كثيراً إذا رأينا : أنه حتى أولئك الذين يملكون نظرة واحدة ، للكون وللحياة ويتفقون في تفسيرهم لأحواله ، ولظواهره ـ حتى هؤلاء ـ نجدهم يختلفون في كثير من آرائهم ، وأفكارهم ومعتقداتهم ؛ وذلك تبعاً لاختلاف درجة انكشاف واقع الظروف والأحوال المحيطة . . الأمر الذي يؤثر ـ بشكل أو بآخر ـ في ذلك الفكر ، أو في ذلك المفهوم ، وكذلك تبعاً للتفاوت الحاصل فيما بينهم في قوة الإدراك ، وفي التصرف في المدركات ، التي

يمكنهم ـ الحصول عليها وتمحيصها . . هذا كله . . عدا عن أن أسلوب العرض ، ربما يكون غير قادر على توفير الحد الأدنى من الاقناع ، لأن منطلقات الاقناع فيه لم تكن تعتمد على قواسم مشتركة ، كان لا بد من تمحيصها ، وحسم الأمر فيها مسبقاً . . إلى غير ذلك من أسباب يمكن أن تؤثر في ذلك بصورة أو بأخرى . .

بل وليس غريباً أيضاً: أن نجد البعض ينكشف له خطؤه في رأيه، أو في موقفه ـ ثم يصر عليه ، ولا يتراجع عنه ولا يخضع للحق الابلج ، والواضح المأخذ والمنهج .

وقد نتلمس له بعض العذر في ذلك ، إذا وجدناه يخضع في ذلك لتأثيرات عاطفية معينة ، أو واقع اجتماعي خاص ، أو حتى بسبب النقص في أسلوب إظهار الحق له ، وعرضه عليه . . ـ نعم إن كل ذلك واضح ، وليس بمستهجن ، ولا غريب ـ أما أن نجد البعض يقيم الدنيا ولا يقعدها ، ويرمي هؤلاء وأولئك ، ممن لا يتفقون معه في الرأي بشتى أنواع التهم والافتراءات ، وحتى بالزندقة والإلحاد والشرك أحياناً ، فذلك أمر غير طبيعي ، وغير مقبول على الاطلاق . .

وأعظم من ذلك : أن نجده يفعل ذلك ، وهو يعلم أنه هو المخطىء ، وهم ، هم المحقون . . فذلك هو الأمر الغريب والعجيب حقاً . .

نقول هذا ، على سبيل ضرب القاعدة ، وإعطاء الضابطة فقط . . وليس إلا . . ولا نريد التعريض بأحد ولا المس بعواطف أي كان . .

الاستعمار . . الحَكَم :

هذا . . ومن المضحك المبكي أن نجد المستعمر الكافر ينصب نفسه حكماً في المسائل الإسلامية : الاعتقادية منها والفقهية على حد سواء ، فيؤيد وجهة نظر فريق (هو الذي يتعامل معه) ضد الفريق الآخر ، حرصاً منه على زرع الفتنة في الأمة الإسلامية ، ومن أجل الحفاظ على تلك القواعد والمنطلقات الفكرية ، التي

سرّبها الأعداء بصورة أو بأخرى إلى أذهان بعض المسلمين ، لأنها تخدم مصالحهم ، وتمكن لهم من الحفاظ على الامتيازات التي جعلوها لأنفسهم ، وتساعدهم على تنفيذ خططهم الرامية إلى الاستمرار في تأزيم العلاقات فيما بين المسلمين أنفسهم ، حتى لا يمكنهم التفكير بأي مظهر من مظاهر من مظاهر الوحدة ، بل والاتحاد أيضاً . . بل هم يعملون على تجنيد الفريق الذي يتعامل معهم لمحاربة أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد في جميع أنحاء العالم ، والعمل على أن لا يمر ذلك بخيال أي إنسان على الاطلاق .

لو يعلم أولئك المخدوعون :

هذا . . وإن مما يؤلم حقاً : أن نجد بعض الذين يحكمون المسلمين باسم الإسلام يوادون من حاد الله ، ويسيرون في ركاب المستعمر الكافر . .وهم في نفس الوقت ينصبون العداء لأخوانهم من المسلمين ، ويحاربونهم بكل ما اوتوا من قوة وحول ، متذرعين بحجج واهية وأقاويل خاوية . . أبرزها : أن اخوانهم المسلمين لا يقبلون بوجهة نظرهم في بعض المسائل الفرعية ، أو في بعض التفصيلات العلمية في بعض المسائل الاعتقادية ، غير مكلفين أنفسهم عناء البحث في الحجج التي يستندون إليها ، ولا ملتمسين لهم أي عذر في ذلك على الاطلاق . . مع أنهم يمكلون من الحجج القوية على ما يذهبون إليه الشيء الكثير . . ومع أن مسألة الموادة للمستعمر الكافر تفوق في خطرها على الإسلام وعلى المسلمين كل خلاف مذهبي ، حتى كثيراً من الاعتقاديات ، فضلاً عن خلاف في مسألة فرعية ، لا خطر لها إطلاقاً بالقياس إلى ذلك الخطر الداهم .

حيث إن خلافاً كهذا لا يعدو أن يكون خلافاً بين المجتهدين في فهم الإسلام وهم لا يتحرون إلا الحق والواقع ، ورضا الله سبحانه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فإن أخطأوا فلهم أجر ، وإن أصابوا فلهم أجران . .

فلماذا لا يكون التعامل بهذه الروحية ، وعلى أساس من أخلاقيات الإسلام السامية بعيداً عن نزوات الأهواء ، وفي منأى من تأثيرات العواطف غير

المتزنة ، ولا المسؤولة ؟! والتي يكون المستفيد الوحيد منها هو العدو المشترك المتمثل بقوى الكفر والاستكبار العالمي ؟!

مبادرات . . لا بد من استمرارها ؛

هذا . . ولقد بذل المخلصون من المفكرين والعلماء على مر العصور ، محاولات كثيرة للتقريب بين المسلمين ، وتفاهمهم وتقريب وجهات النظر فيما بينهم ، ونستطيع أن نذكر كمثال على ذلك في خصوص الآونة الأخيرة مبادرة آية الله العظمى السيد حسين البروجردي قدس الله نفسه الزكية إلى تأسيس دار التقريب، ثم فتوى الشيخ شلتوت بصحة التعبد بالمذهب الجعفري . . ولا بد من التخصيص بالذكر هنا جهود آية الله ، العلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين ، الذي ألف كتابه الهام : المراجعات ، وكذلك كتابه القيم : الفصول المهمة في تأليف الأمة ، وقد ذكر فيه الكثير الكثير مما يساعد على التقريب والتفاهم بين المسلمين ، فضلاً عن نبذة هامة جداً من أقوال أشهر أئمة المذاهب الاعتقادية والفقهية ، وجلة العلماء فيما يتعلق بالشيعة . والتعبد بمذهبهم .

أما . . وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران . . فقد كانت الوحدة الإسلامية هي الشغل الشاغل لكل المسؤولين فيها . . ولعل أعظم الناس إصراراً على هذا الأمر ، وتأكيداً عليه هو إمام الأمة ، وقائد المستضعفين ، آية الله العظمى السيد الخميني العظيم مد الله في عمره الشريف . . وقد بذلت العديد من المحاولات في هذا السبيل ، وأعطت نتائج إيجابية وطيبة ، رغم المحاولات المستميتة من قبل أعداء الإسلام وأذنابهم في سبيل ضرب كل تحرك في هذا الاتجاه .

وعلى الصعيد الفكري . . فإن المحاولات كثيرة أيضاً ومتنوعة ومنها إقامة العديد من المؤتمرات ، وكتابة البحوث الكثيرة وغير ذلك ، ولا بأس بالتنويه هنا بعمل جيد وهام بادر إليه بعض الأخوة ، حيث قام بجمع الروايات المشتركة لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء ، ونظمها وبوبها وذكر مصادرها . وينشر

ذلك على في شكل مقالات في مجلة « التوحيد » التي تصدر عن مؤسسة الأعلام الإسلامي في إيران .

وهذه المبادرة تظهر بما لا يدع مجالاً للشك : أن حوالي تسعين بالمئة من الروايات الفقهية التي عند السنة والشيعة تشترك فيما بينها ، إما لفظاً ، ومعنى ، أو معنى على الأقل . .

وما أروعها ـ لو أن العلماء بادروا إلى تشكيل لجان مشتركة لـدراسة الموضوعات المتفق عليها أولاً ، وتمييزها . . ثم دراسة المسائل الخلافية ، بروح علمية نبيلة ، تهدف إلى رضا الله سبحانه ، وخدمة الإنسان والإنسانية . . فعسى . . ولعل . . وما ذلك على الله بعزيز . .

ولعل أهم ما يحتاج إليه أمر كهذا . . هو الثقة المتبادلة ، والروح العلمية والرياضية المرنة ، والإحساس بالمسؤولية الشرعية والوجدانية . . والعواطف الإنسانية النبيلة . .

هذا الكتاب . . والوحدة الإسلامية :

وبعد كل ما تقدم . . فإن بيان الحقائق وتمحيصها ، وتهيئة المبررات الموضوعية لخلق القناعات الكافية وتوحيد النظرة والفكر والاعتقاد يعتبر من أعظم المساهمات في تحقيق الوحدة ، لأن ذلك من شأنه أن يساهم في إرساء قواعد الحق ، الذي هو أحد أهم عنصرين تقوم عليهما الأخوة ، التي أرادها الله منطلقاً للوحدة الحقيقية ، وضماناً لاستمراريتها . .

أما هذا الكتاب « التبرك ، تبرك الصحابة والتابعين ، بآثار الأنبياء والصالحين » فهو فريد في بابه ، فذ في موضوعه ، ويستطيع أن يساهم بشكل قوي في قضية الوحدة الإسلامية ، لأنه يتكفل ببيان الحق في مسألة طالما دار الجدل حولها وهو يعتمد البحث العلمي النزيه أساساً ومنطلقاً في تقييمه للنصوص التي تدخل في إطار البحث الذي هو بصدده . . حيث أخذ على عاتقه معالجة موضوع التبرك بآثار الأنبياء والصالحين بموضوعية وتجرد وهدوء ، بعيداً

عن أي تأثر أو انفعال . .

وإن حجم ما يقدمه هذا الكتاب من مواد ، ومصادر لهذا البحث ـ وهو ضخم وهائل جداً ـ وإن كان ليس هو كل ما يمكن تقديمه في هذا المجال ليعبر عن مدى ما تحمله المؤلف من مشاق ، وما عاناه من جهد ، وما تحلى به من صبر وأناة في هذا السبيل . . فجزاه الله أحسن جزاء العالمين العاملين . ونفع الله المسلمين بما كتبه ويكتبه من بحوث ، وما يقدمه من خدمات جلى للحق والخير ، وللعلم والفضيلة . .

وإن هذا الكتاب إن دل على شيء ، فإنما يدل على إصرار هذه الثلة من العلماء المخلصين على تحقيق الوحدة الإسلامية الحقيقية ، وإقامتها على أسسها الموضوعية الصحيحة والقوية . .

كما أن هذه الكمية الهائلة من الشواهد والدلائل التي حشدها المؤلف في هذا الكتاب لتدل دلالة واضحة على أن مسألة التبرك بآثار الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، تكاد تكون من ضروريات الإسلام الأولية ، التي لا مجال لأي شك أو شبهة فيها . . ولأجل ذلك نجد : أن معظم المسلمين قد تلقوها بالقبول ، ودافعوا عنها في قبال فئة قليلة دخلت الشبهة عليهم ، وسحرتهم بعض الشعارات البراقة التي أطلقها بعض علمائهم[1] ومنعتهم من التركيز في البحث ، ومن الدقة في مواقفهم ، وفي ردود فعلهم تجاه الآخرين . .

ونحن لا نريد أن نتهم أحداً ولا أن نسيء الظن بأحد في كونه يريد التقليل من أهمية ، وقدسية شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما كانت سياسة الامويين من قبل ـ ، فإن جل هؤلاء إن لم يكن الكل إنما كان ينساق وراء تلك الشعارات بدافع إيماني صادق ، ومن منطلق الغيرة على الدين وأحكامه . .

وهذا بالذات هو ما أظهره عمر بن الخطاب ، حينما قطع الشجرة التي بايع المسلمون النبي عندها ، وكانوا يتبركون بها ، فلقد قال : أنه خشي أن تصير تلك

---

(١) هو ابن تيمية .

الشجرة معبوداً يعبد من دون الله سبحانه . . ولا يدل ذلك على أنه كان ـ دون كل الصحابة ـ يذهب إلى حرمة التبرك . لا سيما وأنه هو نفسه يتبرك بتقبيل الحجر الأسود ويتبرك بإحضار الإمام الحسن وعبد الله بن عباس في الشورى[1] ، ويتبرك أيضاً بتقبيل رجل النبي (ص) ورجل أبي عبيدة ، وغير ذلك كثير عنه ، مذكور في ثنايا هذا الكتاب عن جملة كبيرة من المصادر .

وحتى لو فرض أنه يرى ذلك ، فإن رأيه هذا لا يمكن أن يقدم على سنة سنّها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعلها ، وجرى عليها العشرات بل المئات من الصحابة والتابعين . .

تمنيات مخلصة :

وبعد . . فإننا نأمل من هؤلاء ، ومن كل من يختلفون مع غيرهم في الرأي : أن يعطوا الفرصة للآخرين ، ليقولوا كلمتهم ، وأن يسمحوا لأنفسهم بالنظر في تلك الكلمة وتعقلها ، ومحاكمتها على أسس علمية صحيحة ، فإن وجدوا فيها ما يجدي وما يقنع أفسحوا لها المجال ، وإلا فما عليهم إلا أن يردوها بالأسلوب العلمي الهادىء والنزيه . .

ونأمل كذلك أن لا يتبعوا أسلوب فرض الرأي بالقوة والقهر ، فإن من أبسط نتائج ذلك هو أن يؤدي إلى التشبث الأعمى فيما يراد الردع عنه ، ولا يبقى مجال للمناقشة والحوار فضلاً عن أن ذلك يوجب ردود فعل عنيفة وغير مسؤولة ، تنشأ عن تشنجات عاطفية لا مبرر لاثارتها .

مع أن اللازم أولاً على أولئك الذين ينصبون أنفسهم حكاماً على آراء الآخرين ومعتقداتهم هو أن يفسحوا المجال لمحاكمة آرائهم ومعتقداتهم أنفسهم أولاً وتقييمها على أسس علمية ، موضوعية وسليمة . .

ويتأكد ذلك إذا كانت تلك الآراء والأفكار والمعتقدات موضوعة في قفص

---

(١) الإمامة السياسة ج ١ ص ٢٤ و ٢٥ .

الاتهام منذ نشأتها ، ويُشَك كثيراً في صحتها وسلامتها ، ويُبَرر ذلك الشك على أسس علمية وموضوعية صحيحة .

وأما أن يتبعوا أسلوب العربدة والتهويش ، ثم الترديد للشعارات نفسها ، مع عدم أخذ الردود العلمية القوية الكثيرة بنظر الاعتبار ، فذلك يكون أدل دليل على عجزهم وإفلاسهم على الصعيد العلمي ، وعدم قدرتهم على مواجهة المنطق بالمنطق ، والحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان . .

هذا . . وإنه إذا كانت تلك الردود العلمية عليهم صحيحة ، فلماذا العود لتكرار كلام ثبت عدم صحته منذ مئات السنين ، وإن كانت باطلة فلماذا لا يبين بطلانها للملاء بالإسلوب العلمي المقنع ، والهادىء ، والرصين ، لا بأساليب الشتم والسباب ، والاتهام الباطل والزائف ؟!

وإننا لعلى يقين من أنه إذا استطاع الأسلوب العلمي أن يفرض نفسه ، ويهيمن على جميع المواقف ، وما ينشأ عنها من ردود فعل . . فلسوف يكون من أبسط نتائجه هو أن لا نسمع من هؤلاء نفس الكلام ، ونفس الشعارات التي لا يزالون يرددونها منذ مئات السنين ، والتي أقام العلماء البراهين العلمية الكثيرة على زيفها وعدم إنسجامها مع الإسلام والقرآن ، وعلى مغايرتها لأحكام العقل والوجدان . .

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام والقرآن . وأعاننا على أنفسنا وهدانا إلى صراطه المستقيم إنه ولي قدير ، وبالإجابة حري وجدير .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ الإمامة والسياسة ..... لابن قتيبة

٣ ـ البحار ..... للعلامة المجلسي

٤ ـ البرهان (تفسير) ..... للبحراني

٥ ـ صحيح مسلم ..... لمسلم بن الحجاج

٦ ـ علل الشرايع ..... للشيخ الصدوق

٧ ـ عيون أخبار الرضا (ع) ..... للشيخ الصدوق

٨ ـ الكافي ..... للكليني

٩ ـ لسان الميزان ..... للعسقلاني

١٠ ـ المسند ..... لأحمد بن حنبل

١١ ـ معاني الأخبار ..... للصدوق

١٢ ـ موقع ولاية الفقيه ..... لجعفر مرتضى

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث حول سند عهد الأشتر

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد . .

فإن عهد أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر النخعي يعتبر من أهم الوثائق السياسية ، التي تعالج قضية الحكم والإدارة وشؤون الدولة . . وقد اعتنى به المحققون والباحثون ، وتناولوه بالشرح والتحليل وما فتئوا يذكرونه بالتعظيم والتجليل . .

ولكن الناحية الأهم والتي كان يفترض فيها أن تبحث قبل أي شيء هي ناحية ثبوت هذا العهد الشريف من ناحية السند ، وذلك من أجل التأكد من نسبة هذه الوثيقة الهامة جداً إلى سيد الوصيين ، صلوات الله عليه وعلى ابنائه الطيبين الطاهرين ، وهذا ما لم يحصل بالفعل ، ولكن عذر اولئك الباحثين كان واضحاً جلياً بعد أن كانت نفس مضامين هذا العهد واضحة وجلية ، من حيث أنه نسيج وحده ، لا يمكن لأي كان أن يأتي بمثله إلا إذا كان نفس أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ، فهو يصل إلى حد الإعجاز أسلوباً ومضموناً على حد سواء ، وإن إلقاء نظرة واحدة عليه مهما كانت سريعة ، وعارضة لا تبقي مجالاً

للشك في أن هذا لا يمكن أن يصدر إلا من تلك الدوحة الباسقة، وذلك الفكر العملاق. . .

وإن كان البعض قد حاول التشكيك في هذا العهد ، على أساس أن الطبري قد ذكر في تاريخه[1] عهداً لطاهر بن الحسين كتبه إلى ابنه عبد الله حينما ولاه ديار ربيعة . . وهو يشبه في طوله وأسلوبه ومضمونه عهد الأشتر هذا مع ملاحظة : أنه لم يذكر عهد الأشتر هذا ولا أشار إليه فلو كان ثابتاً لديه لحسنت منه الإشارة إليه .

ـ إذا كان البعض قد حاول التشكيك على هذا النحو ـ فإنه ولا شك قد ارتكب خطأً فاضحاً ، وعالج وعانى وهماً واضحاً . . فإن عهد طاهر بن الحسين لولده يختلف عن عهد أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر إختلافاً بيناً ، سواء في ألفاظه ومبانيه ، أو في أصوله ومعانيه .

ولو تمت هذه الشبهة لجرت على كل مأثور بعد القرن الثالث وكل من تفرد بحديث فقهي أو بخبر تاريخي عن الأوائل ، قيل له لو صح حديثك لرواه البخاري ومسلم ، أو لذكره الطبري والمسعودي[2] .

كما أن من الواضح إختلاف المستوى الأدبي والعلمي فيما بين العهدين ، فأين الثرى من الثريا ، وأين التراب من النضار .

ويمكن أن يكون طاهر قد ظفر بعهد الإمام عليه السلام واستفاد منه وصاغ بعض معانيه بأسلوبه الخاص . .

مصادر العهد

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا العهد الشريف قد رواه أو أشار إليه غير واحد من العلماء والمحدثين والمؤرخين ، فقد أشار إليه النجاشي والشيخ الطوسي

---

(١) تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٦٠ ـ ١٦٨ حوادث سنة ٢٠٦ .

(٢) راجع : مقدمة كتاب الراعي والرعية ص ٥ ـ ٩ كتب المقدمة : السيد هبة الدين الشهرستاني .

كما سيأتي . وورد نصه في نهج البلاغة ، قسم الكتب ، الكتاب رقم ٥٣ ، ومعادن الحكمة ج ١ ص ١٠٩ وتحف العقول ص ١٢٦ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٣٥٠، والبحار ج ٨ ص ٦٠٩ ثم شرحه، وج ٧٧ ص ٢٤٠ عن النهج والتحف، ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٩٥ وأضاف العلامة المحقق الأحمدي : أنه قد نقل بعضه في كنز العمال ج ١٥ ص ١٦٥/١٦٦ عن الدينوري، وإبن عساكر، ومآثر الأنافة ج ٣ ص ٦ عن صبح الأعشى، ومفتاح الأفكار.

وأشار إليه النجاشي في رجاله ص ٧ وذكر سنده وذكر سنده أيضاً الشيخ في الفهرست وسيأتي السندان معاً وقال في معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٢٢ طريق الشيخ إلى عهد مالك الأشتر صحيح .

وذكره في نهج السعادة ج ٥ ص ٥٨ عن جمع ممن تقدم ، وقال : وروى قطعة منه مسنداً من تاريخ الشام ج ٣٨ ص ٨٧ وفي النسخة المرسلة ص ١٩٣ .

وذكر في خاتمة المستدرك ص ٢١٨ عن مجلة المقتطف ٤٢ ص ٢٤٨ : إنه نقله باختصار عن نسخة السلطان بايزيد الثاني . وفي دستور معالم الحكم ص ١٤٩ شواهد لهذا العهد ، وذكره في مصادر نهج البلاغة عن جمع ممن تقدم ، وعن نهاية الإرب للنويري ج ٦ ص ١٩ .

ثم ذكر في مصادر نهج البلاغة بعض من شرح هذا العهد ، مثل :

آداب الملوك لرفيع الدين التبريزي .

وأساس السياسة في تأسيس الرئاسة للكجوري الطهراني .

والتحفة السليمانية للبحراني .

والراعي والرعية لتوفيق الفكيكي .

والسياسة العلوية لآل مظفر (خطية) .

وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للمجلسي .

وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للمولى محمد باقر القزويني .

وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للميرزا حسن القزويني .

وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للميرزا محمد التنكابني .

وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ هادي القائيني البيرجندي .
وشرح الفاضل بدايع نكار المثبت في المآثر والآثار .
ونصايح الملوك لأبي الحسن العاملي .
ومقتبس السياسة وسياج الرئاسة للشيخ محمد عبده أنتزع من شرحه وطبع على حدة .

والقانون الأكبر في شرح عهد الأشتر للسيد مهدي السويج (مخطوط) .
ومع الإمام في عهده لمالك الأشتر للشيخ محمد باقر الناصري .

إنتهى كلام المحقق العلامة الأحمدي حفظه الله تعالى .

ونزيد هنا : فيما يرتبط بشروحه ، ما أورده السيد هبة الدين الشهرستاني في مقدمته لـكتاب الراعي والرعية ص ٨ ـ ٩ والشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥ وج ١٥ ص ٣٥٣ ، حيث أضافا إلى شروح العهد :

شرح الحسين الهمداني الموسوم بهدية الحسام لهداية الحكام .

وشرح محمد صالح الروغني القزويني ، من علماء القرن الحادي عشر .
ودستور حكمت .

وترجمه الوصال الشاعر الشيرازي المتوفي سنة ١٢٧٤ ونظمه شعراً بالفارسية .

وترجمه محمد جلال هذا العهد إلى التركية ونظمه شعراً بالتركية .

وفرمان مبارك لجواد فاضل .

وعنوان رياست (ترجمة لعهد أمير المؤمنين للأشتر للسيد علي أكبر بن سلطان العلماء السيد محمد النقوي اللكنهوي) .

هذا كله عدا عن شرح شراح النهج له في ضمنه كالمعتزلي وابن ميثم وغيرهما . .

بقي أن نشير الى أن صاحب الذريعة قال في ج ١٥ ص ٢٦٢ :

« نسخة (العهد) بخط ياقوت المستعصمي موجودة في المكتبة الخديوية

بمصر تاريخ فراغها سنة ثمانين وستمائة كما في فهرسها.

ملاحظة سريعة على سندي الشيخ والنجاشي :

هذا . . ويلاحظ العلامة المحقق الأحمدي هنا : أن النجاشي والشيخ قد ذكرا سنديهما إلى عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر، ولم يذكرا من نفس العهد شيئاً، فيحتمل أن يكون السند الذي ذكراه ناظراً إلى ما كتبه أمير المؤمنين لأهل مصر والذي أوله : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين . . . أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء إلخ . . » .

ولا سيما بملاحظة أن النجاشي قد عبر عن هذه الرسالة في ترجمة صعصعة بقوله : « روى عهد مالك بن الحرث الأشتر ألخ . . . »[1] .

ولكنه ـ أعني العلامة الأحمدي ـ عاد فقال : « لكن هذا الأحتمال بعيد عن عبارة الشيخ ره » .

حيث إن الشيخ قد عبر هنا في الفهرست بقوله : « روى عهد مالك الأشتر رحمه الله الذي عهده إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر »[2] .

فإن هذه العبارة ظاهرة في أن العهد كان إليه، وتلك الرسالة إنما كتبها أمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر . . وإن كان يصح التعبير عنها بأنها عهد له أيضاً . .

هذا . . بالإضافة إلى أن الشريف الرضي قد ألّف كتابه الذي فيه نسخة عهد الأشتر بمرأى ومسمع من الشيخ والنجاشي معاً، وطول هذا العهد وجامعيته للمحاسن مما يرجح الإلتفات إليه، وإرتكازه في الأذهان في مقابل الوصية المطولة أيضاً بحيث يسبق الذهن إليه، بحيث نجد النجاشي حينما أراد من كلمة عهد تلك الرسالة الأخرى . . قد ألزم نفسه بإيرادها على خلاف عادته في كتابه . .

---

(١) رجال النجاشي ص ١٥٣ .

(٢) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٦٢ /٦٣ .

سند النجاشي والشيخ للعهد :

ومهما يكن من أمر ، فإننا لم نجد سنداً للعهد متصلاً إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلا عن الشيخ النجاشي ، والشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عنهما . . .

وسند النجاشي هو كما يلي :

أخبرنا :

١ ـ إبن الجندي .
٢ ـ عن علي بن همام .
٣ ـ عن الحميري .
٤ ـ عن هارون بن مسلم .
٥ ـ عن الحسين بن علوان .
٦ ـ عن سعد بن طريف .
٧ ـ عن الأصبغ بالعهد[1] .

أما عن طريق الشيخ إلى عهد الأشتر ، فهو كما يلي :

أخبرنا بالعهد :

١ ـ إبن أبي جيد .
٢ ـ عن محمد بن الحسن .
٣ ـ عن الحميري .
٤ ـ عن هارون بن مسلم والحسن بن طريف جميعاً عن :
٥ ـ الحسين بن علوان الكيني (الصحيح : الكبي ، على الظاهر) .
٦ ـ عن سعد بن طريف .

---

(١) رجال النجاشي ص ٧ ط مركز نشر الكتاب وص ٦ ط مكتبة الداوري في قم . . ولكننا سوف نعتمد في ما ننقله عن هذا الكتاب في هذا الكتاب في هذا البحث على طبعة مركز نشر كتاب ، فليلاحظ ذلك .

٧ ـ عن الأصبغ بن نباتة .
عن أمير المؤمنين عليه السلام[١] .

أما بالنسبة لسند النجاشي :

فإننا نقول :

١ ـ إبن الجندي وإسمه أحمد بن عمران (أو عمر) والمتوفي سنة ٣٩٦ وقد قال عنه آية الله الخوئي إنه ثقة[٢] إستناداً إلى انه من شيوخ النجاشي .

وقال النجاشي : «أستاذنا رحمه الله ألحقنا بالشيوخ في زمانه له كتب . . الخ»[٣] .

وقوله : ألحقنا بالشيوخ في زمانه يدل على انه من مشايخ الإجازة ، والظاهر أن إبن الجندي هو أول من أجاز النجاشي وألحقه بالشيوخ في زمانه .

ونحن نشير هنا إلى أمرين :

أحدهما : « صرح البهبهاني بأن المتعارف عدّ شيخوخة الإجازة من أسباب الحسن ، ونقل عن ظاهر المجلسي الأول ، والميرزا محمد الأسترا بادي دلالتها على الوثاقة ، وان المحقق البحراني[٤] قال : مشايخ الإجازة في أعلى درجات الوثاقة والجلالة »[٥] .

ويرجع ذلك إلى وجه إعتباري ، وهو أن الشيخ لا يركن إليه في الإجازة إلا إذا كان ثقة ، أو حسن الظاهر ممدوحاً ، فيحصل من وصفه بالشيخوخة وثوق باعتباره . ولذا قال المحقق الهمداني :

« ولا شبهة في أن قول بعض المزكين بأن فلاناً ثقة ، أو غير ذلك من

---

(١) الفهرست للشيخ ص ٦٣ ط جامعة مشهد ـ إيران .
(٢) معجم رجال الحديث ج ٢٢ ص ١٧١ .
(٣) رجال النجاشي ط مركز نشر كتاب ص ٦٧ وعنه في معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٩٤ ، وفي رياض العلماء ج ١ ص ٦٣ وفي منتهى المقال ص ٤٤ وفي تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠ وفي جامع الرواة ج ١ ص ٦٩ وفي رجال العلامة ص ١١ وقاموس الرجال ج ١ ص ٤١٥ وبهجة الآمال ج ٢ ص ١٤٦ و ١٤٧ .
(٤) هو الشيخ سليمان البحراني .
(٥) قواعد الحديث ص ١٧٣ ومقباس الهداية ص ٧٤ .

الألفاظ التي إكتفوا بها في تعديل الرواة ، لا يؤثر في الوثوق أزيد مما يحصل من إخبارهم بكونه من مشايخ الإجازة » وعن المعراج : إن التعديل بهذه الجهة طريقة كثير من المتأخرين. وقال الشهيد الثاني (ره) في البداية: إن مشايخ الإجازة لا يحتاجون إلى التنصيص على تزكيتهم[1].

لكن خالف في ذلك جماعة، فلم يعتبروها إلا إذا وثق الثقة مشايخه إجمالاً فيقبل كما فعل النجاشي ، وهو بمنزلة التوثيق التفصيلي ، أو وصف الشيخ بما أوجب مدحه ، فيكون حسناً »[2] .

الثاني : إننا حتى لو غضضنا النظر عما تقدم ، فإن ابن الجندي المذكور في الترجمة لا بد وأن يحكم بوثاقته ، وذلك لأن الشيخ النجاشي قد وثق مشايخه إجمالاً حسبما أشير إليه آنفاً . . وكان رحمه الله كثير التحرز من الرواية عن الضعفاء بغير واسطة كما فهمه غير واحد[3] .

إذ قد صرح في ترجمة جعفر بن محمد البهلول بقوله : « كان في أول الأمر ثبتاً ، ثم خلط ، ورأيت جل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه ، له كتب . . إلى أن قال : رأيت هذا الشيخ . وسمعت منه كثيراً ، ثم توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه »[4] . .

كما أنه في ترجمة جعفر بن محمد بن مالك، بعد أن ذكر ذمّه وتضعيفه وفساد مذهبه ، قال : ولا أدري كيف روى عنه شيخنا الثقة النبيل أبو علي بن همام ، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الزراري رحمهما الله »[5] .

وقال في ترجمة أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن الجوهري : « كان

---

(١) قواعد الحديث ص ١٧٣ .

(٢) مقباس الهداية ص ٧٤ .

(٣) راجع : تنقيح المقال ج ١ ص ٥٨ ومعجم رجال الحديث ج ١ ص ٥٠ /٥١ وقواعد الحديث ص ١٨٤ و١٨٥ وخاتمة مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٥٠٢ /٥٠٣ وعن رجال السيد بحر العلوم ج ٤ ص ١٤٥ /١٤٦ ورياض العلماء ٣ /٣٥١ .

(٤) رجال النجاشي ص ٣٠٩ .

(٥) رجال النجاشي ص ٩٤ .

سمع الحديث فأكثر واضطرب في آخر عمره . . إلى أن قال : رأيت هذا الشيخ وكان ضديقاً لي ولوالدي ، وسمعت منه شيئاً كثيراً ، ورأيت شيوخنا يضعفونه ، فلم أرو عنه شيئاً وتجنبته ، وكان من أهل العلم والأدب القوي ، وطيب الشعر ، وحسن الخط رحمه الله وسامحه »[1] .

فهو لا يروي عنه رغم أنه سمع منه شيئاً كثيراً ورغم صداقته له ولوالده ، ورغم المعاشرة التي بينهما لمجرد أنه رأى الأصحاب يضعفونه .

كما أنه لا يروى عمن كان في أول أمره ثبتاً ، رغم أنه سمع منه كثيراً إلا بالواسطة ، لمجرد أن الأصحاب كانوا يغمزونه ويضعفونه .

كما ويتعجب من رواية الثقتين الجليلين عن رجل مذموم ومضعف وفاسد المذهب .

وأخيراً فقد قال في ترجمة إسحاق بن الحسن بن بكران : « رأيته بالكوفة ، وهو مجاور وكان يروى كتاب الكليني عنه ، وكان في هذا الوقت غلواً ، فلم أسمع منه شيئاً »[2] ففرّع عدم روايته عنه على أنه كان فيه غلو . . . ويلاحظ : أن النجاشي نفسه لا يغمز في أولئك الشيوخ الذين سمع منهم كثيراً ولعله لا يوافق الأصحاب على غمزهم لهم ، ولا سيما بملاحظة أننا نستبعد جداً أن يتخذ لنفسه شيخاً يعرفه بالإنحراف والكذب والوضع ، ثم يكثر عنه الأخذ والسماع . .

وهذا يبعد جداً الإحتمال القائل بأن النجاشي إنما لا يروى عمن فيه غمز ، أما من لا غمز ولا مدح ولا ذم فيه فهو مسكوت عنه [3] .

ومهما يكن من أمر، فقد قال العلامة في كتابه الرجال عن ابن الجندي «وعبارة النجاشي حوله : «وليس هذا نصاً في تعديله» . لكنه ذكره في قسم من يعتمد عليهم[4] . وعده بحر العلوم من مشايخ النجاشي، وقال : إن النجاشي عظمه

---

(١) رجال النجاشي ص ٦٧ .
(٢) رجال النجاشي ص ٥٧ .
(٣) نخبة المقال ص ١٤٠ .
(٤) راجع الرجال للعلامة ص ١١ /١٢ .

في كثير من المواضع »[1] . وفي منتهى المقال : « إن هذه العبارة ظاهرة في تعديله ، ثم قال : « والنجاشي ينقل عنه كثيراً معتمداً عليه منه في أحمد بن عامر ، ويأتي في عبد الله ابنه أنه أجازه ، وبالجملة لا شبهة في أنه شيخ إجازته بل من إجلائهم . . »[2] وعده في وجيزة المجلسي في الممدوحين ، وعده الفاضل المجلسي حسناً ، واستجود ذلك المامقاني ، ورفض عدّ صاحب الحاوي له في الضعفاء[3] .

ومهما يكن من أمر فإن الرجل ممن يمكن الإعتماد على روايته ولا سيما بملاحظة كونه من مشايخ الإجازة ، وكثرة نقل النجاشي عنه وتعهد النجاشي بأنه لا ينقل إلا عن الثقات .

٢ ـ علي بن همام :

الظاهر أن الصحيح : (أبو علي بن همام) فإنه هو الذي يروى عنه إبن الجندي[4] ، فسقطت كلمة « أبو » وقد ورد نص النجاشي عند القهبائي بإضافة لفظ (أبو) ونسخته كانت مصححة على الظاهر وقد استظهر التستري ذلك أيضاً وقال : « لكن الظاهر كونه محرف عن : (أبي علي بن همام) وهو محمد بن همام »[5] ، وقد قال عنه النجاشي : « محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي شيخ أصحابنا ومتقدمهم ، له منزلة عظيمة كثير الحديث[6] الخ . . . »، وقد توفي سنة ٣٣٦ أو ٣٣٢. وقال الشيخ : «محمد بن همام

---

(١) الكنى والألقاب ج ١ ص ٢٤٦ .
(٢) منتهى المقال ص ٤٤ وقريب منه في تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠ وبهجة الآمال ج ٢ ص ١٤٦ .
(٣) تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠ .
(٤) رجال النجاشي ط مركز نشر كتاب ص ٢٩٤ وص ٩٤ وراجع معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٣٣ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٨ .
(٥) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٥ .
(٦) رجال النجاشي ط مركز نشر كتاب ص ٢٩٥ والفهرست ص ٣٢٤ وعنه في معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٣٣ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٧ وراجع جامع الرواة ج ٢ ص ٢١٢ وتنقيح المقال ج ٢ قسم ٢ ص ٥٨ ونقد الرجال ص ٣٣٨ .

الاسكافي يكنى أبا علي، جليل القدر، ثقة، لروايات كثيرة»[1] ووثقه النجاشي أيضاً في ترجمة جعفر بن محمد بن مالك[2].

وقال المامقاني: «وعلى كل حال فقد وثقه في الوجيزة والبلغة والمشتركاتين، بل والحاوي أيضاً، ولا غمز فيه من أحد بوجه»[3].

وقال العلامة: «شيخ أصحابنا ومتقدمهم، له منزلة عظيمة كثير الحديث جليل القدر ثقة»[4]. وقال ابن داود: «ثقة جليل القدر»[5].

٣ ـ الحميري:

والظاهر أنه كما استظهره التستري أيضاً[6] هو «عبد الله بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع الحميري أبو عباس القمي» شيخ القميين ووجههم[7] فإنه هو الذي يروي عنه محمد بن الحسن بن الوليد الذي ورد في سند الشيخ المتقدم وهو الذي يروي عن هارون بن مسلم ولا إشكال في وثاقته وابنه محمد ثقة أيضاً.

ومهما يكن من أمر فقد عرفت ما قاله عنه النجاشي والشيخ رحمهما الله تعالى.

وقال في مشكا «إبن جعفر إبن الحسين الحميري الثقة»[8].

---

(١) الفهرست ص ٣٢٤/٣٢٥ وراجع رجال الشيخ ص ٤٩٤ وعنه في معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٣٣ وعنهما في قاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٧.

(٢) رجال النجاشي ص ٩٤ وعنه في قاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٨ وتنقيح المقال ج ٢ قسم ٢ ص ٥٨.

(٣) تنقيح المقال ج ٢ قسم ٢ ص ٥٨.

(٤) رجال العلامة ص ٧١ ومنتهى المقال ص ٢٩٦ عنه.

(٥) رجال ابن داود ص ٣٣٩.

(٦) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٥.

(٧) رجال النجاشي ص ١٦٢ والفهرست للشيخ ص ١٨٩ ورجال ابن داود ص ٢٠٠ ونقد الرجال ص ٢٩٦ وراجع معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ١٣٩ وقاموس الرجال ج ٥ ص ٥١٣ /٥١٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٤٧٨ عنه ومنتهى المقال ص ١٨٣ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤.

(٨) منتهى المقال ص ١٨٣.

وقال عنه الشيخ أيضاً: ثقة[1]، وقال أيضاً: «عبد الله بن جعفر الحميري قمي ثقة»[2].

وقال العلامة: «شيخ القميين ووجههم قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين ثقة»[3].

وقال المامقاني: «ووثقه في فرج المهموم لإبن طاووس والوسائل والوجيزة والمشتركاتين والحاوي وغيرهما أيضاً ولا غمز فيه من أحد بوجه من الوجوه»[4].

٤ ـ هارون بن مسلم:

قال عنه النجاشي ثقة وجه[5] وقال في الوجيزة: ثقة[6]. وذكره في الحاوي في قسم الثقات[7].

ووصف العلامة طريق الصدوق (ره) إلى القاسم بن عروة بالصحة وهارون بن مسلم هذا في الطريق[8]. ووثقه البحراني في البلغة[9] ثم تنظر فيه ولعل سببه قول النجاشي له مذهب في الجبر والتشبيه والظاهر ان هذه التهمة لذكرهم الروايات الدالة على ذلك في كتبهم[10].

٥ ـ الحسين بن علوان:

قال النجاشي: «الحسين بن علوان الكلبي مولاهم كوفي عامي، وأخوه

---

(١) الفهرست ص ١٨٩ وعنه في منتهى المقال ص ١٨٣ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤ ونقد الرجال ص ١٩٦.

(٢) رجال الشيخ ص ٤٣٢ ونقد الرجال ص ١٩٦ وكذا في جامع الرواة ج ١ ص ٤٧٨ عنه ومنتهى المقال ١٨٣ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤.

(٣) رجال العلامة ص ٥٢ ومنتهى المقال ص ١٨٣ عنه وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤.

(٤) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤.

(٥) رجال النجاشي ص ٣٤٢ ورجال العلامة ص ٨٧ وعنهما جامع الرواة ج ٢ ص ٣٠٧ ومنتهى المقال ص ٣٢٠ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥ وقاموس الرجال ج ٩ ص ٣٨٣ ونقد الرجال ص ٣٦٦ ومعجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٢٩.

(٦)و(٧) منتهى المقال ص ٣٢٠ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥.

(٨) المصدران المتقدمان.

(٩) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥.

(١٠) راجع منتهى المقال ص ٣٢٠ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥ وقاموس الرجال ج ٩ ص ٣٨٤ فإن =

الحسن يكنى أبا محمد ـ ثقة رويا : عن أبي عبد الله عليه السلام ، وليس للحسنين كتاب والحسن أخص بنا وأولى »[1] . وهذا التوثيق راجع إلى الحسين بن علوان لا إلى أخيه الحسن لأن الترجمه له ، وجملة : وأخوه الحسن يكنى أبا محمد معترضة ، قال الخوئي : « وقد تكرر ذلك في كلام النجاشي في عدة موارد منها في ترجمة محمد بن أحمد بن عبدالله أبي الثلج »[2] ، أما الكشي فقد عده في جملة جماعة قال عنهم : « هؤلاء من رجال العامة إلا أن لهم ميلاً ومحبة شديدة »[3] .

وقال إبن عقدة : « إن الحسن كان أوثق من أخيه وأحمد عند أصحابنا »[4] .

قال الخوئي : « أقول في كلام إبن عقدة دلالة على وثاقة الحسين وكونه محموداً »[5] .

وقال في الوجيزة عنه: «موثق على الأظهر وقيل ضعيف». وذكرهما كليهما في الحاوي في الموثقين ثم في الضعاف فتأمل . وفي مشكا : إبن علوان الثقة عنه هارون بن مسلم »[6] .

٦ ـ سعد بن طريف :

قال الشيخ عنه : « سعد بن طريف الحنظلي ، الإسكاف ، مولى بني تميم

= الصدوق يذكر أن سبب نسبتهم إلى ذلك هو ذلك وكذا الشيخ يذكر هذا في العدة .

(١) رجال النجاشي ص ٤١ (وراجع الفهرست ص ١٠٧) ونقد الرجال ص ١٠٧ ومنتهى المقال ص ٩٦ وتنقيح المقال يج ١ ص ٢٨٩ وقاموس الرجال ج ٣ ص ١٩٢ و٣٠١ ومعجم رجال الحديث ج ٤ ص ٣٨٢ وج ٦ ص ٣١ .

(٢) معجم رجال الحديث ج ٤ ص ٣٨٣ .

(٣) رجال الكشي ص ٣٩٠ وراجع جامع الرواة ج ١ ص ٢٤٧ ونقد الرجال ص ١٠٧ ومنتهى المقال ص ١١١ وتنقيح المقال ج ١ ص ٣٣٦ و٢٨٩ .

(٤) رجال العلامة ص ١٠٣ وراجع جامع الرواة ج ١ ص ٢٤٧ ونقد الرجال ص ١٠٧ ومنتهى المقال ص ١١١ وتنقيح المقال ج ١ ص ٣٣٦ وقاموس الرجال ج ٣ ص ١٩٢ و٣٠١ .

(٥) معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٣١ .

(٦) منتهى المقال ص ٩٦ .

الكوفي ، ويقال سعد الخفاف ، روي عن الأصبغ بن نباتة ، وهو صحيح الحديث »[1] .

وقد فهم الشهيد الثاني من هذه العبارة كونه « ثقة ضابطاً ، ففيه زيادة تزكية »[2] وكذا فهم المامقاني منها حيث قال :

« إن هذه الكلمة إذا وردت في كلام القدماء فلا ريب ولا شبهة في افادتها مدح الراوي مدحاً كاملاً في روايته بل في نفسه أيضاً ، وكون روايته من القوى ، وفي افادته كونه عدلاً وجهان اظهرهما ذلك »[3] .

ثم ناقش قول من قال : إنها لا تفيد توثيقاً للراوي ، لأن المراد بالصحيح ما وثقوا بصدوره عن المعصوم ولو لأجل القرآئن الداخلية فيكون دلالته على الحسن أو المدح أدون من دلالة قولهم فلان ثقة في الحديث ، إذ دلالته على وثاقته الحديث إنما هو من جهة وثاقة الراوي نفسه[4] .

ناقش المامقاني ذلك بأن ثمة فرقاً بينا بين قولهم حديث صحيح وهذا هو مستند ذلك القائل ، وبين قولهم صحيح الحديث ، فإن الأول وصف للحديث والثاني وصف للرواي والأول يجامع ما لو كان منشأ الوثوق إمارات أخر بخلاف الثاني ، فإن من يوثق بصدور جميع رواياته عن المعصوم هو العدل الامامي الضابط[5] .

ثم قال : « فالذي يظهر لي : ان قولهم صحيح الحديث ليس بأضعف من قولهم ثقة في الحديث إن لم يكن أقوى منه بل الأظهر أنه أقوى منه »[6] ثم أيد

---

(١) رجال الشيخ ص ٩٢ وعنه في المصادر التالية : رجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٤ ونقد الرجال ص ١٤٨ وتنقيح المقال ج ٢ ص ٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٢ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ و٣٢٥ .

(٢) الدراية ص ٧٦ .

(٣) مقباس الهداية ص ٧٠ .

(٤) راجع نتيجة المقال في علم الرجال ص ٦٤ ومقباس الهداية ص ٧٠ .

(٥) مقباس الهداية ص ٧٠ .

(٦) المصدر السابق .

استظهاره بما تقدم عن الشهيد الثاني نعم هذا ما قاله الشيخ عن سعد بن طريف ، وهذا ما فهمه العلماء منه.

ولكن النجاشي قال عنه : « يعرف وينكر » قال : وكان قاضياً[1] وزاد ابن داود : في حديثه نظر[2] .

فإذا اعتبرنا أن هذا قدح في روايته لا في نفسه فقد يكون ثقة في نفسه لكن حديثه يعرف وينكر[3] . . فقد تعارض جرح النجاشي مع تعديل الشيخ لرجوع كليهما إلى نفس الحديث لا إلى المحدث والجرح مقدم ولا سيما إذا كان من النجاشي . .

أضف إلى ذلك : إن حمدويه قال : كان ناووسياً[4] .

وقال ابن الغضائري : إنه ضعيف[5] .

وقال في الحاوي : إن الأرجح كلام الكشي الذي نقله العلامة ، وهو الموجود في كتابه ، والنجاشي ، فالرجل ضعيف لما ذكر ، مع تأييد كلام ابن

---

(١) الظاهر أن الصحيح : « وكان قاصاً) كما سيظهر من الرواية التالية ، وعبارة منتهى المقال ص ١٤٤ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ عن النجاشي « قاصاً » وأكد على ذلك في قاموس الرجال ص ٣٢٥ ج ٤ وراجع ج ٣ ص ٣٠١ وحققه في تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦ وراجع كذلك هامش ص ١٥ ومعجم رجال الحديث ج ٦ ص ٣١ / ٣٢ .

(٢) راجع : رجال النجاشي ص ١٣٥ ورجال ابن داود ص ٤٥٦ ورجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٤ ونقد الرجال ص ١٤٨ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ (٣٢٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٧ وراجع الفهرست ص ١٥٢ .

(٣) منتهى المقال في علم الرجال ص ٩٥.

(٤) راجع : رجال الكشي ص ٢١٥ ورجال ابن داود ص ٤٥٦ ورجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وتنقيح المقال ص ١٢ / ١٥ وفيها عن التحرير الطاووسي وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٣ و٣٥٥ ونقد الرجال ص ١٤٨ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ / ٣٢٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٩ .

(٥) رجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٥ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ / ٣٢٥ ومعجم رجال الحديث يج ٨ ص ٦٨ .

الغضائري له ، وصحة الحديث على تقدير دلالته على التوثيق لا يعارض ذلك[1] . . .

قال المامقاني : « وظاهره طرح رواياته ، حتى ما رواه في زمان استقامته . . الخ »[2] .

ولكن قال ابن داود الحلي : «قيل: كان ناووسياً ولم يثبت»[3].

وقال الاردبيلي : « والأولى التوقف فيه وفي روايته وجواز اخراجها شاهداً »[4] .

وقال المامقاني : « بل لعله مراد النجاشي أيضاً أي يعرف حديثه الذي صدر منه في زمان استقامته ، وينكر حديثه الذي رواه في حال انحرافه »[5] .

وقال : « وقول النجاشي إنه يعرف وينكر يراد به على الظاهر : كون حديثه يرد مرة مقبولاً للعقول ولظواهر الكتاب والسنة ومرة لا كذلك ككون الصلاة تتكلم وكون الفحشاء والمنكر أسماء رجال وكون ذكر الله أكبر الأئمة عليهم السلام ، وقد تتبعت كثيراً من موارد قولهم في رجل يعرف حديثه وينكر فوجدتها على هذه الصفة ووجدت ما ينكر منها عندهم قد ثبتت صحته بالبراهين الصريحة وصار من ضروريات مذهب الامامية اليوم ، أما حديث وقفه على الصادق عليه السلام فهو إنما ينتج رد رواياته عن غيره ولم يثبت أنه أدرك غير زمن الصادق (ع) الذي يعتقد إمامته وإن كان آخر الأئمة عليه السلام بزعمه ، وإن أبيت عن ذلك كان اللازم عد رواياته عن الصادق (ع) من قسم الموثوق كالصحيح على ما اصطلح عليه علماء الدراية[6] . . الخ .

وبعد أن استظهر الخوئي وثاقته دفع المعارضة بين قولي الشيخ والنجاشي

---

(١) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) رجال ابن داود ص ١٦٨ .
(٤) جامع الرواة ج ١ ص ٣٥٥ .
(٥) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ .
(٦) المصدر السابق .

عنه بقوله: «ولا يعارض ذلك قول النجاشي يعرف وينكر وذلك لأن المراد بذلك أنه قد يروي ما لا تقبله العقول العادية المتعارفة وهو لا ينافي الوثاقة ولا ما عن ابن الغضائري من تضعيفه اياه، فإنا قد ذكرنا أنه لم يثبت صحة نسبة الكتاب إليه، فلم يعلم صدور التضعيف منه»[1].

وخلاصة القول إن المراد بالانكار إن كان هوأن أحاديثه مختلطة ومرفوضة لأن فيها الصحيح وغيره ، فشهادة النجاشي تعارض شهادة الطوسي وإن كان المراد به : إنها غريبة لا يتعقلها الإنسان الاعتيادي لم يكن ثمة معارضة بينهما لأن إنكار العقول وعدم قبولها للحديث لا تنافي صحته ، والظاهر هو صحة هذا التوجيه ، فإن هذا الرجل قد كان قاصاً كما تدل عليه رواية الكشي :

« حدثني حمدويه بن نصير قال : حدثني محمد بن عيسى ومحمد بن مسعود ، قال : وحدثني محمد بن نصير قال : حدثني محمد بن عيسى قال : حدثني الحسن بن علي بن يقطين عن حفص بن محمد المؤذن عن سعد الاسكاف قال :

قلت لأبي جعفر عليه السلام : إني أجلس فأقص ، وأذكر حقكم وفضلكم قال : وددت أن على كل ثلاثين ذراعاً قاصاً مثلك »[2] .

وواضح أن عمل القاص هو أن يقص على الناس ما يجلب انتباههم ويؤثر في نفوسهم ، وكثير منهم من يأتي بالغرائب والعجائب ، وفضائل الأئمة فيها الكثير مما يمكن أن يثير عجب الناس واستغرابهم ، ولأجل ذلك نجده هو نفسه لا يدري كيف يخبر الناس ببعض الأمور التي ذكرها له الإمام عليه السلام حينما أخبره أن القرآن يتكلم والصلاة تتكلم ولها صورة وخلق ، تأمر وتنهى قال سعد : فتغير لوني وقلت هذا شيء لا أستطيع أن أتكلم به في الناس . . ثم إن الإمام فسر له أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر بقوله :

---

(١) معجم رجال الحديث ج ٨ ص ٧٠ .

(٢) رجال الكشي ص ٢١٤ /٢١٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٨ /٦٩ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٢ ومنتهى المقال ص ١٤٤ ونقد الرجال ص ١٤٨ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٣ .

فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ، ونحن ذكر الله ، ونحن أكبر[1] .

ومما يؤيد هذا التفسير : أننا نجد الفلاس يقول عنه : « إنه يفرط في التشيع »[2] ولعل منشأ ذلك هو أنه يروي في حق الأئمة وفضلهم ما لا تقبله العقول العادية ولا تستسيغه أذواق هؤلاء المنحرفين عنهم عليهم السلام . .

وبعد فإننا إذا استظهرنا أن يكون مراد النجاشي هو ذلك بل وحتى لو شككنا فيه فإن كلام النجاشي لا يعود صالحاً لمعارضة كلام الشيخ الذي هو نص صريح في صحة روايته .

بل لقد رأينا البعض يقول : إن التعبير بيعرف وينكر ونحوه كما لا ينافي وثاقة الراوي كذلك لا يفيد القدح في الحديث ، قال : « وأما القدح بالنسبة إلى الحديث وجرحه ، فالصريح من البعض : لا ، حيث ذكر بأنها ليست من أسباب الجرح وضعف الحديث على روية المتأخرين نعم هي من أسباب المرجوحية »[3] وإن كان الظاهر : أن معنى قولهم مختلط الحديث أنه يروي عن الضعفاء ويروي عن المجاهيل ويرسل الأخبار ولا يبالي وهذا من موجبات الضعف[4] .

أضف إلى ذلك كله : أن عهد الأشتر ليس من قسم ما تمجه الأذواق ولا تستسيغه العقول .

وأخيراً . . فيكفي في ترجيح كلام الشيخ أننا نجد جمعاً كبيراً ممن يروي عن هذا الرجل بل أكثر من يروي عنه هم من كبار العلماء والثقات . ويعتبر هذا من مرجحات الوثاقة كما هو معلوم . .

٧ ـ اصبغ بن نباتة :

أما اصبغ بن نباتة فلا نرى أننا بحاجة إلى الإسهاب في إثبات وثاقته ،

---

(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٥ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ .
(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٢٣ .
(٣) نتيجة المقال في علم الرجال ص ٩٥ ومقباس الهداية ص ٨٠ / ٨١ .
(٤) نتيجة المقال في علم الرجال ص ٩٥ .

وحسبه أنهم يعبرون عنه : إنه « من خاصة أمير المؤمنين »[1] وأضاف العلامة قوله : « وهو مشكور »[2] .

وجاء في حديث ، أن أمير المؤمنين عليه السلام قد اعتبره أحد ثقاته . .[3] .

وقال نصر ما ملخصه « والعبارة للتستري » : « كان اصبغ من ذخائر أمير المؤمنين عليه السلام ممن قد بايعه على الموت ، وكان من فرسان أهل العراق وكان عليه السلام يضن به على الحرب والقتال ، وكان شيخاً ناسكاً عابداً وحضض علي عليه السلام أصحابه ، فقام إليه الاصبغ فقال : إنك جعلتني على شرطة الخميس وقدمتني في الثقة دون الناس ، وإنك اليوم لا تفقد مني صبراً ولا نصراً الخ . .[4] .

النتيجة :

وبعد كل ما تقدم فإننا نقول : إن النتيجة هي : أن سند النجاشي إلى عهد الأشتر معتبر ويمكن التعويل عليه . وهو وإن لم يكن موثقاً فلا أقل من كونه حسناً .

سند الشيخ :

وأما سند الشيخ إليه فهو أيضاً كذلك . . بل لقد نص السيد الخرئي

---

(١) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٦٢ وجامع الرواة ج ١ ص ١٠٦ ورجال العلامة ص ١٣ ونقد الرجال ص ٤٩ ورجال ابن داود ص ٦٠ ورجال النجاشي ص ٧ وقاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٤ و١٠٣ .

(٢) رجال العلامة ص ١٣ وجامع الرواة ج ١ ص ١٠٦ .

(٣) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٤ /١٠٥ عن الوسائل ومعادن الحكمة. وقال ص ١٠٧ : إن هذا الخبر هو خبر رسائل الكليني والأصل في نقله ابن طاووس في آخر كشف المحجة ، وراجع كشف المحجة ص ١٧٤ .

(٤) راجع شرح النهج ج ٨ ص ٨٢ وصفين ص ٢٤٢ /٢٤٣ و٤٠٦ والنص مختلف ، واخترنا نص قاموس الرجال ٢/١٠٧ .

حفظه الله تعالى : على أن سند الشيخ إلى هذا العهد صحيح[1].

والحق أنه موثق أو حسن لوجود من هو عامي في سنده ، ولعل مراده بالصحيح الأعم منه ومن الموثق .

ومهما يكن من أمر . . فإن عدداً من الرواة في سند الشيخ هم أنفسهم قد وردوا في سند النجاشي ، وذلك ابتداء من الحميري فصاعداً . . نعم . . يوجد ثلاثة أشخاص في سند الشيخ لا بد من البحث عنهم وهم :

١ ـ ابن أبي جيد .
٢ ـ محمد بن الحسن .
٣ ـ الحسن بن ظريف .

فلا بد من الإشارة الموجزة إلى حالهم أيضاً . .

فنقول :

١ ـ ابن أبي جيد :

وهو علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد

قال الاصبهاني : « كان من مشايخ النجاشي والشيخ الطوسي كما صرحا بذلك في مواضع عديدة من رجاليهما وفي سائر كتب الشيخ وباقي الأصحاب أيضاً .

وهو يروي عن جماعة منهم محمد بن الحسن بن الوليد . . الخ ، كما يظهر من مطاوي فهرس الشيخ ورجال النجاشي وغيرهما[2] .

وقال الميرزا محمد الأسترا بادي : « ظاهر الأصحاب الاعتماد عليه ويعد طريق هو فيه حسناً أو صحيحاً كما هو لا يخفى وفي نص قال المحقق البحراني : اكثار الشيخ الرواية عنه في الرجال وكتابي الحديث يدل على ثقته وعدالته وفضله

---

(١) معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٢٢ .
(٢) رياض العلماء ج ٣ ص ٣٤٩ / ٣٥٠ .

كما ذكره بعض المعاصرين يعني خالي ، والمحقق الداماد رحمهما الله انتهى[1] .

وقال ميرزا عبد الله أفندي : « وأقول : الحق أن هذا الشيخ من الثقات الموثوق بهم »[2] .

وقال نظام الدين القرشي في نظام الأقوال : « . . وهو غير مذكور في كتب الرجال بمدح ولا ذم لكن شيخنا دام ظله البهي قال : إنه وأمثاله من مشايخ الأصحاب لنا حسن ظن بحالهم وعدالتهم وقد عددت حديثهم في الصحيح جرياً على عنوان مشائخنا المتاخرين »[3] .

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي : « كثرت رواية الشيخ عنه ، حتى آثر الشيخ الرواية عنه غالباً على الرواية عن المفيد لإدراكه محمد بن الحسن بن الوليد ، وروايته عنه بغير واسطة بخلاف المفيد »[4] .

وقال الشيخ البهائي : « لم أظفر في كتب الرجال ما يدل على توثيقه لكن العلامة في المنتهى والمختلف ، وشيخنا الشهيد في الذكرى وصفا روايته بالصحة . . إلى أن قال : والمستفاد بعد التتبع : أن الرجل من وجوه أصحابنا من رجال العسكري عليه السلام . وقد روى عنه أكابر هذه الطائفة كالشيخ الجليل أحمد بن عبد الله الأشعري وغيره وظني عدد روايته من الحسان »[5] .

٢ ـ محمد بن الحسن :

أي محمد محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (كما ذكره التستري وغيره)[6] شيخ القميين وفقيههم . ولعل شهرته تغني عن التعريف به ، ولكننا مع ذلك نشير إلى قول كل من الشيخ والنجاشي فيه وكفى .

---

(١) منتهى المقال ص ٣٥٦ وراجع رياض العلماء ج ٣ / ٣٥٠ .
(٢) رياض العلماء ج ٣ ص ٣٥١ .
(٣) رياض العلماء ج ٣ /٣٥١ .
(٤) جامع المقال ص ١٨٠ وعنه في رياض العلماء ج ٣ ص ٣٥١ .
(٥) هامش جامع المقال ص ١٨٠ .
(٦) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٥ وراجع جامع المقال ص ١٨٠ وغير ذلك .

قال النجاشي : « شيخ القميين وفقيهم ووجههم ، ويقال : إنه نزيل قم ، وما كان أصله منها ، ثقة ثقة عين مسكون إليه »[1] .

وقال الشيخ : « جليل القدر عارف بالرجال موثوق به »[2] . وقال : « جليل القدر بصير بالفقه ثقة »[3] . .

٣ ـ الحسن بن ظريف :

قال النجاشي وغيره : ثقة[4] .

وقد اتضح من كل ما تقدم أن سند كل من الشيخ والنجاشي معتبران ولا غبار عليهما . . وحسبنا ما ذكرناه فإن فيه الكفاية لمن أراد الرشد والهداية .

---

(١) رجال النجاشي ص ٢٩٧ .
(٢) الفهرست ص ٣٨٤ .
(٣) رجال النجاشي ص ٤٩٥ .
(٤) رجال النجاشي ص ٤٨ وراجع : الفهرست ص ٩٠ ونقد الإيضاح بهامش نفس الصفحة ورجال العلامة ص ٤٣ وجامع الرواة ج ١ ص ٢٠٤ . .

مصادر البحث

١ ـ الكنىٰ والألقاب ..... للقمي

٢ ـ بهجة الآمال .....

٣ ـ تاريخ الطبري ..... للطبري

٤ ـ تنقيح المقال .....

٥ ـ جامع الرواة ..... للأردبيلي

٦ ـ جامع المقال .....

٧ ـ الرجال ..... للكليني

٨ ـ الرجال ..... للنجاشي

٩ ـ الرجال ..... للعلامة

١٠ ـ الرجال ..... لابن داود

١١ ـ الرجال ..... للشيخ الصدوق

١٢ ـ الراعي والرعية ..... للنكيكي

١٣ ـ رياض العلماء .....

١٤ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

١٥ ـ الفهرست ..... للشيخ الطوسي

١٦ ـ قواعد الحديث ..... للغريفي

١٧ ـ قاموس الرجال ..... للتستري

١٨ ـ معجم رجال الحديث ..... للخوئي

١٩ ـ مقباس الهداية ..... للمامقاني

٢٠ ـ مستدرك الوسائل ..... للنوري

٢١ ـ منتهى المقال .....

٢٢ ـ ميزان الاعتدال ..... للذهبي

٢٣ ـ نقد الرجال ..... للتفريشي

٢٤ ـ نتيجة المقال في علم الرجال .....

الرياضة.. والإستعمار

بمناسبة ألعاب: (ميونخ) لسنة ١٩٧٢م.

إن مما لا شك فيه هو أن الرياضة البدنية أمر محبوب عند الناس ولا سيما الشباب منهم . . بل هي أمر حسن عقلاً وذوقاً ، لأنها عامل مهم من عوامل صحة الجسم ، وصموده أمام عوادي الزمن ، وتقلبات الأيام .

بل هي تؤثر حتى في عقل الإنسان ، وسلامته النفسية ، حتى لقد قيل :

« العقل السليم في الجسم السليم » .

ولكن . . عندما تكون الرياضة عبارة عن ممارسة أمور وحشية من الرياضيين ضد بعضهم البعض ، كما هو الحال في رياضة : (الملاكمة) !! .

وعندما تكون سبباً لهدر الوقت الذي نحن في أمس الحاجة إليه فيما هو أهم وأغلا .

وأيضاً . . وسيلة لصرف الشباب عن مشاكلهم . . وعن قضاياهم الأساسية والمصيرية في كثير من الأحيان . .

وكذلك . . عندما تكون سبباً لدمار شخصية الإنسان ، ولسقمه النفسي ولبعث روح الأنانية والغرور فيه .

نعم . . وعندما تكون الرياضة . . في خدمة أهداف الاستعمار ، الذي

يترصد غفلة شبابنا وامتنا . . لينقض على ثرواتنا وبلادنا ليبتلعها بكل جشع وشراسة . .

ـ عندما تكون الرياضة كذلك ـ فنحن في غنى عنها ، ولسنا بحاجة إليها . . إذ ما جدوى السلامة البدنية ، عندما تكون دماراً حقيقياً للنفس ، وللخلق ، بل وحتى للعقل ، وللتفكير الصحيح والسليم . .

والذي زاد الطين بلة . . والجرح ألماً : أنهم قد أدخلوا القمار في الرياضة أيضاً . . وبدأوا ينظمون له المباريات ، ويرصدون له الجوائز !! .

القمار . . الذي يعرض التكوين النفسي للإنسان للخطر ـ فضلاً عن المال ـ . . ومن ثم . . فإنه يعصف باستقراره ، وباستقرار عائلته ، وكل من يتصل به .

القمار . . الذي يتلف الوقت والمال وعقل وشخصية الإنسان ، ويجعل مستقبله ومستقبل كل من يمت إليه بصلة ، على كف عفريت ، وفي مهب الريح .

القمار . . الذي يصرف المقامر عن كل شؤون حياته الخاصة والعامة وعن مشاكله وقضاياه ، ويحرم حتى أطفاله من أهم ما يحتاجون إليه ألا وهو عطفه ومحبته . . هذا . . إن لم يأت آخر الليل متوتر الأعصاب ، يثور ويعصف لأتفه الأسباب ، ثم هو يبرق ويرعد ، ويتهدد ، ويتوعد .

وأخيراً . . وإذا أمكن انتقاء الرياضة الشريفة ، والمفيدة ، وأمكن إبعاد ذلك الجانب المريض منها والتخلص منه إلى غير رجعة .

وأمكن أيضاً . . لأولئك الذين يدعون أنهم يحدبون على الإنسان ويعطفون عليه ، ويغارون على مستقبله أن يضعوا إلى جانب المنهج الرياضي الجسماني ، منهجاً للرياضة النفسية والتربية الروحية . . وأيضاً . . منهجاً للرياضة العقلية والفكرية يتكفل بتوعية هؤلاء الشباب ، ورفع مستواهم

الفكري ، والثقافي وذلك ليتحقق التكامل على مختلف المستويات بشكل متوافق متوازن . .

وليحرس كل جانب من هذه الجوانب الجانب الآخر من الانحراف والطغيان ـ إذا أمكن ذلك ، فإن الرياضة حينئذ تكون ضرورة لا بد منها وعملاً إنسانياً ورسالياً فذاً ومجيداً . .

نعم . . لقد كان الأجدر . . قبل أن يدخلوا الملاكمة ، والقمار ، وما شابه ذلك . . مما يشكل خطراً على الإنسان وعلى مستقبله وكذلك سائر الرياضات التافهة ـ قبل أن يدخلوا ذلك في الرياضة ـ كان الأجدر بهم أن يهتموا بإقامة تلك النوادي التي تتكفل بالتربية الروحية والخلقية . . وأيضاً نواد للتنمية الفكرية والثقافية التي تتكفل بنشر المعرفة ، وتعريف الشباب بمشاكلهم وقضاياهم المصيرية والمستقبلية . .

نعم . . لقد كان الأجدر ذلك . . ولكن ـ يا للأسف ـ فإن الاستعمار والصهيونية العالمية ، وكذلك كل المنتفعين والمتاجرين . . وحتى المغفلين أيضاً ـ إن هؤلاء ـ هم الذين يريدون لهذا الشعب أن يمارس رياضة الخراب والدمار . .

رياضة التغفيل والاستحمار . . رياضة الغرور والأنانية . .

رياضة الضياع ، والجهل ، وهدر الطاقات والأوقات . .

رياضة . . الشقاء والبلاء . . رياضة الحقارة والتفاهة . .

نعم . . إن هؤلاء . . يريدون للشعب رياضة كهذه . .

ليتمكنوا من استعماره واستحماره . .

فمتى . . متى نستيقظ . . متى نعود إلى أنفسنا ، ونعرف واقعنا . . . ونفكر في مستقبلنا . . بجدية ، وحيوية ، وأناة . .

ربما توقظ الكلمة هجوداً .
وتهدي ضالاً وحيداً .

وتصنع مستقبلاً مجيداً.

فذكر . . فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

والحمد لله رب العالمين . . وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين . .

منهم الخالدون

لا شك أن الخلود الحقيقي الخير المعطاء للإنسان ـ الفرد منه والجماعة ـ ليس مما يباع أو يوهب ، كما أنه ليس من الأمور العفوية ، ولا هو من مقتضيات الصدف وإنما هو مرهون بما يقدمه ذلك الإنسان من خدمات وما يقوم به من أعمال . . ولا شك أيضاً أن بقاء ووجود تلك الخدمات ، والأعمال مرهون ببقاء ووجود الهدف الذي كانت من أجله ، وفي سبيله . . وأنه كلما كان ذلك الهدف سامياً ونبيلاً كلما كان أكثر استمراراً وبقاء ، وليؤثر من ثم في استمرار وبقاء تلك التضحيات والخدمات التي كانت من أجله وفي سبيله .

ومن هنا يتضح جلياً . . أن الخلود والمجد الحقيقي الخير المعطاء ـ لا يكون بالقوة الجسدية ، كما لا يكون بجمال الوجه ، وحسن التكوين ، فإن ذلك وإن كان ربما يوجب مجداً وعظمة ، ويعطي استمراراً ، لكن هذا المجد والعظمة والبقاء متناه ومحدود قد وضع له نهاية منذ وضع له بداية ، كانت بدايته مع الجسد ، فلا جرم أن تكون نهايته مع نهاية ذلك الجسد نفسه ، وليتلاشى ـ من ثم ـ ويضمحل تبعاً لتلاشيه واضمحلاله .

وهكذا المال . . فإنه وإن كان ربما يتسبب بمجد ، واستمرار ، وبقاء ، لكنه محدود أيضاً ؛ حيث إنه مرهون بتلك العلقة القائمة بين المال وصاحبه ـ سواء جمعه صاحبه من أجل نفسه ، أو من أجل نفس المال ـ ، حتى إذا ما

ذهب أحدهما ـ المال أو صاحبه ـ ذهب ذلك المجد ، وتلاشى واضمحل ذلك الوجود ، وانتهى ذلك البقاء .

أما إذا سخرت القوة الجسدية ، والجمال ، والمال في سبيل هدف إنساني سام ونبيل ؛ فإنها ستخلد خلود ذلك الهدف السامي الذي يكمن فيه سر الخلود الحقيقي ، وستستمر وتبقى تبعاً لاستمراره وبقائه .

وإذن . . وإذا لم تكن القوة الجسدية ، ولا الجمال ، ولا المال مهما كثر ، ومهما ازداد، ليس كل ذلك ـ هو سر الخلود الحقيقي، فما هو إذن ذلك الهدف السامي والنبيل، الذي يكمن فيه سر الخلود الحقيقي، والذي يجب أن نعمل من أجله وفي سبيله؟

وهل الخلود منحة من الله عز وجل، يختص بها من يشاء وينزعها عمن يشاء ليست خاضعة لسلطة البشر ولا هي تحت اختيارهم؟ . .

كلا . . ونعم ، إنه منحة إلهية تتوج عملاً إيجابياً . ومن هنا نجد أن هذا السر قد حدده الإمام علي (ع) بكلمته الخالدة خلود الدهر ، حيث يقول :

« هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر » .

حيث لا يقصد من هذه الكلمة وأمثالها مما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ـ لا يقصد ـ ذم المال وجمعه ، ولا ذم المتمولين .

لا . . ليس المقصود منها هذا ، ولا ذاك . . حيث إن أئمتناعليهم السلام لا يقولون لنا : إننا يجب أن لا نجمع المال ، وأن لا نكافح من أجله ، وأن لا نعمل في سبيله . . بل يقولون : إن المال ليس من القيمة بحيث يستحق أن نكرس له كل وجودنا ، وكل طاقاتنا ، وكل امكاناتنا ، بحيث يكون الهدف الأول والأخير لنا . . إنهم يقولون : إننا يجب أن نسعى وراء المال ، ونجهد في سبيل تحصيله ، لكن على أن يكون وسيلة لا على أن يكون غاية .

وبعبارة مختصرة : أن ائمتنا لا ينكرون أن المال ضرورة من ضرورات حياتنا ، لكنهم ينكرون علينا أن نهب له كل حياتنا .

وعليه فليس مقصوده (ع) من هذه الكلمة وأمثالها الابيان سر الخلود والبقاء في الحياة لهذا الإنسان ، وأنه هو العلم والفكر والمعرفة . لا من حيث أنه علم وفكر ومعرفة بل من حيث أن به يكون الإنسان إنساناً ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وما تشتمل عليه من مداليل . .نعم . . إن الخلود والبقاء مرهون بالعلم النافع الذي لا جهل معه ، والفكر المبدع ، والمعرفة المعطاء .

نعم . . إن سر الخلود ، هو العلم الذي يتحكم بالقوة ، والفكر الذي يسير المال والمعرفة التي تفيد من الجمال . . إنه العلم والمعرفة والفكر الذي يسخر كل ذلك في خدمة ذلك الهدف العالي للإنسانية الذي يجب أن يكرس الإنسان له كل وجوده ، ويمنحه كل طاقاته ، ويهبه كل امكاناته .

نعم . . إن ذلك هو الحق، إذ ما قيمة الجمال والقوة، وهما يتلاشيان، ويضمحلان بمجرد تلاشي الجسد الذي يحلان فيه واضمحلاله . . وأيضاً ما قيمة المال ، إن لم يكن له عقل يحرسه ، ومعرفة تدبره ، وفكر يحدب عليه ويذب عنه ؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال » .

ومن هنا حكم عليه السلام على خزان الأموال بالهلاك حتى في حال حياتهم ؛ حيث إن خازن المال ليس أكثر من مجرد حارس له ، لا قيمة له أبداً ، بل يكرهه الناس ويمقتونه . . يمقتون وجوده ؛ حيث يمنعهم من الوصول لذلك المال الذي تشتهيه نفوسهم ، وتطمح له عيونهم ، والذي لو لا وجود ذلك الحارس لأمكن أن يكون لهم ، وتحت سلطتهم واختيارهم .

إن الوجود الحقيقي للمال وليس لصاحبه . . كما أن القوي ذا البطش، يكون الوجود الحقيقي لعصاه وليس له ، وهكذا . . فإنه بمجرد أن يفقد هذا عصاه فسيفقد نفسه ، وبمجرد أن يفقد ذاك ماله فسيفقد نفسه أيضاً .

أعود لأقول : إن من يجمع المال من أجل المال، أو من أجل نفسه، فإن الوجود الحقيقي للمال وليس له . أما هو ، فإنه عدم لا وجود له ، محكوم عليه بالهلاك والفناء حتى في حال حياته بمجرد هلاك ذلك المال . بل هو هالك حتى مع

بقاء ذلك المال . لا يرد عنه ماله شيئاً ولا يدفع .

بل قد يسوقه نفس ماله ـ من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم ـ إلى الهلاك والدمار والفناء ، وذلك عندما يستعمله في شهواته الحيوانية ، ولـذاته الشخصية ومآربه الفردية ، ممـا يـعود عليه بالضرر كل الضرر ، وبالبلاء كل البلاء . . . وكذلك عندما يسرف في انفاقه ، ويبذر فيه ، حتى إذا ما فقده أحرقته نار الندم ، وتلظى جحيم الحسرة ، حيث لا تفيده الحسرة ، ولا يجديه الندم .

بل قد يكون المال سبباً في تدمير أمم طالما عانت وكافحت ، وناضلت القرون والقرون من أجل نفسها ، اقتصادياً ، واجتماعياً ، ومعنوياً ؛ حيث تفقد جميع ما تملك ، مهما كان عظيماً وجسيماً ـ تفقده ـ في نزوة من نزوات جهلها ، وقصور نظرها ، وقلة معرفتها . تسلمه ـ وهي من ورائـه ـ للفناء والـدمار والعدم .

وهكذا . . فإن الأمم لا يمكن أن تقاس بمقدار ما تملك من مال ونوال فحسب وإنما يجب أن تقاس بالإضافة إلى ذلك بمقدار ما تملكه من علم ومعرفة وطاقة فكرية .

وأخيراً هذا حال خزان الأموال فإنهم هالكون حتى في حياتهم . أما العلماء فإنهم باقون ما بقي الدهر ، باقون ما دامت الإنسانية بحاجة إلى علم وفكر ومعرفة ، باقون بأفكارهم ، باقون بتعاليمهم ، باقون بانسانيتهم الرفيعة المثلى .

وبعد كل ما تقدم . . يظهر لنا سرّ كون « مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء » .

مع أن دماء الشهداء خالدة باقية بمقتضى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ومداد العلماء خالد أيضاً . . بل ان خلوده يفضل خلود دماء الشهداء ، ويزيد عليه ؛ لأن تقديم الفكر والعلم والمعرفة في خدمة مبدأ ، أو أمة ، يفضل كثيراً تقديم الجسد في سبيل ذلك المبدأ ، ومن أجل تلك الأمة . . لأن الجسد

كالمال ـ وإن كان أعز من المال ـ لا يقدم أكثر من مرة واحدة ، ولا يخدم أمته أكثر من مرة واحدة ، وبعد ذلك لا يعود صالحاً للتقديم ، ولا قابلاً للخدمة . أما الفكر والمعرفة والعلم فإنه يبقى على مر الزمن قابلاً للخدمة ، وصالحاً للتقديم .

نحن لا ننكر أن تقديم الجسد ، وخدمة الأمة بواسطته سبيل للخلود والبقاء ، لكننا نقول : إن الذي يفضل ذلك ، ويزيد عليه هو تقديم العلم والفكر ، والمعرفة ، ووقفها في خدمة الأمة ، ومن أجلها . وفي سبيل الإنسان ، لا من حيث هو جسد ، بل من حيث هو إنسان .

وهكذا نرى . . أن الإسلام لم يمجد ذاتاً ، بقدر ما مجد فكراً تنطوي عليه تلك الذات . . وأن الإسلام لم يمجد إنساناً ، وإنما مجد الإنسانية في الإنسان . . . فقد « هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر » .

أبحاث حول المرأة

المرأة المسلمة في مواجهة الطاغوت .
ملكة جمال الإسلام .
المرأة والرجل .

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة المسلمة في مواجهة الطاغوت

ليس غريباً إذا قلنا : إننا حينما نتمثل المرأة بشكل طبيعي . . فإنما نتمثل هذا الموجود الضعيف الطيب ، الذي يفيض رقة وحناناً . . ولربما لا يخطر لنا على بال أن نجد لها من المواقف والأدوار إلا ما ينسجم مع تلك الرقة ، ويتلاءم مع ذلك الحنان . . وأما أن نتوقع منها المواقف الجريئة ، والحازمة ، فربما ، ولكن لا إلى الحد الذي تجاري فيه الرجل مثلاً عموماً . .

هذا . . وأما المرأة في عالم اليوم . . بعد أن طغت عليها المادة وغرقت في حمأة الشهوات ، حتى أصبحت مثال المهانة والابتذال، بأجلى صوره وأدق معانيه . . ـ إذا أردنا أن نتمثلها ـ فإنما نتمثل ذلك الموجود الذي فقد كل شيء ، ولم يعد يملك مما يعتز به ، إلا عنصر الأنوثة الطاغي . . نعم . . لم يعد لديها مما تعتز به إلا انوثتها ، وبانوثتها هذه تستدر العطف والرحمة ، وبها تحصل على المال . . وبها وعلى أساسها تحاول التغلب على كل مشاكل الحياة وهي دون غيرها أصبحت تشكل أساس تعاملها مع الرجل ، وأساس كل روابطها به . . وأصبح ذلك هو عالمها الذي تعيش فيه ، وتدور في فلكه ، وتهيم في أجوائه . . وتقيّم كل الأمور على أساسه . . فترتبط بها أو تنفصل عنها من هذا المنطلق ، وعلى هذا الأساس . .

ولقد غاب عنها ـ مع كل أسف ـ أن هذا الشيء الذي ربطت حياتها

ومستقبلها ومصيرها به لا يلبث أن يتلاشى وينعدم ، ولتواجه من ثم مصاعب الحياة ومصائبها وهي لا تملك ـ بعد فقدها إياه على حسب منطقها ـ أي رصيد تستطيع أن تعتمد عليه في دفع الضرر عن نفسها أو على الأقل في تخفيف مشاكلها . .

لأن الرجل . . الذي زين لها ودفعها بشكل أو بآخر لأن تعتبر أنوثتها هي كل ما تملك ، وهي ما تستطيع فقط أن تعتمد عليه ـ إنما أراد وهو الذي لا مبدأ له إلا المال واللذة ـ ولا دين له إلا شهوته ومصلحته ـ أراد أن يتاجر بهذه الأنوثة ويستفيد عن طريقها المال . . أو يحصل على اللذة . . حتى إذا ذوت تلك الزهرة وذبلت ذهب ليبحث عن غيرها ، مما يحقق له مآربه ، ويوصله إلى أهدافه . . بأساليب أمكر ، وبتصميم أكثر وأكبر . . وليتركها هي في منتصف الطريق ،وحيدة فريدة ، رهينة البلاء والشقاء ، وأسيرة التعب والعناء . . لأنها قد ضحت بكل شيء في سبيل لا شيء .

والغريب في الأمر . . أنها لم تستطع أن تدرك أيضاً : أن هذه الأنوثة ، وذلك الجمال لم تحصل عليه باختيارها . . فاعتزازها إذن بأمر لا قدرة لها فيه ولا اختيار لها معه لا معنى له ، ولا منطق يساعده . . كما أنه لا مبرر لأن تأخذ على أساسه امتيازاً حتى ولو أدبياً تحرم منه مثيلاتها ممن لم يسعفهن الحظ بجمال بارع ، أو أنوثة صارخة . .

. . نعم . . لقد أصبحنا نجد أن المرأة في عالم اليوم لا تهتم إلا بما يبرز معالم فتنتها ، ويزيد من إثارتها . . فهي تعيش في عوالم الأزياء ، والمساحيق ، والموضة . . وتخشى باستمرار أن يسبقها الزمن ، وتتجاوزها الأيام . . فتفقد أعز شيء تملكه أو يفوتها الموديل الذيي سوف تعتز به ، أو فقل تستعين به على إظهار ما تعتز به ، وعرضه في سوق المتاجرة فيما لا ينفع ولا يجدي ، ولا يجر على الإنسانية أي نفع أو فائدة إن لم يكن عكس ذلك هو الصحيح . .

أما الإسلام . . هذا الدين السماوي الخالد ، فلقد ألغى كل الامتيازات القائمة على أساس الفتنة والاغراء ، والاعتزاز بالأنوثة .

واعتبر أن أساس التفاضل بين بني الإنسان هو التقوى ورضا الله

والأخلاق الرفيعة والفاضلة الرضية نعم لقد جعل العمل هو الميزان والمقياس وجعل الأساس للاعتزاز به لكل الناس بما فيهم المرأة هو الهدف الذي من أجله وفي سبيله يكون ذلك العمل فكلما كان الهدف سامياً ورفيعاً كلما كان ذلك مصدر اعتزاز وتقدير للإنسان..

وحيث إن العقيدة الإسلامية هي التي تمثل أرفع المبادىء وأسماها ... وأجل الأهداف وأعلاها .. فإن من الطبيعي : أن يكون لنسبة التمسك بمبادىء الإسلام ، وحجم العمل من أجله وفي سبيله .. أثر كبير في الحصول على الامتيازات ، والاستحقاق للتقدير والاحترام في مختلف المجالات .. والدين والعقيدة والإسلام إذا كان هدفاً للإنسان أي إنسان .. فإنه لا ينفك في أي من الظروف والأحوال عن أن يكون مصدراً لعزته وشرفه وسؤدده سواء في حال شبابه أو في حال طفولته ، أو في حال هرمه وشيخوخته .. وسواء أكان جميل المنظر جذاباً أو غير جميل ولا جذاب ، وسواء أكان غنياً أو كان فقيراً وهكذا .. فهو له ومعه في كل ظرف وفي كل حين .. معه في هرمه كما كان معه في شبابه .. معه في قوته كما هو معه في ضعفه ، معه في غناه كما هو معه في فقره .. وعلى هذه فقس ما سواها ..

وإننا حينما نعتبره له ومعه .. فإنما يعني ذلك : أنه معه وله بكل ما لهذه الكلمة من معنى يتفاعل معه وينسجم معه ويعيش له ويعمل له ويفني فيه وجوده، وتذوب فيه شخصيته، ويجري فيه مجرى الدم.. ويتحكم بوجوده تحكم الروح بالجسد، وبكلمة: أن يعود في الحقيقة إسلاماً حياً يمشي على وجه الأرض..

ولا يمكن أن يكون الذوبان في الإسلام ، وتجسد الإسلام ، خيالاً عذباً يراود مخيلتنا من حين لآخر . كما أنه لا يجوز أن نعتبر أن الذوبان في الإسلام والتفاعل معه لا يتيسر إلا للأنبياء وأوصيائهم .. فلقد ربى النبي (ص) وكذلك علي عليه السلام من بعده ، وبعده الأئمة المعصومون من أبنائه عليهم السلام ـ لقد ربوا ـ الكثير الكثير من هذه النماذج الحية للإسلام ، التي تعيش الإسلام بكل وجودها وكيانها وتفديه بكل ما تملك من غالٍ ونفيس .. لقد ربوا

الكثيرين ليس رجالاً فحسب وإنما رجالاً ونساء . .

. . فكانت النساء كالرجال في إيمانها وتضحياتها ومواقفها . نعم كالرجال . . بل ولقد زدن عليهم . . وحينما ننظر إلى تلكم النساء اللواتي صنعهن الإسلام . . فلا نكاد نعثر ، ولا يمكن أن نعثر على واحدة منهن تعتبر المصدر لعزتها وسؤددها هو جمالها وأنوثتها أو فستانها أو مساحيقها ولا نكاد نجد فيهن شيئاً من ملامح الضعف والوهن . . بل هن يكدن يذبن حناناً ورقة في موضع الرقة والحنان . . وهن تزول الجبال ولا يزلن ولا تزعزعهن الرياح العواصف في موقع الحزم والصبر والشجاعة وهن يضحين بكل شيء مهما عز وغلا في موضع التضحية والفداء . .

ولنا في تاريخ الإسلام الكثير من الأمثلة على ذلك . . ولا نريد أن نذكر فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ومواقفها السياسية والعقيدية ولا نريد أن نذكر خديجة وصبرها وتضحياتها . .

وإنما نكتفي بالإشارة إلى موقف واحد من مواقف بنت فاطمة وعلي (ع) وأخت سيد الشهداء الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه . .

إنها زينب عقيلة بني هاشم وبطلة كربلاء . .

زينب . . التي كانت تعتز بدينها وعقيدتها . . وتعتز بخلقها الرضي وسجاياها الرفيعة ، وأدبها الجم . . زينب . . التي كانت تعتز بسلوكها المثالي ، ومواقفها الرائدة ، وعلمها النافع ورأيها الحصيف . . زينب . . التي كانت أبعد ما تكون عن حب المال والجاه والشهرة . . زينب التي كانت أبعد ما تكون عن الميوعة والابتذال والمهانة . . زينب . . التي كانت لا تعرف الأزياء ولا فواتير الطعام ولا غير ذلك مما يعرفه فتيات ونساء اليوم . .

زينب هذه . . قد صنعت في مصنع الإسلام ، وربيت تربية الإسلام وعاشت الإسلام عقيدة وسلوكاً وهدفاً . .

نعم . . زينب هذه . . لها مواقف ومواقف أين منها مواقف افذاذ

الرجال ، وعظماء التاريخ . . لها مواقف ومواقف في كربلاء ، وفي الكوفة وفي المدينة . . وفي الشام . . وفي كل مكان تواجدت فيه . .

ولن نستطيع أن نستوفي الحديث عن مواقف زينب الرائعة والرائدة ولا أن نلم ببطولاتها النادرة . . ولذا فنحن نكتفي بتسجيل لمحات عن موقفها في الشام مع يزيد الطاغية . . وبالأخص تسجيل مقارنة سريعة بين موقفي كل من : زينب الحق والخير والمعرفة والوعي . ويزيد الخمور والفجور والظلم والطغيان والجبروت .

فيزيد . . هو صاحب الجاه والسلطان . . ويرى نفسه ملكاً على أعظم امبراطورية في العالم ، والناس كلهم تحت طاعته ، ورهن إشارته . .

ويزيد يملك الرجال ، والجيوش التي تدافع عنه وتحمي سلطانه ، وتخنق كل صوت يرتفع ضده ، وتسحق كل مخالف ومناوىء له . . ويستطيع أن يضرب بيد من حديد ويقضي على كل حركة أو إشارة من أعدائه .

ويزيد . . يملك مقدرات أعظم دولة على وجه الأرض . . وكل الأموال الهائلة تجبى إليه من أقطار الأرض ، فالمال كل المال له ، وبين يديه ، ومن أجله وفي سبيله .

ويزيد هذا الذي يرى نفسه أعظم رجل على وجه الأرض ويملك كل أساليب القوة والقهر والسلطان . . يرى نفسه أيضاً أنه هو المنتصر الفاتح ، ويرى أن انتصاره كان سريعاً وساحقاً . . وهذا مما يزيد في غروره وطغيانه : وتجبره ، وغطرسته .

ويزيد . . لم يعرف غير النعيم والرخاء ، والطاعة العمياء من كل من حوله . .

ويزيد . . في وطنه وفي بلده . . حيث نشأ وعاش وتربى . . ولا يحس بغربة ، ولا بوحشة . .

ويزيد . . يرى الدنيا تضحك له ويرى نفسه قادماً على مستقبل مشرق

رغيد ، يجد فيه كل أحلامه وأمانيه ومشتهياته . .

ويزيد في أعز مكان يمكن أن يكون فيه : على تخت ملكه ، وفي قصره وفي مجلسه ، وعلى بساطه . .

ويزيد . . لم يفقد أحداً من أعزائه وأحبائه في حرب كربلاء ، ليفت فقده في عضده ويجرح كبرياءه ، ويخفف من عنجهيته .

ويزيد . . رجل وشاب . . والرجل بطبيعته ـ وبالأخص إذا كان شاباً ـ أقوى على تحمل المصاعب ، ومواجهة المشكلات من المرأة ، وأقدر منها على مواجهة الصدمات ولا سيما العاطفية منها .

ويزيد . . الرجل الشاب الفاتك ، ذو البطش ، الذي لم يكن ليقف في وجهه شيء ولا يمنعه شيء حتى الدين من أن يرتكب أي عظيمة ، ويقترف أي جريمة ولا يخاف شيئاً ، ولا يرهب من شيء في سبيل ملكه وكبريائه . . بل هو يقتل حتى أبناء الأنبياء ، وحتى الشيوخ والأطفال الرضع ، وحتى النساء في سبيل وصوله إلى أهدافه ، وحصوله على مراداتـه ، مهما كـانت رخيصة ، وغـير معقولة . .

يزيد هذا . . يقف في وجهه خصم عنيد ، ومكافح شديد ، ويهينه ويذله ، ويبدو هو أمامه خانعاً عاجزاً مقهوراً . . ومما يزيد في مرارة الموقف ، ولوعته وألمه أن خصمه في هذه المرة كان «إمرأة» . .

نعم . . امرأة . . والمرأة أضعف من الرجل وأرق . . كما يقولون وأقل تحملاً في مواجهة الصدمات العاطفية كما يعتقدون . .

وامرأة . . مثكولة ، ومصابة بأولادها ، بأخوتها ، بـأبنائهم ، بنجـوم الأرض من بني عبد المطلب وبخيرة أصحابهم وشيعتهم ومحبيهم . .

وامرأة . . ليس فقط مثكولة بمن ذكرنا ، وإنما هي بنفسها رأت مصارعهم وشاهدت بأم عينها حالتهم البشعة ، والتي تقرح القلوب وتدميها . . . نعم رأت مصارعهم ورافقت كل الأحداث والمصائب التي مرت عليهم . .

وامرأة . . وحيدة ، ليس معها من حماتها حمي ، ولا من رجالها ولي . .

وليس لها جيش يحامي عنها ، أو يدفع . . ولا بيدها سلاح تملكه أو تلجأ إليه .

امرأة . . ليست تملك من المال شيئاً تسد به رمقها ، ورمق من هي مسؤولة عنه ، بل تحتاج إلى أعدائها ليساعدوها على حفظ رمق الحياة ومواجهة عقارب الجوع والعطش اللاسعة، والتي لا ترحم أحداً، ولا ترثي لأحد . .

وامرأة . . تعاني من ذل الغربة ، ووحشة الدار . . وليس فقط الغربة عن بلدها . . بل هي في بلد عدوها وفي يده وتحت سلطته وسلطانه . .

وامرأة . . مهزومة عسكرياً أيضاً .

وامرأة . . تعاني من ذل القهر والأسر بالإضافة إلى ذل الهزيمة العسكرية .

امرأة . . تجد الشماتة القاتلة من أهل الشام بها . . حتى لتزين دمشق استبشاراً بالانتصار عليها وعلى احبتها وبقتلهم وإبادة خضرائهم . .

امرأة . . ترافقها رؤوس أبنائها واخوتها وغيرهم من أحبتها طول الطريق على رؤوس الرماح . بشكل يفتت الأكباد ويدمي القلوب . .

امرأة . . هي بالإضافة إلى كل ذلك تتحمل مسؤولية الحفاظ على طائفة كبيرة من الأرامل والأيتام والأسرى والأطفال . . وقضاء حاجاتهم والإشراف على كل حركاتهم . .

وامرأة . . قد عانت من مشاق السفر ومتاعبه ما فيه الكفاية . .

وامرأة . . لم يكن لها سلطان أو ملك تعتز به ، أو تعتمد عليه . .

. وامرأة . . تقدم على مستقبل مجهول وقاتم ولا تعرف مصيرها فيه ولا مصير كل أهلها وذويها . .

وامرأة . . لم تعرف البذخ والترف والنعيم والرخاء ، كما كان الحال

بالنسبة لبنات الملوك وأبنائهم .

امرأة . . مهما توقعنا منها . . فإننا لا نتوقع إلا أن تنهار ، وتنهزم وتبكي وتنتحب وتعجز . .

نعم . . هذه المرأة بالذات ، وبهذه الخصائص والمميزات تقف في وجه الطاغية يزيد لتذله ، وتسحق شخصيته ووجوده بقدميها ـ تقف في وجهه ، والمواجهة أصعب من الغيبة وعلى بساطه وفي دار ملكه . ويزيد هو من قدمنا تقف وبقوة إيمانها ، وصادق عزيمتها لتقول له ، وللعالم أجمع : إنها هي التي انتصرت في المعركة ، ويزيد ـ يزيد فقط هو الخاسر المغبون ولا خاسر غيره . .

تقف أمام يزيد لتؤدي رسالتها ، ولتعطي الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة الواعية ، التي لا تتصرف بوحي من عاطفة ، ولا يطغى على مواقفها العجز ، ولا الضعف والوهن . .

نعم . . هذه المرأة تقف في وجه يزيد ، وفي دار ملكه ، وعلى بساطه وبين جنده ، ورجال مملكته ، وهي تعاني من ذل الأسر ، والقهر ، والعدم والثكل . . تقف في وجهه لتقول له ـ عندما سمعته يتمثل بأبيات ابن الزبعري :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

ثم زاد عليها قوله :

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

تقف لتقول له ـ على ما ذكره طيفور في بلاغات النساء / ص ٢١ والخوارزمي في مقتل الحسين / ج ٢ ص ٦٤ :

« الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله سبحانه ، حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات

الله ، وكانوا بها يستهزؤون». أظننت يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى : أن بنا هواناً على الله ، وبك عليه كرامة ؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأمور متسقة . وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾.

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك ، واماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟ قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ، ولا من رجالهن ولي . .

وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟! .

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن ، والاضغان ؟! .

ثم تقول غير متأثم ، ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا : يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله ، سيد شباب أهل الجنة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ؟! .

وتهتف باشياخك ، زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودن أنك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت .

اللهم ، خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، وأحل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا . .

فوالله ، ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . . ﴾ .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ، ومكنك من رقاب المسلمين ، بئس للظالمين بدلاً ، وأيكم شر مكاناً ، وأضعف جنداً . .

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى . .

ألا فالعجب كل العجب !! لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها أمهات الفراعل . . ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول . .

فكيد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله ، لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها . . وهل رأيك إلا فند ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين . .

والحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة . ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

فلم يجد يزيد ـ الذي صعق لهول الصدمة ، وارتبك ، ودهش ـ لم يجد في

جوابها إلا أن يقول ؛

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح

ومن موقفها هنا وموقفها مع الطاغية ابن زياد . . وأيضاً حينما مشت بقدم ثابتة إلى مصرع أخيها الحسين حيث وضعت يديها تحت جثته واستقبلت السماء لتقول: اللهم تقبل منا هذا القربان. من كل ذلك نعرف سر قول الحسين عليه السلام هو يتوجه إلى كربلاء حينما سئل عن حمله النساء والأطفال معه وهو يعلم أنه يقتل ، يقول : إن الله شاء أن يراهن سبايا .

هذه هي المرأة المسلمة . . التي عاشت الإسلام عقيدة وسلوكاً وهدفاً ، وتفاعلت معه . . وذاب وجودها فيه . . قوية حازمة في موقع الحزم والقوة ، صابرة محتسبة في موضع الصبر والاحتساب . . وهي أيضاً تفيض رقة وحناناً ، حينما يكون ثمة حاجة إلى الحنان والرقة . .

هذه هي المرأة المسلمة ، تمثل المستوى الأعلى للوعي الرسالي . . سياسياً ، واجتماعياً ، وأخلاقياً ، وتربوياً . . إنها مثال الإنسان الكامل . . الذي يسخر بكل الرجال المنحرفين وبالطغاة والمتجبرين . . ويسحق وجودهم ، وجبروتهم . . والذي يتفاعل مع الأحداث ، ويشارك في صنع مستقبل الأمة بإخلاص ووعي وجدية . .

ونحن الآن بأمس الحاجة إلى هذه المرأة المسلمة ، التي تستهدي بهدى الإسلام ، وتتأثر خطى زينب ، وتقف مواقف فاطمة ، وتضحي تضحيات خديجة . .

ونحن في غنى عن هذه المرأة الحاقدة المعقدة التي تمثل الميوعة والسخف بأجلى مظاهرهما ، ولا تعتز إلا بأنوثتها ، ولا تهتم إلا بمظاهر فتنتها . .

نعم . . لا نريد المرأة التي لا تعرف إلا البلاجات ، والبارات والمسارح ودور الأزياء . . نحن في غنى عن هذه المرأة ، ولسنا بحاجة إليها . . إنها ضرر ودمار على المجتمع والأمة . . وهي أكبر وأخطر من كل سلاح فتاك يتهدد وجود ومستقبل المجتمعات البشرية جمعاء . .

إننا نريد المرأة التي تعتز بدينها وعقيدتها ، وبوعيها ، وبأخلاقها الرضية وسجاياها الكريمة . . وتضحي بكل ما تملك حتى بوجودها في سبيل أهدافها العليا ، وقيمها النبيلة . . نريد المرأة التي تتأثر خطى زينب بنت علي عليه السلام ، وتسير على منهاجها وتؤمن برسالتها . .

مصادر البحث

١ ـ بلاغات النساء ..... لطيفور

٢ ـ مقتل الحسين ..... للخوارزمي

ملكة جمال الإسلام

لم يعد غريباً ولا مستهجناً أن نرى الناس في هذا العصر ينتخبون في كل عام ملكة جمال العالم ، ثم أن نرى الشعوب والدول وحتى المؤسسات العامة والخاصة تنتخب ملكة جمال من بين فتياتها . .

ولم نرهم يعيرون الكثير من الاعتناء للاحتمال الذي يقول : إن هذا الانتخاب غير صحيح لأنه لم يتم من بين جميع فتيات العالم ، كما أنه ظالم بالنسبة لأولئك اللواتي لم تتح لهن ظروفهن الاجتماعية أو غيرها الاشتراك بالمسابقة التي يتم التعيين فيها . .

وتتكون عادة هيئة منتخبة تقوم بإجراء الفحوصات والقياسات اللازمة لمختلف أجزاء جسم الفتيات المرشحات ، وبعد أن يأخذوا بعين الاعتبار ما تحسنه الفتاة من الفنون الحديثة كاللغة الانكليزية ونحوها وكالرقص وركوب الدراجة ولعب كرة القدم هواياتها . . وما شاكل . . وبعد الجمع والتقسيم تعين واحدة لتكون هي المثال للمرأة التي يجب أن تكون كل الفتيات على مثالها وعلى نهجها ، ثم تعطى المداليات وتعلق لها الأوسمة ، كما وتقدم لها الشهادة بمثابة وثيقة تجمع نوعية المفاهيم التي ارتضوها لأنفسهم ليعيشوا في ظلها وعلى أساسها . .

فكأنهم يقولون بذلك لبنات العالم : إن على كل فتاة أن تحسن الرقص

وركوب الدراجة وقيادة السيارة واللغة الانكليزية لتسطيع أن تكون من بين من يمكن أن يسعفها الحظ وتحظى بالحلم السعيد ، وهو أن تكون ملكة جمال شعبها أو العالم بأسره . فعملهم هذا يكون في الحقيقة دفعاً للفتيات نحو مثل هذه الأمور الخيالية الوهمية وترجيحها على كل شيء . . .

ويقولون لهن أيضاً: إنه لا مانع من أن تستسلم الفتاة لكل النظرات البهيمية واللمسات الشهوية التي لا بد وأن تتعرض لها من قبيل هيئة التحكيم عندما تكون شبه عارية أمامها ومظهرة لكل كنوزها التي يجب أن تكون مستورة عن كل ابتذال وامتهان ، ولا مانع أبداً من أن تنحر كل فضيلة في سبيل ذلك ، وأن تضيع جهود جميع الأنبياء والمرسلين ورجال الفضيلة والإصلاح الذين ضحوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل إصلاح هذا العالم من أول التاريخ . . وإلى يومنا هذا . .

والفتيات لا يستطعن إلا أن يصدقن بصحة هذا الخيال وينجرفن مع التيار الذي لم يرحمهن في السابق وكذلك هو لا يرحمهن في اللاحق ولن يكون غيرهن ضحية رخيصة له ، فيهملن كل شيء ويعتقدون أن كل ما في الدنيا ليس إلا ما جاء في فاتورة هيئة الانتخاب ، ويحاولن أن لا يكون في العالم أعرف منهن بما جاء فيها . . ولا يفكرن بالفائدة التي تترتب على أن يحسن ركوب الدراجة أو الرقص أو كرة القدم أو السباحة أو ما شاكل ، ولا يسألن أنفسهن هل أن ذلك يوجب تفوقهن وامتيازهن على جميع بنات جنسهن أم لا ؟ .

هذا كله لو كان لهن جمال يتمكن معه من الاشتراك في المسابقة وإلا فلسوف ينقمن على خالقهن الذي لم يمنحهن ما منح سواهن مع أنهن لا ذنب لهن معه . انهن لا يقدرن أن الفتاة عندما تبذل ما تبذل من شرفها وعفتها وعندما تصرف جهدها لمثل هذه الأمور الزائفة ، وعندما تقع فريسة بين أيدي أعداء الإنسان والإنسانية إنها تكون في الحقيقة بذلك إنما تتنازل عن ما يؤهلها واقعاً لأن تكون الملكة الحقيقية لكل فتيات العالم . .

إن حقيقة الأمر هي أن الدعاية لهذه الأمور ونشر الصور في المجلات التي

تستدر الأموال من مثل هذه الطرق الرخيصة . . قد ضيعت الفرصة على الفتيات للتفكير والتأمل في هذا الأمر الذي يمس شرف الإنسان وكرامته ويؤثر على مستقبله من مختلف الجهات تأثيراً بالغاً وأساسياً وحتى مصيرياً أيضاً ، وليس ذلك إلا من أجل أن يجد الدرهم والدينار السبيل إلى جيوب فئة تستفيد من مثل هذه الأمور الدعائية إلى مجلاتهم أو جلب الزبائن لسلعهم ومنتجاتهم فيهيمنوا على أفكار الناس وخصوصاً الشباب ، ولم يعطوها الفرصة لتقييم الموقف والتأمل في هذا الأمر ليدركوا بفطرتهم أن جمال الصورة وبهاء الوجه وتناسق الأعضاء لا يمكن أن يعطى لأي كائن امتيازاً على أي كائن آخر . . لأن ذلك أمر غير اختياري ولا معنى لأن نعطي الميداليات والأوسمة لشخص على أمر لم يحصل عليه باختياره ، وليس هذا إلا كتفضيل الناس بعضهم على بعض على أساس العرق والنسب واللون مع أن ذلك لم يكن اختيارياً لهم ، فتمجيد هذا ليس إلا كتمجيد ذاك والميدالية والوسام لشخص من أجل جماله وحسن صورته لا تقل سوءاً عن التمييز العنصري الذي يجعل اللون أو العرق أساساً للتمييز والتفاضل . . لكن الفرق أن الأول ينخدع الناس به وينساقون وراءه بدافع شهواني غريزي يهيمن عليهم ويسيطر على شعورهم دون الثاني ولذ كانت الدعاية والطنطنات والعنعنات له دونه . والذي يجب أن يكون هو أن نعطي الميدالية والأوسمة على أمر اختياري يكون للإنسان ونشاطه أثر في الحصول عليه والوصول إليه ، ليستحق التقدير على الجهد الذي قام به والعمل الذي أداه ، وليكون ذلك من ثم خطوة أولى على طريق وضع الإنسان في خط العمل المنتج من أجل خير البشرية وتقدمها، ولدفع مستواها في مختلف الأصعدة . لكن الإسلام وهو دين الفطرة والمطلع على كل الشؤون والغرائز والطبائع البشرية قد قرر أن التمايز والتفاضل ليس إلا بالمزايا الفاضلة ، وبالخلق الرضي الكريم ، والعمل الخير البناء . .

إنه يعتبر أن الفتاة التي يجب أن تعطى الأوسمة والميداليات هي تلك الفتاة الواعية الطاهرة النقية التي تعرف كيف تقوم بواجبها تجاه خالقها وتجاه أسرتها وتجاه زوجها وأطفالها ومن ثم تجاه مجتمعها . ومن هنا نرى القرآن يتحدث عن أن الله يمتدح مريم لأنها : ﴿ صدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين ﴾ (آخر

سورة التحريم) ولنتأمل بعمق قوله : ﴿ من القانتين ﴾ حيث جعلها مع الرجال ، حيث إنها لا تقصر عنهم في شيء ، ثم يعلن أنه تقبلها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً لأنه طهرها ، قال تعالى : ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٧) فقوله : ﴿ وطهرك ﴾ بين قوليه : ﴿ واصطفاك ﴾ يشعر بأن سبب اصطفائه لها على نساء العالمين هو طهارتها من كل ما هو مشين ومن كل النواقص والعيوب ، ولقد كان من صفات مريم الحميدة التي يمدحها عليها القرآن أنها عندما رأت الملاك متمثلاً لها ارتجفت وقالت : « إني أعوذ بالرحمٰن منك » هكذا يجب أن تكون المرأة الفاضلة الطاهرة تخشى حتى من مجرد رؤية الرجل . فهل يصح أن ننظر إلى حالة فتيات اليوم اللواتي لا يهنأ لهن عيش إلا في أحضان الرجال ، ولا يعرفن الحياة إلا على البلاجات وفي البارات والمسابح .

وبذلك يعلن الإسلام رأيه في الفتاة التي يجب أن تكون قدوة لكل فتيات العالم ، كما ويعلن رأيه في الأسس التي يجب أن يقوم عليها اختيار تلك الفتاة القدوة .

ومن هنا فإننا نرى أن من حقنا أن نلوم المسيحيين الذين ابتدعوا فكرة ملكة الجمال كل اللوم ونقول لهم : لماذا لم تجعلوا مريم قدوة؟ وهل كان تفوق مريم على نساء العالمين بالرقص أو ركوب الدراجة أم بالسباحة أم بأي شيء مما جعلتموه ملاكاً ومثالاً لأفضل وخير فتاة في العالم ؟! أليس تفوق مريم على نساء العالم كان بعفتها وطهارتها وقيامها بواجباتها كاملة تجاه كل من له حق تجاهها ؟! ولماذا لا تختارون من كانت مثل مريم في العفة والنزاهة والطهر والعمل الخير ؟! .

وللمسلمين والمسلمات نقول : لماذا لا تنتخبون مثل فاطمة (ع) التي هي أفضل من مريم وأفضل من كل نساء العالمين الأولين والآخرين ؟! فاطمة التي تمثل الوعي الإسلامي الأصيل والطهر بأسمى معانيه ، والتي لم تكن تخدعها زبارج الحياة وبهارجها ، تماماً على عكس بنات اليوم . . فاطمة التي كانت تأكل خبز

الشعير وتلبس الخشن ولم يكن في بيتها غسالة ولا بـراد، وليس لها سيارة ولا غير ذلك .

أما بنات اليوم فلعل ما نشرته إحدى صحف إيران في العهد البائد يعطي صورة أفضل من أي تعبير آخر عن المستوى الذي تعيشه بنات اليوم ، وعن الذهنية التي تحملها ، يقول النبأ : إن إحدى الفتيات التي تدعي الفهم والمدنية اقترنت بشاب من نوعها وعلى شاكلتها ، ولكنها ما لبثت أن عادت إلى المحكمة من جديد وطلبت الطلاق وأصرت عليه ، على اعتبار أن زوجها كان قد وعدها أن تكون سيارتها من اللون الفلاني ثم تبين أنها ليست من ذلك اللون !! أهلاً وسهلاً بالحضارة والمدنية التي من هذا القبيل .

المرأة .. والرجل

لم يعد خافياً على أحد : أن المرأة قبل الإسلام كانت مسلوبة الاختيار في شتى مجالات الحياة ، وكانت قيمتها في تلك المجتمعات هي اللاشيء ، يساوم عليها ، وتباع وتشرى سلعة رخيصة ، كسائر ما يمتلكه الإنسان ويقع تحت سيطرته . . بل كانت ـ حسب اعتقادهم ـ مجلبة للعار ، ومظنة للخيانة .

تلك هي الكتب التاريخية تحدثنا أحاديث مؤلمة ، ـ يندي لها جبين الإنسان الحر خجلاً ـ عن الجرائم التي كانت ترتكبها تلك المجتمعات بحق المرأة . . حتى إنه كان يهون على الرجل وأد فلذة كبده إذا بشر بأنها انثى . ﴿وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ .

لذا . . لم يكن ليدور بخلد أحد آنذاك أنه سيكون للمرأة ـ يوماً ما ـ شأن يذكر ، وكيان مستقل ، وأنها ستصبح عضواً فعالاً في المجتمع ، لها شخصيتها ، وكيانها ولها حريتها الفكرية والعملية أو أنه سوف يكون لها الحق ولو بما هو أقل من عيش كريم .

ولكن سرعان ما فوجئوا بنبي الإسلام محمد (ص) ينادي بحرية المرأة من القيود الظالمة التي كانت تفرضها عليها الجاهلية الأولى ، ويمنحها في الشريعة المقدسة قسطاً لا يستهان به من الحقوق ، ويخصها بقسم وافر من الأحكام .

وكانت نظرة الإسلام هذه إلى المرأة نافذة إلى محلها في الصميم ، مبنية على تفهم الحقيقة ، وإدراك الواقع ، ذلك لأن المرأة قوة إيجابية هامة بالنسبة لبناء المجتمع البشري وعمران الكون ، فلا بد وأن يكون لها ما لسائر أفراد الإنسان من منح الله ونعمه سبحانه حيث إنها ليست مخلوقاً من نوع آخر لا يصح النظر إليه على قدم المساواة مع الرجل الذي تتحمل معه مسؤولية عمران الكون ، وتواجه معه مشاق الحياة . . وما دامت كذلك فلا جرم أن يكون لها قسم من حقوقه ، كما تحملت قسطاً من الواجبات ، ولم يحرمها الإسلام ذلك ، فإن التشريع الإسلامي قد نظر إلى المرأة بنفس العين التي نظر بها إلى الرجل ، وأنصفها وأعطاها حقوقها كاملة كما أنصفه وأعطاه ، وكل ما يقال عن التفاوت غير العادل بينهما فهو دعاوى لا تعتمد على دليل ولا تستند إلى برهان ، فبعد أن لم يكن للمرأة حقوق أصلاً ، وإنما فقط عليها واجبات . . جاء الإسلام ليقول : إن لها كما للرجل . . حرية العلم والعمل ، وقد منحت كل الحقوق التي تناسب واقعها ولم تظلم منها شيئاً ، مع أن هذه الحقوق كانت في حساب الفكر الجاهلي حقاً للرجل وحده ، لا يستطيع أن ينازعه فيها أحد .

ثم إن حقوق المرأة التي قررها الإسلام ليس لأحد ـ أياً كان ـ الحق في إنكارها ومنع المرأة من الوصول إليها لأنها حقوق منحها إياها الإسلام . . الإسلام الحق . . وإذا كان كل من الرجل والمرأة يحمل صفة الإنسان ويتمتع كل منهما ـ بنظر الإسلام ـ بحقوق ومزايا تعدل حقوق الآخر ومزاياه مع أخذ الفوارق الطبيعية والوظيفية ينظر الاعتبار فإن من الطبيعي أن يفسح المجال أمام المرأة لكي تغرس في حقل هذه الحياة الخصب ـ إلى جانب الرجل ، وفي مجالها الخاص ضمن إطارها الخاص ـ أن تغرس ما شاءت مما يعود بالخير والبركة على بني الإنسان . .

وقلت : « ضمن إطارها الخاص وفي مجالها الخاص » . . باعتبار أن المرأة ليس لها حق ـ بل هي لا تستطيع ـ أن تعمل في الحقل وفي المجال الذي يعمل أو يستطيع أن يعمل فيه الرجل دائماً وذلك لوجود ميزات وخصائص في كل منهما تؤهله لأن يعيش ويعمل ضمن إطار ، وفي جو يختص به يختلف ـ قليلاً أو كثيراً ـ عن

الجو والإطار الذي يستطيع الآخر أن يعمل وأن يعيش فيه . ومن هنا جاز لنا أن نقول : إنه وإن كان قد يلاحظ اختلاف في موارد معينة في الشريعة الإسلامية بين التشريعات المتعلقة بالرجل والتشريعات المتعلقة بالمرأة . . فلا يعني ذلك أن هناك تمييزاً لأحد الفريقين على حساب الآخر ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ . . وإنما ـ وكما قلنا آنفاً ـ هناك عدالة في الحقوق والواجبات ، والاختلاف إنما جاء نتيجة طبيعية للاختلاف في المجال الذي أهل كل منهما لأن يعيش ويعمل فيه فـ « كل مهيأ لما خلق له » .

وعليه فما يشاع عن الإسلام من قبل أولئك الموتورين الحاقدين عليه ، والذين يبغون له الغوائل ، ما هو إلا تمويه وتضليل وصد عن سبيل الله « أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

وطبيعي أنه لا يمكن الإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع الشائك في مقال واحد . . فليكن ما قلته هنا مقدمة متواضعة ، وآمل أن أوفق مستقبلاً لتناول جيمع قضايا المرأة بالتحليل والتفصيل إن شاء الله تعالى .

مقالات استطلاعية

١ ـ عتباتنا المقدسة : مدينة قم المقدسة
٢ ـ عتباتنا المقدسة : مدينة النجف الأشرف المقدسة

عتباتنا المقدسة
مدينة قم المقدسة

(١)

كتب هذا الاستطلاع سنة ١٣٩٢ هـ.

ملايين المسلمين ترف قلوبهم المؤمنة خشوعاً كلما مر ذكر العتبات المقدسة ، وتخفق نفوسهم رغبة لزيارتها ، باعتبار أن زيارتهم هذه تبعث فيهم ذكريات للرسالة وقادتها العظام.

ومدينة قم واحدة من تلك الأماكن الطاهرة التي تضم جدثاً شريفاً من سلالة الرسول الأعظم (ص) مما رفع من مكانة هذه المدينة ، وجعلها تفخر بأن تكون مثوى للسيدة الجليلة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر سابع الأئمة الأطهار عليهم السلام.

موقع قم الجغرافي :

تقع قم على بعد حوالي « ١٥٠ » كيلومتراً إلى الجنوب من طهران « عاصمة إيران » . . وتبعد عن خط الاستواء بمقدار (٥ /٣٤) درجة ، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر « ٩٧٥ » متراً .

عدد سكانها :

يزيد عدد سكان قم على الـ « ٣٠٠ » ألف نسمة[1]. وتعتبر إدارياً « قضاء » من الدرجة الأولى تابعاً لمحافظة اراك. (في الوقت الحاضر تزيد أكثر من مليون نسمة).

(١) ولعلها قد تجاوزت الآن الثمان مئة ألف نسمة.

سبب تسميتها بقم :

هناك أقوال متعددة في ذلك :

منها : أنها في الأصل كانت « كوميدان » ثم خففت ، فصارت « كم » ثم عربت إلى « قم » .

ومنها : أنها سميت باسم حصن « كم » الذي يقع على بعد حوالي « ٢٠ » كيلومتراً إلى الجنوب الغربي منها ، وكان يعرف بجودة زعفرانة . . والزعفران « الكمي » عرب في كتب التاريخ إلى « الزعفران القمي » وقيل في وجه نسبته غير ذلك .

ومنها : أن جماعة من أهل البادية نزلوا في هذا الموقع ، وكان كثير الحفر التي يتجمع فيها الماء ، ونصبوا خيامهم ، وسرحوا مواشيهم ، وبنوا بيوتاً ، وأسموا تلك البيوت بـ « كومة » ثم خففت ، فصارت « كم » ثم عربت إلى « قم » .

وهناك أقوال أخرى لا مجال لاستقصائها .

تأسيسها :

تعتبر قم من أقدم مدن إيران ويدل على قدمها الآثار التي ذكر ياقوت الحموي أنه عثر عليها . وبأنه قد وردت الإشارة إليها في عدة كتب تاريخية قديمة ويستفاد من « شاهنامة الفردوسي » أن أبا موسى الأشعري قد افتتحها سنة (٢٣)هـ، إلا أن بعض المؤرخين يرى أن تأسيسها قد كان في عهد الإسلام على يد الأشعريين بعد هجرتهم من الكوفة ، وإن اختلفوا في أن تأسيسها كان سنة (٨٣)هـ . أو (٩٤) أو (٢٠٣)هـ إلا أنه من الواضح عدم صحة القول الأخير ، حيث إن قم كانت موجودة قبل سنة (٢٠١)هـ بصورة بدائية بدليل أن التاريخ يذكر أن فصلها عن اصبهان ـ بعد أن كانت تابعة لها إدارياً ـ حدث سنة (١٨٩)هـ . بالإضافة إلى أنه يحدثنا أن السيدة فاطمة بنت الإمام موسى (ع) قد قدمت قم سنة (٢٠١)هـ، وتوفيت بعد ورودها بـ (١٧) يوماً، ودفنت في مكان

يدعى (بابلان) ثم بعد ذلك كثر البناء حول مرقدها الشريف .

وقد نسب صاحب كتاب (بستان السياحة) بناءها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان . وفي ترجمة تاريخ قم قال : إن منطقة قم قد فتحت على يد الأحنف بن قيس سنة (٢٣)هـ ، إلا أنه لم يصرح بأن مدينة قم كانت موجودة في ذلك التاريخ .

من هي السيدة المعصومة ؟

هي السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) وكانت معروفة بالورع والتقوى كما أنها كانت موضع احترام من الأئمة وتعظيم من الأمة لما كانت تتمتع به من صفات إسلامية عالية ، وأخلاق نبيلة بالإضافة إلى نسبها الجليل كما أنها قد روت الحديث عن الأئمة (ع) .

وكانت قد قدمت من (المدينة) قاصدة (مرواً) لملاقات أخيها الإمام الرضا (ع) إلا أنها عندما وصلت إلى « ساوه » مرضت فسألت عن المسافة بين ساوة وقم فأجيبت بأنها عشرة فراسخ فطلبت أن تنقل إليها وأقامت فيها سبعة عشر يوماً في بيت موسى ابن خزرج الذي كان قد خرج لاستقبالها ، وأخذ بزمام ناقتها إلى بيته حتى وافاها الأجل وذلك سنة (٢٠١)هـ ، ودفنت في مكان يملكه موسى هذا يقال له « بابلان » ولم يكن فيه آنئذ أي بناء . وبعد دفنها في ذلك المكان بدأ الناس يبنون بيوتهم حول مرقدها وتركوا قلاعهم الأولى وهكذا . . تحول الموقع إلى مدينة عامرة لها أهميتها ودورها البارز في التاريخ الإسلامي .

وصف مرقد السيدة المعصومة :

والمرقد بناء يتجلى فيه الفن المعماري الإسلامي ، وتزينه النقوش الرائعة الجميلة مما يجعله في غاية العظمة والجلال .

ومساحة البناء بما في ذلك الحرم والاروقة والاواوين والصحن القديم والصحن الجديد وصحن النساء المعروف الآن بمسجد الطباطبائي أو « موزه »

والمكان المعروف بمسجد فوق الرأس ومقابر ملوك الصفوية وغيرهما ـ مساحته ـ (١٣٥٢٧) متراً مربعاً ، منها (١٩١٤)م مربعاً مساحة الأرض التي تحت البناء والبقية عبارة عن صحني الحرم .

قبة الحرم هرمية الشكل قاعدتها ثمانية أضلاع بين كل ضلع وآخر (٧٠ /٢) متر . طول كل ضلع منها (٣ /٨) متراً ، وقد أثبت في كل ضلع شباك من الذهب أو الفضة أو غيرهما .

ارتفاع القبة عن سطح البناء (١٦) متراً . . محيطها من الداخل « ٦٦ /٢٨ » متراً ومن الخارج « ٣٥ /٦٠ » متراً وهي من الخارج مكسوة بصفائح الذهب ، عليها كتابات وأشعار جميلة باللغة الفارسية ، ومن الداخل زينت أيضاً بالنقوش البارزة الجميلة وبالمرايا ، وتحت القبة ضريح من الفضة ، مزين أعلاه بالذهب بمقدار متر من جميع الجهات ، كما أنه قد زين بكتابات ونقوش في غاية الروعة والجمال .

وارتفاع هذا الضريح (٤) أمتار وطوله (٢٥ /٥)م وعرضه (٧٣ /٤)م وهناك الايوان الواقع في الجهة الشمالية من الحرم والمتصل بالصحن القديم والذي يبلغ ارتفاعه (٨٠ /١٤)م وعرضه (٧٠ /٨)م وطوله (٩)م .

وهو مذهب من الداخل وفيه نقوش بارزة محلاة بالذهب وفوقه مئذنتان مستديرتا الشكل ارتفاع كل منها من وجه الأرض (٢٠ /٣٢)م وقطر كل منها (٥ /١)م أعلاهما مذهب ويعرف هذا الايوان بـ (إيوان الذهب) .

وفي الجهة الشرقية إيوان آخر متصل بالحرم بواسطة رواق مزين بالمرايا كما أنه متصل بالصحن الجديد وارتفاعه (٨٠ /٧)م وعرضه (٨٧ /٧)م وطوله (٩)م وله أربعة أعمدة من الحجر ارتفاع كل منها (١١)م وشكله نصف هرمي مزين بالمرايا والنقوش البارزة من الداخل .

وفوق هذا الأيوان مئذنتان ارتفاع كل منهما عن سطح الأيوان (٢٨)م ومحيطها (٣/٣٠)م وهما أعلى ما في الحرم ولهما أهميتهما من حيث الفن المعماري ومن حيث النقوش الجميلة والكتابات التي تزينهما .

ويقع الصحن القديم في الجهة الشمالية من الحرم المطهر وطوله (٧٠ / ٣٥)م في عرض (٧٠ / ٣٤)م تحيط به الغرف من ثلاثة جوانب ، وفي الجهة الرابعة منه يقع الحرم وإيوان الذهب .

وله بابان الشرقي منهما يتصل بالصحن والغربي يفتح على المسجد الأعظم وباب ثالث يفتح على المدرسة الفيضية أما الصحن الجديد ويعرف بالصحن الأتابكي ، فيقع في الجهة الشرقية للحرم وهو أوسع من القديم وله ثمانية أضلاع فالشرقي والغربي طول كل واحد منهما (٦/٧٨)م وطول كل من الشمالي والجنوبي (٨ / ٤٦) متراً والأربعة أضلاع الأخرى طول كل واحد منها (٧ / ٣) أمتار .

ومن مدخل هذا الصحن من جهة شارع (ارم) يوجد خمسة أضلاع طول الشمالي والجنوبي (١٠) أمتار ، وضلعان مربعان طول كل منهما (٨ / ٥) متراً .

وفي هذا الصحن أربعة أواوين شرقي وغربي وجنوبي وشمالي ، أما الغربي فقد تقدم الحديث عنه ، وأما الشرقي وهو المدخل المتصل بشارع (ارم) فطوله (٨ / ٧) وعرضه (٣٠ / ٧) وارتفاعه (٦ / ١٣) متراً وفيه نقوش جميلة بارزة فوقه بناء فيه ساعة كبيرة ومئذنتان صغيرتان ارتفاعهما عن وجه الأرض (٥ / ١٣) متراً .

وأما الشمالي وهو المدخل المواجه لشارع (الاستانة) فارتفاعه (٨٠ / ١٢) وطوله (٧) وعرضه (٤٠ / ٤) متراً ويماثله الجنوبي في جميع ذلك وعلى كل واحد من هذه الأواوين مآذن جميلة صغيرة الحجم .

وفي وسط هذا الصحن حوض بيضوي الشكل طوله (٥ / ١٩) وعرضه (٦٠ / ١٢)م وتحيط الصحن (٣١) غرفة لكل غرفة إيوان خاص بها طوله (٣) أمتار بعرض (٢)م إلا ثمانية أواوين فإن طول كل واحد منها (٦٠ / ٦) بعرض (٣,٢٠)م له عمودان من الحجر وكل ما ذكرناه من الأبنية مزين بالنقوش الجميلة والقاشاني كأروع وأحسن ما يكون .

وهناك صحن النساء ويقع في الجهة الجنوبية من الحرم وفي الضلع الغربي

من الصحن الجديد « الاتابكي » وهو ما يعرف الآن بصحن موزة (المتحف) أو مسجد الطباطبائي طوله ٢٤ متراً وعرضه (٦٠ /١٩) متراً .

فوق هذا الصحن قبة فضائها (١٧) متراً وارتفاعها (١٧) متراً أيضاً ، وقد استمر البناء في هذه القبة من سنة ١٣٦٠ هـ إلى سنة ١٣٧٠ هـ ، ويحمل القبة عدة أعمدة مزينة بالرخام وفي أعلاها النقوش الجميلة . وقد زينت جميع أطراف المسجد بالنقوش البارزة المطعمة بالمرايا . وهذا الصحن متصل بالحرم برواق طوله (٨ /٧) أمتار وهو من أحسن مباني الحرم المطهر وأجملها .

ومسجد فوق الرأس بناء جميل كان في الأصل مقبرة طوله (٤٨) متراً بعرض (١٤) وارتفاع (١٢) متراً ، ليس فيه أي عمود ، وهو أيضاً مزين بالنقوش الجميلة والكتابات بالكاشي .

وهناك متحف الحرم ، ويدخل إليه من نفس صحن النساء ، وله طريق آخر من الخارج من شارع «موزة»، أي متحف، وهو يتألف من قسمين: الأول طوله (٦٠ /١٧) متراً ، وعرضه (٩٠ /٤) متراً ، الثاني طوله (٢٠ /١٥) بعرض (٥٠ /٥) متراً ، وهو يضم الهدايا والنفائس التي أهديت للحرم المطهر على مر الزمن من قبل الملوك والاعيان وغيرهم .

تجديد عمارة الحرم والصحن :

عندما توفيت السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) دفنت في أرض لموسى بن خزرج تسمى بابلان .

وأقام أبناء سعد الأشعري على قبرها خيمة من الحصر المصنوعة من القصب إلى أن جاءت زينب بنت الإمام الجواد (ع) وبنت على القبر قبة هي أول قبة تقام على ذلك القبر، وكان للبناء باب صغير إلى جهة النهر الذي يفصل بين شطري قم الآن ، واستمر الحال على هذا إلى سنة (٣٥٠)هـ حيث جاء زيد بن أحمد بن بحر الأصفهاني وبدل ذلك الباب الصغير بباب أكبر منه .

وفي عهد طغرل السلجوقي (٤٢٩ ـ ٤٦٥)هـ.

هدمت القبة الصغيرة، وبني بدلاً عنها قبة أخرى أكبر منها وأعلى وأفخم، وكان الذي قام بهذا العمل الأمير أبو الفضل العراقي من أمراء طغرل واستمر الحال على هذا فكان يتجدد بناء المرافق والملاحق للمزار من دون أن يتجدد بناء القبة إلى زمان الصفوية حيث بدأت التغييرات والتجديدات في عهدهم بصورة أوسع فهدمت القبة السلجوقية في سنة (٩٢٥) وبني مكانها قبة أعلى وأفخم وأحسن منها تقوم على ثمانية أضلاع وكانت مزينة من الخارج بالكاشي وأما من الداخل فقد كانت منقوشة بالذهب واللازورد وكان الذي قام بهذا العمل إمرأة اسمها « شاه بيكم بنت عماد بيك » وكانت هي امرأة الشاه اسماعيل الصفوي أول الملوك الصفوية ، وهذه القبة باقية حتى الآن على المرقد الشريف بتغييرات في داخل القبة وخارجها ، ولم يكن هناك أيوان ولا صحن ولا وضع ضريح من الداخل واستمر الحال على هذا إلى زمان الصفوية حيث بدأت التغييرات والتجديدات من عهدهم وبالتحديد من سنة (٩٠٦) .

وفي سنة (٩٢٥) بنى شاه اسماعيل أو امرأته الايوان الشمالي المتصل بالصحن القديم وزينه بالكاشي (المعرق) وجعله المدخل الوحيد للحرم ، كما أنه أي شاه اسماعيل قد وضع الأساس للصحن القديم ، وفي سنة (٩٥٠)هـ بنى الشاه طهماسب ضريحاً على المرقد المطهر وكان من الكاشي ، وفي سنة (١٠٧٧)هـ بنى شاه سليمان الصفوي صحن النساء في الجهة الجنوبية من الحرم وأصبح هذا الصحن طريقاً خاصاً لمقبرة الشاه سليمان والشاه عباس والشاه سلطان حسين إذ من المعلوم أن مدخل هذه المقبرة كان من هذا الصحن فقط .

هذا وقد وضع الشاه عباس على ذلك المرقد المطهر الذي كان قد زين بالكاشي قفصاً من الفولاذ الأبيض وكان إتقان الصنع بحيث أوجب أن يظن الرحالة المشهور (تاورينة) أنه من الفضة .

كما أن مرتضى قليخان أحد رجال الدولة الصفوية قد جدد بناء أيوان الحرم ، وبعد عهد الصفوية وبالتحديد في سنة (١٢١٨)هـ رفع الكاشي عن القبة ووضع بدلاً عنه لبنات من الذهب ، وفي سنة (١٢٣٦) بني مسجد فوق

الرأس ، وفي سنة (١٢٦٦)هـ جدد بناء أيوان الشاه اسماعيل ، وفي ذلك الوقت أيضاً وسع الصحن العتيق وبني من الجهة الشمالية منه مئذنة.

وفي سنة (١٢٢١)هـ فرشت أرض الحرم وجدرانه بالرخام كمازين الضريح بالذهب ووضع أول باب ذهبي في الضلع الشمالي للرواق المتصل بأيوان الذهب الشمالي ، وفي سنة (١٢١٥)هـ زين داخل القبة بالنقوش البارزة والمرايا والكتابات الجميلة ، وفي سنة (١٣٧٦) زين أيوان الشاه اسماعيل بلبنات الذهب ، وفي سنة (١٣٧٥)هـ لبس الضريح الفولاذي بالفضة وزين بالنقوش والكتابة .

وبنى شهاب الملك مآذن الأيوان الشمالي وزينها بالكاشي ووضع (كامران ميرزا) قضبان الذهب في أعلاهما ، وشرع أمين السلطان ببناء الصحن الجديد المعروف بالصحن الاتابكي ووضع أسسه لكن الأجل عاجله فأكمل العمل بعده ولده أمين السلطان والوزير الأعظم أتابك وجعل في الجهة الغربية من الصحن أيواناً زينه بالمرايا من الداخل والكاشي من الخارج وبنى حول الصحن غرفاً متعددة أصبحت فيما بعد مقابر للأعيان والأشراف ، كل ذلك مزين بالكتابة والنقوش الجميلة ، وقد انتهى من ذلك كله سنة (١٣٠٣هـ) .

وفي سنة (١٣٤٦)هـ جرت بعض التعميرات في صحن النساء وبني أيوان فيه . وفي سنة ١٢١٠ ـ ١٢١٤هـ وضع (نظام السلطنة) بابين من الفضة في الضلع الغربي من الحرم ، وفي سنة (١٣٥٤)هـ . أحدث متحف للاستانة في الطرف الغربي من صحن النساء ووضع فيه جميع الهدايا والنفائس التاريخية .

أهم الشخصيات المدفونة في قم :

من الشخصيات المدفونة في قم علماء وفقهاء وملوك ووزراء وغير ذلك من الطبقات ونذكر من العلماء والمحدثين :

١ ـ أبا الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق .

٢ ـ أبا القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه استاذ الشيخ المفيد .
٣ ـ علي بن ابراهيم المنسوب إليه تفسير القرآن .
٤ ـ زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري من كبار أصحاب الرضا (ع).
٥ ـ زكريا بن ادريس .
٦ ـ آدم بن اسحق بن آدم .
٧ ـ الميرزا أبي القاسم بن محمد حسن كيلاني المعروف بالميرزا القمي صاحب كتاب «قوانين الأصول».
٨ ـ الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم مؤخراً .
٩ ـ السيد حسين البروجردي .
١٠ ـ السيد صدر الدين الصدر .
١١ ـ السيد محمد حجة . وغير هؤلاء كثير .

ومن ملوك القاجارية والصفوية ستة هم :

١ ـ الشاه عباس الثاني الصفوي
٢ ـ الشاه سلطان حسين الصفوي
٣ ـ الشاه صفي الصفوي
٤ ـ الشاه سليمان الصفوي
٥ ـ فتح علي شاه قاجار
٦ ـ محمد شاه قاجار .

ومن الوزراء والأعيان نذكر :

١ ـ علي أصغر اتابك ، كان صدر أعظم إيران في زمان ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه وهو الذي بنى الصحن (الدار) المعروف بـ « الصحن الاتابكي » .

٢ ـ كامران ميرزا ابن ناصر الدين شاه كان نائب السلطنة وحاكم طهران .

٣ ـ عين الملك صهر محمد شاه قاجار ويقال إنه قد تقلد الوزارة عدة مرات.

٤ ـ أمين الدولة وزير ناصر الدين شاه.

٥ ـ عبد الصمد عز الدولة ابن محمد شاه الثاني .

٦ ـ الملك المنصور شعاع السلطنة ابن مظفر الدين شاه قاجار حاكم شيراز .

وغير هؤلاء ممن يضيق المقام عن ذكر اسمائهم لكثرتهم .

أهم مساجدها التاريخية ومزاراتها :

في قم كثير من المساجد قد تزيد بمجموعها على مئة مسجد أهمها :

١ ـ مسجد الإمام الحسن العسكري (ع) بناه أحمد بن اسحاق الأشعري بأمر الإمام الحسن العسكري (ع) على ما هو معروف وقد أضيف إليه كثير من الأبنية والتعميرات ويدل على ذلك أنه قد كتب على محراب الأيوان أن تاريخ بنائه هو سنة (١١٢٩)هـ في عهد الشاه سلطان حسين الصفوي ولكن الأبنية الفعلية ما عد السرداب هي من زمن السلطان ناصر الدين شاه هذا ، ومن الطبيعي أن يكون هذا المسجد الذي بني بأمر الإمام (ع) موضع عناية خاصة من جميع الطبقات .

٢ ـ مسجد جمعة وهو من الأبنية القديمة التي لا يعرف زمان بنائها ولكن لا شك أنه بني في العهد السلجوقي قبل سنة (٥٢٩) كما تدل عليه كتابة ذكر أنها موجودة فوق الأيوان الكبير وقد زاد فيه فتح علي شاه سنة ١٢٤٨ هـ و ١٢٤٦ وفي الطرف الغربي منه رواق يقوم على ١٨ عاموداً .

٣ ـ مسجد (عشق علي) وهو يشتمل على جناحين أحدهما قديم لا يعرف تاريخ بنائه تقوم فوقه قبة مبنية بالأجر والآخر أضيف إليه في زمن ناصر الدين شاه .

٤ ـ مسجد فوق الرأس .

٥ ـ مسجد الطباطبائي ـ أو مسجد المتحف ، وقد مر الحديث عنها .

٦ ـ مسجد السيد البروجردي ويسمى بالمسجد الأعظم ـ هو من أعظم المساجد في إيران أسسه المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد حسين البروجردي سنة ١٣٧٣ هـ أنفق على بنائه أكثر من سبعة ملايين تومان ، مساحته ١١ ألف متر مربع قسم منها واقع تحت البناء والقسم الآخر يشكل صحن « دار » المسجد وسائر مرافقه ، تقوم فوقه قبة عظيمة مزينة بالكاشى من الداخل والخارج لعلها أعظم قبة في إيران ، وله مئذنتان عظيمتان هما أعلى مئذنتين في قم ومئذنتان صغيرتان وبناء لساعة كبيرة كلها مزينة بالكاشي ذي النقوش الجميلة .

٧ ـ مسجد جمكران على مقربة من قم ويعرف بمسجد الإمام صاحب الزمان عليه السلام وهو من الأماكن الشريفة التي يزورها الناس ويتبركون بها .

وفي قم أيضاً عدة مزارات تنسب إلى أهل البيت يقصدها المؤمنون للتبرك بها نذكر منها .

١ ـ مزار الحمزة بن موسى بن جعفر (ع) وقد بنى له قبة وصحناً ميرزا علي أصغر خان اتابك .

٢ ـ علي بن جعفر الصادق (ع) .

٣ ـ ابراهيم بن أحمد بن موسى بن جعفر (ع) .

٤ ـ أحمد بن القاسم بن علي بن جعفر الصادق (ع) . ومزارات أخرى يقصدها المؤمنون لقراءة الفاتحة .

أهم شخصيات قم :

لقد خرج من قم عظماء وافذاذ خلد التاريخ أسماءهم فمن الفقهاء والمحدثين . . نذكر :

١ ـ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الصدوق .

٢ ـ أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب

بالصدوق ، وقد كان ركن الدولة يعظمه ويجله ، له ثلاثمأة مؤلف منها « من لا يحضره الفقيه » أحد اصول الحديث الأربعة عند الشيعة الإمامية .

٣ ـ زكريا بن آدم .

٤ ـ جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه استاذ الشيخ المفيد .

٥ ـ علي بن ابراهيم بن هاشم الذي ينسب إليه تفسير علي بن ابراهيم .

٦ ـ شاذان بن جبرائيل .

٧ ـ ابن شاذان محمد بن أحمد بن علي القمي وهـو ابن اخت « ابن قولويه » .

٨ ـ محمد بن أحمد بن خالد البرقي .

٩ ـ محمد بن علي بن محبوب .

وكثيرون غيرهم .

ومن الفلاسفة نذكر :

١ ـ حنين بن سهل بن محارب الذي كان يحضر عنده الوزير ابن العميد .

٢ ـ الخاجة نصير الدين الطوسي .

ومن الوزراء نذكر :

١ ـ مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم كان وزيراً لثلاثة من الخلفاء : الناصر والظاهر ، والمستنصر .

٢ ـ الاستاذ محمد بن الحسين المعروف بابن العميد كان وزيراً لركن الدولة وهو الذي صاحبه ابن عباد فلقب ابن عباد بالصاحب لذلك .

٣ ـ أبا الفتح علي بن محمد بن العميد استوزره ركن الدولة بعد وفات والده وكان يلقب بذي الكفايتين .

٤ ـ شرف الدين أبا طاهر بن سعد وزير السلطان سنجر السلجوقي .

٥ ـ تاج الملك أبو الغنائم وزير ملكشاه السلجوقي .

٦ ـ عبد الله بن عزيز القمي كان وزيراً للأمير نوح الساماني .

٧ ـ كمال الدين ثابت بن محمد القمي كان وزيراً للسلطان مسعود السلجوقي .

٨ ـ مؤيد الدين أبا طالب محمد بن علي العلقمي القمي المعروف بـ « ابن العلقمي » وهو الذي ألف له ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ، كان وزيراً للمستعصم .

٩ ـ سعد الملك سعد بن محمد آوه آبي من وزاء محمد بن ملكشاه السلجوقي .

١٠ ـ الخاجة سعد بن محمد آوه آبى كان وزيراً لقازان بن تولي خان بن جنگيز خان وغيرهم . .

ومن الشعراء نذكر :

شهيدي ، وحيدي ، قدرت ، ذاتي ، وغيرهم .

مركزها العلمي وأهميتها بالنسبة لمدن إيران :

تعتبر قم الآن مركزاً رئيسياً من مراكز الفكر الإسلامي ، يدرس فيها الفقه والأصول والفلسفة والتفسير والرجال والحديث وغير ذلك على أعلى المستويات .

وقد أدت خدمات جلى في سبيل الإسلام عامة والتشيع خاصة لا يمكن لأحد أن ينكرها وقد تخرج من مدارسها العديد من أفذاذ العلماء والمفكرين الذين أثروا عالم الفكر والعلم وحملوا مشعل الثقافة والفكر على مدى التاريخ .

وقد زادت أهميتها في السنين الأخيرة وبالتحديد بعد تجديد الحوزة العلمية وبعث الروح فيها على يد مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائري (ره) حيث تضم

الآن أكثر من سبعة الآف طالب يدرسون العلوم الدينية ومختلف العلوم الإسلامية ثم وفي أشهر معينة كأشهر الصيف وشهر رمضان المبارك ينتشرون في جميع إيران من أجل أداء واجبهم وتبليغ رسالتهم التي نذروا أنفسهم من أجلها وفي سبيلها .

ومن هنا يظهر لنا مدى أهميتها بالنسبة لباقي المدن الإيرانية ، يضاف إلى ذلك وجود حرم السيدة بنت الإمام موسى عليهما السلام والذي يؤمه الكثير من الزوار باستمرار طيلة أيام السنة ليس من إيران فحسب وإنما من جميع أنحاء العالم الإسلامي وعلى الأخص الشيعي مضافاً إلى ما فيها من الآثار التاريخية والتي تكسبها أهمية خاصة أيضاً .

أهم مدارسها الدينية :

في هذه المدينة عدد من المدارس الدينية التي هي بمثابة الأقسام الداخلية للطلاب المهاجرين .

بعض هذه المدارس قديم العهد وبعضها الآخر حديثه ، تخرج منها العديد من العلماء الافذاذ ، نذكر من تلك المدارس :

١ ـ المدرسة الفيضية : كانت مدرسة صغيرة ثم وسعت سنة ١٢٢٣ هـ ويبلغ طولها الآن (٦٠/٧٠) وعرضها (٥٠)م ، وفي الجهة الجنوبية منها أيوان يصل المدرسة بحرم المعصومة ، طوله (٢٠/١١) وعرضه (٤) أمتار بارتفاع (٥/١٢) بني في سنة (٩٣٩) وقد بنى هذا الأيوان الشاه طهماسب وفي كل من الضلع الشمالي والشرقي والغربي أيوان ارتفاعه (٥/١٢) متراً وطوله (٩) أمتار وعرضه (٦) أمتار .

ويقع خلف الأيوان الغربي مسجد طوله (٩) أمتار بعرض (٦) فوق مكتبه سيأتي الكلام عنها .

وهي مؤلفة من طابقين أحدهما قديم البناء وفيه (٤٨) غرفة ، والآخر حديث البناء فيه من الغرف ما يقارب ذلك، وهي مبنية من زمان الصفوية ويقال أن بناءها كان من أجل طهماسب .

٢ ـ المدرسة الحجتية ، بناها آية الله السيد محمد حجة سنة ١٣٦٤ هـ تتألف من ست بنايات منفصلة كل منها تتألف من طبقتين فيها أكثر من (١٤٠) غرفة وفيها مسجد .

مكتبات قم :

في هذه المدينة المقدسة مكتبات عامة تتسم بالضخامة والعراقة وتعتبر منابع ثرة للبحوث الكثيرة التي زخر بها الفكر المعاصر . . وقد تأسست على أيدي كبار رجال العلم ومراجع الدين . .

وإلى جنبها تتواجد المكتبات الخاصة القيمة والتي يزيد عددها على الخمسة آلاف مكتبة . . إذ يحرص كل فرد من رجالات العلم هنا على الاحتفاظ في بيته بمكتبة خاصة عامرة بالمصادر المختلفة .

كما أن المدارس العملية الدينية تحوي كل منها مكتبات توفر لطلابها الكتب العلمية اللازمة .

هذه المؤسسات الثقافية جميعاً تحتوي خزائنها أهم المطبوعات وأقدمها ونوادر المخطوطات الثمينة ولعل أشهر مكتباتها العامة ما يلي :

مكتبة آية الله السيد مرعشي .
مكتبة الحرم الشريف والمعروفة بـ مكتبة (الاستانة) .
مكتبة المسجد الأعظم .
مكتبة المدرسة الفيضية .
مكتبة المدرسة الحجتية .

ونأمل بتوفيق منه تعالى أن نقدم تقريراً مفصلاً عنها فيما بعد .

عتباتنا المقدسة
مدينة النجف الاشرف المقدسة

(٢)

بداية :

مدينة النجف هي تلك المدينة المقدسة ، التي يهفو إليها قلب كل مسلم شوقاً لزيارتها ، وتطلّعاً إلى بركاتها ، وهي تلك المدينة التي احتضنت بكل حدب وحنان ذلك الجسد الطاهر لأعظم شخصية بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، الرجل الذي صنع تاريخ أمة ، وإنسانية الإنسان . وكانت حياته ونضاله منعطف هداية ، ومشعل رشاد ودراية ، لكل الأمم ، ومختلف الشعوب .

هي تلك المدينة التي تحملت أعظم المسؤوليات ، واستودعت أعظم وأغلى الأمانات ، ولقد عرفت كيف تقوم بأعباء المسؤولية ، وتحافظ على الأمانة ، فدافعت وناضلت في سبيلها بكل ما اوتيت من قوة وحول ، وتحدت الزمن ، وتحمّلت كل النوائب والعوادي ، التي تنوء بأدناها دول ، وتعجز عن تحملها أمم وشعوب .

هي تلك المدينة التي تضم جثمان رجل لا تحصى فضائله ، ولا تعد مناقبه ، وكيف تعد فضائل رجل أسرّ أولياؤه مناقبة خوفاً ، وكتمها اعداؤه حقداً ، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين ، على حدّ تعبير الشافعي . . . وهو الذي لو اجتمع الناس على حبه ـ كما يقول الرسول الأعظم (ص) ـ لما خلق الله النار .

رجل هو أفضل هذه الأمة مناقب ، وأجمعها سوابق ، وأعلمها بالكتاب والسنة ، وأشدها إخلاصاً لله ، وتفانياً في سبيله . . .

ذلك الرجل هو أسد الله الغالب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه .

وإذا كان تاريخ النجف ، والحديث عنها مرتبط بتاريخ علي بن أبي طالب عليه السلام والحديث عنه ، فإن خير ما نستهل به حديثنا هو إعطاء لمحة عن هذا الإمام العظيم . . مقتصرين في ذلك على بعض العناوين واللمحات ، حسب ما يقتضيه الحال في كتابات استطلاعية كهذه ، والله الموفق والمستعان .

علي عليه السلام في سطور :

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، بن عبد المطلب بن هاشم . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم .

ولد في جوف الكعبة ، ولم يولد فيها أحد قبله ولا بعده في (١٣) رجب بعد مولد الرسول (ص) بثلاثين سنة ، وتربى في كنف النبي (ص) منذ كان عمره ست سنين . وهو أول الأمة إسلاماً ، وفضائله كثيرة جداً ، وجهاده في سبيل الدين ومواقفه في الذود عن حرمة شريعة سيد المرسلين كالنار على المنار ، وكالشمس في رابعة النهار .

ومن ألقابه : الوصي ، أمير المؤمنين ، المرتضى ، وكنّاه النبي (ص) بأبي تراب في قصة معروفة . وهو زوج فاطمة بنت النبي (ص) أفضل نساء الأمة ، وأبو الحسنين عليهما السلام ، وقد كان من المفروض حسب النصوص الكثيرة من النبي (ص) وحسب ما يستفاد من عدد من الآيات القرآنية ، بملاحظة شأن نزولها أن يكون علي عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول (ص) ، ويكون هو أول اثني عشر خليفة أولهم علي وآخرهم المهدي . . ولكن قد جرت الأمور على خلاف ما أراده النبي (ص) وأرادته الشريعة المطهرة ، وكان أن اضطر علي (ع) لأن يكون جليس بيته حوالي خمس وعشرين سنة ثم عاد الحق إلى أهله وتسلّم

(ع) مقاليد الحكم في ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية . وعاصمته الكوفة ، واستمر خليفة للمسلمين أقل من خمس سنين ببضعة أشهر . . .

وقد نكث بيعته طلحة والزبير وحارباه في جيش كثيف في موقعة الجمل التي تزعمتها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ، وقد قتل في هذه الحرب ـ كما يقولون ـ أكثر من عشرين ألفاً ثم حاربه معاوية بن أبي سفيان في جيوش الشام في وقائع صفين المشهورة ، ولما أحس معاوية وأصحابه بالهزيمة احتالوا بقضية رفع المصاحف ، الأمر الذي دفع فريقاً من جيش علي (ع) إلى إجباره عليه السلام على قبول التحكيم . . . ثم خرج عليه نفس هؤلاء الذين أجبروه فحاربوه في وقايع النهروان ، وهم الخوارج .

ثم اغتاله أحد هؤلاء الخوارج وهو عبد الرحمان بن ملجم المرادي ـ اغتاله ـ في مسجد الكوفة وهو في صلاته ، أثناء سجوده كما روى ـ أو أثناء دعوته الناس الذين في المسجد إلى الصلاة . فكانت وفاته في سنة أربعين للهجرة النبوية ، في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك ، وله من العمر ثلاث ، أو خمس وستون سنة على اختلاف النقل ، ثم حمل إلى النجف ، ودفن هناك ، وعفي موضع قبره بوصية منه ، ويعتبر عليه السلام أول إمام أخفي قبره . . .

ويقال : إن الحجاج حفر ثلاثة آلاف قبر في النجف طلباً لجثة أمير المؤمنين (ع) فلم يوفق وبقي موضع القبر سراً مكتوماً يعرفه ولده الائمة الطاهرون ، وبعض صحابتهم الأبرار ، إلى أن أظهره ولده بشكل عام في الدولة العباسية في سنة (١٧٠)هـ . لكل أحد . . . في حادثة مشهورة ليس هنا محل ذكرها . .

النجف في سطور :

مدينة النجف من المدن الكبرى في العراق ، وهي الآن مركز المحافظة المسماة بـ « محافظة النجف » . وتقع هذه المدينة على بعد حوالي (١٦٥) كم جنوبي العاصمة بغداد ، وتعلو سطح البحر بحوالي (٧٠) متراً .

ومناخها صحراوي حار وجاف صيفاً ، بارد وقارص شتاءً . ومعدل

سقوط الأمطار فيها سنوياً هو ١ ـ ٥ قطرة في كل بوصة . وقد تزيد فيها درجة الحرارة صيفاً على الـ (٤٨) درجة مئوية . ولوقوعها في طرف الصحراء تهب عليها رياح السموم . .

ولقربها من الحيرة ، فإنه يوجد حولها عدد من الأديرة المسيحية . وبالقرب من النجف دارت معركة القادسية في آخر سنة ـ ١٦ ـ هـ . وتقع القادسية بين الكوفة والعذيب . وتبعد الكوفة عن النجف قديماً نحو ستة أميال لكنهما الآن أصبحتا متصلتين تقريباً .

وفي النجف نوع من الحجارة يعرف بدر النجف ، له صفاء وشفافية كأنه الزجاج ، يستعمل للتختم والتزين .

وفي النجف أيضاً قبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . . . الذي أخفي قبره خوفاً من الامويين واشياعهم ، والخوارج والنواصب .

وعن أهل النجف يقول ابن بطوطة : « وأهلها تجار يسافرون في الأقطار وهم أهل شجاعة وكرم ، ولا يضام جارهم ، صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم » . وعلاوة على تعاطي أهلها التجارة ، فإنهم يتعاطون العديد من الحرف كالنجارة والصياغة وغيرها ، وعلى الخصوص نسيج العباءة بقسميها : الخفيف الدقيق السلك : الخاشية والثقيل الغليظ السلك : البريم . . .

ما اختصت به النجف :

وعلى كل حال . . . فقد اختصت بقعة النجف المقدسة بفضل الدفن فيها والتختم بحصبائها ، وجوار مرقد علي (ع) فيها ، والمبيت والصلاة عنده ، وعلى كل ذلك شواهد جلية من السنة المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام . . .

النجف في طور التأسيس :

وبعد إظهار القبر الشريف في سنة (١٧٠) هـ . بدأت تظهر المباني

والعمارات حول المرقد المبارك ، وقطن في النجف بعض العلويين وخاصتهم من الشيعة ، ولم ينقض القرن الرابع الهجري حتى كان فيها من السادة العلوية ألف وسبعمأة عدا عن أتباعهم وشيعتهم ويقدر البعض عدد سكانها آنئذ بستة آلاف نسمة .

ثم اهتم بها البويهيون الذين قاموا بأول عمارة للمرقد الشريف اهتماماً ظاهراً ، وشيدوا بازائه المساجد والدور وغيرها . .

ووصفها ابن بطوطة حينما زارها سنة ٧٢٧ هـ . بأنها من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً واتقنها بناء ، ولها أسواق حسنة نظيفة الخ . .

النجف بين الحكم العثماني والصفويين :

لقد كانت النجف تخضع للعباسيين ومن بعدهم للعثمانيين إلى أن استولى الشاه عباس الأول الصفوي على بغداد ومعظم العراق في مستهل القرن العاشر ، فأسرع لزيارة العتبات المقدسة ، وزار النجف أيضاً وأمر بحفر نهر من الفرات إليها ثم عاد سليمان القانوني العثماني فاستولى على العراق وزار هو أيضاً النجف وكربلاء سنة ٩٤١ هـ . قبل عودته إلى القسطنطينية.

أماكن مقدسة في النجف :

١ ـ مقام الإمام زين العابدين (ع) :

ويقع في جهة القبلة بالنسبة لمشهد علي عليه السلام ، يقال : إن الإمام زين العابدين (ع) كان إذا أراد زيارة مرقد جده أمير المؤمنين (ع) يأتي هذا المكان فيربط ناقته فيه، ثم يذهب حافياً، فيزور القبر الشريف، ثم يرجع، ويبيت في هذا المكان إلى الصبح ، ويسافر . . . وقد بنى الصفويون على هذا المكان بنية تعرضت للإصلاح بعد ذلك . وفي محرابه صخرة جميلة الشكل بديعة الصنعة منقوش عليها أحرف مقطعة ، يقال : إنها من آثار الشيخ البهائي وأن ما عليها طلسم ينفع من لسع الأفاعي ، وتنسب لهذا المقام بعض الكرامات .

٢ ـ مقام المهدي عجل الله فرجه :

في الجانب الغربي من البلدة بناء يعرف الآن بمقام الإمام المهدي عجل الله فرجه ، وأول من بنى هذا المقام هو السيد محمد مهدي بحر العلوم ، ثم هدم في سنة ١٣١٠ هـ . ثم أعيد على شكله الحاضر ، حيث بنيت القبة بالحجر القاشاني الأزرق، وكانت قبل ذلك من الجص والحجارة، وفي داخل المقام: هذا مقام يعرف بمقام الصادق (ع).

والظاهر : أن منشأ وجود هذا المقام هو ما روى مأثوراً عن الصادق (ع) : إنه حينما جاء زائرا مرقد جده أمير المؤمنين (ع) نزل فصلى ركعتين ، ثم تنحى وصلى ركعتين ، ثم تنحى وصلى ركعتين ، فسئل (ع) عن الأماكن الثلاث فقال : الأول : موضع قبر أمير المؤمنين (ع) ، والثاني : موضع رأس الحسين (ع) ، والثالث : موضع منبر القائم عجل الله فرجه .

والظاهر : أنه يقصد : أنه موضع وضع فيه رأس الحسين ، حينما أتوا به إلى الكوفة ، أو حينما أخرجوه منها . راجع الوسائل ج ٢ ص ٤٤٤ . وإلا فإن الصحيح هو أن رأس الحسين عليه السلام قد دفن مع الجسد الطاهر . .

٣ ـ مرقد هود وصالح :

مقبرة وادي السلام شمالي النجف الأشرف ـ هي من أكبر مقابر العالم وأوسعها ، ويؤتى بالأموات المسلمين إليها من جميع أنحاء العراق ، ومختلف أرجاء العالم .

في هذه المقبرة يقع قبر النبي هود (ع) ، والنبي صالح عليه السلام ، وهو من القبور المعلومة والمقامات المشهورة وأول من بنى عليه قبة من الجص والحجارة هو السيد محمد مهدي بحر العلوم رحمه الله ، ثم هدمت وبني عليه قبة مغشاة بالقاشاني الأزرق ، ثم جدد بناؤه في سنة ١٣٣٧ هـ .

وفي كتب الزيارات كثير من الأخبار التي تنص على زيارة هود وصالح في النجف .

٤ ـ آدم ونوح :

ورد في كتب الزيارات : السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح . . مما يدل على أن آدم ونوحاً مدفونان في داخل الروضة المطهرة إلى جانب الإمام عليه السلام . . . وقد تقدم أن ابن بطوطة الذي زار النجف في سنة (٧٢٠) هـ لما دخل الروضة وجد ثلاثة قبور يقال إن أحدها قبر علي والآخران قبر آدم ونوح وذكر الرحالة سيدي علي التركي في كتابه : مرآة الممالك : أنه زار سنة ٩٦١ هـ . آدم ونوحاً وشمعون (ع) في النجف ، بعد ما زار الإمام المرتضى (ع) .

ولكن لم يرد ذكر لشمعون في النجف إلا في هذا الكتاب على ما نعلم والله هو العالم . . .

وثمة مزارات أخرى في النجف الأشرف لم نستطع أن نتثبت منها .

المساجد المشهورة في النجف :

في النجف عدد كبير جداً من المساجد ، ونحن نذكر هنا بعض ماله مزية وشهرة مثل :

١ ـ مسجد الحنانة :

هو من المساجد المعظمة التي يتبرك بها القاصدون ، وهو أحد الأماكن الثلاثة التي صلى فيها الإمام الصادق (ع) ، وهو على يسار الذاهب إلى الكوفة في شمال البلد ، وبالقرب منه الثوية ، وهي مدفن كثير من خواص أمير المؤمنين (ع) ولكن قبورهم قد درست ، ويعرف منها قبر كميل بن زياد رحمه الله ، وهو مقام كبير واسع عليه قبة فخمة ، وله دار فسيحة مسورة من جهاتها الأربع .

مسجد عمران بن شاهين :

وهو أقدم مساجد النجف لأنه بني في أواسط القرن الرابع على يد عمران بن شاهين ، الذي خرج على عضد الدولة فكانت الدائرة عليه فنذر إن

عفا عنه السلطان أن يبني رواقاً في النجف ، فعفا عنه ، فبنى رواقين ، في الغري وكربلاء .

والرواق الذي في النجف يقع في الجهة الشمالية للحرم العلوي .

وحيث إن الحرم العلوي كان في الأصل عبارة عن الروضة المطهرة ، وكان رواقه هو صحنه ، وأمامه إيوانه الشرقي فقط . . وكان رواق عمران يبعد عنه عدة خطوات . . . فقد جاء الشاه عباس الأول فوسع الصحن من جهة الشمال ، وأدخل فيه قسماً من رواق عمران . . . ثم جاء الشاه صفي ، فاكتسح الدور في بقية الجهات ، وأوجد الصحن الكبير والسور حوله الموجود اليوم . . .

ثم هدمت الحكومة ثلثاً من رواق عمران في سنة ١٣٦٨ فصار في الطريق المحيط بالحرم فبقي من رواق عمران القطعة المعروفة اليوم بين هذا الطريق وبين الصحن ، وبابها في دهليز باب الصحن المعروف بباب الطوسي . .

٣ ـ مسجد الخضراء :

وهو في الجهة الشمالية من الجانب الشرقي من السور الخارجي للصحن الشريف ، ومدخله من الايوان الثاني من السور الشرقي ، وهو قديم ، ولا يعرف تاريخ انشائه . . . ولكن ينسب إلى علي بن مظفر .

٤ ـ مسجد الرأس :

وهو مسجد واسع كثير الاسطوانات ، بابه في الصحن الشريف في الايوان الكبير تحت الساباط مقابل الرواق ، من جهة الرأس الشريف ، ويتصل بتكية البكتاشية ، وهو مسجد قديم أيضاً ، ويرجع تاريخ بنائه إلى عصر الايلخانيين ، وقد جدد ورمم بناؤه عدت مرات آخرها سنة ١٣٠٦ هـ . من قبل نادر شاه . . . وسمي بمسجد الرأس ، لأنه إلى جانب رأس الإمام علي (ع) . . . ولعله أكبر مسجد في المساجد الموجودة في السور الخارجي للصحن الشريف ، وهو مستطيل الشكل يتوسطه صحن كبير متسع ، وعلى جانبي الصحن من الجهتين الشمالية والجنوبية ايوانان ، فيهما كثير من الأعمدة المقطوعة من حجر

المرمر . وفي سنة ١٣٦٨ ه اقتطع منه ما يقرب من خمسة أمتار ، وأضيفت إلى الشارع العام .

٥ ـ مسجد الشيخ الطوسي :

وقد كان في الأصل بيت سكنى شيخ الطائفة ، فأوصى أن يدفن فيه ، ويُجعل بعد وفاته مسجداً ، وهو في مقابل باب الطوسي من الجهة الشمالية للصحن الشريف ، وبازائه مقبرة السيد بحر العلوم وآله وقد جدد بناء المسجد في سنة ١١٩٨ هـ . ومرة أخرى في سنة ١٣٠٥ هـ . وأخرى في عام ١٣٨٠ هـ .

ثم هناك مساجد مشهورة أخرى ، لا مجال لتعدادها . . .

تكية البكتاشية :

وهي عبارة عن بناء فخم في غاية الإحكام ، معقود بالأحجار الكبيرة ، ويشبه بناؤها بناء الصحن الشريف وعلى طرزه وهي ملاصقة لمسجد الرأس ، بابها بالقرب من الساباط في الايوان الثاني من جهة الغرب في سور الصحن الشريف ، ويزعم البعض أنها كانت قديماً المخزن لكتب الحضرة العلوية ، ويرجح أنها بنيت في عهد الحاج بكتاش في القرن الثامن الهجري ، وهي تتكون من قسمين ، الأول : خاص بالصلاة والدروس والجماعة وهو مكون من أربعة اواوين متعامدة يتوسطها صحن صغير مكشوف .

والقسم الثاني : يسكن فيه المنقطعون للعبادة ، وهو مربع الشكل ، يتكون من طابقين فيهما العديد من الغرف ، وما يلزمها .

المدارس الدينية في النجف :

بعد قدوم الشيخ الطوسي إلى النجف أصبحت النجف محط الأنظار من سائر الأقطار الشيعية ، وصارت على مر الزمن مركزاً علمياً هاماً وانشئت فيها المدارس الكثيرة وقد أشار ابن بطوطة إلى مدارسها هذه ، كما أشار إليها إجمالاً أو تفصيلاً غيره من المؤرخين . . .

ونذكر من هذه المدارس :

١ ـ مدرسة المقداد السيوري .

نسبة إلى الفاضل المقداد السيوري ، المتوفي سنة ٨٢٦ هـ .

٢ ـ مدرسة الصدر ، وهي أقدم المدارس الحاضرة ، وأوسعها ، وفيها ما يزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد .

٣ ـ مدرسة المعتمد اسست سنة ١٢٦٢ هـ . وجدد بناؤها بعد ذلك وتحتوي على ٢٠ غرفة .

٤ ـ مدرسة الشيخ مهدي كان أول بدء تأسيسها في سنة ١٢٨٤ هـ . وتحتوي على ٢٢ غرفة .

٥ ـ مدرسة القوام ، تم بناؤها سنة ١٣٠٠ هـ . وفيها ست وعشرون غرفة .

٦ ـ المدرسة السليمية اسست سنة ١٢٥٠ هـ . تحتوي على ١٢ غرفة .

٧ ـ مدرسة الايرواني ، تأسست سنة ١٣٠٥ هـ ، وفيها ١٩ غرفة .

٨ ـ مدرسة القزويني ، تأسست سنة ١٣٢٤ هـ وفيها ٣٣ غرفة في طابقين .

٩ ـ مدرسة البادكوبئي ، تأسست سنة ١٣٢٥ هـ .

١٠ ـ مدرسة الشربياني ، تأسست في حدود ١٣٢٠ وفيها ١٢ غرفة .

١١ ـ مدارس الخليلي :

أ ـ الصغرى ، مؤلفة من طبقتين وفيها ١٨ غرفة ، تأسست سنة ١٣٢٢ هـ .

ب ـ الكبرى ، فيها ٤٦ غرفة ، مؤلفة من طابقين تأسست سنة ١٣٣٠ هـ .

١٢ ـ مدارس الآخند ، وهي :

أ ـ الكبرى وفيها ٤٠ غرفة وهي في طابقين جدرانها مكسوة بالقاشاني ، تم بناؤها في سنة ١٣٢١ هـ وجدد بناؤها عام ١٣٨٥ هـ . وزيدت حجرها إلى ٨٠ حجرة .

ب ـ الوسطى وفيها ٣٣ غرفة ، وجدرانها مكسوة بالقاشاني تم بناؤها في سنة ١٣٢٦ هـ .

ج ـ الصغرى ، وفيها ١٢ غرفة تم بناؤها في سنة ١٣٢٨ هـ .

١٣ ـ مدرسة الهندي وفيها ٢٠ غرفة .

١٤ ـ مدرسة البخاري ، تم بناؤها في سنة ١٣٢٩ هـ . وجددت في سنة ١٣٨٠ هـ.

١٥ ـ مدرستا السيد محمد كاظم اليزدي الأولى والثانية ، وتشتمل على ثمانين غرفة ، مؤلفة من طابقين ، وجدرانها مكسوة بالقاشاني تأسست سنة ١٣٢٥ هـ . والثانية عام ١٣٨٠ هـ . بأمر من آية الله الحكيم (قده) .

١٦ ـ مدرسة المجدد الشيرازي في طابقين ، وبها قبر مؤسسها رحمه الله .

١٧ ـ مدرسة البروجردي ، تحتوي على ٦٤ غرفة في ثلاث طوابق ، وفيها مكتبة حافلة بالكتب العلمية والفقهية ، وبعض المخطوطات وكان تأسيسها عام ١٣٧٣ هـ .

١٨ ـ مدرسة البغدادي ، في حي السعد ، وهي مدرسة جيدة وحديثة البنيان فيها غرف كثيرة .

١٩ ـ جامعة النجف الدينية ، وهي أضخم مدرسة في النجف على الاطلاق إذ أنها تضم أكثر من مأتى غرفة في ثلاث طوابق ، وفيها مكتبة جامعة لنفائس الكتب ، وطائفة من المخطوطات الثمينة . . . وفيها مسجد ، وهي من أجل المدارس ، وأحسنها بناءً وتصميماً والذي بنى هذه المدرسة هو الحاج محمد

تقي الاتفاق الطهراني ، وقد بوشر ببنائها في سنة ١٣٧٦ هـ . على قطعة أرض في حي السعد ، تبلغ (٥٠٠٠) متر مربع . .

٢٠ ـ المدرسة اللبنانية ، وموقعها في الجديدة .

٢١ ـ المدرسة الازرية ، وهي في الجديدة أيضاً . . .

٢٢ ـ دار الحكمة ، وقد أسسها الإمام الراحل السيد محسن الحكيم . وغير ذلك . . .

المكتبات العامة :

وإذا كانت النجف هي مهد العلم والعلماء ، ومركز الحوزة العلمية لأكبر طائفة من المسلمين ، فمن الطبيعي : أن تكون غنية بالكتب والمصادر المطبوعه والمخطوطة النادرة ، وبالفعل فإنك تجد في النجف سواء في المكاتب الخاصة أو العامة نفائس الكتب القيمة النادرة الوجود ، ونذكر من المكتبات الخاصة التي تحوي أثمن الكتب وأغلاها مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفي سنة ١١٥١ هـ . ومكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء ومكتبة السيد جعفر آل بحر العلوم ، ومكتبة آل القزويني ، وغيرها مما يتعذر حصره وعده في هذه العجالة ـ وكثير منها يقصده رواد العلم والفضيلة للاستفادة منه بلا أي ممانعة . . .

ونذكر من المكتبات العامة :

١ ـ مكتبة الحسينية ، التي أسسها الحاج علي محمد النجف آبادي .

٢ ـ مكتبة الشيخ محمد رضا آل فرج الله تضم حوالي أربعة آلاف مجلد . . .

٣ ـ مكتبة آل حنوش العامة ، أسسها الحاج كاظم حسون آل حنوش سنة ١٣٧٠ هـ .

٤ ـ مكتبة النجف العامة ، تأسست سنة ١٩٤٦م .

٥ ـ مكتبة جامعة النجف الدينية . .

٦ ـ مكتبة العلمين : الطوسي وبحر العلوم .

٧ ـ مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة ، أسسها العلامة الاميني مؤلف كتاب « الغدير » في سنة ١٣٧٣ هـ . وفيها آلاف الكتب بشتى اللغات والعلوم وفيها طرف ونفائس ونوادر .

٨ ـ مكتبة الحكيم العامة أسسها الإمام الراحل السيد محسن الحكيم سنة ١٣٧٧ هـ .

مطابع النجف :

مطابع النجف كثيرة وأول مطبعة جلبت إلى النجف هي مطبعة : حبل المتين ، وهناك : المطبعة المرتضوية ومطبعة النعمان ، والزهراء والقضاء والآداب وغير ذلك .

من يزورون النجف :

كانت النجف ولا تزال مهوى الأفئدة وموئل القصّاد لملايين المسلمين ويعد من يزورون النجف سنوياً بمئات الالوف ، تجد من بينهم العلماء والمفكرين ، والملوك والوزراء والسلاطين ، بهدف التبرك بلثم قبر سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ، والحصول على الثواب بزيارته ، ويذكر أنه لما جاء السلطان مراد (أو السلطان سليمان القانوني) إلى زيارة المشهد العلوي في النجف ومعه كثير من وزرائه وعساكره ، فلما لاحت القبة المباركة ترجل بعض وزرائه المتشيعين باطناً من مسافة أربعة فراسخ فسأله عن سبب ترجله ، فقال : هو أحد الخلفاء الراشدين ، نزلت تعظيماً له ، فترجل السلطان أيضاً ، فقال بعض النواصب للسلطان : إن كلا منكما خليفة ، واحترام الحي أولى من احترام الميت ، فتردد السلطان في الركوب ، وتفأل بالقرآن المجيد ، فكانت الآية الشريفة : ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ ، فعندها أمر السلطان بضرب عنق الناصبي الذي عذله على ترجله واستشهد مؤدب السلطان ببيتي أبي الحسن التهامي وهما :

تـزاحـم تيـجـان الملوك بـبـابـه ويكـثر عنـد الاستـلام ازدحـامهـا
إذا مـا رأتـه من بعيـد تـرجلت وإن هي لم تفعـل ترجـل هـامهـا

ولا مجال لاستقصاء من زاره من الملوك والوزراء والسلاطين ، فإن ذلك متعسر بل متعذر .

أشهر الحوادث في النجف :

لقد تعرّضت النجف على مدى التاريخ لاحداث تاريخية هامة ، ففي القرن الرابع الهجري كان هجوم مرة الخارجي على النجف ، ودخلها بعد حصار وحرب داما ستة أيام ، وأراد أن ينبش القبر المطهر ، فحدثت كرامة لصاحب القبر جعلت هذا الخارجي عبرة لمن اعتبر ، وسبب إقدامه على ذلك أن علياً (ع) قتل الكثيرين من آبائه وأجداده .

وفي سنة ٨٥٨ كانت حادثة المشعشعي الغالي حيث هجم على النجف ، وكسر الصندوق الذي على قبر أمير المؤمنين وأحرقه ونهب المشهد المقدس ، وعاث فساداً في المدينة المقدسة ، حيث قتل أهلها قتلاً ذريعاً ، وشرد الكثيرين منهم .

وفي سنة ٩٩٧ سار ملك الازبك ، عبد المؤمن خان بالعساكر ، ونزل على مشهد الإمام علي عليه السلام وقتل أهل النجف بشكل بشع وفظيع . .

وفي سنة ١٠٣٢ هـ . حاصر الروم النجف ، وقاومهم النجفيون ، واستمر الحصار زمناً طويلاً ، ولم يظفروا منهم بطائل . .

وفي أيام السلطان مراد حين توجه إلى فتح بغداد ، تعرّضت النجف لعدة هجمات ، كان عسكر الشاه عباس الأول الذي كان في النجف يدفعها .

وفي سنة ١٠٤٠ هـ . دخل كنج عثمان النجف وكربلاء ظافراً .

وفي سنة ١٠٤١ هـ . فتح النجف خسرو باشا حينما عجز عن فتح بغداد التي كانت تحت سيطرة الصفويين .

وبعد ظهور الوهابية في الحجاز ، صار الوهابيون يغيرون على النجف

طمعاً بالذخائر والتحف والأموال وبدافع من عصبية بغيضة، فينذر النجفيون بهم، فيغلقون أبواب السور، فيطيف الوهابيون بالسور، ويقتلون من يظفرون به، ويلقون برأسه إلى داخل البلد . . .

وفي سنة ١٢١٦ هجم الوهابيون على كربلاء، وقتلوا أهلها، وهتكوا حرمة الحرم الحسيني ثم توجهوا إلى النجف وحاصروها، وكانت النتيجة أن انكسر الوهابيون أمام النجفيين شر كسرة . .

وفي سنة ١٢١٧ هـ . جاؤا مرة أخرى، وأغاروا على النجف بمناسبة عيد الغدير، وقتلوا جملة من العلماء والمجاهدين . .

وفي سنة ١٢٢١ هـ . بلغ أهل النجف نبأ توجه الوهابيين إليهم، فنقلوا خزانة الأمير إلى الكاظمية، خوفاً عليها من النهب واستعدوا للدفاع، وكان القائم بعبء ذلك الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، بمساعدة آخرين من العلماء الأبرار، وجاء الوهابيون ونزلوا على النجف ليلاً . . على أمل أنْ يهجم ابن سعود على البلدة نهاراً، ويوسع أهلها قتلاً ونهباً، وكان أكثر أهل النجف قد فروا إلى العشائر من خوفهم، ولم يبق فيها إلا حوالي مائتين من المقاتلين وقد وطنوا أنفسهم على الموت لقلتهم وكثرة عدوهم، ولتداعي السور الذي يدافعون من خلفه . .

وبات ابن سعود بجنده خارج البلدة وهم خمسة عشر ألف رجل، وما أصبح الصباح إلا وهم قد انجلوا عن البلدة المشرفة، وتفرقوا أيدي سبا، وقد قتل منهم سبعمأة رجل وكفى الله العباد والبلاد شرّهم، ويظهر من بعض النصوص : أن سبب ذلك هو أن النجفيين فاجؤهم ليلاً فصار يقتل بعضهم بعضاً وانتهى الأمر بهزيمتهم شرّ هزيمة . .

وبعد ذلك كانت حوادث الزكرت والشمرت التي أقلقت راحة النجفيين، وهي أحداث حصلت بين أهالي النجف أنفسهم، الذين انقسموا إلى هذين الفريقين وبدأت العداوة والبغضاء، وقامت الحرب بينهم واستمرت نحو مئة سنة وكانت آخر وقعة بينهم في سنة ١٣٢٣ هـ . كان النصر فيها آنئذ للزكرت.

ثم كانت بعد ذلك حوادث الاحتلال البريطاني ، فبعد إعلان الحرب العالمية الأولى قام العراقيون مع الأتراك وأفتى علماء الشيعة بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام ، بل لقد اشترك العلماء بأنفسهم في الدفاع ، ضد الانكليز ، وقد قاد السيد محمد سعيد الحبوبي جيشاً جرّاراً إلى جبهة الشعيبة وكذلك غيره من العلماء الاعلام ، لكن الأتراك خسروا الحرب ، وأساؤا معاملة العراقيين ، والنجف بشكل خاص . . . فثار النجفيون في وجههم وطردوهم ، وألفوا حكومة محلية وطنية تحكم بلدهم دامت سنتين . .

وبعد ذلك احتال البريطانيون في بغداد حتى وضعوا أيديهم على النجف . . . ولكن النجفيين بدافع من دينهم ووطنيتهم أبوا هذا الحكم الدخيل ، وشكّلوا تنظيمات تقود الناس إلى الحصول على حريتهم وكرامتهم ، وكان العلماء الاعلام فيها في طليعة الأحداث وهم الذين يخططون ، ويدبّرون ويشتركون في التنفيذ في كثير من الأحيان . . . وحصل الصدام الأول بينهم وبين الانكليز الذين حشّدوا له أربعين ألف مقاتل وقتلوا من الانكليز حوالي سبعمأة جندي في مقابل أربعين قتيلاً كثير منهم من الناس العزل . . . ولم يسيطر الانكليز على الوضع إلا بعد وقت طويل وجهد شاق . . .

وبعد ذلك قامت ثورة العشرين بقيادة النجف وعلمائها ومفكّريها ضدّ الاحتلال الانكليزي وكان إعلان الثورة من النجف في يوم الأحد في النصف من شوال ١٣٣٨ هـ . وقاد كل زعيم قومه إلى الجهاد فانسحب الانكليز من النجف إلى الكوفة ، واحتشد الجند هناك ، وتوالت الثورات في أكثر نقاط الفرات الأدنى وكان الأسرى من الجيش الانكليزي يجلبون إلى النجف حيث مركز قيادة الثورة وقد جيىء من معركة الرارنجية بـ ١٦٠ أسيراً إلى النجف .

وعلى كل حال . . . فإن ثورة العشرين ، التي قادتها النجف بعلمائها ومفكّريها هي التي دفعت العراق إلى السير في طريق الاستقلال وقيام حكم عربي يدين بالإسلام ـ مبدئياً ـ بدلاً من الحكم الاستعماري المقيت .

مشهد علي (ع) عبر العصور :

قد عرفنا : أن موضع القبر ظل سراً مكتوماً لا يعرفه إلا أهل البيت ، وخواص شيعتهم إلى انقضاء دولة الامويين ومجيىء دولة العباسيين ، فحينئذ دلّ العلويون بعض الشيعة عليه ، وصاروا يتعاهدونه ، وصار في معرض الظهور والخفاء ، يثبته قوم وينفيه آخرون .

فلما رأى داود بن علي العباسي إقبال الناس على موضع القبر أمر ـ على ما قيل ـ بعض الفعلة بالمضي إلى هذا القبر الذي افتتن به الناس ، ويقولون : إنه قبر علي ، حتى ينبشوه ويجيئوه بأقصى ما فيه ، فمضوا إليه وحفروا خمسة أذرع فوصلوا إلى موضع صلب لم يقدروا عليه ، فاستعانوا بغلام معروف بالشدة ، ولكن هذا الغلام بعد أن ضرب ثلاث ضربات صاح ، وصار لحمه ينتثر إلى أن مات فلما عرف داود بالأمر تاب ، وأمر علي بن مصعب بن جابر بأن يبني على القبر صندوقاً ، ففعل . . .

ولكن مطاردة العباسيين للعلويين وشيعتهم أوجبت أن يهجر القبر من جديد ، فلا يزوره زائر إلا خلسة .

ثم جاء أبو جعفر المنصور ، وحاول أن ينبش القبر ، فأمر غلامه بذلك ، فبدأ بالحفر حتى ظهر له القبر ، ثم أمر بطمه ، وصرفه الله عنه . . .

وبعد ذلك وفي زمن الرشيد عاد القبر إلى الظهور من جديد في قصة معروفة جرت للرشيد وهو يتصيد حول القبر حيث رأى الظباء تحتمي بالاكمة التي فيها القبر ، فلا تقتحم كلاب الصيد وطيور الباز إليها ، الأمر الذي أثار عجبه فسأل أحد شيوخ الكوفة عن ذلك ، فأخبره أنها تلوذ بقبر علي (ع) . . . فكان أن أقام أول عمارة على القبر ، وهو بناء مربع الشكل مبني بحجارة بيضاء فوقه قبة من الطين الأحمر فوقها جرة خضراء.

وبعد ذلك جاء المتوكل العباسي ، فخرب عمارة النجف كما خرب عمارة الحسين . ثم قام بالعمارة الثالثة عمر بن يحيى القائم بالكوفة المقتول سنة ٢٥٠ .

وكانت العمارة الرابعة على يد محمد بن زيد الداعي المقتول سنة ٢٨٧ والذي ولي إمرة طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، فإنه بنى على القبر الشريف قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً ، والظاهر أن هذه العمارة هي التي اعقبت خراب المتوكل لبناء القبر كما يظهر من تاريخ طبرستان (الفارسي) ج ١ ص ٩٥ .

ثم كانت العمارة الخامسة على يد أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان المقتول سنة ٣١٧ ، وسترها بفاخر الستور ، وفرشها بثمين الحصر . .

وبعد ذلك كانت العمارة السادسة ، وهي أجلّ العمارات وأحسنها على يد عضد الدولة المتوفي سنة ٣٧٢ هـ . أو ٣٧٣ وقد بذل عليها الأموال الجزيلة ، وجلب إليها الزارة ، والنجارة والعملة من سائر الأقطار .

وقد شاهد هذه العمارة الرحالة ابن بطوطة ووصفها حين وروده النجف سنة ٧٢٧ هـ . بأنها : « معمورة أحسن عمارة وحيطانها مزينة بالقاشاني ، وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ، ونقشه أحسن ، وإذا ما دخل زائر يأمرونه بتقبيل العتبة ، وهي من الفضة وكذلك العضادتان ، ثم يدخل بعد ذلك إلى القبة ، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه ، وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار ، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسّوة بالخشب ، عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل ، مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب ، لا يظهر منه شيء . وارتفاعها دون القامة ، وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه السلام ، والثاني قبر نوح ، والثالث قبر علي ، وبين القبور طشوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب ، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن بها وجهه تبرّكاً وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة ، وعليه ستور الحرير الملوّن ، يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان ، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير ، وله أربع أبواب عتبها فضة ، وعليها ستور الحرير الخ . . . »

ولكن هذه العمارة وإن كان تأسيسها يرجع إلى عضد الدولة ، إلا أنه قد

طرأت عليها إصلاحات كثيرة ، وتحسينات ثمينة من البويهيين أنفسهم ووزرائهم ومن الحمدانيين ، وبعض العباسيين المتشيعين.

فإن المستنصر العباسي قد عمرّ الضريح المقدس ، وبالغ فيه ، وزاره مراراً ، وكذلك فقد أصلحه وحسّن فيه وفي الأبنية الملحقة به المسلمون من أسرة جنكيز خان وغيرهم . .

ولكن عمارة عضد الدولة هذه قد احترقت في سنة ٧٥٥ ، وكانت حيطانها قد سترت بخشب الساج المنقوش ، فجددت عمارة المشهد سنة ٧٦٠ وهذه هي العمارة السابعة للمشهد ولكن عمارة عضد الدولة لم تذهب آثارها بالكلية ، بل بقيّت إلى ما بعد التجديد الأخير للمشهد حيث يذكر النسّابة النجفي محمد حسين كتاب دار : إنه رأى في المشهد بقية عمارة عضد الدولة في سنة ١٠٤١ هـ .

ثم جاء الشاه عباس الأول ، فأصلح عمارة المشهد ، وعمرّ الروضة والقبة والصحن الشريف بنظر الشيخ البهائي رحمه الله الذي عمل رسالة في عمارة المشهد ووضعه الهندسي . . .

وبعد ذلك جاءت العمارة الثامنة للمشهد الشريف على يد الشاه صفي الصفوي حفيد الشاه عباس الأول ووسع الصحن الشريف ووسع ساحة الحرم العلوي ، وأتمها ولده الشاه عباس الثاني بعد وفاة أبيه سنة ١٠٥٢ هـ .

إجمال وصف المشهد الحالي :

وعمارة المشهد القائمة في هذه الأيام هي عمارة الشاه صفي وهي بديعة الشكل فخمة الصنعة .

يقع القبر الشريف تحت قبة عالية ويحيط به فسحة طول كل ضلع منها ١٣ متراً ، ويحيط الروضة المقدسة من جوانبها الأربع رواق مسقف ، ثم من الجهة الشرقية ايوان الذهب الذي تقع على جانبيه مئذنتان مذهّبتان ويحيط بهذا المبنى كله الصحن الشريف ، الذي له سور عالٍ مؤلف من طابقين ، فيه أربعة أبواب

رئيسية ، وخامس جانبي . . . وارتفاع سور الروضة ، والرواق المحيط بها ثم السور المحيط بالصحن كله واحد لا يختلف .

وصف الروضة المقدسة :

يقع القبر الشريف وسط الروضة المقدسة المربعة الشكل يعلوه قبتان : خارجية وداخلية. والخارجية مدببة الشكل يبلغ سمك جدرانها ٨ س م . وارتفاعها عن سطح الضريح ٤٢ متراً وقطرها ١٦ متراً ، ومحيط قاعدتها ٥٠ متراً . . والداخلية مستديرة الشكل سمك جدرانها ٦٠ س .م وارتفاعها عن سطح الضريح ٣٥ متراً ، وقطرها ١٢ متراً . .

وتقوم القبة على رقبة طويلة علوها ١٢ متراً فتح فيها ١٢ شباكاً للتهوية والإضاءة . وقد زخرفت القبة الداخلية والخارجية بزخارف تعتبر آية من آيات الفن الإسلامي ، فالمقرنص الكبير الذي يحمل رقبة القبة كسي بالمرايا المصنوعة على شكل بديع ، وبالقاشاني والكتابات الجميلة ، والنقوش الرائعة . . . وكذلك القبة نفسها من الداخل . . .

أما القبة الخارجية فقد كانت مغشاة بالبلاط القاشاني ـ وكذلك المئذنتان والايوان وسائر الصحن الشريف ـ إلى أن جاء السلطان نادر شاه لزيارة النجف ، فأمر بقلع القاشاني عن القبة والايوان والمئذنتين واستبدلا بصفائح الذهب ، وصرف على ذلك مبالغ جسيمة ، وذلك سنة ١١٥٦ هـ .

وفي وسط القبة يوجد القبر الشريف ، وقد وضع عليه صندوق من خشب الساج الهندي المطعّم بالصدف ، والعاج والابنوس وأنواع أخرى من الأخشاب المتعددة الألوان ، فجاء تحفة رائعة ، وقد حفر على الصندوق الكثير من الكتابات العربية المتعددة الطرز ، وتاريخ صناعة هذا الصندوق هو ١٢٠٢ هـ . ووضع فوق الصندوق مقصورة من الحديد . ثم فوق هذه المقصورة مقصورة أخرى من الفضة الخالصة يبدو أنها صنعت ووضعت في عهد الصفويين ، وجددت عدة مرات . . ثم استبدلت أخيراً أي في سنة ١٣٦١ هـ . بمقصورة أخرى تحوي :

عشرة آلاف وخمسمأة مثقال من الذهب ، ومليوني مثقال من الفضة . . وتعتبر آية من آيات فن صناعة الذهب والفضة ، وكذا الترصيع بالمينـاء المتعددة الألوان .

أما جدران المربع التي تقوم عليها القبة ، فيبلغ ارتفاعها ١٧ متراً ، قد غشيت كلها بأنواع متعددة من الزخارف النفيسة ، والألوان البديعة ، والكتابات الرائعة كما وفرشت أرض الروضة المقدسة وكذلك الجدران إلى ثلاثة أذرع ونصف بالمرمر ، فوقها على الجـدران شريط من القاشـاني المزين بـالنقوش والآيات ، فوق هذا الشريط حتى رقبة القبة طبقة من الفسيفساء تتكون من أحجار كريمة ، كالياقوت والزمرد ، وألماس ، واللؤلؤ النادر ، ثم يأتي بعد ذلك التزيين بالمرايا على شكل بديع جميل . . .

أبواب الروضة المطهرة :

وللروضة المطهرة ستة أبواب تؤدي إلى الرواق المسقف المحيط بها . .

إثنان من جهة الغرب لا ينفذان إلى الرواق لأن خلفهما شباك من الفضة وإثنان من جهة الشرق يؤديان إلى الرواق في مقابل باب الايوان الذهبي ، واثنان خلف الإمام من جهة الشمال يؤديان إلى الرواق أيضاً . وأما البابان اللذان في مواجهة باب الايوان الذهبي فالذي يكون عـلى يمين الـداخل نصب سنـة ١٢٨٣ هـ . والذي على يسار الداخل نصب سنة ١٢٨٧ هـ . والأول كان قد أهداه لطف علي خان الايرواني ، والثاني أهداه ناصر الدين شاه القاجاري ، وكلاهما كانا من الفضة ، ولكنهما معاً قلعا في سنة ١٣٧٦ هـ ، واستبدلا ببابين ذهبيين جميلي الصنعة بذل نفقتهما الحاج محمد تقي الاتفاق الطهراني والبابان اللذان من جهة الشمال خلف الضريح ويؤديان إلى الرواق فهما من الفضة الخالصة وكانا في الأصل باباً واحداً لكنه قلع في سنة ١٣٦٦ هـ . وجعل مكانه البابان اللذان كانا إلى جهة الغرب عند رأس الإمام عليه السلام . ومن هذه الأربعة فقط يكون الدخول والخروج من الرواق إلى الروضة المطهرة . .

الرواق المحيط بالروضة المقدسة :

ويحيط بمبنى القبة (الروضة) من جميع الجهات رواق مفروشة أرضه وقسم من جدرانه متصل بجدار الروضة نفسها بسقف مزيّن بالمرايا الملونة ، ذات الأشكال الهندسية المختلفة البديعة وأرضه والقسم الأسفل من جدرانه مفروش بالمرمر ويساوي ارتفاع جداره ارتفاع جدار الروضة وجدار الصحن الخارجي ويبلغ طول ساحته من الشرق إلى الغرب ٣٠ متراً ومن الشمال إلى الجنوب ٣١ متراً . . .

وله ثلاث أبواب : بابان متقابلان أحدهما من جهة الشمال مقابل لباب الصحن المعروف بباب الطوسي ، والثاني من جهة الجنوب ، مقابل لباب القبلة ، وهذا قد نصب فيه باب فضي ثمين محلى بالذهب وقد نصب سنة ١٣٤١ ، وقد بذلت نفقته والدة الحاج عبد الواحد زعيم آل فتلة ، وهو المعروف بباب المراد .

والباب الثالث : وهو الذي في الايوان الذهبي ويدخل الداخل منه إلى الرواق وهو من الأبواب الثمينة المتقنة نصب سنة ١٣٧٣ هـ . وهو مرصّع بالأحجار الكريمة ومطعّم بالميناء وهو لوحة فنية رائعة كتبت عليه الآيات القرآنية ، والأشعار اللطيفة .

وفتح في سنة ١٣٧٣ باب جديد ينفذ إلى الرواق ، ويمر على مرقد العلامة الحلي ، الذي برز للرائح والغادي حين فتح هذا الباب . .

وجدران مبنى الروضة والايوان الخارجية مزينة بالقاشاني يرجع معظمها إلى العصر العثماني ويحيط بالجدران من أعلا شريط من الكتابة بخط الثلث الجميل . . .

الايوان الذهبي الكبير :

ومن جهة الشرق يقع الايوان الذهبي الكبير ، وسقفه وجدرانه مكسوة بالذهب الابريز الخالص وفي ركنية المئذنتان الذهبيتان ، وكتب في وسطه على

جانبي الباب قصيدة فارسية بحروف ذهبية بارزة وفي أعلاه كلمات عربية ، وحروفها ذهبية بارزة ، وفيها تاريخ تذهيب القبة والمئذنتين والايوان بأمر السلطان نادر شاه ، وقد دفن في هذا الايوان كثير من العلماء والأعيان ، وفي غرفة تقع على يمين الداخل إلى الرواق يوجد قبر العلامة الحلي ، وفي أخرى على يسار الداخل يقع قبر المقدس الاردبيلي ، وهذه الغرفة اليوم مخزن لبعض النفائس الثمينة . . .

أمام هذا الايوان رحبة كبيرة ترتفع عن أرض الصحن قدر متر ، ويبلغ طولها ٣٣ متراً ، وعرضها ٢٠ متراً . .

المآذن :

تقع المئذنتان في ركني الايوان ، في الجهة الشرقية من الروضة الشريفة ، ومحيط كل منها ٨ ثمانية أمتار وارتفاع كل واحدة منها ٣٥ متراً ، وقطرها متران ونصفا ، ويقال : إن على كل واحدة منهما أربعة آلاف صفحة من الذهب الخالص . وعلى ارتفاع ٢٥ متراً يحيط بالمئذنتين شريط عرضه متر من الكتابة العربية فيه آيات من سورة الجمعة ويعلو الكتابة صفان من المقرنصات ترتكز عليهما شرفة المؤذن التي قطرها متر ونصف وارتفاعها ثلاثة أمتار ، فوقها اسطوانة ضيقة يبلغ قطرها متراً ونصفا وارتفاعها ستة أمتار ، ويتوج الاسطوانة طاقية مصفقة يعلوها الهلال .

ونادر شاه هو الذي أمر بإزالة القاشاني الذي عليهما وعلى القبة والايوان ، واستبداله بصفائح الذهب وذلك في سنة ١١٥٦ وهدمت المئذنة الجنوبية في سنة ١٢٨١ هـ ، حتى أساسها ، ونزعت الصفائح الذهبية عنها ، لهدف إصلاحها ، ثم أعيد بناؤها على طرزها الأول . . وفي سنة ١٣٥٢ قلع الذهب عنها اجمع وهدم أعلاها ثم أعيد كل ذلك كما كان وأصلحت المئذنة الشمالية المجاورة لمرقد العلامة الحلي في سنة ١٣١٥ هـ . فنزع ما عليها من الذهب ، وهدمت إلى نصفها ثم أعيد بناؤها على طرازها السابق كذلك . . . وفي سنة ١٣٦٧ قلع الذهب عنها أجمع ، وهدم أعلاها ثم أعيد بناؤه .

الصحن الشريف :

يحيط بهذا المشهد الشريف سور مربع الشكل تقريباً ، طول كل من ضلعيه : الشرقي والغربي ٨٤ متراً من الخارج ، و٧٧ متراً من الداخل ، وطول ضلعه الشمالي ٧٤ متراً من الخارج ، و٧٢ متراً من الداخل ، والجنوبي من الخارج ٧٥ متراً ، ومن الداخل ٧٢ متراً . أما ارتفاع السور فيبلغ ١٧ متراً ، وهو مؤلف من طابقين الأول منهما مؤلف من ٥٤ ايواناً مقبياً يتقدم حجرة هي مقبرة لأحد المشاهير ويسكنها عادة طلاب العلم ، ولكنها أصبحت الآن مشغولة بالقراء على الأموات . أما الطابق الثاني : فهو عبارة عن ايوان معقود ، بعقود فارسية مدببة يتقدم مجموعة من الغرف المقبية يسكنها عادة الطلبة ، والمنقطعون للعبادة ، ويحتوي الطابق الأعلى على ٧٨ غرفة . وجميع جدران السور مكسوة بالقاشاني البديع النقش وعلى حواشي جدرانه العليا مكتوب بعض السور القرآنية بأحرف عربية جلية .

وهذا السور يحيط بالصحن الشريف الذي هو رحبة واسعة تبلغ مساحتها ثمانية آلاف متر مربع مفروشة بالرخام ، كانت قبل فرشها بالرخام مملوءة بالقبور والمحاريب ، التي تعيق عن التحرك بحرية . .

وفي سنة ١٣٠٦ حفرت السراديب التي نقل إليها كثير من القبور ثم سويت أرض الصحن ، وكسيت ببلاطات من المرمر .

وفي هذا السور المحيط بالصحن خمسة أبواب :

الأول : الباب الكبير في الجهة الشرقية من السور مقابل السوق المشهور بـ : السوق الكبير ، وفوق هذا الباب توجد الساعة التي أمر بإرسالها من إيران الوزير أمين السلطنة سنة ١٣٠٥ هـ وقد زخرفت وجهات الساعة الأربع ، وكذا القبة التي تعلوها ببلاطات من الذهب الخالص ، في سنة ١٣٢٣ هـ .

والباب الثاني : باب ليس رئيسياً إلى يمين الباب الكبير ، ويسمى بباب مسلم بن عقيل . . .

والباب الثالث : هو المعروف بباب الطوسي ، لأن الخارج منه ينتهي إلى

قبر الشيخ الطوسي محمد بن الحسن ، المتوفي سنة ٤٦٠ .

والرابع : باب القبلة الذي جدد بناؤه عدة مرات ، وهو أصغر الأبواب الرئيسية .

والخامس : الباب السلطاني الذي هو في الجهة الغربية ، سمي بذلك لأنه فتح في عهد السلطان العثماني عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ . ويسمى أيضاً : باب الفرج لأنه ينتهي إلى مقام الحجة عجل الله تعالى فرجه . .

وعلى سائر الأبواب كتابات جميلة وتواريخ تجديد بنائها ، وفيها مدح لسيد الأوصياء عليه السلام ، ونقوش جميلة بالقاشاني . . . وأخيراً . . ففي الجهة الشمالية من السور الخارجي يوجد ايوان العلماء ، لأن كثيراً من العلماء مدفونون فيه .

اعجاز هندسي للمشهد العلوي :

وبعد . . . فقد كان ما تقدم وصفاً موجزاً للمشهد العلوي المقدس . . . ويبقى أن نشير أخيراً قبل أن ننتقل إلى الحديث عن الشؤون الأخرى إلى أن الهندسة العامة للمشهد المقدس تحير العقول حقاً ، فقد روعي فيه امران :

الأول : أن يكون شكل البناء بحيث أنه كلما وصل الظل إلى نقطة معينة عرف أن الشمس قد زالت وإن وقت الظهر هو في تلك اللحظة ، ولا يختلف ذلك لا صيفاً ولا شتاءً .

الثاني: إن الشمس كلما طلعت فإنها تطلع وتشرق على الضريح المقدس مباشرةً سواءً في الصيف أو في الشتاء.

وتحكيم هذين الأمرين- كما هو معلوم - صعب عادة يحتاج إلى الكثير من الدقة والمعرفة . .

خزانة التحف والهدايا :

ويوجد في مشهد الإمام علي عليه السلام مجموعة من التحف القيمة ، والمنقطعة النظير ، التي اهديت إليه عبر العصور من قبل الملوك والسلاطين ،

وكبار رجال الدولة ، والأعيان ، وكبار التجار وغيرهم .

ويرجع تاريخ أقدم هذه الهدايا إلى القرن الرابع الهجري ، أي من عهد البويهيين ، فقد أهدى عضد الدولة البويهي المتوفي سنة ٣٧٢ أو بعدها غطاء قبر يعتبر آية من آيات فن النسيج والتطريز ، والزخرفة ، التي يعزّ لها مثيل حتى في القرن العشرين رغم التقدم الآلي فيه .

وتوالت الهدايا على المشهد في سلسلة متصلة ، ويوجد العدد الأكبر من هذه المخلّفات في خزانة مبنية في جدار الروضة الحيدرية في الرواق الجنوبي من الحرم الشريف ، ويبلغ عددها (٢٠٢٠) تحفة موزعة على الوجه التالي :

١ ـ من المصاحف المخطوطة الأثرية ، التي يرجع أقدمها إلى القرن الأول الهجري (٥٥٠) مصحفاً ، وهي تبدأ من القرن الأول حتى الرابع عشر للهجرة في سلسلة تكاد تكون متصلة .

٢ ـ التحف المعدنية (٤٢٠) قطعة معدنية مكونة من الحلي الذهبي المرصع بالجواهر المتعددة الألوان ، كالزمرد والماس ، واللؤلؤ والفيروزج وغير ذلك . . . ومن قناديل من الذهب المكفت ، والمرصّع بالأحجار الكريمة ، والمزخرف بالميناء . . ، ومباخر وطاسات ، وأباريق ، وشماعد ، وألواح زيارة ، ومزهريات وكشكول ومجموعة كبيرة من الأسلحة ، ورؤوس اعلام ، ورؤوس اخرجة . . . وتيجان . . .

٣ ـ المنسوجات (٤٤٨) قطعة ، منها أغطية قبور ، وستور ، وخيام ، وملابس ، وغير ذلك . وقد رصّع بعضها بالأحجار الكريمة واللؤلؤ .

٤ ـ السجاد (٣٢٥) سجادة ، وتعتبر مجموعة السجاد الموجودة بالمشهد نادرة ولا مثيل لها في العالم ، من الناحيتين : الفنية والمادية ، إذ يوجد بين هذه المجموعة سجادة معقودة من الوجهين ، وبكل وجه زخارف وألوان تختلف كل الاختلاف عما في الوجه الآخر . . .

٥ ـ التحف الزجاجية (١٢١) قطعة مختلفة الأشكال بعضها : مشكاوات مموهة

بالميناء وبعضها ثريات من البلور النادر ، وقناديل تضاء بالشمع ، وغير ذلك .

٦ ـ التحف الخشبية (١٥٦) قطعة ، ومعظمها عبارة عن كشكول من خشب الساج الهندي ، البديع الصنع والزخرفة . ثم هناك عدد من كراسي المصحف وألواح الزيارة .

أهم الشخصيات المدفونة في المشهد العلوي :

وقد دفن في مشهد الإمام علي عليه السلام الكثير من الشخصيات الإسلامية من علماء ، وملوك وسلاطين ، ووزراء ، وأعيان ، تيمناً وتبرّكاً . . . ونذكر على سبيل المثال من هؤلاء : ممن دفن في الروضة المطهّرة .

١" ـ عضد الدولة البويهي المتوفي ٣٧٣هـ. ودفن عند رجلي الإمام .

٢ ـ شرف الدولة بن عضد الدولة ، المتوفي سنة ٣٧٩ هـ .

٣ ـ بدر بن حسنويه ، المشهور بالشجاعة والسياسة والعدل ، وهو أحد ولاة البويهيين .

وهناك العديدمن غيرهم من الأمراء والوزراء البويهيين، المدفونين بالمشهد الطاهر ، مثل بهاء الدين بن عضد الدولة ، وفيروز أبي النصر الملقب ببهاء الدولة . وغيرهم . . .

ودفن في الرواق تحت القبة ، من جهة رجلي الإمام عليه السلام :

٤ ـ الشاه عباس الأول الصفوي .

٥ ـ السلطان محمد القاجاري المتوفي سنة ١٢١١ هـ . مدفون في الرواق من جهة الشمال بالقرب من منبر الخاتم ، في حجرة خاصة تعرف اليوم بحجرة السلاطين . . .

٦ ـ الملك كيومرث ، الملقب بملك آراء ابن السلطان فتح علي القاجاري المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ . حمل جثمانه إلى النجف ودفن في المشهد الشريف .

٧ ـ السلطان محمد حسن خان حمل جثمانه إلى النجف ودفن في المشهد .

٨ ـ الملك حسين قلي خان ، حمل جثمانه إلى النجف ودفن في المشهد .

٩ ـ فخر الملك أبو غالب ، وزير سلطان الدولة المتوفي سنة ٤٠٦ هـ .

١٠ ـ أبو القاسم حسين بن علي بن حسين بن علي وزير شرف الدولة المتوفي سنة ٤١٨ هـ .

١١ ـ يعقوب بن داود بن ظماء المتوفي سنة ٤١٨ هـ .

١٢ ـ الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد المتوفي سنة ٥٣٣ .

١٣ ـ المستجدى المعروف بطاشكين المتوفي سنة ٦٠٢ كان والياً على عدد من البلاد .

١٤ ـ الأمير عماد الدين أبو المظفر الحربدار .

١٥ ـ الوزير معز الدين المعروف بابن حديد . .

١٦ ـ مظفر الدين بن زين الدين .

١٧ ـ بدر الدين لؤلؤ .

١٨ ـ عماد الدين أبو الخير ابن الوزير نصر الدين .

١٩ ـ الملك عز الدين بن عبد العزيز المتوفي سنة ٦٧٢ . وفي المشهد العلوي أيضاً مقابر آل حمدان والأليخانيين وملوك مهاباد .

٢٠ ـ الملك عز الدين بن زيد الأصفر ، ملك سواكن .

٢١ ـ تيمورلنك المتوفي سنة ٨٠٧ يقع قبره بالقرب من قبر الشيخ الطوسي . في سرداب في دار تحت الطاق على يمين الذاهب إلى قبر الشيخ من الصحن الشريف .

٢٢ ـ وزير الشاه عباس الأول، السيد علاء الدين حسين، المتوفي سنة ١٠٦٤ هـ.

٢٣ ـ مظفر الدين شاه ، الذي أودع في شاه عبد العظيم مدة ، ثم نقل إلى النجف .

ثم هناك ملوك من مصر ومن وزرائهم الفاطميين، والأشراف، وامراء الهند وملوك إيران.

ومن أصحاب علي (ع) :

وفي الثوية وهي اليوم تل بقرب مسجد الحنانة ـ جماعة من خواص أمير المؤمنين ، نذكر منهم :

١ ـ خباب بن الارت .
٢ ـ جويرية بن مسهر العبدي .
٣ ـ كميل بن زياد النخعي .
٤ ـ الاحنف بن قيس .
٥ ـ سهل بن حنيف .
٦ ـ عبد الله بن أوفى .
٧ ـ رشيد الهجري .

ومن العلماء الأبرار المدفونين في النجف نذكر :

١ ـ شيخ الطائفة ، محمد بن الحسن الطوسي ، المتوفي سنة ٤٦٠ هـ. الذي دفن في داره ، وأوصى أن تتخذ الدار مسجداً بعده .

٢ ـ المقدس الاردبيلي أحمد بن محمد ، المتوفي سنة ٩٩٠ هـ .

٣ ـ الشيخ أحمد الجزائري ، صاحب آيات الأحكام ، المتوفي سنة ١١٥١ هـ .

٤ ـ الآقا محمد محمد باقر الهزارجريبي ، المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ . وهو أحد مشايخ السيد بحر العلوم .

٥ ـ ولده الفقيه الآقا محمد علي المتوفي سنة ١٢٤٥ هـ .

٦ ـ السيد حسن الجزائري، المتوفي سنة ١١٧٣ هـ.
٧ ـ السيد محمد مهدي بحر العلوم .
٨ ـ الشيخ مرتضى الأنصاري .
٩ ـ الآخند ملا محمد كاظم الخراساني .
١٠ ـ العلامة الحلي . .
١١ ـ الميرز النائيني .
١٢ ـ السيد أبو الحسن الأصفهاني .
١٣ ـ السيد محمد سعيد الحبوبي .
١٤ ـ شيخ الشريعة .
١٥ ـ الشيخ ضياء الدين العراقي .
١٦ ـ المولى علي نقي الكمرئي .
١٧ ـ الشيخ أحمد النراقي ، صاحب مستند الشيعة .

وغير هؤلاء من كبار العلماء الاعلام ، الذين آثروا جوار سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه السلام ، وتجد في مختلف أنحاء المدينة مقابر لمشاهير العلماء وأساطين المعرفة . . . لا مجال لنا هنا لذكرها . .

مناقشات وردود

اللاموضوعية إلى متى ؟ .
جوابنا على مجلة المجتمع الكويتية . .
الصحابة في القرآن والسنّة .
العلوي يردّ على مقالنا حول الصحابة .
الردّ على العلوي .
العلوي يعيد الكرّة .
مع العلوي من جديد .
العلوي يعترف ويعتذر .
آخر كلمة لنا مع العلوي .

اللاموضوعيّة إلى متى ؟

٢١ / جمادي الثاني / ١٣٩١ هـ.

كل منا يعلم أن ليس لكل إنسان ، من كان ، ومهما كان ، الحق في التدخل في كل شيء، وإصدار الأحكام في مختلف الموضوعات ، التي يواجهها أو يحتاج إليها هذا الكائن . . . فليس للنجار أن يتكلم في المسائل الفلسفية ، والكلامية ، ولا لسائق التاكسي الحرية في أن يصدر أحكاماً طبية ، وأن يعطي علاجات نفسية ، أو اجتماعية ، ولا للنحوي صلاحيات تشريع القوانين ، وسن النظم والتشريعات .

وأيضاً . . ليس للصحفي أو الشاعر الحق في أن يصدر أحكاماً تاريخية ، يهم أمة بأسرها كل ما يصدر عليها من أحكام . . .

وإلا . . فإننا إذا أعطينا الحرية لكل أحد في أن يتصدى لمعالجة قضايا ، وإصدار أحكام في غير مجال اختصاصه ، فإن علينا أن ننتظر أن تعود الحياة فوضى ، لا يحكمها قانون ، ولا يهيمن عليها نظام . . . وأن نتوقع الكثير من الأخطاء والانحرافات في مختلف المجالات ، وعلى جميع المستويات .

وبديهي أنه كلما كانت القضايا هامة وخطيرة ، وضرورية ، تمس حياة هذا الكائن ، وعقائده ، وسلوكه . . . كان الخطأ أكبر والانحراف أخطر ، ولذا . . . فإن كل محاولة شاذة تستهدف العبث براحة وهناء هذا الكائن ـ عن هذا الطريق ـ يجب أن تواجه بالرفض المطلق ، والقوي ، من مختلف الفئات ،

وعلى جميع المستويات ، ويجب اعتبار من يقدم على عمل كهذا معتدياً ، بل وحتى « جانباً » أيضاً . . .

* * *

وغني عن البيان هنا : أن الدعوة للتعاون والتعاضد للوقوف في وجه هؤلاء ، لا يمكن أن تعتبر ـ بأي حال من الأحوال ـ دعوة شريرة ، وهدامة ، الهدف منها : نسف الوحدة الإسلامية ، والعبث بها . .

لأننا نؤمن ، بل والكل يؤمن : أن الحقيقة هي التي يجب أن تكون المنطلق لوحدة الصف لهذه الأمة الإسلامية العظيمة[1] . . وهل يمكن أن يتصور أحد أن قول الحق يكون فصماً لعرى الوحدة الإسلامية ؟ وسبباً في انعدام التفاهم بين المسلمين ؟!! .

إن وحدة يزعزعها قول الحق ، وتفاهماً يذهب به بيان الواقع لجديرة بأن لا نفرح بها وبه كثيراً ، ولا أن نحزن للعبث بها وبه كثيراً أيضاً ، بل لعل عكس ذلك هو الصحيح ، والصحيح جداً . .

وبعد : فإننا إذا كنا نعتز بأن نجد طائفة كبيرة من المنصفين الذين لا بد لنا من وقفة تقدير ، وإجلال ، وإكبار لكثير من مواقفهم . . .

فإننا نجد طائفة أخرى تشذ عن الخط الطبيعي ، وتتمرد على كل الموازين ، والقيم ، وتتخذ لنفسها سلوكاً ، ومنهجاً ، لا نظن بتلك الطبقة الواعية ، والمنفتحة ، والمتفهمة للحقيقة ، والواقع ، أن تشجعهم عليه ، لأنها ولا شك ترى كيف أن تلك الفئة المتمردة تحاول أن تنكر حتى ابده البدهيات ، أو

---

(١) لا يكاد يشك أحد فى أن هذه الاختلافات بين المذاهب الأربعة : عقائدياً وفقهياً كبيرة وعميقة جداً ، ولكنها مع ذلك قد اعتبرت خلافات في الرأي بين المجتهدين ، وأن هدفهم كلهم هو الحقيقة ، أخطأها من أخطأها ، وأصابها من أصابها بل قد أصابوها جميعاً ، لأن بعض أهل السنة قائلون بالتصويب في الأحكام ، ولا يجب بل لا يجوز أن تؤثر على سلوك المتمذهبين بها ، كل منهم تجاه الآخر.

ولعل الاختلاف بين أهل السنة والشيعة لا يزيد على اختلافات المذاهب الأربعة فيما بينها إن لم ينقص فلماذا لا ينظر إليه بنفس المنظار ، ويعامل الشيعة بنفس المعاملة ؟! . .

التشكيك بها ، لا لشيء . . إلا لأن ذلك ينسجم مع رغبات نفسية تأبى إلا أن تكشف عن وجهها ، وتظهر على واقعها ، من وقت لآخر ، ومن فترة لأخرى . . . تلك الرغبات ، وهاتيكم الميول ، التي تدفعهم لأن يطرحوا على الساحة آراء جديدة ، بل وحتى غريبة عن أي منطق ، أو أي ميزان . لا يهمهم ، ولا يعنيهم أن تكون عواقبها خيراً لهذا الإنسان ، أو أن تكون شراً له . . .

وإذا ما استطعنا معاً ـ سنة وشيعة ـ أن نعرف أولئك الذين يكيدون للإسلام ، عن قصد منهم أو عن غير قصد ، فلا يختص وجوب دفعهم والتصدي لهم ، بطائفة دون طائفة ولا بفريق دون فريق ـ تماماً كما لا يتخير الخطر الآتي من قبلهم فريقاً دون فريق ، ولا طائفة دون طائفة . . حيث الهدف الأول والأساس لهم ـ والدوافع مختلفة ـ هو هدم أساس الإسلام ، والقضاء على القرآن . . .

وقد يبدو هذا الموقف غريباً وعنيفاً ، بل وحتى قاسياً أيضاً . ولكننا إذا ما أمعنا النظر قليلاً فلسوف نجد أنه يستمد عنفه وقسوته ، ومرارته من نفس الحقيقة التي يعبر عنها ، والواقع الذي يعالجه ، فلقد كان الحق بنفسه مراً ، والواقع بذاته كان مفجعاً وكيف لا يكون كذلك ، ونحن نشهد في هذه السنوات الأخيرة هجوماً واسعاً ، ومكثفاً من أولئك المتطفلين وهواة الشغب ـ خالف تعرف ـ وأصحاب المصالح ، والأغراض المعينة ـ هجوماً ـ على كل القيم والمعتقدات الدينية الضرورية ،وعلى الحقائق التاريخية ، تحت ستار وشعار يرون أنه يحميهم ، ويدفع عنهم ، وهو « حرية الرأي ، وحرية التعبير عنه » ، وذلك بدعوى الموضوعية ، والبحث العلمي ، مع أنهم في الحقيقة ، إما متطفلون على الأدب ، أو متطفلون على الصحافة ، أو نحوها ، فضلاً عن المعارف الدينية ، والحقائق التاريخية ، ولست ترى واحداً منهم يستحق أن يعتبر متخصصاً في هذه الموضوعات التي يحاول بحثها والتطفل عليها . . .

ولسنا نريد أن نذهب بعيداً هنا ، ولا أن نستعرض كل تعدياتهم على القيم والمعتقدات ، لأن ذلك بحث لا يتسع له المجال هنا . . . وإنما نريد فقط

أن نلفت النظر إلى ظاهرة بارزة ، تستقطب معظمهم ، إن لم يكن كلهم . . .

وهذه الظاهرة ، هي ما نراه من محاولاتهم التشكيك في أبده البديهيات التاريخية ، واطراح كل الشواهد والأدلة ، التي لا تنسجم مع ما افترضوه مسبقاً نتيجة لبحثهم . . .

فهذا محمد عبد الله عنان يتناول الصحابي الجليل ، الذي لا يرتاب مسلم في إخلاصه ، ووفائه لما عاهد الله عليه ، والذي يعرف كل أحد مواقفه المشرفة ، وثقة الصحابة به ، واحترامهم له . ألا وهو « سلمان الفارسي » ـ يتناوله ـ بالتجريح ، والاتهام ، حتى لقد قال عنه : « . . والظاهر أنه من خصوم الإسلام الباطنيين . . » ناسياً أو مكذباً للنبي الذي يقول ـ حسبما رواه جهابذة وحفاظ أهل السنة ـ سلمان منا أهل البيت . . . فلعل محمد عبد الله عنان أفهم وأعرف من النبي (ص) ، الذي لم يكن ينطق عن الهوى . . . وأعرف بسلمان من كل الصحابة ، الذين عاش بينهم ، وعرفوه عن كثب . . .

إن من الواضح أن فشل « عنان » في العثور في كل تاريخ سلمان الطويل على أدنى مخالفة ، ولا رأى فيه مغمزاً لقول ، ولا محلاً لريبة وأيضاً كون سلمان من أصل غير عربي هو الذي دعاه لأن يصمه بهذه الوصمة ، ويفتري عليه هذه الفرية ، غير مقيم وزناً لكل الحقائق التاريخية ، التي لا يكاد يرتاب فيها أحد . . .

ولقد سمعنا ورأينا من قبل الحملات الشعواء على مالك الأشتر ، الذي وصفه ابن حجر في صواعقه بـ « المارق »[1] غير مقيم وزناً لمكانته من الإمام علي عليه السلام ، ولا لما وصفه به في كتبه عليه السلام إليه ، ومواقفه معه ، حتى ليقول فيه على ما نقله ابن أبي الحديد « رحم الله مالكاً ، ولقد كان لي كما كنت لرسول الله (ص) » . . ووصفه أيضاً بأنه « سيف من سيوف الله ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد الخ . . . » .

---

(١) الصواعق المحرقة ط سنة ١٣١٢ ص ٣٨ .

وعند ما بلغه موت الأشتر قال وهو يتلهف ، ويتأسف : « لله در مالك ، وما مالك ؟! لو كان من جبل لكان فندا ، ولو كان من حجر لكان صلداً ، والله ليهدمن موتك عالماً ، وليفرحن عالماً . وعلى مثل مالك فلتبك البواكي ، وهل مفقود كمالك ؟ وهل موجود كمالك ؟! » إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه . . .

ولو أن الأشتر كان له موقف أخر من العرش الأموي ، فلا شك أن الموقف منه سيكون مختلفاً تماماً عما هو عليه الآن . .

وأبو ذر أيضاً لم يسلم من ذلك ، حتى لقد صور ـ والمصور له هو محمد جلال كشك[1] ـ بصورة اعرابي لا يفقه، ولا يعقل شيئاً، لم يتادب بأداب الإسلام ، ولا استفاد من اخلاقياته شيئاً ذا بال . . . فهو جلف ، جاف ، قاس ، بلغ من جفائه أن كان النبي (ص) يتضايق منه ، وحتى لقد قال له في إحدى المناسبات « طف الصاع !! طف الصاع » ومرة أخرى يقول له « أما ذهبت عنك اعرابيتك » وهو ضعيف لا يصلح لأن يتحمل أية مسؤولية وهو لا يحسن شيئاً ، اللهم إلا الشتائم والاهانات للآخرين، الذين كانوا يقابلون ذلك منه ـ ومنهم أبو الدرداء ! ـ بالخلق السامي ، والأدب الرفيع . . . هذا فضلاً عن أنه كان بذاءً فحاشاً ، يواجه النساء بكلام « لا يمكن لكاتب معاصر أن يذكر الفاظه ، ولا يترك لسامعه أو سامعته مخرجاً للتأويل ، أو ادعاء شبهه في الفهم ، أو مجالاً للاعتذار عن قصد قائله . . »[2] .

إلى غير ذلك من الأمور التي حاول إلصاقها به ، والإهانات التي وجهها إليه .

هذا . . . ونرى هذا الكاتب يمهد مقدمات من نوع معين ، من أجل أن يصل إلى نفي الحقيقة التاريخية الهامة ، ألا وهي قضية نفي أبي ذر إلى الربذة من قبل الخليفة الثالث عثمان . . هذه الحقيقة التي لا تزال تزعجه ، وتزعج كل من

---

(١) راجع : أبو ذر والحق المر .

(٢) أبو ذر والحق المر ص ٢٠ .

هم على شاكلته وينسجون على منواله . . إنه يريد نفيها ولا أقل التشكيك فيها بأي ثمن ، حتى ولو استلزم ذلك أن تضرب كل الأدلة القاطعة ، والبراهين الناصعة عرض الجدار . ونأمل أن نوفق في مناسبة أخرى للحديث عن هؤلاء الصفوة ، الذين تحاول الأيدي الأثيمة وضع علامات استفهام حول إخلاصهم ، وحول سلوكهم ، وكل قضاياهم ، ومشاكلهم . .

بل لقد تجاوز الأمر هؤلاء جميعاً . . ووصلت النوبة إلى « أهل الكساء » أنفسهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . فنرى بعض الباحثين اليوم ـ ومنهم الدكتور أحمد شلبي ـ لا يرى للحسن ميزة على يزيد إلا بأنه ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال هذا الدكتور وهو يتحدث عن خصوم يزيد ، وهل إنهم كانوا أكفأ منه :

« . . وأما الحسين بن علي ، ففضله أنه من الارومة الطيبة ، وأنه قريب النسب بالمصطفى صلوات الله عليه ، وفيما عدا ذلك لا يثبت له التاريخ مفاخر سياسية ، وإدارية متعددة ، أو بارزة ، تجعله يفضل غيره (المقصود بهذا الغير هو يزيد ، لأنه في مقام بيان التفاضل بين يزيد وخصومه) في حمل هذا العبء . ولعله أخطأه التوفيق حينما قبل دعوة أهل العراق ، الخ . . . »[1] .

وقال في موضع آخر بعد أن تأسف لأن بعض تصرفات الحسين لم تكن مقبولة : « ويظل الحسين يتقي السهام والضربات بأولاده ، وأهله ، وصحبه ، حتى خروا جميعاً بين يديه ياالله ! قد تكون ولاية يزيد العهد عملاً خاطئاً ، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطاء والعودة إلى الصواب ؟ »[2] .

وأما عن الإمام الحسن ، فيقول الدكتور أحمد شلبي أيضاً :

« على أن صفات الحسن لم تكن تهيؤه للخلافة ، فلم تكن له ميزة أعظم من أنه ابن علي بن أبي طالب ، وتلك لا تكفي قطعاً لنيل تلك المكانة ، فلم يكن للحسن علم أبيه ، ولم تكن له بطولة أبيه ، ولم تكن له سابقة أبيه ، ومع

---

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٤٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠١ /٢٠٢ .

هذا غلبت أباه الأحداث فأنَّى للشاب المزواج المطلاق، الذي يروى أنه تزوج مئة امرأة أن يملأ هذا الفراغ ، لقد كان يجر على أبيه المتاعب ، ويخلق له الأعداء، بسبب كثرة الزواج والطلاق، حتى أوصى (علي) الناس أن لا ينكحوه بناتهم ، فيكف يستطيع الحسن أن يقود الناس ، ويوجه الأمور ؟ . . »[1] .

وهكذا . . . فلم يكن للحسين ميزة على يزيد إلا أنه ابن بنت رسول الله (ص) .

أما أن له مؤهلات قيادية أو إدارية تفضل مؤهلات يزيد ، فذلك لم يثبت ، إن لم يثبت العكس من ذلك . . . ولقد أخطاء في ثورته على الظلم ، والطغيان ، وكان يتقي بأولاده وأهله وصحبه السهام والضربات . . .

وأما الحسن فكذلك أيضاً ، بالإضافة إلى أنه إنسان مبتذل ، يطارد النساء ولا همَّ له سواهن ، وكان بذلك يخلق لأبيه الكثير من المتاعب والمشاكل ، حتى أوصى علي الناس بأن لا يزوجوه . . .

هذا حال الإمام الحسن والإمام الحسين في نظر الدكتور أحمد شلبي واضرابه . . ولننظر الآن إلى ما يقولونه عن امهما الزهراء بضعة الرسول (ص).

إنهم يقولون عنها ببساطة إنها ليست إلا امرأة من بنات آدم ، وليست بواجبة العصمة . على حد تعبير ابن كثير[2] .

« . . . ولم يعرف لها نشاط ديني ، ولا سياسي ، إلا أن الشيعة أحاطوها بهالةٍ تبجيل خاصة ، ونسجوا حولها أقاصيص كثيرة ، فقالوا إنها روح الله ، وسموها « البتول » وفضلوها على عائشة ، وأطالوا في بيان فضائلها ، وخصائصها ، وقصروا عليها ، وعلى بنيها اسم « أهل البيت » و « أصحاب الكساء » . . . [3] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥ /٣٦ .

(٢) راجع : البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ و٢٨٩ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٧ .

بل لم يسلم حتى علي عليه السلام من الإهانة والتجريح ، وحدث عن مواقف الناس المختلفة منه ولا حرج . . .

وبعد . . فإننا ننتظر أن نرى ، ونسمع الإهانة والتجريح في شخص النبي (ص) بسبب مواقفه من أهل الكساء ، ومن أبي ذر ، وسلمان وغيرهم . . . وليس ذلك ببعيد على هؤلاء المتفرنجين المتحذلقين . . .

* * *

وبعد :

فهل ترى قارئي العزيز : أن السبب في ذلك لا يقتصر على ما يبدو للوهلة الأولى من السطحية، أو إرضاء رغبات نفسية ، كحب الظهور ، أو المتاجرة بالقيم والمثل والحقائق التاريخية ، والموضوعية ، ونحو ذلك . . . بل إن السبب ليتعدى ذلك إلى ما هو أبعد منه بكثير . . إنه يتصل بشخص علي . . . وبعلي فقط . . .

فعلي ، وكل أهل بيته ، وكل شيعته ، ومحبيه ، وكل مواقفهم ، يجب أن ينظر إليها بمنظار أسود، يشوهها، ويقضي على كل ما فيها من حيوية، وإشراق، وأصالة.

يجب أن يوضع علي دائماً في موضع النقد والتجريح ، ولا يجوز أن يبقى له ، ولا لأي من المنتسبين إليه أية قدسية ، أو أية فضيلة ، كل ما لهم يجب أن ينسف ، أو أن يكون في مهب الريح . . وليستبدل من ثم بالمواقف المائعة ، والمبتذلة والوصمات الشنيعة، و. . . إلى آخر ما هنالك حتى وإن كذبت ذلك كل الشواهد والحقائق التاريخية ، والموضوعية ، والوجدانية ، . . بل وحتى ولو لزم منه التكذيب للنبي نفسه وللقرآن الذي ينص على أن الله قد أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً . .

أما الفريق الآخر ، ومن هم في الجهة الأخرى ، وهم مناوؤا علي ، وأعداؤه وأعداء أهل بيته وشيعته ومحبيه . . حتى يزيد بن معاوية والحجاج بن

يوسف ، وغيرهم من امويين وعباسيين . . . أما هؤلاء فلا بد من رفعهم ـ إن أمكن ـ إلى السماء السابعة ، وجعلهم في مصاف الملائكة ، ولا بد من تبرير كل ما يرتكبون ، وتصحيح وتوجيه كل ما يفعلون . . . ولا بد من التماس الحجج والمبررات لهم ، وإن خالفت كل الأدلة القاطعة ، والبراهين الناصعة ، التي تدينهم ، وتكشف بما لا مجال معه للشك عن حقيقتهم وواقعهم . . . بل وحتى ولو خالفت محمداً والقرآن ، وكل المثل والقيم الرفيعة . .

وهذا أنت . . جرب . . وتكلم عن أبي هريرة ، أو عن كعب الاحبار أو النعمان بن بشير . . ومن هو على شاكلتهم . . بل وتكلم عن عمرو بن العاص ، وطلحة ، والزبير ، ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان . . وعن أبي سفيان ، واضرابهم . . تكلم عنهم بما هو فيهم ، وبما لا يشك أحد في صدوره منهم . . جرّب ذلك . . فإنك سوف تواجه ألف عاصفة وعاصفة تهب في وجهك ، ولسوف ترى أن كل شيء أصبح فما يتكلم في سبك ، وفي اتهامك ، وفي تهجين كل ما يصدر منك ، أو يرتبط بك ، مهما كان حقاً ، ومهما كان صدقاً !! . .

وما ذلك إلا لأن العرش الأموي هو الذي كان يمتلك زمام السلطة لفترة من الزمن . . والسلطة ـ حتى ولو كانت سلطة ابليس ـ يجب عند هؤلاء احترامها وتقديسها في حال الحياة وفي حال الممات على حد سواء .

وما ذلك إلا لأن في الجهة المقابلة علي وشيعته ومحبوه وإن كان من بينهم محمد (ص) والأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وهكذا . . . تكون النتيجة هي أن ذنب الأشتر وسلمان وأبي ذر واضرابهم هو ارتباطهم بعلي خاصة ، وبأهل البيت عامة . . وهل ثمة ذنب يكون أعظم من هذا ؟ !!

ولو أن هؤلاء أنفسهم كانوا من أعوان الجهة المناوئة لعلي ، وأهل بيته ، ـ من بني أمية ـ لرأيت لهم من التعظيم والتبجيل ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولنسب إليهم من الفضائل والكرامات ما يجعلهم في عداد الأساطير . . . هذا . . . إن لم يوجد من يقول بنبوتهم ، أو بألوهيتهم ، كما قالوا

بذلك بالنسبة لمعاوية ، وولده يزيد وبعد ذلك بالنسبة للمنصور وأمثاله . .

وختاماً . . فلا بد وأن نقول لهؤلاء ، ولهؤلاء فقط ، لا لأبي ذر :

اللهم . . إنا نعاهدك على أن نقول الحق ، كل الحق . . للحق وأن نقف في وجه هذه الفئة ، ونعيدها إلى جحورها، التي خرجت منها .

اللهم . . لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب . .

مصادر البحث

١ ـ أبو ذر والحق المر ..... لمحمد جلال كشك

٢ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير

٣ ـ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ..... لأحمد شلبي

٤ ـ الصواعق المحرقة ..... للهيثمي

٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة .....

جوابنا على مجلة المجتمع الكويتية

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله والصلاة على نبيه وآله . .

وبعد : فقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية مقالاً تتهجم فيه على الشيعة لأنهم يحتفلون بعيد الغدير وأنكرت أن يكون ذلك جائزاً شرعاً ، واعتبرته بدعة وطعناً في نزاهة الصحابة الذين لا يعقل أن يتواطؤا على خلاف الرسول الأعظم (ص) وقالت إنه ليس إلا عيدان : الفطر والأضحى وخوّفت من الفتنة المترتبة على أمور كهذه .

كما أنها قد ادعّت أن الأمة قد أجمعت على عدم النص وعلى هذا الترتيب : «أبو بكر، عمر، عثمان، علي» وقالت: إن قضية الغدير لا يثبتها أهل السنة وإنما هي رواية شيعية ، وحتى لو صح فإنه لا يدل على مطلوب الشيعة واستشهدت بإنكار الحسن المثنى لدلالة الحديث ، كما أنها أوردت أيضاً الرواية التي قال البخاري إنها جرت بين العباس وعلي حول سؤالهما للنبي (ص) عن أمرٍ الخلافة بعده، كما أنها قد دعمت دعواها تلك بالقول بأن علياً لم يستخلف أحداً بعده.

فكتبنا الرد الآتي على تلك المجلة ولكنه لم يرسل ولم ينشر كله على اعتبار أن بعض الأخوة قد رأى فيه قسوة بالغة . . ولذا فنحن ننشره بتمامه وكما هو على أمل أن يرجع القارىء إلى الكتب المتكفّلة لبحث موضوع الخلافة بعد النبي

(ص) كالمراجعات ودلائل الصدق ليتضح له صحة وسلامة موقفنا الذي سجلناه في هذه الرسالة ، والرسالة هي التالية :

رسالة مفتوحة إلى مجلة المجتمع الكويتية

الاستاذ المشرف على مجلة المجتمع المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإنكم دائماً تلوحون بالعصا السحرية ، وتعتبرونها كل شيء ، فهي حلالة المشاكل عندكم . . هذه العصا السحرية هي خوف الفتنة !! عجيب !! . . لماذا تخافون الفتنة ؟! إن الفتنة إذا لم تصنعوها أنتم فمن ذا الذي يصنعها ؟ وإذا لم تثيروها أنتم فليس على وجه الأرض أحد يثيرها . . وها أنتم تعتبرون الشعائر الدينية التي تمارسها أمة من المسلمين منذ ألف وأربعمأة سنة خطة مرسومة . . ولكنكم لا تعتبرون أن حملتكم المسعورة هذه خطة رسمها لكم أسيادكم الـذين يمدوّنكم بالمال ويجعلونكم أداة للفتنة ووسيلة لإثارة النعرات . . وذلك حينما أجزتم لأنفسكم أو أجاز لكم أسيادكم التجريح والإهانة ومساس عواطف أكثر من (١٥٠) مليون مسلم . .

ولست أدري كيف أجمعت الأمة على هذا الترتيب : (أبي بكر وعمر ، وعثمان وعلي) ؟ .

. . ونحن نرى أن هذا الترتيب إنما وضعه معاوية باستثناء علي (عليه السلام) ، والحق به علي (عليه السلام) في الدولة العباسية وبقي يتأرجح في الأمة الإسلامية طيلة ما يقرب من مائتي سنة ولم يحصل أي إجماع عليه ولا على غيره وهذه كتب الفرق والمقالات كمقالات الاسلاميين للأشعري والفرق بين الفرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني وفرق الشيعة للنوبختي وغيرها تنادي وتقول إن أكثر الفرق الإسلامية من عهد الصحابة وحتى الآن لا تعترف بهذا الترتيب ولا تعول عليه . . نعم هو قد أصبح مذهب الدولة في وقت ما في القرن الثالث الهجري .

وأما بالنسبة للصحابة فلعمري لا تلامون فيهم بعد أن اعتبرتموهم معصومين ومنزّهين خلافاً لصريح عشرات الآيات القرآنية وعشرات الأقوال النبوية فيهم .

وإذا كان عيد الغدير : يعتبر طعناً في نزاهة الصحابة . . فإن عدم الاعتراف بعيد الغدير يعتبر طعناً في نبوة النبي (ص) نفسه وتكذيباً للقرآن نعوذ بالله من الخذلان والزلل في القول والعمل .

ولقد أنكرتم عيد الغدير واعتبرتموه بدعة !! ، وقلتم : ليس إلا عيدان : الفطر والأضحى ، ولعمري لقد احتفلتم قبل أيام بعيد الهجرة وتبادلتم رسائل وبرقيات التهاني ونشرت مجلتكم الكلمة التي وجهها الوزير الكويتي بهذه المناسبة كما أنكم تعتبرون يوم المولد النبوي عيداً أيضاً وتحتفلون في عيد الاستقلال إلى غير ذلك مما لا مجال لذكره . .

ولم نكن نعلم أنه حتى الأعياد عندكم توقيفية حتى رأيناكم تحكمون على عيد الغدير بأنه مخالفة شرعية . .

وأغرب من ذلك أنكم قلتم : إن قضية الغدير لا يثبتها أهل السنة لا رواية ولا دراية ولو أنكم قرأتم كتاب الغدير للعلامة الاميني (رحمة الله) وقد طبع منه حتى الآن أحد عشر مجلداً ، أو قرأتم كتاب دلائل الصدق للمظفر ، أو كتاب المراجعات للسيد شرف الدين أو غير ذلك من الكتب التي تعالج موضوع الخلافة بعد الرسول (ص) ، لكان ذلك أغناكم عن هذه الفرية المفضوحة، ولعلمتم أن المئات من المصادر السنية المعتبرة بل والتي تعد أوثق المصادر عندكم تثبت هذه القضية ولرأيتم أن هذه القضية ليس فقط متواترة في كتبكم بل هي من ضروريات مذهبكم ولاطلعتم على أن الكثيرين من علمائكم يصححونها على طريقتكم .

هذا على رغم اعترافكم بصحة ما نقلتموه عن ابن عساكر ، وأما قصة إنكار الحسن المثنى لدلالة الحديث **فأولاً** : إنه لا بد وأن يكون قد خاف من

الإظهار في دولة كلها تريد الولـوغ في دماء أهـل البيت الاطهار وشيعتهم الاخيار . .

وثانياً : إنه لا يبعد أن تكون قضيته مفتراة تعمد الوضاعون أن تكون على لسان أحد أهل البيت لأن ذلك يكون أوقع في النفس وذلـك مما يتعمـده الوضاعون عادة حتى لتجدهم يضعون على لسان علي بعض الفضائل لأبي بكر ، وقد ذكر في الغدير ٦٧ حديثاً مفتعلاً في فضل أبي بكر على لسان علي (عليه السلام) . . .

كما أنكم قد نقلتم الحديث مبتوراً ، ولا نشك في أنكم قد تعمدتم ذلك فإننا قد تعودنا منكم تحريف الكتب والروايات وحذف ما ترونه مضراً بمصلحتكم من طبعاتها المختلفة . .

وبعد ما تقدم كيف تقولون : قد اجتمعت الأمة على عدم النص، فيما قيمة إجماعكم هذا ونحن نرى أن النص على علي (عليه السلام) يملأ كتبكم وتضيق به مجاميعكم وإن النص عليه كان معروفاً وشائعاً بين الصحابة أنفسهم ، بل وقد اعترف به الخوارج أعداء علي عليه السلام فكان مما احتجوا به على علي (عليه السلام) قولهم زعم أنه وصي فضيع الوصية كما ذكره اليعقوبي وغيره .

وقد احتج علي عليه السلام بالنص يوم الشورى واحتج بحديث الغدير نفسه كما أنه استشهد عليه في الرحبة بالكوفة وشهد له به عدد كبير من الصحابة منهم ١٢ أو ١٨ بدرياً أو غير ذلك حسب اختلاف النقول . .

وأما الرواية المجعولة بين العباس وعلي فتكذبها كل مواقف علي وأقواله وأفعاله . . وإن كانت قد وردت في صحيح البخاري الذي هو قرآنكم الحقيقي وتؤولون القرآن ليوافقه وينطبق عليه فإنه قد طعن في مئة وعشرة أحاديث منه وقد ضعف من رجاله أكثر من ثمانين رجلاً منهم من اتهم بالكذب والوضع . . ومنهم من هو من القدرية مثل كهمس وسفيان بن سليمان واضرابهم ويكفيه أنه يروي عن عمران بن حطان الذي مدح ابن ملجم في قوله :

يـا ضربـة من تقي مـا أراد بهـا إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانـاً

هذا عدا عن اشتماله على أحاديث التجسيم والإسرائيليات وغير ذلك مما ينكره العقل والتاريخ ويخالف القرآن كما لا يخفى على من راجعه .

ويبقى لنا أن نشير إلى ما ذكرتموه من عدم استخلاف علي عليه السلام حين موته ونحن نقول :

إنه لا داعي بل لا معنى لاستخلافه عليه السلام بعد أن كان الحسن عليه السلام قد نص عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصبه وأخاه الحسين عليه السلام للامامة والخلافة عندما قال :

« الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » .

ومع ذلك فقد ذكر في العقد الفريد / ج ٤ ص ٤٧٤ عن الهيثم بن عدي ، قال : «حدثني غير واحد ممن أدركت من المشايخ أن علي بن أبي طالب عليه السلام اصار الأمر إلى الحسن . . » .

وعن شرح النهج للمعتزلي / ج ١ ص ٥٧ قال عن الخلافة : « وعهد بها إلى الحسن عليه السلام عند موته » .

وقال ابن عباس عند موت علي عليه السلام : « هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم » ثم طلب منهم البيعة له .

وذكروا أن جندب بن عبد الله دخل على علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك فلا نفقدك فنبايع الحسن قال نعم . . مناقب الخوارزمي / ص ٢٧٨ .

وقال ابن كثير : « الخلفاء الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلافتهم محققة بنص حديث « سفينة الخلافة بعدي ثلاثون سنة » ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع ، لأن علياً أوصى إليه وبايعه أهل العراق . . » . البداية والنهاية / ج ٦ ص ٢٤٩ .

وفي الأغاني إنه لما أتى أبا الأسود نعى أمير المؤمنين وبيعة الحسن قام أبو الأسود خطيباً إلى أن قال أبو الأسود :

« وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه . . . . . الخ ». قاموس الرجال/ ج ٥ ص ١٧٢ .

وفي الخرائج والجرائح ما يدل على ذلك أيضاً .

وفي إثبات الوصية للمسعودي / ص ١٥٢ أنه عليه السلام قال : « وإني أوصي إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهما واطيعوا أمرهما ».

وبعد هذا . . فقد ذكر صاحب كتاب منتخب الأثر : ٥٠ حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نقلها من كتب أهل السنة والشيعة يذكر فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمة الاثنى عشر بأسمائهم .

ونقل عن سليم بن قيس وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام أيضاً وأنه دفع إليه كتبه وسلاحه كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أوصى إليه هو . (راجع البحار / ج ١٠ ص ٨٩) . وفي إثبات الهداة / ج ٥ ص ١٤٠ إنه عليه السلام لما ضربه ابن ملجم قال للحسن : « وأنت يا حسن وصيي والقائم بالأمر بعدي» .

وفي انساب الأشراف طبع الأعلمي / ص٥٠٢ ـ ٥٠٤ ما يدل على ذلك أيضاً .

وقال الشيخ آل ياسين في كتابه : صلح الحسن (ع) :

« وأمره أبوه أمير المؤمنين (ع) ـ منذ اعتل ـ أن يصلي بالناس وأوصى إليه عند وفاته قائلاً : « يا بني أنت ولي الأمر » وأشهد على وصيته الحسين (ع) ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ودفع إليه الكتاب والسلاح ، ثم قال له : « يا بني أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله (ص) ودفع إلي كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك ، إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين» .

وأما عدم صراحة حديث الغدير ، فذلك أمر غريب حقاً ، وقد بحث هذه النقطة العلامة الاميني والمظفر وشرف الدين وغيرهم ، ولقد احتار الرسول

(ص) مع هؤلاء القوم فإنه كما يظهر من تتبع كلماته لم يبق أسلوباً ولا طريقة ولا تصريحاً ولا كناية ولا غير ذلك إلا استعمله أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة ليدل على نصبه علياً (عليه السلام) بعده ولكنهم مع ذلك لا يزالون يمارون في ذلك ولسنا نعرف أسلوباً لم يتبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك أصلاً . . هذا عدا عن أنه قد نصب له (عليه السلام) في عيد الغدير خيمة وتوافد عليه الصحابة للتهنئة ، وكان الشيخان من جملة المهنئين . وعدا عن أنه صرح بأنه وزيره ووصيه وخليفته من بعده حين نزلت آية : ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ إلى غير ذلك مما لامجال لتتبعه واستقصائه .

وإذا كان الأمر يتعلق بغير علي فهناك تكون البسمة والجلسة والمشية والسكوت والكلام وكل شي إشارات ودلالات على الخلافة فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأما عن تواطىء الصحابة على خلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعمري إنها للحجة الواهية ، فيمكن أن يكون ذلك لتأويل من بعضهم كما أولتم ، وانحراف من الآخرين ، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبر عن هذا الانحراف وذلك في العديد من الأحاديث الواردة في صحاحكم حسبما تدل عليه روايات الحوض وغيرها. كما فصلناه في مقالنا: «الصحابة في القرآن والسنة».

وأما مخالفتكم لنص القرآن فيكفي أن نذكر لكم مثالاً واحداً هنا وهو آية الوضوء التي تنص على مسح الأرجل فخالفتم ذلك ، وقلتم بغسلها . . وأما عقائد التجسيم والجبر والخضوع لكل متغلب ظالم ونحوها فتلك حدث عنها ولا حرج ، وبشاعتها مشهودة للعيان وفظاعتها لا يمكن أن يكتمها اللسان . .

وفي الختام فإنا على انتظار لأن تكونوا على مستوى أعلى من الوعي خصوصاً وأنكم تدعون أنكم تقارعون الكفر ، وتحاربون الطغيان والانحراف .

* * *

مصادر البحث

١ ـ إثبات الهداة .....

٢ ـ إثبات الوصية ..... للمسعودي

٣ ـ الأغاني ..... لأبي الفرج

٤ ـ انساب الأشراف ..... للبلاذري

٥ ـ البحار ..... للمجلسي

٦ ـ البداية والنهاية ..... لابن كثير

٧ ـ الخرائج والجرايح ..... للراوندي

٨ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

٩ ـ صلح الحسن (ع) ..... لآل يس

١٠ ـ العقد الفريد ..... لابن عبد ربه

١١ ـ قاموس الرجال ..... للتستري

١٢ ـ المناقب ..... للخوارزمي

١٣ ـ منتخب الأثر ..... للصافي

الصحابة في القرآن والسنة

٢١/صفر/١٣٩٧ هـ.

إننا نلفت نظر مجلة « المجتمع »إلى أن عليها قبل أن تبادر إلى توجيه أي اتهام أن تتأكد تماماً من صحة وسلامة وجهة نظرها لا سيما إذا كانت تدعي لنفسها أنها رائدة توحيد الكلمة والدعوة إلى التصافي والتفاهم والتعاون ، بين المسلمين جميعاً . وأما إلقاء الكلام على عواهنه ومن دون أي تـثبت وتأكد ، فهذا ما لا نرضاه لها ولا لغيرها، ونربأ بها أن تجعل نفسها ألعوبة للأهواء وفريسة للعواطف غير المتزنة ولا المسؤولة . . .

ولقد طالعتنا هذه المجلة مؤخراً بعدة أعداد تحاول فيها النيل من كرامة طائفة معينة من المسلمين ، والطعن في مقدساتها وفي وجهات نظرها . . . وحاولت أن تلقي في أذهان قرائها ذلك المفهوم الذي كان قد روّج له فريق ما في وقتٍ ما من أجل الوصول إلى أهداف معينة في فترة معينة . . . ألا وهو الايمان المطلق بعدالة الصحابة ، وطهارتهم ونزاهتهم من كل شين وريب ، وعلى ذلك جرت قافلة طائفة كبيرة من المسلمين لا اجتهاداً واستناداً ، وإنما تقليداً واتباعاً .

ونحن . . . في نفس الوقت الذي نؤمن فيه بأن فريقاً من الصحابة قد بلغوا القمة بل وما فوق القمة في النزاهة والطهر . . نؤمن بأن سائر الصحابة كانوا كسائر الناس العاديين لا يزيدون عليهم ، ولا يمتازون عنهم إلا في أنهم رأوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعاشوا معه فترة من الزمن ، لم يتهيأ لغيرهم

أن يعيشوها . . . ولكن ذلك لا يعني أن مجرد رؤيتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعطيهم ملكة العدالة والاجتهاد ، وتضفي عليهم صفة النزاهة والطهر . . . كما يشهد على هذا كل من الكتاب وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلمات الصحابة والتابعين والعلماء الأبرار .

أما الكتاب ففيه سورة ﴿ المنافقون » و ﴿ البراءة ﴾ التي تسمى أيضاً الفاضحة والمبعثرة والمشرّدة والمخزية والمثيرة والحافرة والمنكِّلة والمدمدمة وسورة العذاب[1] .

وكذلك ما في سورة النساء ، وثلاثون آية في أول البقرة ، وسورة الأحزاب ، وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة جداً ، والتي لا مجال لذكرها في هذه العجالة . .

ولقد تخلف في غزوة تبوك بضعة وثمانون رجلاً ، وحلفوا للنبي (ص) فقبل منهم علانيتهم ، فنزل فيهم قوله تعالى :

﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . . »[2] .

وقد صرح تعالى بفسق بعضهم في قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[3] وقد أجمع المفسرون ، وأهل الحديث ، والتراجم على نزول هذه الآية الكريمة بالوليد بن عقبة الصحابي ، والذي شرب الخمر ، في عهد عثمان ، وصلى بالناس وهو سكران ، وجلد الحد بيد علي عليه السلام[4] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن

---

(١) راجع الكشاف ، وغيره من كتب التفسير وعلوم القرآن .
(٢) راجع : أضواء على السنة المحمدية ص ٣٥٣ وأي كتاب آخر في السيرة .
(٣) سورة الحجرات ٦ .
(٤) راجع : صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٣ وغيره .

مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ﴾[1] . وقد استدل أبو بكر بهذه الآية على وفاة النبي (ص) . وأخرج ابن أبي شيبة عن إبراهيم قال : قال أبو بكر : « لو منعوني ولو عقالاً أعطوا رسول الله (ص) لجاهدتهم » ثم تلا : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾[2] . وكان حذيفة يتمثل بهذ الآية أيضاً في يوم اليمامة[3] . . . وكان علي أيضاً يرددها في حياة رسول الله (ص) .

على أن القرآن الكريم يذكّر نبيه والمؤمنين بأن : ﴿ من أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرتين ، ثم يُردون إلى عذاب عظيم . . ﴾[4] . فإذا كان تعالى قد اختص نفسه بالعلم بهم ولم يعلم نبيه بهم فليس لأحد بعد هذا أن يدعّي العلم بعدالة كل من رأى الرسول (ص) . إلا أن يتحقق من عدالة كل صحابي على حدة ، وإلا فإنه يكون من القول بغير علم ، وقد قال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم . . . ﴾.

وأما الآيات المتضمنة لرضا الله عنهم ، والوعد لهم بالمغفرة ، والأجر العظيم وما إلى ذلك . . أما هذه الآيات فإنها كلها مقيدة بالايمان والعمل الصالح ، كما لا يخفى على من لاحظها ، وتمعّن فيها . . . وإلا فكيف يمكن أن نتصور رضى الله عن عبد الله بن أبي رأس النفاق ، مع أنه كان من المبايعين تحت الشجرة . . . وكذلك كل من ارتكب بعدها أعظم الكبائر . . . من قتل النفس المحترمة ، والزنا ، وشرب الخمر ، وغير ذلك كما سنشير إليه فيما يأتي . . .

وعلى كل حال . . . فإن لدينا إلى جانب تلك الآيات القرآنية الكثيرة ، التي لا تزال تنعى على المنافقين الذين لم يكن النبي (ص) نفسه يعلمهم ، وعلى

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٨٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) سورة التوبة ١٠١ .

كثير من الصحابة مواقفهم ، وتذمهم عليها إن لدينا إلى جانب ذلك الكثير من الروايات الواردة عنه (ص) في ذلك، وهو الذي «لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» ويكفي أنه كان باستمرار يقرع أسماع أصحابه، واتباع دينه بالحديث عن الفتن، في موارد مختلفة، بقي لنا الكثير الطيّب منها، وهي مخرجة في أوثق المصادر عندهم، ومخرجة في أصح الكتب بعد القرآن الكريم حسب ما يعتقده إخوتنا أهل السنة كالصحيحين وغيرهما ونحن نذكر بعضها على سبيل المثال:

١ ـ عن أبي وائل قال : قال عبد الله : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إلى رجال منكم ، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي : يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك[1] .

٢ ـ عن أبي حازم قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم . .

قال أبو حازم : فسمعني النعمان ابن أبي عيّاش وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذاسمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي[2].

٣ ـ عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا ترجعوا بعدي كفاراً . يضرب بعضكم رقاب بعض ونفس ذلك رواه أبو بكرة ، وجرير ، وابن عباس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)[3] .

---

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ كتاب الفتن ج ٨ ص ١٤٨ وفي آخره أنه نقل أيضاً عن حذيفة ومسند أحمد ج ١ ص ٤٣٩ مع تفاوت يسير.

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨/٥٩ وج ٨ ص ١٥٠ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٩٦ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ١٥٩ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ وراجع ج ٣ ص ٢٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ٦٣ و ٦٤ وصحيح مسلم ج ١ ص ٥٨ .

٤ ـ عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني فرطكم على الحوض ، وإني سأنازع رجالاً فأغلب عليهم ، فأقول : يا رب أصحابي . فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك[١] .

٥ ـ عن حذيفة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردن علي الحوض أقوام فيختلجون دوني فأقول : رب أصحابي رب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[٢] .

٦ ـ عن ابن عباس في حديث له عنه يقول صلى الله عليه وآله وسلم فيه : وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : أصحابي ؟ أصحابي ؟ فيقول : إنه لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول ، كما قال العبد الصالح : « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . . . إلى قول الحكيم »[٣] .

٧ ـ وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردون عليَّ ناس من أصحابي الحوض ، حتى (إذا) عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : أصحابي . فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك . وعبارة مسلم : ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني فلأقولنَّ : أي رب أصحابي أصحابي[٤] .

٨ ـ عن أبي هريرة : إنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي ، فيحلؤون عن الحوض ،

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٨ بعدة أسانيد ومسند أحمد ج ١ ص ٤٠٢ و٤٠٦ و٤٠٧ و٣٨٤ و٤٢٥ و٤٥٣ .

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٨ وراجع ص ٣٩٣ وأشار إليه في صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٨ / ١٤٩ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦٩ و ٢٠٤ وج ٦ ص ١٢٢ و ٦٩ و ٧٠ وج ٨ ص ١٣٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٥٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٣٥ و٢٥٣ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ١٦٠ وعن الجمع بين الصحيحين .

(٤) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٧٠ و٧١ ومسند أحمد ج ٣ ص ٣٨١ وعن الجمع بين الصحيحين الحديث رقم ١٣١ وفي احقاق الحق باب ما رواه الجمهور في حق الصحابة أنهم رووا مثل ذلك عن أم سلمة وأسماء بنت أبي بكر وسعيد بن المسيب وحذيفة وأبي الدرداء .

فأقول : يا رب أصحابي فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى[1] .

٩ - عن أبي هريرة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال : ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه ، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا : يا نبي الله أتعرفنا قال : نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون عليَّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء وليصدّن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول : يا رب هؤلاء من أصحابي ؟ فيجيبني ملك فيقول : هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟[2] .

١٠ - وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بينا أنا قائم إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم فقلت : أين ؟ قال إلى النار والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم قلت : أي أين؟ قال : إلى النار والله . قلت : ما شأنهم؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[3].

١١ - وروي عن عمار أيضاً : إن في أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[4] .

١٢ - عن أبي بكرة : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صحبني ورآني ، حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن : رب أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[5] .

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥٠ وبعده نفس الحديث الذي رواه ابن المسيب عن أصحاب النبي(ص) .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٥٠ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥٠ /١٥١ والمصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٤٠٦ وعن الجمع بين الصحيحين الحديث ٢٦٧ .

(٤) راجع : صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ و١٢٣ .

(٥) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٤٨ وص ٥٠ بسند آخر.

١٣ ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال : تزعمون أن قرابتي لا تنفع قومي ؟ والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة إذا كان يوم القيامة يرفع لي قوم يؤمر بهم ذات اليسار فيقول الرجل : يا محمد أنا فلان بن فلان ويقول الآخر : أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب قد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وآرتددتم على أعقابكم القهقرى[١] .

١٤ ـ قالت أسماء بنت أبي بكر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم . وسيؤخذ أناس دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم[٢] الخ . . .

١٥ ـ عائشة تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، وهو بين ظهراني الصحابة : إني على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم فوالله ليقتطعن دوني رجال. فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي فيقول: إنك ما تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم[٣] .

١٦ ـ وعن أم سلمة : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أيها الناس بينما أنا على الحوض جيىء بكم زمراً ، فتفرّقت بكم الطرق فناديتكم : ألا هلمّوا إلى الطريق ، فناداني منادٍ من بعدي ، فقال : إنهم قد بدّلوا بعدك ، فقلت : ألا سحقاً ألا سحقاً[٤] .

١٧ ـ عن أم سلمة : إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : أيها الناس إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً[٥] .

---

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ٣٩ ويقرب منه ما في ص ١٨ وكنز العمال ج ١١ رقم ٢٤٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥١ /١٥٢ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٦٦ وكنز العمال ج ١١ رقم ٢٤١٦ .

(٣) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٦ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٥٩ وكنز العمال رقم ١٤١٦ .

(٤) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٧ .

(٥) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٧ .

١٨ ـ عن أم سلمة قالت : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً[١] .

١٩ ـ في كتاب المواهب لمحمد بن جرير الطبري الشافعي عن أبي علقمة قال : قلت لسعد بن عبادة وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر : ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون ؟ قال : إليك مني فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا أنامتُّ تضِلّ الأهواء ، ويرجع الناس على أعقابهم فالحق يومئذ مع علي وكتاب الله بيده ، ولا تبايع أحداً غيره[٢] .

٢٠ ـ وكان طلحة بن عبيد الله وابن عباس وجابر بن عبد الله يقولون : صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قتلى أحد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا على هؤلاء شهيد ، فقال : أبو بكر : يا رسول الله أليسوا إخواننا ، أسلموا كما أسلمنا وجاهدوا كما جاهدنا ؟ قال بلى ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ولا أدري ما تحدثون بعدي ، فبكى أبو بكر وقال : إنا لكائنون بعدك ؟[٣] .

٢١ ـ عن مرة قال : حدثني رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال : أتدرون أي يوم هذا ؟ إلى أن قال : ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم وإني مكاثر بكم الأمم فلا تسودّوا وجهي . ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني ، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار ألا وإني مستنقذ رجالاً أو اناثاً ومستنقذ مني آخرون فأقول : يا رب أصحابي ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[٤] .

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٨ .

(٢) ملحقات احقاق الحق ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٣) مغازي الواقدي ج ١ ص ٤١٠ .

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ٤١٢ وفي صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥٩ / ١٦٠ : عن العلاء بن المسيب عن أبيه ، قال : لقيت البراء بن عازب (رض) فقلت : طوبى لك ، صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة ، فقال : يا ابن أخي لا تدري ما أحدثنا بعده . .

٢٢ ـ وقال المغفور له العلامة الأميني في كتاب «سيرتنا وسنتنا، سيرة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) » ص ٢٦ : اخرج الحفاظ بأسانيدهم الصحيحة عن ابن عباس : « خرجت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليّ رضي الله عنه في حيطان المدينة ، فمررنا بحديقة فقال عليّ رضي الله عنه : ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله ؟ فقال : حديقتك في الجنة أحسن منها ثم أومأ بيده إلى رأسه ولحيته ثم بكى حتى علا بكاه . قيل : ما يبكيك ؟ قال ضغاين في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدونني » وفي لفظ عن أنس بن مالك : « ثم وضع النبي رأسه عليّ فبكى فقال له : ما يبكيك يا رسول الله صلى الله عليك ؟ قال : ضغاين في صدور أقوام لا يبدونها حتى افارق » .

وأخيراً . . فقد قال المقبلي : إن أحاديث « لا تدري ما أحدثوا بعدك » متواترة بالمعنى[1] .

هذا غيض من فيض ، مما يدل على أن الصحابة ليسوا كلهم عدولاً أبرار أخياراً بل هم كسائر الناس الآخرين يخطئون ويصيبون ، يطيعون ويعصون . . . وإن كان ربما يكون الذنب منهم أعظم ، والمعصية منهم أشد ، باعتبار أنهم نالوا شرف رؤية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسعدوا بمجالسته ورأوا من براهينه ومعجزاته ما يبهر كل عقل ويقطع كل عذر . . . وعليه فكل ما يدعى لهم من صفات غير طبيعية وعدالة ونزاهة وطهارة حقيقية لا يعدوا عن أن يكون مجرد دعوى واهية لا تستند إلى دليل ولا يدعمها برهان .

ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع أيضاً بالإضافة إلى ما تقدم : مصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، وتنوير الحوالك ج ١ ص ٥١ ، والبحار ج ٢٨ كتاب الفتن ص ٢٦ حتى ٣٦ ، وكنز العمال ج ١١ ص ١٥٧ رقم ٦٤٥ وفي ذيله : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم » ورقم ٧٤٦ ورقم ٧٤٧ وفيه : «ولكنكم ارتددتم بعدي ورجعتم القهقرى» وص ١٥٥ رقم ٧٧٦ وفيه : « فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً » وج ١١ ص

---

(١) راجع : أضواء على السنة المحمدية ص ٣٥٠ نقلاً عن العلم الشامخ للمقبلي .

٢٢١ رقم ٢٤١١ عن أبي هريرة وفيه : «إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى » وفي بعضها عن حذيفة رقم ٢٤١٢ وعن أنس رقم ٢٤١٤ وعن سمرة رقم ٢٤٨١ وعن أبي هزيرة رقم ٢٤١٥ وعن حذيفة رقم ٢٤٧٦ و٢٤٧١ وعن أم سلمة رقم ٤١٧ وعن أنس وحذيفة رقم ٢٤١٨ وعن زيد بن خالد رقم ٢٤٢٤ وعن ابن مسعود رقم ٢٤٧٠ وعن أسماء بنت أبي بكر وعائشة رقم ٢٤١٦ وعن أبي سعيد رقم ٢٤٧٢ وغير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه في هذه العجالة .

وحسب هذا الرأي قوة أن يكون مدعوماً بالنصوص القرآنية وبالنصوص النبوية التي رواها لنا عدد كبير من الصحابة أنفسهم كما يظهر مما تقدم مثل : سهل، حذيفة، ابن عباس، عائشة، أبي سعيد، ابن مسعود، أم سلمة ، أنس ، سمرة ، زيد بن خالد ، أسماء بنت أبي بكر ، ابن عمر ، أبي هريرة ، أبي بكرة ، عمار ، سعد بن عبادة ، طلحة ، جابر ، أبي الدرداء رجل من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ممن لم يتهيأ لنا في هذه العجالة الاطلاع عليهم .

وعلى هذا فما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كلمات تدل على عدالة جميع الصحابة ووجوب الاقتداء بهم جميعاً لا يمكن أن تصح ولا شك في وضعها على لسانه (ص) وافتعالها ، لأنها مما يكذبها كل أفعاله وأقواله تجاههم وفي حقهم ، ويدحضها عامة سلوكه معهم . . .

وأما الحديث الذي يردده الناس في العصور الأخيرة وينسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم « فهو باطل ، صرح ببطلانه جمع كثير من الأعلام قديماً وحديثاً كأحمد بن حنبل ، والبزار، وابن حزم، وابن الجوزي وابن عبد بالبر، وغيرهم كثير، هذا عدا عن أن متن الحديث ذاته يدل دلالة واضحة على ضعفه ، فليس كل نجم من النجوم يهتدي به الضال في ظلمات البر والبحر . . . »

ولعله وضع في مقابل حديث : النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي

أمان لأمتي . . . وبلفظ آخر : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف[1] . . بل يظهر أنه وضع ليجعل الأصحاب هم الهداة لسفينة نوح ، التي من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق[2] بل في لسان الميزان / ج ١ ص ١٣٦ إن النبي (ص) قال : أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وبعد . . . فهل يمكننا أن نقتدي ونهتدي بمعاوية ومروان ، وعمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، واضرابهم في لعنهم علياً والحسن والحسين عليهم السلام وغيرهم . . . باعتبار أن معاوية وهؤلاء هم من تلك النجوم التي بأيها نقتدي ونهتدي ؟! . .

وهل يمكننا أن نهتدي بالحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وبالوليد بن عقبة الفاسق بنص القرآن الكريم ، والذي نزل فيه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ والذي شرب الخمر في عهد عثمان ، وصلى بالناس وهو سكران كما قدمنا ؟! . .

وهل يصح أن نقتدي ونهتدي بكل أولئك المنافقين ، الذين كانوا على عهد الرسول (ص) ؟ أم يعقل أنهم أصبحوا بمجرد موته (ص) عدولاً أبراراً إن ذلك لعجيب وعجيب حقاً !! . .

وهل يمكن أن نقتدي ونهتدي بأولئك الذين ارتكبوا أعظم المنكرات ، سواء في حياة النبي أو بعد وفاته ؟! . .

فها نحن نرى بعضهم قد شرب الخمر في أيام عمر ، وأقام عليه عمر الحد ، وهو قدامة بن مظعون[3] مع أنه كان صحابياً ، بل وبدرياً أيضاً ، ومن السابقين الأولين ، وقد هاجر الهجرتين .

---

(١) ذخائر العقبى ص ١٧ واسعاف الراغبين .

(٢) نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٧٩ .

(٣) الاصابة ج ٣ ص ٢٢٨ / ٢٢٩ والاستيعاب بهامشها ج ٣ / ص ٣٦١ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٩ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٢٣ .

كما وشربها أيضاً عبد الرحمان بن عمر ـ وعبد الرحمان قد عاصر الرسول (ص) ـ وأقام عليه أبوه الحد ، ومات من جراء ذلك ، وقضيته أشهر من أن تذكر[1] .

واتهم المغيرة بالزنا ، وشهد عليه ثلاثة ، وتردد الرابع ـ وهو زياد بن أبيه ـ وتردده هو الذي درأ الحد عن المغيرة ، وليس كون المغيرة صحابياً[2] مع أن المغيرة كان من المبايعين تحت الشجرة أيضاً، وهي المعروفة ببيعة الرضوان.

وكان أبو محجن يزني ، ويشرب الخمر ، وقد جلده عمر سبعاً أو ثماني مرات لذلك ونفاه[3] .

وارتد طليحة بن خويلد عن الإسلام وادعى النبوة[4].

وكان سمرة بن جندب يبيع الخمر في عهد عمر[5] وهو أحد الثلاثة الذين قال لهم النبي (ص) : آخركم موتاً في النار .

وحد النبي نعيمان ثلاث مرات في الخمر ، وطلب عمر قتله في الرابعة ، فلم يقبل منه[6] مع أن نعيمان قد شهد المشاهد كلها ، وشهد العقبة أيضاً .

وبسر بن أبي أرطاة قد عاث في الأرض فساداً وقتل طفلين لعبيد الله بن العباس، وما ذنب الأطفال؟!.

ومعاوية ـ وما أدراك ما معاوية بائع الأصنام[7] ـ يجعل رأي نفسه مقدماً

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٧٢ والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٤٠٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣١٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٣ .

(٢) الاصابة ج ٣ ص ٤٥٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٣ والقضية معروفة ومشهورة . .

(٣) الاصابة ج ٤ ص ١٧٤ والاستيعاب بهامشها ج ٤ ص ١٨٣ /١٨٤ وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٩٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٨ .

(٤) أسد الغابة ج ٣ ص ٦٥ والاصابة ج ٢ ص ٢٣٤ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٢٨ .

(٥) الاحاديث الموضوعة : حديث أصحابي كالنجوم ص ٧٧ عن البخاري وغيره .

(٦) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٩٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٩ /٢٠٠ وج ٥ ص ٣٦ /٣٧ والاصابة ج ٣ ص ٤٠٤ و٥٧٠ .

(٧) الاحاديث الموضوعة : حديث أصحابي كالنجوم ص ٧٧ عن المبسوط في الفقه الحنفي ، كتاب الاكراء .

على قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوى ، فإنه عندما باع بيعاً ربوياً ، واعترض عليه أبو الدرداء بقوله : سمعت رسول الله (ص) ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل فقال معاوية : ما أرى بهذا بأساً . فقال أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ؟ أنا أخبره عن رسول الله (ص) ويخبرني عن رأيه ، لا أساكنك بأرض أنت بها ، ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر ذلك له ، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبع ذلك إلا مثلاً بمثل وزناً بوزن[1] . راجع مقدمة كتابنا : حديث الافك .

ومعاوية يسم الحسن عليه السلام ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ويفعل غير ذلك من أمور شنيعة كقتله حجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي إلى آخر قائمة ضحايا معاوية الطويلة ؛ فقد قتل في صفين فقط من أهل بيعة الرضوان ٦٣ رجلاً منهم عمار ومن البدريين ٢٥ رجلاً[2] .

ولقد نسي الناس أن الصحابة كانوا يتهمون أقرانهم بالفسق تارة ، وبالردة والكفر أخرى ـ كما فعل بمالك بن نويرة الصحابي ـ ونسي الناس أيضاً : أن الصحابة أنفسهم قد ثاروا على خليفتهم عثمان وقتلوه ، أو شاركوا في التأليب عليه ، وإثارة الناس ضده . وكيف ينسى دور عائشة وطلحة ، والزبير ، وولده عبد الله ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم في ذلك ، وبعد أن قتلوه تركوه ثلاثة أيام بلا دفن ، حتى دفن في « حش كوكب » مقبرة اليهود . فكيف جاز لهؤلاء الصحابة مخالفة نص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصحابة ؟ ولماذا لم يراعوا عدالتهم وهداهم ؟! .

وأخيراً . . فإن عمر نفسه يصرح بوجود المنافقين في الصحابة حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أخرج ابن المنذر ، عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي[3] وتقدم

---

(١) موطأ الامام مالك ج ٢ ص ١٣٥ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٢٧ .
(٢) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٢٧٨ والتنبيه والاشراف ص ٢٥٦ .
(٣) الدر المنثور ج ٢ ص ٨١ .

تصريح أبي بكر بذلك . . إلى غير ذلك مم تضيق به كتب التأريخ ، ومجاميع الحديث والرواية .

ويكفي أن نذكر أن البلاذري قد ذكر في أنساب الأشراف أسماء المنافقين ، واستغرقت عشر صفحات كاملة ج ٢ ص ٢٧٤ حتى ص ٢٨٣ .

وختاماً ننقل كلام حذيفة بن اليمان (وهو صاحب سر رسول الله وعرّفه صلى الله عليه وآله وسلم المنافقين) عن صحيح البخاري في كتاب الفتن : « إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون » .

ولمعرفة المنافقين الذين يصفهم حذيفة إقرأ كتاب « الغدير » للعلامة الراحل الأميني وقد نشر منه حتى الآن أحد عشر مجلداً وغيره من الكتب العلمية التي توحد صفوف المسلمين مثل كتاب « المراجعات » للإمام شرف الدين العاملي وكتاب « عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى » لصاحب الفضيلة العلامة السيد العسكري وكتاب « خمسون ومأة صحابي مختلق » له أيضاً . وكتاب « أبو هريرة » و « أضواء على السنة المحمدية » و « قصة الحديث المحمدي » وكلها لعلامة مصر الراحل وفقيد العلم والمعرفة الاستاذ المرحوم محمود أبورية .

وبعد هذا . . فهل يصح أن يقال : إن حديث : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » صحيح ، ويجب العمل به ؟ وهل يصح الاقتداء حقاً بكل صحابي ، وفي جميع أفعاله وأقواله ، حتى من لم ير النبي (ص) ، إلا مدة يسيرة كيوم أو شهراً، أو شهرين مثلاً ؟ وهل مجرد رؤيته له (ص) تجعله لا يتعمد ذنباً ، ولا يميل إلى معصية ؟ .

وإذا كان الصحابة كلهم عدولاً أتقياء . . . فلماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكذبهم في أقوالهم ، ويتبرأ من كثير من أفعالهم ؟ وهذه كتب السير والحديث والمغازي بين أيدينا وفيها ما لا يحد بحد ، ولا يعد بعد . . . ولماذا يقولون إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد جلد الذين قذفوا أم المؤمنين ، بعد أن نزلت الآية ببراءتها ، مع أنهم من صحابته ، وفيهم من هو بدري أيضاً ؟!

وإذا كان الصحابة كلهم عدولاً ، مطهرين ، منزهين ، فلماذا تقام عليهم الحدود وتجري عليهم القصاصات ، سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بعد وفاته ؟ وكيف تقبل الشهادة ضدهم ، وكيف يهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقضية الإفك؟ ولم لا يحكم بنزاهة أصحابه ويقول إنهم لا تجوز عليهم المعصية ، من دون أن ينتظر الخبر من السماء ؟! .

وإذا كان حديث النجوم هذا صحيحاً ، فهل من المعقول أن نعتبر أهل الشام وفيهم من الصحابة أمثال معاوية وعمرو بن العاص مهتدين في حربهم علياً في صفين ، في نفس الوقت الذي نعتبر فيه علياً وأهل العراق ، مهتدين في حربهم لأهل الشام ؟!! .

وإذا كان الخطاب بقوله : « بأيهم اقتديتم اهتديتم » للصحابة ، فمن منهم الموصى أن يهتدي ويقتدي ؟ ومن منهم الذي يكون الاقتداء والاهتداء به .

وبعد هذا . . وإذا كان الحق واحداً ، وواحداً فقط ، فبمن نقتدي ونهتدي من الصحابة ، الذين لا يزالون مختلفين في أكثر الأشياء ، ويكذب بعضهم بعضاً ، ويعبر بعضهم عن سوء رأيه بالآخر .

وألسنا نجد أن أحداً من الصحابة لم يعمل بهذا الحديث . . فكل منهم يسب الآخر ويلعنه ، بل ويستحل دمه ، ويكفره فقد روي أن عماراً كان يكفر عثمان ، ويستحل دمه ، وأن عبد الرحمان بن عوف وابن مسعود كانا يستحلان دم عثمان أيضاً ، على ما ذكره طه حسين[1] وقال المعتزلي الحنفي : إن عثمان قال لعبد الرحمان بن عوف : يا منافق[2] . . . وذلك في كتب التأريخ والحديث كثير ، وكثير جداً . .

بل ونجد الكثير الكثير مما يدل على أنهم ما كانوا يقبلون الاهتداء ببعضهم البعض ، فإن علياً لم يكن يجوز الاقتداء بمعاوية ، والوليد ، ومروان ، وابن العاص ، واضرابهم . وعمر وعثمان ، وعائشة وعلي ، قد أكذبوا أبا هريرة[3] .

(١) الفتنة الكبرى ، عثمان ص ١٧١ و١٧٢ .
(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٥ .
(٣) راجع : شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٣٠ وتأويل مختلف الحديث ص ١٠ وجامع بيان العلم ج ٢ .

وعلى ذلك جرى بعض الأئمة الكبار ، فقد نقل ابن أبي الحديد عن أبي حنيفة أن « الصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً ، ثم عدَّ منهم : أبا هريرة ، وأنس بن مالك » وفي المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عن الشافعي : « إنه سرّ إليّ الربيع : لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم معاوية وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزياد » أقول لكن زياداً ليس من الصحابة : لأنه ولد في زمن الرسول ولم يره . . . وقال شعبة : « كان أبو هريرة يدلس » كما في البداية والنهاية . وفي العقد الفريد لابن طلحة ص ١٧٤ قصة طويلة يذكر فيها تكذيب جمع من العلماء لأبي هريرة في حضرة الرشيد ، ووافقهم الرشيد على ذلك إلى غير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه .

وبعد كل ما قدمناه . . . وإذا كان الصحابة أنفسهم لا يجيزون لنا الاقتداء ببعضهم البعض ، فلم لا نهتدي ونقتدي بهم ونقول : « لا يجوز الاقتداء بكل صحابي ، إلا من ثبتت عدالته ونزاهته » ؟ .

أم يعقل أن يكون معنى : « أصحابي كالنجوم . . » هو وجوب الاقتداء بهم في بعض أقوالهم وأفعالهم أو ببعض منهم هم دون البعض الآخر ؟ وإذا كان المقصود هو ذلك ، فهل يبقى معنى لقوله : « بأيهم اقتديتم اهتديتم » إن ذلك لعجيب ، وعجيب حقاً !

وعدا عن ذلك فلماذا لا يجوز لنا أن نقتدي بعلي عليه السلام في لعنه مثل معاوية ، ومروان ، وابن العاص واضرابهم مع أن الناس قد قلدوا معاوية عشرات السنين ولعنوا أخا رسول الله ووصيه ، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ، ولعنوا كذلك الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد ، وغيرهم من خيرة أصحاب الرسول (ص) .

وإذا كان حديث النجوم هذا صحيحاً ، فلماذا عندما أعلن سب أعظم صحابي على آلاف منابر المسلمين ، عشرات السنين وكان بعض الصحابة المتهالكين على الدنيا يشاركون في ذلك ويشارك أيضاً التابعون ـ الذين يقولون : إن قرنهم خير القرون ـ لماذا لم نجد من يعترض على ذلك بأنه ينافي عدالة

الصحابة ونزاهتهم ، ولم نجد من التابعين من قال أيها الناس لقد خالفتم قول رسول الله (ص) : « أصحابي كالنجوم . . » مع أن كثيراً منهم ليس فقط قد شارك في سب الصحابة الأبرار ولعنهم ، وإنما شارك في قتلهم وسفك دمائهم ، ومحاربتهم .

نعم . . لقد سب علي عليه السلام على المنابر مع أن الرسول (ص) قد قال : « من سب علياً فقد سبني »[1] ولم نجد من يعترض على ذلك بمنافاته لعدالة الصحابي ، ولا بحديث النجوم ، وإنما كانت اعتراضات المعترضين وصرخات المخلصين تحاول التذكير بمواقف علي ، وبأقوال الرسول فيه ، وبالآيات الواردة في حقه ، والتي لم يعبأ بها المزيفون وأهل الدنيا ، وطلاب اللبانات .

وليتنا ندري لماذا لم يكفر التابعون، وكيف جاز لهم سب علي، وقتلهم الحسين، وغير ذلك من جرائم وفظائع - بل إن قرنهم خير القرون - ولماذا يوثق عمر بن سعد[2] ولماذا لم يجز لهذا الشيعي أن يعبر عن رأيه في هؤلاء اللاعنين، المصرين على هذا الإثم العظيم، ويكشف حقيقتهم وواقعهم للناس جميعاً. بل إذا حاول ولو مرة واحدة أن يبدي رأيه فيهم، فإنك ترى أصابع الاتهام بل والتكفير والاخراج من الدين تنصب عليه من كل جانب ومكان. .

ولكن الحقيقة هي أن حديث : أصحابي كالنجوم قد وضع فقط لصالح أعداء علي وآل علي . فهؤلاء فقط هم العدول ، الأبرار وليس لأحد أن يناله بسوء ولهم هم كل الحق في أن ينالوا علياً باللّعن ، وأهل البيت بالقتل والسبي ، وكل الفظائع . وهذا الحديث حينئذٍ لا يستطيع أن يؤثر أثره ، ولا أن يثبت وجوده .

وقبل أن نأتي على نهاية هذا الحديث نود أن نشير إلى أن حديث النجوم - الموضوع - لا يستطيع أن يقاوم حديث الثقلين المتواتر ، الوارد في الكتب المعتبرة عند إخواننا مثل : صحيح مسلم ، والترمذي ، ومسند أحمد ، وغيرها بأسانيد كثيرة جداً حيث يأمرنا في هذا الحديث ، ويأمر الصحابة باتباع خليفتين ،

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ وصححه الذهبي أيضاً .
(٢) وثقة العجلي على ما في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥١ .

أحدهما : كتاب الله ، والآخر : أهل بيته ، وجعل الاهتداء مشروطاً باتباعهما والتمسك بهما ، حيث قال : « ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً » وأهل بيته هم : عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام ؛ فالأجدر بنا أن نهتدي بهداهم ، ونتبع خطواتهم ونسير على نهجهم ومن نهجهم نقد كل صحابي ، وإعطاء كل ذي حق حقه بلا إفراط ولا تفريط .

وأهل البيت فقط هم سفينة نوح ، التي من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، لأنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً . وكل من سواهم لا بد في الحكم بعدالته من دارسة تاريخ حياته ، ونقد عامة سلوكه وتصرفاته . .

وأخيراً . . فلقد صرح جماعة من إخواننا بأن الصحابة غير معصومين ، وفيهم العدول وغير العدول فقد ذكر صاحب كتاب أصحابي كالنجوم ص ١٥ إن منهم السعد التفتازاني ، في شرح المقاصد وابن العماد الحنبلي على ما في النصائح الكافية ص ٦٢ عن الآلوسي والشوكاني في إرشاد الفحول والشيخ المقبلي في العلم الشامخ ـ على ما في أضواء على السنة المحمدية وشيخ المضيرة ـ والمارزي شارح البرهان ـ على ما في النصائح الكافية ص ١٦١ والاصابة ج ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ـ والسيد محمد بن عقيل في النصائح الكافية ، وطه حسين في الفتنة الكبرى : عثمان ، والشيخ محمود أبورية في أضوائه وشيخ مضيرته ص ١٠١ ، والشيخ محمد عبده على ما في أضواء أبي رية ، والسيد محمد رشيد رضا على ما في شيخ المضيرة ، والشيخ مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن ، وغيرهم .

وهكذا نجد : أن العلماء الاتقياء لا يزالون يعرضون أفكارهم على محك العلم ، وعلى الموازين الصحيحة التي يؤيدها القرآن ، وكلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقوانين الشريعة الغراء ، وأخيراً . . . العقل الفطري السليم .

ويكفي أن نذكر هنا : أن القرآن قد قرر أن لكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ، ولو كان مثقال ذرة من خير ، أو من شر على حد سواء . . .

وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لأن الإسلام لا ينظر إلى المصاحبة الجسدية كمقياس ، كيف وصاحبا يوسف عليه السلام كانا مشركين ، وأصحاب موسى قد عبدوا العجل ، في حين كان نبيهم يناجي ربه عز وجل في شأنهم ، وإن عيسى أحس من أصحابه الكفر . إلى آخر ما هنالك .

وفي الختام فإنا نود أن نذكركم بأن نقد الشيعة للصحابة ليس إلا لاحياء القيم الإسلامية وتقدير كل أحد منهم بمقدار ما يتوفر لديه من المكارمُ والفضائل والتقوى والعلم والشرف والشجاعة والطاعة والإتباع والكرامة والنجدة والعظمة والبخوع للحق ومضادة الباطل وكراهة العصيان وإقامة السنة وإبادة البدعة وترويج الحق ومحق الباطل والحض على الخيرات ودحض المنكرات . وما تتبعه الشيعة في معتقداتها معتضد بالعقل والنقل (يعني الكتاب والسنة النبوية كما جاء في كتب الشيعة وأهل السنة) ، وهم يناقشون الأحاديث ويميزون الغث من السمين ويتركون ذلك ويتمسكون بهذا ، ومن نظر في كتبهم الكلامية يلمس هذه الحقيقة . وبهذه المناسبة تراهم يحبون جمعاً من الصحابة لا يستهان بعددهم من أولي الفضيلة الذين اجتمعوا حول أمير المؤمنين علي عليه السلام كسلمان الفارسي وأبي ذر والمقداد وعمار بن ياسر وآخرين كثيرين مذكورين في كتبهم ولكن لا يمكنهم اطراء الفئة التي ذكرناها لك من تلك الناحية ولكل قوم سنة وإمامها .

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وختاماً فنرجو من مجلة المجتمع : أن تنشر هذه الرسالة بحذافيرها إن كانت تعني ما تقول حينما تجعل من نفسها منبراً حراً للفكر الإسلامي .

ولكن المجلة المذكورة لم تنشر هذه المقالة ، وهي مع ذلك لا تزال تدعي : إنها منبر حر للفكر الإسلامي فاقرأ واسمع واضحك !! . . .

والسلام على من اتبع الهدى

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم .....

٢ ـ الاحاديث الموضوعة : حديث أصحابي كالنجوم .....

٣ ـ احقاق الحق (الملحقات) ..... للمرعشي النجفي

٤ ـ الاستيعاب ..... لابن عبد البر

٥ ـ أسد الغابة ..... لابن الأثير

٦ ـ اسعاف الراغبين ..... للصبان

٧ ـ الإصابة ..... للعسقلاني

٨ ـ أضواء على السنة المحمدية ..... لأبي رية

٩ ـ تأويل مختلف الحديث ..... لابن قتيبة

١٠ ـ التنبيه والاشراف ..... للمسعودي

١١ ـ تهذيب التهذيب ..... للعسقلاني

١٢ ـ جامع بيان العلم ..... لابن عبد البر

١٣ ـ الدر المنثور ..... للسيوطي

١٤ ـ ذخائر العقبى ..... للطبري

١٥ ـ شرح النهج ..... للمعتزلي

١٦ ـ صحيح البخاري ..... للبخاري

١٧ ـ صحيح مسلم ..... لمسلم

١٨ ـ الفتنة الكبرى ..... لطه حسين

١٩ ـ الكشاف ..... للزمخشري

٢٠ ـ كنز العمال ..... للمتقي الهندي

٢١ ـ المستدرك على الصحيحين ..... للحاكم

٢٢ ـ مسند أحمد ..... لابن حنبل

٢٣ ـ المغازي ..... للواقدي

٢٤ ـ الموطأ ..... لمالك

٢٥ ـ نزهة المجالس ..... للصفوري الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

العلوي يرد على مقالنا حول الصحابة

امضاء الأسنة على من جهل الصحابة في القرآن والسنة (من العلوي إلى العاملي)

نظرت في مجلة الهادي (إيران قم المقدسة) العدد ٢ السنة ٥ الصفحة ١١٤ مضمون الصحابة في القرآن والسنة (وهو في الحقيقة الصحابة في المثالب المزخرفة) أريد به الرد على مجلة المجتمع فوجدت منشاء المغالطة فيه اعتبار الصحابة بالمعنى اللغوي دون الشرعي انكان هذا هو الطريق الصحيح فلا يبقى في عالم الإسلام طريق هداية ويدخل في الصحابة أبو جهل وابن أُبيّ ويدخل في أهل البيت أبو لهب وهو خلاف عقل ونقل فها أنا أنقل بعض أقواله وأعقبه بكلمة أقول رداً عليه وبالله التوفيق .

قوله : نؤمن بأن سائر الصحابة كانوا كسائر الناس لا يزيدون عليهم ولا يمتازون . . أقول : في الناس كفار ومنافقون ومرتدون والصحابي في الشرع المطهر لا يقال إلا لمؤمن تام قال الله تعالى هم المؤمنون حقاً (آخر الأنفال) وقال تعالى والسابقون الأولون (إلى) رضي الله عنهم (الجزء ٦ ص ١١) وغير ذلك من الآيات وفي نهج البلاغة (طبع بيروت ص ١١٦) قول علي رض : لا نستزيدهم في الايمان ولا يستزيدوننا الأمر واحد ٣٤٠ وفي صفحة ١٨٩ ج ١ لقد

رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم (انظر يا عاملي إلى هذا وأنت تشبههم بسائر الناس) فما نقلت أنت من كتاب الله تعالى فهو مما ورد في حق الكفار والمنافقين كما اعترفت أنت حيث قلت: (أما الكتاب ففيه سورة المنافقون والبراءة) . . وأما ما ذكرت من الروايات الحديثية فلا حجة فيها خلاف كتاب الله تعالى خصوصاً في باب العقائد الإسلامية وقد ذكر في هذه المجلة الهادي في ص ٢٣ أجمع المؤرخون أن أعداء علي وضعوا أحاديث أرادوا بها مقابلة الأحاديث الواردة في شأنه) فنحن نقول أجمع المؤرخون أن أعداء الصحابة وضعوا أحاديث أرادوا بها مقابلة الأحاديث الواردة في شأنهم قد ذكر أمامك أبو جعفر الطوسي في عدة الأصول (طبع بمبىء ص ٣٦) إن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال أدخلت في أحاديثكم أربعة آلاف أحاديث مكذوبة ـ لكنك يا عاملي لم تنظر في دفاتر الصحاح ما ورد في بيان رفعة مكان الصحابة لما على بصرك من غشاوة العداوة وأما الحكايات التاريخية التي حكيت عن كتب تواريخك فعندنا كالبعرة في مقابلة الذهب والفضة ـ ذكر في أصول الكافي في باب الأخذ بالسنة (طبع لكهنو) ص ٣٥ عن الصادق إن ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف وفي باب (إن الأئمة امامان) ص ١٣١ عنه أيضاً إن الأئمة امان قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار يقدمون أمرهم قبل أمر الله ويأخذون بأهواءهم خلاف ما في كتاب الله فعلم أن مدار الإسلام على كتاب الله تعالى لا على الروايات خلافه فاعتبر يا عاملي العاقل يكفيه الإشارة .

قوله حديث (٩) ترد علي أمتي الحوض الخ

أقول هذه قصة أمة النبي عليه السلام على العموم أو قصة من ارتد بعده عليه السلام وهم الذين ذكرهم الله تعالى من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (إلى) يجاهدون في سبيل الله (المائدة ص ٨) فهذا القوم هم الصحابة وهم غير مرتدين فما تقول في حقهم يا عاملي وما قال عليه السلام في حق المرتدين (هؤلاء أصحابي) فهو على سبيل الشفقة بزعم أنهم من أمته لا على الحقيقة وقد جاء نحو هذا في حق أهل البيت ففي آخر كتاب الفتن

من المشكوة ص ٤٦٤ ثم فتنة السراء من تحت قدمي رجل من بيتي يزعم أنه مني إنما أوليائي المتقون الخ ـ قال الله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الحجرات) وقال عليه السلام آل محمد كل تقي (الجامع الصغير للسيوطي) وفي رجال الكشي ص ٢١٩ قال الصادق أصحابي أولو النهى والتقى فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من أصحابي ـ .

فلعل العاملي لم يطلع على كتب الأصول فيعرف من هو الصحابي ذكر الشيخ ابن حجر في شرح النخبة (ص ٥٥) الصحابي من لقي النبي عليه السلام مؤمناً به ومات على الإسلام وذكر المجلسي في جلاء العيون في الباب الثامن (ص ٦٠٤) إن في أهل البيت جعفرين أحدهما صادق والآخر كاذب ـ وغير ذلك من النقول مما لا يمكن استقصاؤه في هذه العجالة .

قوله في كتاب المواهب للطبري الشافعي يرجع الناس على أعقابهم أقول ـ ليس الطبري من الشوافع بل هو من الروافض ويكفي لطالب الحق قول سيدنا علي في نهج البلاغة (ص ٧ ج ٣) بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان (إلى) كان ذلك لله رضا ـ وذكر المجلسي في أواخر حيات القلوب بسند معتبر عن الصادق إن النبي عليه السلام دعا الله تعالى أن يجمع الناس على خلافة علي بعده فرد الله تعالى دعاءه ولم يستجب وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وفي حق اليقين للمجلسي (في باب ٥ مقصد ٦ فصل ٨) إن السيدة الزهراء رضيت عن أبي بكر وعمر وفي روضة الكافي للكليني ص ١٣٩ إن علياً بايع أبا بكر وفي أصول الكافي في باب مولد الزهراء إن السيدة فاطمة قالت في حق السيد عمر أنه لا ذنب له فلما اتفق الصحابة وأهل البيت على الدين وأمر الخلافة فانكان الصحابة مرتدين على الأعقاب بحسب الحكايات المزورة فأهل البيت كذلك فلم سودت هذه الأوراق يا عاملي ـ

قوله إن متن الحديث يدل على ضعفه أقول إن الضعيف مقبول عندنا إذا لم يخالف كتاب الله تعالى .

قوله ليس كل نجم يهتدي به الضال أقول هذا رد على نفسه حيث ذكر بعد

أن النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ـ

قوله هل يمكننا أن نقتدي بمعاوية ومروان .

أقول نعم لا يمكن هذا لأهل التقية قتلة أهل البيت يا عاملي لأن معاوية بايعه سيدنا الحسن بن علي معتمداً عليه مقتدياً له كما ذكره إمامك المجلسي في جلاء العيون في الباب الرابع فصل ٥ ص ٣٢١ .

فمطاعنك فيه مطاعن حماقة إن كنت مصدقاً لسيدنا الحسن وكذا شأن جميع مطاعنك الكاذبة التي حكيت عن أحباءك الجاهلين ـ وأما مروان فقد ذكر في نهج البلاغة ص ١٢٣ ج ١ إن مروان أخذ أسيراً فشفع له الحسنان إلى أبيهما علي فخلى سبيله ـ فهذا سيدنا علي يقبل الشفاعة في حقه وأنت لا تقبل يا عاملي أهكذا عملك بحديث الثقلين فلم تقول مالا تفعل أم توكلت على التقية ـ

قوله إن الصحابة ثاروا على خليفة عثمان وقتلوه.

أقول كل ذلك كذب وافتراء من أرباب التقية إنما ثار عليه الذين ثاروا على علي رض فقتلوه بالكوفة وقتلوا الحسن رض بالسم بالمدينة وقتلوا الحسين رض بعدما دعوه فكل هؤلاء كانوا أصحاب ابن السبأ لا أصحاب النبي عليه السلام ونسبوا كل قتل إلى غيرهم تقية بوضع حكايات مضلة كما أوضحه محققكم الطبري في تاريخه وامامكم المجلسي في جلاء العيون بمزيد بسط ـ

قوله إذا كان الصحابة كلهم عدولاً اتقياء فلماذا كان علي يكذبهم في قولهم

أقول هكذا شأن أهل البيت حيث ذكر امامك المجلسي في جلاء العيون في الباب الثاني الفصل ٦ ص ١٥٧ بسند معتبر إن الله تعالى أوحى إلى النبي عليه السلام إنه يكذب فاطمة الزهراء فيما تشكو إليه في حق علي رض وفي الفصل ٧ ص ١٨٥ إنه عليه السلام رد شكايتها في خطبة علي رض ابنة أبي جهل وفي باب الإنذار من المشكوة ص ٤٦٠ قال عليه السلام يا فاطمة سليني ما شئت من مالي ولا اغني عنك من الله شيئاً ـ

قوله إن عماراً كان يكفّر عثمان أقول إنك يا عاملي تتبع حكايات مزورة ولا تتبع قول سيدنا علي في نهج البلاغة ص ٦٨ ج ٢ في حق عثمان أنت أقرب إلى رسول الله نلت من صهره ما لم ينالا الخ

انظر يا عاملي حديث الثقلين هداك إلى ما ذكرت أم همزة الشيطان وفي روضة الكافي لامامك الكليني ص ١٤٦ عن الصادق ينادي مناد آخر النهار إلا أن عثمان وشيعته هم الفائزون ـ

قوله سب علي على المنابر أقول هذا من حكايات أهل التقية ولا حجة فيه وقد ذكر امامك المجلسي في حق اليقين الباب ٥ المقصد ٦ الفصل ٨ ص ٢٥٤ أن السيدة الزهراء سبت علياً والمذكور في نهج البلاغة(ج ٢ ص ١٨٥) سب أهل التقية أهل الشام بلا إذن علي رض .

قوله حديث الثقلين المتواتر أقول هو حديث مضطرب المتن لأن متنه الصحيح الموافق لكتاب الله تعالى ما هو في أصح الكتب الموطأ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله (مشكوة باب الاعتصام بالكتاب والسنة أول الفصل الثالث ص ٣١) هذا هو المعمول به عند علماء الإسلام ولذا جعل العاملي عنوان كلامه الصحابة في القرآن والسنة وعليه ختم كلامه حيث قال (يعني الكتاب والسنة) وقد تواترت الأحاديث لكن لا يسع هذه العجالة إيرادها ومن دلائل ضعف حديث الثقلين إنه إنما يقدم لتفضيل علي على الصحابة ولا يعمل به لأن علياً كتب وصيته اتقوا الله تعالى في حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يدخلوا البدعة في دين الإسلام ولم يتركوا أهل البدعة أن ينشروا بدعتهم في الإسلام ذكره إمامك المجلسي في جلاء العيون الباب ٣ الفصل ٣ ص ٢٤٥ وهو حق بلا شك ـ لأن الإسلام إن فسد من أصله لم يبلغ إلينا وما كنا اليوم مسلمين وأيضاً في وصية علي رض إشارة ما اجتمع عليه الصحابة سراً على قتل التقية السبائية في وقعة الجمل كان حقاً لأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم كما نطق به كتاب الله تعالى وإن ستره أهل التقية باستار ركيكة خلاف ما عليه المحققون وللتفصيل مقام آخر والعاقل تكفيه الإشارة وختاماً

المرجو من مجلة الهادي أن ينشر هذه الرسالة الوجيزة لإفادة القراء الكرام والسلام على من اتبع الهدى ،

نمقه القاضي عبيد الله العلوي مـهتم دار العلوم العبيدية من بلدة ديره عازيخان ـ باكستان المغربي .

٢٧/رمضان المبارك ١٣٩٧ هـ.

* * *

الرد على العلوي

٢٧/شوال/١٣٩٧ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطاهرين ، وعلى الصفوة والخيرة من صحبه . .

حضرة القاضي عبيد الله العلوي . . سلام وتحية ، وبعد :

لقد اطلعت علي مقالكم المرسل إلى مجلة الهادي رداً على مقالنا الذي نشرناه في المجلة نفسها حول : الصحابة في القرآن والسنة . . فأحببت أن أكتب لكم بعض الملاحظات على ما جاء في مقالكم المذكور ، مكتفياً بالإشارة الموجزة ، لأنكم قلتم : العاقل تكفيه الإشارة !! وأترك بعد ذلك الخيار لكم ، فإن أحببتم المناقشة الهادئة والموضوعية بهدف الوصول إلى الحق فإنا على استعداد لذلك ، شرط القبول بالحق بلا تعصب ولا تحيز . . وبلا سباب وشتم ، فإن ذلك لا يليق بالبحث العلمي ، ولا هو من شأن العلماء الاتقياء وأيضاً دون أن يكون هناك تهم لا تستند إلى دليل ولا برهان .

فإذا أردت استمرار الحوار العلمي معي ، فلا بد من نبذ رداء التعصب ، والتعهد بالقبول بالحق مهما كان وأياً كان وهذا هو ما نأمله منك ومن أمثالك من أهل المعرفة حين تنكشف لهم الأمور ويظهر لهم الحق ، فإنهم يسارعون إليه ، ولا يعولون إلا عليه . .

وعلى كل حال . . فإن في مقالك مواضع كثيرة بل في جميع ما ورد فيه موارد للنظر ، فها نحن نشير إلى بعض ذلك فنقول ـ بعد غض النظر عما فيه من اخطاء لغوية ونحوية وهي كثيرة ، وكذا ما فيه من ركاكة في التعبير وضعف في البيان وعما فيه من سباب وشتم وتعريض بذلك ـ لا بد من الإشارة إلى الملاحظات التالية :

١ ـ ذكرت أن في مقالنا مغالطة ، حيث اعتبر فيه الصحابة بالمعنى اللغوي دون الشرعي . . ولو صح هذا لدخل أبو جهل فيهم . .

ولكن هذا يا حضرة القاضي لم يرد أصلاً في مقالنا ، وقد سردنا في مقالنا جملة من أفعال الصحابة بالمعنى الشرعي كالوليد بن عقبة ، وقدامة بن مظعون ، ومروان ومعاوية وغيرهم . كما أن الروايات التي أوردناها كلها تتعرض للصحابي بالمعنى الشرعي ويخاطب فيها أصحابه المسلمين الذين يقول: إنه لا يسلم منهم إلا مثل همل النعم . . وأما حمل هذه الروايات على الذين ارتدوا عن الإسلام بعده فهو حمل على فرد نادر ينافيه تصريح بعضها : إنه لا يبقى منهم إلا مثل همل النعم . وغير ذلك مما ظاهرة الإشارة إلى كثرة معتد بها فيهم ـ وكذلك حال آيات سورة التوبة والأحزاب وغيرها فإن المقصود فيها والمخاطب هو أيضاً الصحابي بالمعنى الشرعي فراجعها ـ يا حضرة القاضي وتأملها ـ وقد توعدهم في كثير منها بالعذاب الأليم ، والخطر العظيم . .

هذا ويجب أن نشير هنا إلى أن لدينا أضعاف ما كتبناه في مجلة الهادي مما يدل على عدم عدالة كل صحابي .

وأما ما ذكرت من أن ذلك يلزم منه دخول أبي لهب في أهل البيت ، فسواء اعتبرت الصحابي هذا أو ذاك فإن أهل البيت لا يدخل فيهم أبو لهب ولا غيره ، إذ قد عينهم الرسول نفسه وحصرهم في علي وفاطمة والحسن والحسين . . حتى العباس عم النبي خرج عنهم . .

٢ ـ وذكرت أن الصحابي لا يقال في لغة الشرع إلا لمؤمن تام واستدللت على ذلك بآية : هم المؤمنون حقاً . وآية : السابقون الأولون الخ . . وبقول علي

في نهج البلاغة : لا نستزيدهم في الإيمان . . الخ وبقوله : لقد رأيت أصحاب محمد فما رأيت أحداً الخ . .

ولكن هذا غير صحيح ، إذ المعتبر في إطلاق لفظ الصحابي هو مجرد الإسلام ، أعني من لقيه (ص) مؤمناً به وبرسالته ومات على ذلك .

حتى إنهم يقولون : لو ارتد ذهبت صحابته فإن عاد عادت كطليحة بن خويلد، والمغيرة بن شعبة راجع : نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٤٦ وأما الآيتان الكريمتان فالأولى منهما تقول : إن المؤمن حقاً هو من اجتمعت فيه أوصاف : الإيمان والهجرة ، والجهاد أو كان ممن آوى ونصر ، ولا تريد تعيين المراد من لفظ الصحابي هل هو خصوص المؤمن حقاً أو الأعم منه ولو سلمنا جدلاً أنها تعين ذلك فإنها تعين خصوص من فيهم تلك الأوصاف دون غيرهم من سائر الصحابة . . مع أن هذا خلاف مصطلحك يا حضرة القاضي . .

ونفس هذا الكلام يأتي في آية : السابقون . . فإنها ليست بصدد بيان المراد من الصحابي وعلى أي شيء يطلق . . ولو سلم فإنما تشمل خصوص من كان سابقاً من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان أي بعمل صالح . . والدليل على أن المراد طائفة خاصة أنك تجد المفسرين يختلفون في المراد من الآية فمن قائل إن السابقين الأولين هم خصوص أهل بدر وآخر يقول : هم من صلى القبلتين .

وثالث يقول : هم من أسلم قبل الهجرة ، ورابع يقول : هم أهل بيعة الرضوان . أو السابقون إلى الإيمان في أول الإسلام . وليس المراد في الآية : الرضا عن كل مهاجري وأنصاري سواء أحسن أو أساء بعد ذلك اتقى أو فسق ، بل هو يرضى عن خصوص من اتبع باحسان أي بعمل صالح لا مطلقاً .

وعلى هذا فالآيتان تدلان على أن في الصحابة من يكون تام الإيمان والعدالة وفيهم من ليس كذلك ، وهي تتحدث عن خصوص القسم الأول منهما ، فالآيتان على خلاف مرادك أدل وأظهر . .

وأما كلمات علي في نهج البلاغة فإن مما لا ريب فيه أنه إنما يقصد فيها الاخيار من صحابة النبي (ص) لا مطلقاً حتى مروان ومعاوية والوليد بن عقبة وعمرو بن العاص ، واضرابهم ، فإنه قد وصفهم في نهج البلاغة بأقبح الأوصاف ، حتى لقد قال عن مروان : « لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته . . » نهج البلاغة ج ١ رقم الخطبة ٧٠ .

نعم إنه لا يقصد بكلامه هذا من شرب الخمر وقتل النفس المحترمة وزنى وفعل ما فعل . . كيف وهو يقول في ج ١ ص ١٨٩ الخطبة رقم ٩٣ وهي التي أشرت إليها أنت : « لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً منكم يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم الخ . . » فهل الوليد بن عقبة ومروان وقدامة بن مظعون وطليحة بن خويلد واضرابهم من شاربي الخمر والزناة ومرتكبي العظائم تنطبق عليهم هذه الأوصاف ؟ . . ونهج البلاغة مملوء بالذم والتشنيع على كثير منهم لا سيما معاوية ومروان وعمرو بن العاص وغيرهم من بني أمية وفيه يصفهم بأسوأ الأوصاف ويخرجهم عن دائرة الإيمان إلى دائرة الفسق والبغي والطغيان فراجع نهج البلاغة تجده طافحاً بالنصوص الدالة على ذلك ويصف معاوية فيه بأنه يعصي الله فإن كان نهج البلاغة حجة عندك فخذ بكل ما فيه ولا يصح أن تؤمن ببعض الكتاب ؟! . .

وأما عن استشفاع الحسنين لمروان وقبول علي شفاعتهم وأنا لا أقبلها الخ . . فعدم قبولي لها لأن علياً قال لهم حين شفاعتهم له عندما قالوا له : يبايعك يا أمير المؤمنين قال لهم : أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟، لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية الخ . .

وأما قوله (ع) عن أهل صفين : لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا . . فالمقصود منه هم أهل صفين وليس الصحابة . هذا بالإضافة إلى أنه لا يحكم على واقعهم وإنما يحكم على ظاهرهم قبل الحرب

حيث قال في أول هذا الكلام : « التقينا والقوم من أهل الشام ، والظاهر إن ربنا واحد ونبينا واحد ، ودعوتنا في الإسلام واحدة ، ولا نستزيدهم الخ . . » .

فالتعبير بكلمة : « والظاهر » للإشارة إلى خلاف ما تريد يا حضرة القاضي . . هذا بالإضافة إلى أنه إنما يريد أن يثبت لهم ظاهر الإسلام فقط لا الإيمان والعدالة التامة . . كما أنه في آخر نفس هذا الكلام يحكم عليهم بالهلاك إلا من تاب منهم ، حيث ذكر أن الحجة قامت عليهم وانقطعت منهم المعذرة : « فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة ، ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه » .

ولا شك أن معاوية وابن العاص واضرابهما من سائر الامويين ومن شايعهم قد لجوا وتمادوا وأصروا فهم إذن الراكسون الهالكون وستكون دائرة السوء عليهم في يوم الدين . .

بقي أن نشير هنا إلى أن ما يرد في نهج البلاغة أو في غيره لا بد وأن ينقل عنه بلا تصرف فيه ، وأن ينقل تاماً غير مبتور لا من أوله ولا من آخره ليعلم ما المراد من الكلام الذي يراد الاستدلال به . . ولكننا قد رأينا في مقالكم الكثير من الموارد التي نقلت مشوهة أو استفيد منها معنى غير مراد أصلاً كما رأينا هنا وسنرى بعد . .

٣ ـ ذكرت أن ما قلناه في مقالنا من كتاب الله إنما ورد في حق الكفار والمنافقين .

ونحن نسأل : هل كل الآيات التي وردت في سورة التوبة والأحزاب والنساء وغيرها مما فيه توبيخ وتقريع وتوعد بالعذاب وردت في حق الكفار والمنافقين ؟! إن قلت : نعم فقد خالفت ضميرك وخالفت الواقع . وإن قلت لا فقد خالفت ما ذكرته في مقالتك . . وإذا كان كثير من الآيات تلك يختص بالمنافقين ، فإن من الواضح : أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ، وكانوا مختلطين بغيرهم من المسلمين ولا يستطيع أحد أن يميزهم عن غيرهم من الصحابة ، حتى النبي نفسه لم يكن يعرف الكثيرين منهم بنص القرآن قال تعالى : ﴿ وممن حولك من

الاعـراب منافقـون ومن أهل المـدينة مـردوا على النفـاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ . .

فإذا كان النبي (ص) لا يعرفهم كلهم فكيف عرفتهم أنت يا حضرة القاضي ؟! وكيف ميزت بين الصحابي المخلص وبين المنافق ؟! وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة بن اليمان ببعض المنافقين ، وسأله سيدنا عمر عن نفسه إن كان منهم ، فقال له :لا ، ولا ازكي أحداً بعدك أو ما بمعناه . فإذا كان سيدنا عمر لا يستطيع أن يعرفهم ، ولم يظهر حذيفة أسماءهم بعد تزكيته لسيدنا عمر فهل تعرفهم أنت يا حضرة القاضي ؟! وكيف ميزت أولئك الذين كتم أسماءهم حذيفة عن غيرهم من صحابة الرسول .

وهل اطلعت على خفايا قلوب كل صحابي فميزت المنافق منهم عن غيره ؟! .

٤ ـ وذكرت إن الروايات المذكورة في كتابنا لا حجة فيها لمخالفتها كتاب الله خصوصاً في العقائد الإسلامية . . فـ:

أولاً : هل قضية عدالة الصحابة من عقائد المسلمين؟ وهي معروفـة . ولسنا نعرف في أي من أقسام العقائد تدخل عدالة الصحابة عندك : في التوحيد ، أم في العدل ، أم في المعاد ، أم في النبوة ؟ أم في الإمامة ؟ . . ولماذا لا تكون عدالتك أنت وعدالة غيرك أيضاً من العقائد . .

ثانياً :وأيضاً . . لم تقل لنا كيف تخالف هذه الروايات كتاب الله ، وأي آية فيه تخالفها هذه الروايات . . إن القرآن ناطق وصريح ـ كما قلنا غير مرة بضد ما تقول والروايات هذه منسجمة معه كل الإنسجام ، وموافقة له تماماً حيث قد نص القرآن على فسق بعض الصحابة ، وتوعد طائفة منهم بالعذاب الأليم ، والغضب الجسيم . . وآية بيعة الرضوان قد قلنا إنها خاصة بطائفة منهم ، وحتى هذه الطائفة يشترط فيها الإيمان الخالص لا مجرد الإسلام ، وقد ميز الله بينهما في قوله: قالت الاعراب: آمنا. قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا.

وثالثاً : لقد رأيناك تسرق عقيدة غيرك وتنسبها إلى نفسك وتحتج بها حيث

ذكرت أنه لا بد من عرض الحديث على الكتاب . مع أن من عقيدة أهل السنة هي : أن السنة قاضية على القرآن وحاكمة عليه ، صرح بذلك السيوطي في الاتقان ج ٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٤٥ نشر دار إحياء التراث العربي .

وهو مذهبهم وعليه ديدنهم ، ويحتجون لذلك بأن من المحتمل أن تكون آية القرآن قد نسخت بهذا الحديث . . ولهذا فلا بد من العمل بالحديث وترك القرآن ، وهذا في الحقيقة خلاف ما ثبت عن سيدنا عمر رض الذي يؤثر العمل بالقرآن على سنة النبي (ص) حيث قد ثبت عنه في البخاري وغيره : أنه قال حين وفاة النبي (ص): حسبنا كتاب الله . . . بعد أن طلب النبي (ص) منهم أن يأتوه بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فقال سيدنا عمر: ما باله، أهجر؟ أو ما باله أغلبه الوجع؟! .

فسيدنا عمر رضي الله عنه يرى العمل بكتاب الله وحده من دون حاجة إلى سنة النبي (ص) وأنتم قد استقر عملكم على تقديم سنة النبي (ص) على القرآن مع أنكم تروون أنه ترك أمرين : كتاب الله وسنة رسوله . .

وخلاصة الأمر : إنكم لا بقول رسول الله (ص) عملتم ولا بقول عمر أخذتم وإنما خالفتموهما معاً وقدمتم السنة على القرآن وهذا أنت تعود فتسرق عقيدة الرافضة الذين يقولون ما خالف كتاب الله فهو زخرف ـ باطل ـ اضربوه عرض الجدار الخ . .

وهذا من مفاخرهم وليس يحق لأحد أن يفتخر به سواهم لأنه مذهبهم . .

أم لعلك صرت رافضياً يا حضرة القاضي . . وإلا فلماذا تسرق عقائدهم وتترك عقيدتك وعقيدة أسلافك ؟ .

وقلت : أجمع المؤرخون أن أعداء الصحابة وضعوا أحاديث في ذمهم واستدللت على ذلك بقضية ابن أبي العوجاء . . ولكن الذي رأيناه في كتب التاريخ لأهل السنة والجماعة : أن الامويين وغيرهم قد وضعوا الأحاديث في ذم علي ، وأمرهم معاوية بأن لا يتركوا فضيلة لعلي إلا أتوا بنظيرها في حق غيره من الصحابة وصرفها عنه . فإن أحاديث فضائل الصحابة هي التي يأتي فيها احتمال الوضع . . وقضية الزنديق ابن أبي العوجاء لا تدل على أن ما وضعه كان في قسم

الطعن في الصحابة فلعله وضع أحاديث فضائلهم لا أحاديث ذمهم ، وهذا هو الأقرب لورود مطاعنهم في القرآن وفي صحاح أهل السنة والجماعة .

وعلى كل حال فإن ما ادعيته من إجماع المؤرخين لم نجد له شاهداً بل الشاهد موجود على خلافه .

٦ ـ وقولك إنني لم أنظر في دفاتر الصحاح . .

هذا لا يصح لأن مقالنا في الهادي القسم الكبير منه مأخوذ من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ، وفضائل الصحابة إنما هي فضائل لبعضهم لا كلهم وما فيه تعميم لا بد وأن يصرف عن ظاهره حتى لا يكذب القرآن والسنة المتواترة كما دل عليه مقالنا . .

٧ ـ وقلت : إن الحكايات التاريخية التي ذكرتها في المقال عندك كالبعرة في مقابل الذهب والفضة . .

وإن كل منصف يرجع إلى مقالنا يجد : أن جميع ما ذكرته فيه هو من أمهات كتب أهل السنة والجماعة ، وكتبهم ومجاميعهم الحديثية المعتبرة ومنها البخاري ومسلم ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق ، وموطأ مالك الذي وصفته أنت بأنه أصح كتاب ، وغير ذلك وليس في مصادر مقالنا كتاب واحد لغير أهل السنة والجماعة، وإن كان فهو ناقل عنهم أيضاً . . فلماذا هذا التوهين لكتب أهل السنة والجماعة ؟! . .

٨ ـ وقلت : إن مدار الإسلام على كتاب الله . .

هذا ليس عند أهل السنة والجماعة بل عملهم على خلافه كما قلنا فيما سبق . . مع أن مقالنا مؤيد لكتاب الله كما قلنا وكلامك فقط هو المخالف له .

٩ ـ وأما قولك في الحديث رقم (٩) ترد علي أمتي الحوض الخ إن هذا شأن أمة النبي لا الصحابة . . أو شأن من ارتد بعده ، وإن من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الخ . .

هذا القوم هم الصحابة وهم غير مرتدين الخ . .

ففيه ان المقصود بالحديث هو الصحابة بلا شك ، وإن طائفة منهم يعرفهم النبي ويوجه لهم الخطاب في مجلسه سوف يصدون عنه فلا يصلون إليه فيقول : يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبه ملك : هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ .

وأما آية : من يرتد منكم عن دينه الخ . . فلست أدري من أين علمت أن المقصود بالقوم فيها هم الصحابة ، بل ظاهر كلمة : سوف يأتي الخ . . إن المراد قوماً آخرين من غيرهم . . وليس منهم ، والتأويل بلا قرينة ظاهرة غير مقبول . .

١٠ ـ وأما ما ذكرت من خبر المشكاة من أن رجلاً من أهل بيته (ص) سوف يخرج ويزعم أنه منه الخ . .

فهو إن صح فيقصد به رجل سوف يخرج ويكون لنسبه اتصال بالنبي (ص) بل لا نستبعد أن يكون هذا من موضوعات الامويين في حق علي (ع) . . وهو أيضاً لا يدل على أن كلمة أهل البيت التي وردت في قوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، عامّة وشاملة، وكذا قولك: آل محمد كل تقي . . وذلك لتواتر الخبر في أن النبي (ص) قد عين أهل البيت في هذه الآية وأنهم هم خصوص علي وفاطمة والحسنين . . ولو صحت هذه الرواية فلا بد من حملها على التوسع والمجاز ولعله مكذوب من أجل تكذيب حديث الكساء المتواتر . . وأما أحاديث الحوض وغيرها مما يرتبط بالصحابة فلا مبرر لحملها على التوسع والمجاز ولم يرد من النبي (ص) تحديد للصحابي كما ورد عنه تحديد المراد من (أهل البيت) فلا يقاس ذاك على هذا . .

١١ ـ وأما قول الصادق : أصحابي أولوا النهى والتقى الخ . .

فهو دليل على ضد ما تريد أنت ، إذ هو يدل على أن في الصحابة العادل والفاسق ، لأن جعفراً يقول : ليس كل من يراني ويجلس إلى يكون من أصحابي ، لأن فيمن يأتيني ويجلس إلى التقي وغيره ، وأصحابي الحقيقيون هم الاتقياء ، أما الباقون فإنهم وإن رأوني وتكلموا معي وجلسوا إلي وحضروا عندي إلا أنهم ليسوا بأصحابي . . وكذلك حال صحابة النبي (ص) فيهم التقي

الورع فهو الصاحب الحقيقي ، وهو الذي وردت الأحاديث في مدحه وفيهم الفاسق المنحرف فهذا وإن كان مسلماً إلا أنه ليس يستحق أن يعد من أصحابه (ص) ويدل على ذلك :

ما في صحيح مسلم : أنه جرى بين خالد بن الوليد وعبد الرحمان بن عوف كلام فأغلظ له خالد ، فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك قال : لا تسبوا أصحابي ، وقيل: ان ذلك في حق عمار . . فهذا يدل على أن أصحابه أناس مخصوصون ، وليس كل من رآه يكون من أصحابه حتى ولو كان مسلماً ومات على الإسلام . . وإلا لكان الموصى هنا عين الموصى به .

وأما ما ذكرت من أنه في أهل البيت جعفران الخ . . فقد تقدم جوابه رقم (١٠) وقد قلنا: إنه لا ربط له بما نحن فيه ولا يصح قياسه عليه . . ومن الغريب هنا أننا نجد أهل السنة يقولون : إن من لقي النبي (ص) مسلماً ثبتت صحابته فإن ارتد ذهبت فإن عاد عادت (نزهة المجالس / ج ٢ ص ١٤٥) .

١٢ ـ وقلت : ليس الطبري من الشوافع بل هو من الروافض . .

وهذا منك عجيب فقد خالفت التاريخ السني بلا دليل تستند إليه ، فأهل السنة يقولون هو سني شافعي وأنت تكذبهم ؟! بلا دليل .

١٣ ـ وأما استدلالك بقول سيدنا علي عليه السلام : بايعني القوم الذين بايعوا الخ . .

فهذا لا يصحح بيعة أبي بكر بعد تواتر حديث الغدير ، وحديث المنزلة ، وآية التولية ، وغير ذلك مما يتعذر استقصاؤه في هذه العجالة . . وكلمات علي أمير المؤمنين المذكروة لا تدل إلا على أن الشروط التي بايعوه عليها وهي العمل بكتاب الله وسنة رسوله هي نفس الشروط التي بايعوا عليها أبا بكر وعمر ، فلماذا ينكثون بيعته ، ويلتزمون ببيعتهم ؟! فأمير المؤمنين عليه السلام هنا يلزمهم بما ألزموا به أنفسهم لا أكثر ولا أقل ، إلا إذا كنت تريد أن تحمل اللفظ أكثر من طاقته . . وأما أن بيعة أبي بكر وعمر كانت حقاً أو باطلاً فهذا أمر آخر ليس أمير المؤمنين عليه السلام بصدد بيانه وقد بين أمير المؤمنين (ع) بطلانها في غير مورد

من نهج البلاغة وغيره . . هذا كله عدا عن أن الكثيرين من أهل السنة يقولون بوجوب إطاعة كل متغلب ـ حتى ولو كان مغتصباً لحق غيره ومعتدياً وقاتلاً ومرتكباً للعظائم ، ويدينون الله بطاعته ووجوب النصيحة له ، كما نطقت به صحاحهم المخالفة للقرآن الكريم ، فكلام علي عليه السلام هنا ـ على مقتضى عقيدتكم ـ لا يدل على أن أبا بكر لم يكن مغتصباً للخلافة ومتغلباً فيها . كما أنه إذا كان قد بايعه من بايع أبا بكر وعمر ، فلماذا أطاعوهما دونه؟!.

١٤ ـ وأما ما نقلته عن المجلسي من أن النبي (ص) دعا الله تعالى : أن يجمع الناس على خلافة علي بعده الخ . .

فهو ان صح . . لا يدل على مطلوبك بل هو على ضد ما تريد أدل ، إذ المقصود : أن الحق لعلي عليه السلام ولكن الله عز وجل لا يريد أن يجبر الناس على الخضوع له ، بل ترك لهم الخيار . .

١٥ ـ وأما ما ذكرت عن حق اليقين من أن الزهراء قد رضيت على أبي بكر وعمر . .

فلست أدري ما المناسبة لذكرها هنا . . مع أن الموجود في حق اليقين هو خلاف ذلك ، أضف إلى ذلك : أنه قد فاتك أن البخاري الصحيح عندكم مئة بالمئة وهو الذي تقدمون حديثه على القرآن قد ذكر في موضعين : أنها ماتت مهاجرة لأبي بكر وغاضبة عليه . كما أنه قد ذكر قبل ذلك بصفحات أن النبي (ص) قال : فاطمة بضعة مني يغضبها ما يغضبني . .

وإذا كان قد ورد ما تقول في كتاب المجلسي ، فلا حجة فيه إلا بعد البحث في أسانيده ودلالته وعن معارضاته وعما إذا كان يخالف القرآن وما ثبت عن النبي (ص) أم لا . . إذ ليس كل رواية تكون صحيحة عندنا . . ولا نملك أصلاً كتاباً كصحيح البخاري وغيره من الصحاح الستة مفروغ عن صحته بل كل حديث عندنا سواء في ذلك ما رواه المجلسي أو الكليني أو غيرهما يخضع للبحث والتمحيص ويعرض على كتاب الله وما ثبت من سنة النبي (ص) بطريق القطع إلى غير ذلك من شرائط الأخذ والاعتبار.

١٦ ـ وبيعة علي لأبي بكر لا ينكرها أحد . . لكن ذلك إنما كان بعد وفاة فاطمة ، وحينما رأى أن عدم بيعته فيه ضرر على الإسلام كما صرح في نهج البلاغة وغيره . . وذلك لا يثبت عدم كون أبي بكر غاصباً لحقه . .

١٧ ـ وأما ما ذكرته من أن فاطمة قالت لعمر : إنه لا ذنب له الخ . . رويت ذلك عن روضة الكافي . .

فالرواية صريحة بضد ما تقول : وإليك نص الرواية : « إن فاطمة عليها السلام لما أن كان من أمرهم ما كان ، أخذت بتلابيب عمر ، فجذبته إليها ثم قالت : أما والله بابن الخطاب لولا إني أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت إني سأقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة » الكافي . باب مولد الزهراء (ع) .

فهي تتهدد عمر وتأخذ بتلابيبه ، وتجذبه ، وتتوعده بأنها تدعو عليه وعلى من هم على رأيه ممن فعلوا معها ما فعلوا من عظائم الأمور لكنها تخاف أن ينزل البلاء فيعم بعض الأبرياء . . أما عمر وأصحابه فهم المذنبون وهم الذين تتوعدهم ، وتأخذ بتلابيب رئيسهم ومدبر أمر الهجوم على بيتها واسقاط جنينها وغصب حقها . .

١٨ ـ وذكرت شرطية مفادها : أن الصحابة إذا كانوا ارتدوا على الأعقاب فأهل البيت كذلك . .

لكنك نسيت أننا قد ذكرنا في مقالنا في الهادي : أن كثيراً من الصحابة كانوا من الاتقياء الأبرار . ونسيت أن ارتداد بعض الصحابة لا يلزم منه ارتداد غيرهم . ولا سيما أهل البيت الذين عصمهم الله عن مثل ذلك حينما قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . ولم يرو في الصحابة مثل هذا أصلاً بحيث يثبت بطريق القطع هذا عدا عن الأحاديث المتواترة في أهل البيت مثل حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما . .

١٩ ـ وذكرت : أنك وأهل السنة تقبلون بالحديث الضعيف إذا لم يخالف كتاب الله . .

ولقد أخطأت ها هنا من ناحيتين :

الأولى : إنك خالفت مذهب أهل السنة والجماعة في أن السنة قاضية على الكتاب كما قدمنا ونزيد هنا : أن الدارمي قد روى في سننه / ج ١ ص ١٤٥ نشر دار إحياء السنة النبوية : « عن يعلي بن حكيم عن سعيد بن جبير إنه حدّث يوماً بحديث عن النبي (ص) فقال رجل : في كتاب الله ما يخالف هذا . قال : ألا أراني أحدّثك عن رسول الله (ص) وتعرض فيه بكتاب الله ؟ كان رسول الله (ص) أعلم بكتاب الله منك»، فالمخالف لكتاب الله إذن يجب أن تقبل به أنت لا نحن.

الثانية : إن الضعيف الذي لا يخالف كتاب الله . . إن كان موافقاً لنص القرآن فالعمل في الحقيقة يكون بالقرآن لا بالحديث الضعيف . وإن كان ليس في القرآن نص على وفقه كما لو نص في الحديث على وجوب الفعل الفلاني في الصلاة مثلاً أو حرمة لحم الطير الفلاني أو غير ذلك مما ليس في الكتاب نص يوافقه أو يخالفه فهذا الحديث الضعيف مردود عندكم غير مقبول . .

٢٠ ـ وقلت : إن قولنا : ليس كل نجم يهتدي به فيه رد على أنفسنا حيث ذكرنا بعد : أن النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق . .

ولكنه إشكال لا يرد علينا ، لأن النجوم السيارة مثلاً لا يمكن لراكب البحر أو مسافر الصحراء أن يعول عليها في الاهتداء لعدم استقرارها في مكان معين بل هي تنتقل من مكان إلى مكان . . لكن كونها أمان من الغرق لا يتوقف على ثباتها واستقرارها ، فهي أمان من الغرق سواء الثابت منها والمتحرك ، إذ يمكن أن تكون مقابلتها للأرض وجاذبيتها مؤثرة لذلك ألا ترى أن جاذبية القمر تؤثر المد والجزر في البحار والأمواج والحركات فيها . .

٢١ ـ وبعد ذلك . يأتي دور تشنيعك علينا بالعمل بالتقية . .

وكيف يصح منك ذلك ، وأنت تدعي أنك تعمل بالقرآن وتدين بما فيه كأنك لم تقرأ قوله تعالى : إلا أن تتقوا منهم تقاة . .

وقوله عز من قائل : إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . . ولعمري لماذا يعمل أهل السنة والجماعة بالتقية ، وهم يدينون الله بإطاعة كل متغلب ، مهما كان فاسقاً فاجراً حتى يزيد بن معاوية والوليد بن عبد الملك وكل حاكم ، ولذا فهم لا يحتاجون إلى العمل بالتقية . . بل إنهم بمجرد احتياجهم إليها نرى أنهم يستعملونها كأبشع ما يكون الاستعمال وبلا قيود ولا حدود ، وقضية محنة خلق القرآن وغيرها خير شاهد على ما نقول . . أما الشيعة فرغم أنهم كانوا دائماً مضطهدين مقهورين على أيدي أهل السنة وحكامهم يقتلونهم تحت كل حجر ومدر وفي كل سهل وجبل . . مع ذلك نجد لهم الكثير جداً من المواقف النبيلة التي يجاهرون فيها بالحق . . ثم يلاقون الموت صابرين محتسبين . .

٢٢ ـ وقلت : إن أهل التقية هم قتلة أهل البيت . .

إن كنت تقصد بأهل التقية الشيعة وأنهم قتلوا أهل البيت . . فهذا التاريخ كله على خلافك وإن الشيعة لم يقتلوا أهل البيت وإنما دافعوا عنهم ، والذين قتلوا أهل البيت هم غير الشيعة !! فالخوارج قتلوا علياً وهم ليسوا من الشيعة ولا من أهل التقية ، ومعاوية قتل الحسن ويزيد قتل الحسين ، وهكذا وإن كنت تقصد أن أهل السنة هم أهل التقية ، وهم قتلوا أهل البيت . . فمن الواضح أن أهل السنة لا يقرون بالتقية تشريعاً وإن كانوا يمارسونها عملاً كما قلنا . . فكلامك متهافت . .

وإذا كنت تكذّب ما ذكرناه من أن قتلة أهل البيت هم غير الشيعة . . مع ان ذلك قد تواتر واستفاض في كتب أهل السنة والجماعة . . فلسوف تجد أن كل أهل السنة والجماعة لك بالمرصاد . . لأنه إذا فتح باب تكذيب ما ورد في جميع كتب أهل السنة والجماعة، فإن هذا سوف يؤدي إلى ما هو أعظم من الحكم بعدم عدالة جميع الصحابة، لا سيما إذا كانت مخالفة الإجماع لا تستند إلى دليل ولا تعتمد على برهان . .

٢٣ ـ ثم استدللت على الاقتداء بمعاوية ببيعة الحسن عليه السلام له .

ولا أظنك تجهل أن بيعته له كانت عن اضطرار وإلجاء لا عن اختيار واقتداء . . فما ذكرته من أنه بايعه معتمداً عليه مقتدياً له تكذبه جميع مواقف

الحسن مع معاوية وخطبه وكتبه وأقواله له ولغيره حين البيعة وبعدها وذلك مستفيض في كتب الحديث والتاريخ . . وإن شئت فراجع كتاب : صلح الحسن للشيخ آل ياسين ، أو كتاب صلح الحسن للسيد محمد جواد فضل الله . ولكن معاوية قد غدر به وقتله بعد ذلك بالسم وهو يعلم أنه سيد شباب أهل الجنة ، وابن رسول الله وريحانته . .

٢٤ ـ وقد وصفت ما جاء في مقالنا بالأكاذيب تارة وبالمطاعن الكاذبة التي حكيتها عن أحبائي الجاهلين أخرى ، والمثالب المزخرفة ثالثة وهكذا . .

ولكن . . قد علمت ورأيت أن جميع ما في مقالنا هو من القرآن وكتب أهل السنة والجماعة لا سيما البخاري ومسلم والموطأ وغير ذلك كما يُعلم لكل من راجع مصادر مقالنا وليس فيه مصدر شيعي واحد . . ولا أظن أحداً يرضى منك أن تصف القرآن وعلماء الإسلام بأنهم كذّابون ودجّالون . ولو علم أهل السنة والجماعة بما تتهم به علماء الإسلام لكان لك منهم موقف آخر يصعب عليك الخلاص منه .

نعم يا حضرة القاضي : أنا لا ذنب لي . . فإن كان ما في مقالي كذب فالذنب عليهم . . وإلا فما هذا البهتان العظيم .

٢٥ ـ وذكرت أن علياً قبل الشفاعة في حق مروان وأنا لا أقبلها . .

نعم يا حضرة القاضي . . لا نقبلها لأن علياً قال عنه في نفس تلك اللحظة : « لا حاجة لي في بيعته ، إنها كف يهودية ، ولو بايعني بكفه لغدر بسبته الخ . . » ولم يكن عفوه عنه إلا لكرم أخلاقه ، وذلك كعفوه عن عمرو بن العاص عندما أظهر سوأته ، وكعفوه عن غيره ممن حاربه وأجلب عليه . .

٢٦ ـ وقلت : إنما ثار على عثمان الذين ثاروا على علي الخ . .

لقد كان ممن ثار على عثمان طلحة والزبير ، وأجلبت عليه عائشة وغيرهم من صحابة الرسول كثيرون جداً ، فهل هؤلاء هم أصحاب ابن سبأ اليهودي . . ومع أن كل أخبار عثمان قد وردت في كتب أهل السنة والجماعة التي

أجمعت على أن كثيراً من الصحابة قد شاركوا في الثورة على عثمان . . لكن حضرة القاضي يكذّب الجميع، ويقول إنهم جميعاً من أرباب التقية وأصحاب ابن سبأ، لست أدري متى صار أهل السنة يكذبون ومتى أصبحوا من أهل التقية ومن أصحاب ابن سبأ . . كل ذلك لأنهم رووا أن الصحابة ثاروا على عثمان وقتلوه ؟ إن ذلك عجيب حقاً وأي عجيب . .

٢٧ ـ وأما عن اتهامك لنا بالسبائية واصرارك على ذلك . .

فقد كان الأجدر بك أن تبقى هذا الباب مسدوداً . . إذ الظاهر أنك لم تقرأ كتاب المحقق السيد مرتضى العسكري (عبد الله بن سبأ) بمجلديه الأول والثاني . . كما أنك قد نسيت أن كتب الصحاح عندكم وعلى رأسها البخاري أصح كتاب عندكم مملوؤة بالاسرائيليات، وروايات التجسيم الذي هو من أهم عقائدكم ـ وهو في الأصل عقيدة يهودية ـ موجودة في البخاري وفي سائر الكتب الحديثية عندكم . . وكذلك الروايات النافية لعصمة الأنبياء . . وغير ذلك مما يضيق المجال عن ذكره وتتبعه . .

٢٨ ـ وقلت : إن قاتلي علي وعثمان والحسن والحسين هم السبائية أهل التقية . وأن المجلسي ذكر ذلك . .

فالنسبة إلى المجلسي محل شك . . دلّنا على الموضع الذي صرح فيه بذلك . . ولو صحت فهو يخالف في ذلك كتب صحاحكم وتواريخكم التي تواتر فيها سم معاوية للحسن فهل معاوية سبائي وقتل يزيد للحسين فهل يزيد سبائي وقتل الخوارج لعلي فهل الخوارج من السبائية وقتل الصحابة لعثمان فهل الصحابة من السبائية ؟! . .

ولماذا قبل علماؤكم ومحدثوكم روايات السبائية في ذلك . . وكيف تواترت أحاديثهم في كتبكم . . أم يعقل أن يكون علماؤكم أيضاً من السبائية ؟ . .

٢٩ ـ وقلت: كما أوضحه محققكم الطبري في تاريخه . .

يظهر من هذا أنك تقول : إن الطبري المؤرخ كان شيعياً ، لأنك تتهمنا

بالتشيع ـ على ما يظهر ـ ونحن نوضح لك حقيقة الأمر ونقول : إن الذي يميل إلى التشيع هو : محمد بن جرير بن رستم الطبري ، مؤلف كتاب المسترشد ، ودلائل الإمامة . أما صحاب التاريخ والتفسير فهو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، وهو من أعيان علماء السنة بالاتفاق ، وقد ترجمه في وفيات الأعيان والزركلي وغيرهما . .

٣٠ ـ وقلت: إن الله أوحى إلى النبي إن الله يكذب فاطمة فيما تشكو إليه في حق علي . . ثم ذكرت قضية خطبة بنت أبي جهل . . ثم خبر المشكاة : يا فاطمة سليني ما شئت من مالي ولا أغني عنك من الله شيئاً . .

ولكنك قد نسيت : أن الله قد طهر فاطمة وعلياً بنص آية التطهير ففاطمة لا تكذب ، ولا تطلب مالاً لا حق لها فيه ، وعلي لا يقدم على إيذاء فاطمة . والرواية إذا خالفت كتاب الله ـ عندنا لا عندك ـ لا قيمة لها وليس لنا كتاب صحيح مئة بالمئة كالبخاري والموطأ عندك ، مضافاً إلى أن قضية خطبة بنت أبي جهل قد ثبت كذبها وافتعالها من قبل أعداء علي وأهل البيت وكتب عنها الشيخ إبراهيم الأنصاري مقالاً مطولاً في نفس العدد الذي فيه مقالنا : الصحابة في القرآن والسنة ، في مجلة الهادي ، ويكذّبها أيضاً قول النبي : فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيني فعلي لا يؤذي فاطمة لأنه مع الحق والحق معه يدور معه حيث دار ولأنه مطهر بنص آية التطهير . . وقد نص علي على أن فاطمة كانت خير زوجة له ، لم ير منها طول حياته إلا الطاعة وحسن العشرة فكل ما يقال عن خلافات بينهما مفتعل ومكذوب ، ولعله لأجل التخفيف من قبح معاملة عائشة للنبي ولنسائه . .

وقد ذكر في جلاء العيون ما يدل على أن قضية بنت أبي جهل قد اشترك في حياكتها عمر وأبو بكر ، حيث ذهب رجل وأخبر فاطمة كذباً بأن علياً قد خطب بنت أبي جهل . . وكذّب علي ذلك ، وأرسل النبي (ص) إلى عمر وأبي بكر ليسمعهما تكذيبه .

وخبر المشكاة ليس فيه تكذيب لفاطمة ولا إهانة لها أصلاً بل هو تصرف

طبيعي وسليم . هذا على تقدير صحة خبر المشكاة .

٣١ ـ وأما تكفير عمار لعثمان الذي وصفته بأنه حكاية مزروة . . .

فإنما ذكره الكاتب السني الكبير طه حسين ، واستدل به على ما يريد ، كما ذكره غيره من أعلام أهل السنة ومؤرخيهم ، ولقد عملت أن عثمان قد ضرب عماراً حتى فتق بطنه وكسر ضلعاً من أضلاعه ، وأزيدك هنا : أن علماء السنة قد رووا أيضاً تكفير ابن مسعود وحذيفة وزيد لعثمان . . وليس الذنب ذنبي وإنما ذنب مؤرخي وعلماء أهل السنة الذين يذكرون ذلك . .

٣٢ ـ وأما قول علي لعثمان : أنت أقرب إلى رسول الله ، نلت من صهره ما لم ينالا . .

فلعمري إن ذلك لا يدل على فضيلة لعثمان . . بل هو يدل على منقصة فيه ، حيث إنه في كلامه هذا كان يلومه على ما صدر منه ، ويوبّخه على أفعاله التي دفعت الناس إلى الاجتماع عليه والشكاية منه . . فهو يقول : إنك أولى من أبي بكر وعمر بالعمل بالحق لأنك أقرب إليه (ص) رحماً ، لأنك تجتمع معه في رابع أجداده، وتزوجت ابنتيه ـ أي ربيبتيه، فلماذا تخالف سنته، وتعمل ما يوجب نقمة الأمة عليك . .

٣٣ ـ وأما حديث : ينادي مناد آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون . .

فلقد نسيت أن هذا المنادي آخر النهار هو إبليس كما صرحت به نصوص هذه الرواية في موارد عديدة وكثيرة ، وحتى نص رواية روضة الكافي تراه مضطرباً مشوشاً إذ قد حذف منه الفقرة التي تدل على ذلك . . فراجع الحديث في البحار / ج ٥٢ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ ويراجع غيبة الطوسي وإرشاد المفيد وغيبة النعماني وغير ذلك ومرآة العقول . .

وأضاف في روضة الكافي عبارة : « وينادي أول النهار منادي آخر النهار » ولا معنى لهذه العبارة إلا إذا عرفنا سائر الروايات ، قال في مرآة العقول : أي

يخبر منادي أول النهار عن منادي آخر النهار ويقول : إنه شيطان فلا تتبعوه . ويدل على صحة هذا ، التصريح بذلك في الروايات الأخرى . . فراجع .

٣٤ ـ وقلت : إن سب علي على المنابر هو من حكايات أهل التقية ولا حجة فيه . . فنقول .

لقد تواتر ذلك في كتب أهل السنة والجماعة ، فإن كان أهل السنة والجماعة من أهل التقية فلا بأس . . ونكاد نقطع أنك تعرف ذلك ولكنك تتجاهل . .

٣٥ ـ وأما سب فاطمة لعلي . .

فلم نجده في حق اليقين بل الموجود فيه خلافه ومع ذلك فلا حجة فيه ـ لو صح ـ لمخالفته لآية التطهير ، ولما ثبت عن علي أنه مدح فاطمة بأنها كانت خير عشير ، وكانت مفرج همه وكربه ، ولم ير منها طول حياته ما يكره . . ويكذبه أيضاً سائر ما ورد عن النبي (ص) في حق فاطمة وعلي كما بيّناه آنفاً . . وبيّنا : أن الحديث عندنا ـ كل حديث ـ لا بد وأن يعرض على كتاب الله والسنة القطعية ويناقش سنداً ودلالة . . وأنه ليس عندنا كتاب مفروغ عن صحة ما فيه كالبخاري ومسلم عندكم . والموطأ عندك . .

٣٦ ـ وذكرت : أن أهل التقية سبوا أهل الشام بلا إذن علي (رض) . .

ونحن نقول لك : إن سبهم لهم كان حقاً لأنهم كانوا الفئة الباغية . . ثم لست أدري من أين علمت أن الذين لعنوا أهل الشام هم السبائية ، فهل علمت ذلك بطريق الوحي أو الإلهام . . أم بطريق آخر . . غاية ما أعرفه أنه ليس في أيدينا نص تاريخي يدل على ما تقول . وإنما النص التاريخي موجود على أن عماراً قد قاتل الفئة الباغية فقتلته . . وأن علياً استحل دماء أهل الشام وقتلهم . . وكذلك كان أمر أهل الجمل أيضاً . . ولعمري . . إن كلامه صريح في أنه نهاهم عن السب لأنه لا يؤدي إلى النتيجة المطلوبة وهي إقامة الحجة ، لا لأنه يرى سبهم حراماً شرعاً . . في حين هو يستحل دماءهم ويقتلهم . .

٣٧ ـ ثم كذّبت حديث الثقلين . وذكرت : أن الصحيح هو ما جاء في أصح الكتب . .

وإنما كذّبت صحيح مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم ونحن مرسلون لك جزءاً يذكر لك مصادر حديث الثقلين الذي كذبته ، ويذكر لك من رواه في كل مئة على حدة ، نرجو أن تطالعه بإمعان ولا تتسرع في إلقاء الكلام على عواهنه . . وحسبك به جواباً إن كنت تريد الحق . .

وإذا كان الموطأ أصح الكتب فلماذا وصفت كل ما جاء في مقالنا بأنه أكاذيب ومزخرفات وغير ذلك . . مع أننا نقلنا عن الموطأ قضية بيع معاوية بيعاً ربوياً واعتراض أبي الدرداء عليه بمخالفته لقول الرسول ثم إصرار معاوية وقوله : في مقابل قول النبي : لكني لا أرى به بأساً القضية . . فإن كان هذا أصح الكتب فلماذا كذبت هذه القضية عن هذا الصحابي؟! .

٣٨ ـ وذكرت : أن حديث الثقلين ضعيف لأن مقتضاه تفضيل علي على الصحابة ، ولا يعمل به لأن علياً كتب في وصيته : اتقوا الله في حق أصحاب رسول الله (ص) لأنهم لم يدخلوا البدعة في دين الإسلام ولم يتركوا أهل البدعة أن ينشروا بدعتهم الخ . .

ولكن لا نفهم ما المانع من تفضيل علي على الصحابة جميعاً ، مع أن ما يدل على تفضيله عليهم جميعاً وبدون استثناء كثير جداً في الكتاب والسنة ، ويكفي من الكتاب آية التولية : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . . ثم آية المباهلة ، وغير ذلك من الآيات ، ومن السنة حديث الطائر المشوي ، وحديث الغدير ، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار ، ولا يمكن احصاؤه في عجالة كهذه بل يحتاج إلى رقم العديد من الكتب والاسفار . .

وأما وصيته عليه السلام في حق الصحابة . . فلا شك ولا ريب في أنه يقصد بهم جماعة خاصة من الاتقياء ، والأبرار الأخيار ، ولا يمكن أن يقصد معاوية ولا الوليد بن عقبة ولا مروان ولا ابن العاص وغيرهم ، كيف وهو

يصفهم في نهج البلاغة وغيره بأوصاف الفاسقين والبغاة والطغاة والعصاة . . هذا بالإضافة إلى أن الموجود في جلاء العيون مخالف للنص الذي ذكرته تماماً والذي فيه هو: أن رسول الله قد لعن المحدث منهم والمؤوي للمحدث مما يدل على أن فيهم المحدث والمؤوي له . . لكنك قد تجاهلت هذه العبارة لحاجة في نفسك . . وعلى كل حال فإن ما ذكرناه حول ذلك كاف في المقام ولدينا إن شئت المزيد . .

٣٩ ـ وأغرب من ذلك كله استدلالك على صحة حديث الموطأ بأننا جعلنا عنوان مقالنا : « الصحابة في القرآن والسنة » وهو استدلال بديع لم تسبق ولن تلحق إليه ولا يخطر لأحد على بال !! . .

٤٠ ـ وقلت : تواترت الأحاديث في التمسك بالكتاب والسنة . .

نحن لا ننكر أن سنة الرسول (ص) حجة ولكننا نقول : إن حديث الثقلين هو المتواتر وما ادعيته من تواتر حديث كتاب الله وسنتي يحتاج إلى إثبات . .

٤١ ـ وقلت: الإسلام إن فسد من أصله لم يبلغ إلينا وما كنا اليوم مسلمين . .

إنما لا يبقى لك أنت طريق هداية أما نحن فلنا طريق هداية واضح وهو أهل البيت المعصومون بآية التطهير ، ومن ثبتت عدالته من الصحابة الأبرار . . ونترك دين الفساق منهم والمنحرفين . .

٤٢ ـ وختمت مقالك بادعاء أن الصحابة اتفقوا سراً على قتل التقية السبائية ، وقلت إن ذلك قد أشير إليه في وصية علي . .

فأين هذه الإشارة التي تذكرها في وصية علي وهل الثمانية عشر ألفاً الذين قتلوا مع عائشة وطلحة والزبير كانوا من أهل التقية والسبئية ؟! وهل طلحة والزبير المقتولان كانا من أهل التقية والسبائية وكذلك غيرهما من الصحابة الذين قتلوا في حرب الجمل ؟! . وأين أنت عن كتب أهل السنة والجماعة لتعرف حقيقة ما جرى في حرب الجمل وصفين والنهروان ؟! وكيف يصح منك أن

تتخرص وترجم بالغيب وتأتي بما هو خلاف ما ثبت في كتب أهل السنة والجماعة ؟! . . إن ذلك عجيب وعجيب حقاً . .

٤٣ ـ وملاحظة أخيرة وهي أن مقالتك لم تناقش أصل الموضوع في مقالنا حول الصحابة إلا بشكل بسيط جداً ومحدود ، ولم تتناول إلا بعض النقاط الجانبية التي ليست في صلب الموضوع . .

أما نحن . . فقد ناقشنا جميع ما جاء في مقالك وكل فقراته ، والحمد لله وله المنة على توفيقه وتسديده وإلهامه الحق ، وقول الصدق وهو وليّنا وهو الذي هدانا إلى سواء السبيل . .

وفي الختام . . أعود فأكرر أنك تكذّب البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وعبد الرزاق وسائر علماء الإسلام الذين أوردوا ما جاء في مقالنا ، بل أوردوا أضعاف ما جاء فيه ، ولو علم أهل السنة والجماعة بذلك منك لكان لهم منك موقف آخر وحساب آخر . .

وقد قلت لك في أول هذه الرسالة : إنك إذا أحببت المناقشة الهادئة والموضوعية بهدف الوصول إلى الحق والالتزام به فأنا على أتم الاستعداد لذلك ، أما إذا أردت السباب والشتم والطعن والاتهام بلا مبرر وبلا دليل فأبحث عن رجل آخر يحسن معك مثل ذلك . .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين . . والسلام على من اتبع الهدى . .

أخوكم : جعفر مرتضى العاملي

العلوي يعيد الكرة

وقد أجاب القاضي العلوي عن مقالنا السابق بمقال مطول . . ولكننا لما رأينا أنه قد ذكر أشياء متشعبة ومن هنا وهناك وأن مناقشة كل ما جاء في إجابته تلك يحتاج إلى كتاب مستقل . . اقترحنا عليه أن نناقش هذه الموضوعات بالتدريج . . فأجبنا عن جانب مما ذكره . .

على أمل أن نجيبه عن سائر الموضوعات بعد الاتفاق على الحق في كل موضوع يطرح . .

والفقرات التي أجبنا عنها هي التالية : قال القاضي العلوي :

بسم الله الرحمن الرحيم : حامداً ومصلياً ومسلماً ـ بعد تحية التسليم فقد وصل إلى مكتوبك المعظم الذي بدأته بالصلاة وتركت حمد الله تعالى إن الإنسان مركب من الخطأ والنسيان مع ما فيه من أغلاط نحوية لكن ما التفت إليها وسأسعى في إيجاز الكلام لأن خير الكلام ما قل ودل ولقلة فرصتي لكثرة مشاغلي من القضاء والافتاء والتدريس ولذا لا أكتب إلا هذه المقالة فقط ـ

(مقدمة)

ليعلم أن موضوع البحث هو أن لفظ الصحابي أو الصحابة إذا وقع في الروايات في الكتب الإسلامية لا يريد به الرواي إلا المؤمن التام العدل لا المنافق ولا الفاسق بخلاف لفظ الإنسان أو الناس على العموم فإنه لا يراد به المؤمن

العدل لكن حضرة العاملي لما لم يفهم كلام الفقهاء الفضلاء ادعى أن هذا خطأ- وليس للصحابة فضل بل هم كسائر الناس وإنما اهتم علماء الإسلام برواية العدل لقوله تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فكل من ذكر روايته علماء الإسلام من صحابي فهو عدل عندهم لذا قالوا الصحابة كلهم عدول- فها أنا أشرع في جواب الجواب بعنوان قال وأقول وبالله التوفيق .

قال سردنا في مقالنا جملة من أفعال الصحابة بالمعنى الشرعي كالوليد بن عقبة وقدامة بن مظعون ومروان ومعاوية .

أقول - إن كان هؤلاء مؤمنين فهم من الصحابة فلا حاجة إلى سرد أفعالهم لقوله تعالى لا يغتب بعضكم بعضاً وإن وجد منهم فسق فتابوا فهم كمن لا ذنب له والروايات التاريخية موضوعة لا نصدقها كما فصلنا في المقال السابق ومروان ليس من الصحابة كما في التقريب فذكره خارج عن الموضوع . .

وقال: قال لو ارتد ذهبت صحابته فإن عاد عادت راجع نزهة المجالس أقول هذا كتاب لا عبرة به أهكذا دلائلك.

وقال : قال قدمتم السنة على القرآن وأنت تعود فتسرق عقيدة الرافضة الذين يقولون ما خالف كتاب الله فهو زخرف أقول كل ذلك كذب وافتراء لأني قد نقلت من قبل من كتاب أصول الكافي لإمامك الكليني باب الأخذ بالسنة ص ٣٩ عن سيدنا جعفر الصادق أنه قال ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف وفي سنن الدارمي ص ٧٧ عن ابن عباس أنه قال إذا سمعتموني أحدث عن رسول الله فلم تجدوه في كتاب الله أو حسناً عند الناس فاعلموا إني كذبت عليه وفي أصول الفقه للحنفية للشاشي البغدادي في البحث الثاني ص ٤٣ أن النبي عليه السلام قال تكثر لكم الأحاديث بعدي فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فاقبلوه وما خالف فردوه وتحقيق ذلك عن علي رضي الله عنه أنه قال الرواة ثلاثة مؤمن مخلص صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرابي سمع بعض ما سمع ومنافق لم يعرف نفاقه فروى ما لم يسمع وافترى انظر يا حضرة العاملي أكان سيدنا علي والصادق وابن عباس والشاشي الأصولي من

الرافضة أهذا هو سرقتي عندك.

وأما سرقتك إن السنة قاضية على القرآن فلم يوجد في كتاب عقائد ولا أصول بل هو قول قائل موعول وليس بحجة .

وقال : قال مذهب أهل السنة إن السنة قاضية على الكتاب أقول قد مر جوابه وقد أيدته بقولك (في ص ٦) صحاحكم مخالفة القرآن وما ذكرت عن سنن الدارمي قول سعيد بن جبير وهو تابعي لا حجة في قوله والصحيح ما ذكرت أنا عن سننه قول ابن عباس وهو صحابي حجة وعن الكافي للكليني قول الإمام الصادق إلا إنك لا تجعله حجة .

وقال : قال نحن مرسلون جزءاً يذكر لك مصادر حديث الثقلين أقول ذكر مؤلف هذا الجزء بنحو ثمانين اضطراباً في متن هذا الحديث وأنا أيضاً إنما ضعفته لاضطراب في متنه ونحن مرسلون جزءاً يذكر لك فضل أهل الشام والنهي عن السب .

عبيد الله العلوي

* * *

مع العلوي من جديد

١٨/شوال/١٣٩٩ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلاته على عباده الذي اصطفى محمد وآله وصحبه المنتجبين .

جناب الأخ الكريم الفاضل عبيد الله العلوي مفتي بلدة دير غـازي خان المحترم . .

لقد تلقيت جواب الجواب منكم بيد الشكر والتقدير ، وقرأته بشغف وشوق . . ورأيت فيه نقاطاً إيجابية سرّتني . . ولا سيما التزامكم بعرض الحديث على الكتاب ، فإن هذا أثلج صدري وحمدت الله وشكرته على ذلك . .

وفي بقية المقال نقاط كثيرة تحتاج إلى بحث وكتابة كثيرة ، ولذا ، فإنني اقترح عليكم أن نبدأ من الآن حواراً على كل نقطة نقطة فيه وبالترتيب . . ومن دون أي تعصب أو تحيز إلا للحق وفي سبيل الحق . .

ولذا فقد قررت أن أكتفي في مناقشتي هذه بمناقشة أمرين : فإذا اتضح الحق فيهما ، وقبلناه معاً : أنا وأنت ، فإننا ننتقل إلى النقاط الأخرى كل واحدة على حدة . . أو إلى أي نقطة تقترحونها أنتم . . وهكذا . . وآمل أن ينتهي بنا الأمر أخيراً إلى الاتفاق الكامل على جميع النقاط ، ثم إلى التعاون الخيّر البنّاء على ما فيه خير الإسلام وصالح المسلمين . . هذا . . ورغم انكم ذكرتم إن في كتابتي

السابقة أغلاطاً نحوية . . لكنني راجعت ذلك الكتاب الطويل جداً فلم أجد فيه من الأغلاط ما يعادل نصف أصابع اليد الـواحدة ـ رغم ذلك ـ فإنني أشكركم جزيل الشكر على تنبيهكم لي إلى أن رسالتي السابقة لم يكن فيها حمد الله . . وإن ذلك وإن لم يكن واجباً ولكنه راجح ولا شك . . فلكم الشكر والتقدير على هذا التنبيه . .

والنقطتان اللتان أردت الإشارة إليهما بإيجاز هما : تعريف الصحابي ، ولعن معاوية . . ولولا إنكم أرسلتم لي : (الناهية عن لعن معاوية) لتركت الحديث عن معاوية الآن لكن كتابكم أجبرني على الحديث عنه . . فكلامي يقع معكم أولاً عن هذا الأمر فأقول : قلتم عن حديث الثقلين بالحرف الواحد : « ذكر مؤلف هذا الجزء بنحو ثمانين اضطراباً في متن هذا الحديث ، أنا أيضاً إنما ضعفته لاضطراب في متنه . . ونحن مرسلون جزءاً يذكر لك فضل أهل الشام ، والنهي عن السب » .

ثم أرسلتم (الناهية) .

ولكن من الواضح : أن الاضطراب في متن حديث الثقلين إنما يضر في اعتباره إذا كان المعنى مضطرباً أيضاً . . فإذا كان المعنى واحداً والألفاظ مختلفة فلا يقدح ذلك في اعتباره ، فإن النقل بالمعنى يصح بإجماع أرباب الفن ، وقضاء العرف . . ولذا يقسمون الخبر إلى متواتر أو مستفيض معنى ، وإلى متواتر أو مستفيض لفظاً ، وإلى منقول بلفظه ، وإلى منقول بالمعنى . .

كما أن من الواضح أيضاً: أنه لا مجال للتعريض بنـا بقولكم: (والنهي عن السب) فإننا لم نسب أحداً ، وإنما كلامنا في الجرح والتعديل على طريقة علماء الرجال . . أي أننا في صدد الجرح والتعديل الذي يترتب عليه أخذ أو عدم أخذ معالم ديننا عن كل صحابي فرداً فرداً .

وأما كتاب ؛ (الناهية) فهو قد كان عندي قبل أن ترسلوه إلي ، وأنا أشكركم على أنكم تكرمتم به عليّ مرة أخرى . . ولكن لا يمكن قبول ما فيه . . لأنه كله مطعون ومردود وقد تصدى لرد أحاديثه جمع من العلماء ، ويكفي أن

تقرؤا المجلد التاسع والعاشر من كتاب الغدير ، فإن لم يكن عندكم فإنني أرسله إليكم . .

ولقد قال في تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص ١٣٣ ، وفتح الباري / ج ٧ ص ٨٣ ، والصواعق المحرقة/ ص٧٦ : « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن علي ومعاوية ؟ فقال : إعلم إن علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً ، فلم يجدوا ، فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم لعلي . . » .

وفي اللآلي المصنوعة للسيوطي / ج ١ ص ٢٢٠ ، وفتح الباري / ج ٧ ص ٨٣ : قال الحاكم : سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول : سمعت أبي يقول : سمعت اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول : لا يصح في فضل معاوية حديث . .

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري / ج ٧ ص ٨٣ : تعليقاً على باب ذكر معاوية في البخاري : « أشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له . وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة ، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم اسحاق بن راهوية والنسائي وغيرهما . . إلى آخر كلامه . . وقريب منه ما في عمدة القاري للعيني.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة / ج ٢ ص ٢٠٧ : طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ، ورووا أحاديث عن النبي (ص) في ذلك كلها كذب .

وقال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه : سفر السعادة ، والعجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس / ص ٤٢٠ : باب فضائل معاوية ليس فيه حديث صحيح . .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة : اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث . .

فهذه آراء الإمام أحمد بن حنبل ، واسحاق بن ابراهيم ، وابن حجر

العسقلاني ، والعيني ، والنسائي ، واسحاق بن راهوية ، وابن تيمية ، والفيروز آبادي ، والعجلوني ، والشوكاني الذي ادعى اجماع الحفاظ على هذا الرأي . . هذه آراؤهم في الأحاديث التي في فضائل معاوية . .

ونعود فنشير إلى المجلدين : التاسع والعاشر من كتاب : (الغدير) فإنه قدناقش أسانيد ومتون جميع تلكم الفضائل . . وكتب محمد بن عقيل أيضاً : كتاب تقوية الإيمان . . وكتاب : النصائح الكافية لمن يتولى معاوية . .

هذا كله بالنسبة إلى النقطة الأولى . . وأما بالنسبة إلى :

النقطة الثانية : وهي معرفة المراد من الصحابي . . فقد ذكرتم في الكتاب : (إن لفظ الصحابي أو الصحابة إذا وقع في الروايات في الكتب الإسلامية لا يريد به الراوي إلا المؤمن التام العدل . . إلى أن قال : وإنما اهتم علماء الإسلام برواية العدل لقوله تعالى : إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا . فكل من ذكر روايته علماء الإسلام من صحابي فهو عدل عندهم ، لذا قالوا : الصحابة كلهم عدول . .) .

وقلتم في الجواب عن أفعال الوليد بن عقبة وقدامة ومروان ومعاوية : (إن كان هؤلاء مؤمنين فهم من الصحابة فلا حاجة إلى سرد أفعالهم لقوله تعالى : لا يغتب بعضكم بعضاً . وإن وجد منهم فسق فتابوا فهم كمن لا ذنب له ، والروايات التاريخية موضوعة فلا نصدقها إلى آخر الكلام . .) وقلتم في مكان آخر عن الصفوري الشافعي : إنه غير معتبر . .

ولنا نحن هنا مناقشات عديدة . .

فالأولى : قولكم : اهتم علماء الإسلام برواية العدل لقوله تعالى : إن جاءكم الخ . . يرد عليه سؤال : لماذا اهتموا برواية العدل من الصحابة فقط ، ويعملون بالآية هنا ، ثم نراهم يروون عن العدل وغيره من غير الصحابة ، ويتركون العمل بآية النبأ هناك؟ أوليست هذه الآية عامة تشمل التبين لكل خبر فاسق ؟! . . وتلك هي مجاميعهم الحديثية مشحونة بالرواية عن غير الثقات وعن الوضّاعين والكذّابين والقدرية والخوارج وغيرهم . .

والثانية : هناك إسلام وهناك عدالة . وهناك فسق ، وهناك نفاق ، وهناك كفر . . فالكفر واضح أمره . . والنفاق هو أن يظهر الإسلام ، ويبطن الكفر . . والمنافق : كافر في الواقع . . والمسلم : هو الإنسان المعتقد بحقيقة ما جاء به محمد (ص) . . والعدل : هو المسلم الذي لا يتعمد ارتكاب الذنوب الكبائر . . وربما تصدر منه صغيرة ، ولكنه لا يصر عليها ، بل يتوب منها .

والفاسق : هو الإنسان المعتقد بحقّية الإسلام ولكنه لا يلتزم عملاً ببعض أحكامه، ويرتكب بعض الكبائر. . التي لا تخرجه عن الإيمان والإسلام. . كشرب الخمر والزنا والكذب، والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

وبعد هذا . . فقد قلتم : إن المراد بالصحابي إذا وقع في الروايات في الكتب الإسلامية فلا يريد به الراوي إلا المؤمن التام العدل . . فكل من ذكر روايته علماء الإسلام من صحابي فهو عدل عندهم لذا قالوا : الصحابة كلهم عدول . .

وهذا التعريف لا يوافقكم عليه العلماء المحققون ، فلقد قال البخاري في صحيحه : « من صحب النبي (ص) أو رآه من المسلمين فهو صحابي » وكذا قال أحمد بن حنبل . . فالصحابي لا يختص بالعدل إذن ولا يختص بمن يروي عنه ، ونقل في فتح الباري / ج ٧ ص ٤ عن علي بن المديني أنه قال : من صحب النبي (ص) ، أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي (ص) . .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات / ج ١ ص ١٤ : « أما الصحابي ففيه مذهبان : أهمهما ـ وهو مذهب البخاري وسائر المحدثين وجماعة من الفقهاء وغيرهم ! ـ أن كل مسلم رأى النبي (ص) ولو ساعة وإن لم يجالسه ويخالطه» . .

وفي الإصابة / ج ١ ص ٧ : « . . وأصح ما وقفت عليه من ذلك : أن الصحابي : من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على الإسلام . . فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له ، أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى . . » .

وفي فتح الباري / ج ٧ ص ٣ ، والإصابة / ج ١ ص ٨ ، واللفظ للفتح : « . . فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام، لكن لم يره ثانياً بعد عوده ، فالصحيح أنه معدود في الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم أحاديثهم في المسانيد . . » .

وهذا هو نفس ما ذكره الصفوري الشافعي الذي رددتم كلامه بأنه هو غير معتبر . .

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري / ج ٧ ص ٢ : « . . وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح ، إلا أنه يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه ، أو يكتفي بمجرد حصول الرؤية محل نظر ، وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني ، فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق ، وإنما ولد قبل وفاة النبي (ص) بثلاثة أشهر وأيام . . » .

وقال في الفتح / ج ٧ ص ٣ : والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين . . وقد عدوا الحسن والحسين من الصحابة ، مع أن الحسن ولد في الثالثة من الهجرة والحسين ولد في الرابعة .

وفي أسد الغابة / ج ١ ص ١٢ : قال أحمد بن حنبل : (أصحاب رسول الله (ص) : كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه . .)[1] .

وغير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه . .

وبعد كل ما قدّمناه نقول : إن ما ذكره من أن الصحابي في الاصطلاح هو ذلك ففي غير محله . . لأن شرط العدالة غير موجود في المقام وإنما اشترطوا الإسلام والرؤية فقط ولذلك تجدهم يذكرون الوليد بن عقبة والحكم بن أبي العاص واضرابهم في الصحابة مع ما هو معلوم منهم . . ودعوى توبتهم مما يصدر منهم تحتاج إلى إثبات . . وإلا لأمكن دعوى توبة كل راو مما يوجب

---

(١) وواضح أن مروان قد رأى النبي (ص) وكان بحيث يميز ما رآه كما ذكره مفصلاً العسقلاني في الإصابة / ج ٣ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ، فكيف تقولون : إنه ليس من الصحابة ؟! . .

فسقه ، حتى ولو لم يكن صحابياً . .

وإذا كان المراد هو كل من رأى النبي (ص) ولو لم يرو عنه . . لم يصح قولكم : إذا وقع الصحابي في الروايات فلا يراد به إلا المؤمن التام العدل . . لأن الحديث يكون عن كل صحابي ، ولو لم يكن له رواية أصلاً . . ولو كان قد ارتد ثم عاد إلى الإسلام . .

وعلى قولهم حتى لو رأى النبي (ص) من بعيد فإنهم يقولون عنه إنه صحابي . . وعندكم كل صحابي فهو عدل للأدلة العامة التي تذكرونها . . وإذن فكل من رأى النبي (ص) فهو عدل حتى ولو لم يرو عنه ولو كان صغيراً حينما رآه ، ولو ارتد بعد ذلك ثم عاد وهكذا .

وواضح : أنهم يستدلون على عدالة الصحابي بعد تحقيقهم المراد منه أولاً . . فهم يذكرون أولاً أن من رأى النبي (ص) فهو صحابي . . ثم يستدلون على عدالة كل من رأى النبي (ص) بأدلة أخرى . . وهذه الأدلة لو سلمنا دلالتها فإنما هي ناظرة إلى المعنى العرفي للصحابي الذي يفهمه الناس لأن النبي (ص) والقرآن إنما يكلّم الناس بما يفهمون ويعرفون ، ومجرد أن يرى الإنسان رجلاً ماراً في طريقه أو يراه من بعيد لا يصير صاحباً له لا لغة ولا عرفاً . . نعم لو جلس معه وتكلّم معه فترة من الزمن قيل إنه صاحبه . . فلو سلمنا دلالة الأدلة . . فإنها لا تشمل الصغير . . ولا الذي رآه من بعيد أو وهو مار في طريقه . . وقد تكلمنا عن أصل دلالة الأدلة ولسوف نتكلم عنها فيما يأتي إن شاء الله بعد أن نتفق على المراد من الصحابي . .

الثالثة : استدلالكم بآية : ولا يغتب بعضكم بعضاً في غير محله لأن مجرد الإيمان لا يكفي في الوثاقة والعدالة . . لأن الإيمان هو عقد القلب على ما جاء به النبي (ص) . . والالتزام به . . وهذا لا ينافي وقوع المعصية منه مع اعتقاده بكونها معصية ، وبأنه معاقب عليها . . ومع اعتقاده بنبوة النبي (ص) وبما جاء به وعقد قلبه عليه . .

ولو سلمنا . . فإن جرح علماء الرجال لا يعد غيبة ، لأنه مما لا بد منه ،

إذا أريد أخذ معالم الدين وأحكام الإسلام من أولئك الذين يتعرض لمدحهم أو لقدحهم ، وإلا فلماذا جوزتم الغيبة لغير الصحابة مع أنهم مؤمنون . .

الرابعة : قولكم إن الروايات التاريخية موضوعة . . لا يمكن قبوله على إطلاقه . . إذ لا بد من دليل على كونها موضوعة ، ومجرد الدعوى لا تكفي بعد أن كان هؤلاء المؤرخون من كبار علماء أهل السنة ، وبعد أن كان العلماء من أهل السنة يوثقون الكثيرين منهم ، ويقبلون الكثير من رواياتهم التاريخية فكيف يصح رميهم بالكذب والوضع إذن من دون تثبت في ذلك؟!.

والخلاصة : الصحابي : هو كل من رأى النبي (ص) مؤمناً به ومات على ذلك . . وقولنا: مؤمناً به، ليس إلا لإخراج الكافر والمؤمن بغيره لا لأخراج الفاسق . .

وأما قضية المنافقين . . فإنهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ولم يكن يمكن معرفة أشخاصهم وبعد موت النبي (ص) لم يكن يمكن لأحد تمييزهم عن غيرهم ممن رأى النبي (ص) وصحبه : أن هذا منافق أو لا ولا تمييز المؤمن عن غيره . .

وقول الصادق (ع) الذي نقلته من رجال الكشي يدل على أن من رأى النبي (ص) كانوا على قسمين : قسم من أولي التقى والنهى وقسم من غير أولي التقى والنهى . .

وخلاصة الأمر : إنه لا يمكنكم إثبات أن كل من رأى النبي (ص) مسلماً مؤمناً به فهو عادل . . إلا أن يكون المراد من كلمة صحابي هو خصوص جماعة من الذين رأوا النبي (ص) مسلمين وليس كلهم . . فإن كان هذا هو مقصودكم وقبلتم أن بعض من رآه (ص) من المسلمين لم يكن من أصحابه وإن روى عنه فلربما رآه مسلم وروى عنه وليس منه أصحابه . فنحن إذن نكون متفقين . . ولا بد إذن من تتبع أعمال وأقوال من رآه من المسلمين لنعرف : هل هو عدل أو لا . . وهل هو من أصحابه العدول أو لا .

وفي الختام . . فإنني قد أرسلت لكم بعض الكتب من مؤلفاتي وغيرها

أرجو أن تقرؤوها وتعطوني رأيكم فيها . .

ورجائي الأكيد . . أن ينحصر البحث في نقاط معينة حتى نقتنع بها معاً وبعد ذلك ننتقل إلى بحث غيرها من النقاط . . فالذي تقبلونه من رسالتي أذكروه والذي أقبله من رسالتكم أذكره لكم . . حتى لا يتلف الوقت في البحوث الجانبية . .

وقد اتفقنا على أنه لا بد من عرض كل حديث على القرآن فما وافق كتاب الله نأخذه ، وما خالفه ندعه . . وهذا شيء مهم جداً . . وأنقل لكم بعض الروايات لا احتجاجاً لأننا قد اتفقنا ، وإنما استيناساً فعدا عما نقل عن ابن عباس . . عن ابن مسعود أنه قال : فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه (جامع بيان العلم / ج ٢ ص ٤٢) .

وعن معاذ : « فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ، ولا تعرضوه على شيء من الكلام » كنز العمال / ج ٨ ص ٨٧ عن ابن عساكر ، وحياة الصحابة / ج ٣ ص ١٩٧ .

وعن أبي بن كعب فيما أوصى به رجلاً : اتخذ كتاب الله إماماً ، وارض به قاضياً وحكماً الخ . . حياة الصحابة / ج ٣ ص ٥٧٦ عن حلية الأولياء لأبي نعيم / ج ١ ص ٢٥٣ .

وقد ذكرت هذه الروايات كما قلت للزيادة في الاستيناس بالمطلب لا للإستدلال . . فإننا ولله الحمد غير مختلفين فيه . . وأطلب منكم أن تعرضوا كل حديث على كتاب الله فما وافقه تستدلون به عليّ وما خالفه فلا . . وأنا أيضاً بدوري كذلك . .

والسلام عليكم وعلى من تحبون . . وعلى الأخوة المؤمنين ورحمة الله وبركاته . .

العلوي يعترف ويعتذر

بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً ومصلياً ومسلماً .

السلام عليكم وعلى جميع أحبائكم ورحمة الله وبركاته .

فقد بلغ مكتوبكم المكرم إلى : (عيد گاه) مصلى البلد لخطأ في العنوان ، ثم أوصل إلي في بدء هذا الشهر الربيع الثاني ، وما تهيأت للجواب لما تقدم من معذرتي في المقالة السابقة إلا أن تحريك جنابكم ألجأني إلى كتابة بعض الألفاظ المختصرة ما شاء الله تعالى ثم يكون مقامي السكوت عن أبحاث أخرى لكبر سني وقلة فرصتي وكفاية المقالات السابقة عن إطالة الأبحاث فأقول وبالله التوفيق .

(أما اضطراب حديث الثقلين) من حيث المعنى فعندما جاء في الموطأ والمشكاة في باب الاعتصام بالكتاب بلفظ : تركت فيكم أمرين : كتاب الله وسنة رسوله . وفي سنن الترمذي في أبواب الوصايا ـ أوصى النبي عليه السلام بكتاب الله تعالى ـ .

وفي المشكاة في باب وفاة النبي عليه السلام : اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده الخ ، ثم جاء الاختلاف في معنى أهل البيت ومن هم ، ثم أنا لا نرد حديثاً

ولو كان ضعيفاً إذا لم يخالف كتاب الله تعالى (كما أشرت في المقالة السابقة) فكيف نرد حديث الثقلين ، بل هو مقبول لنا وعلى الرأس والعين ، وأسرد لذلك بعض روايات الأئمة :

١ ـ في كتاب الآثار للإمام أبي يوسف (مطبوع مصر ص.١٢٤) عن أبي حنيفة عن حفعر بن محمد « الصادق » الخ .

و (ص ٣٤) عن أبي حنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي « الباقر » الخ .

٢ ـ في كتاب الآثار للإمام محمد (مترجم طبع كراتشي) ص ٣٢٠ ، قال أبو حنيفة : أخبرنا محمد بن علي « الباقر » قال جاء علي رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه الخ .

٣ ـ في كتاب الحجج للإمام محمد (مطبوع لكهنو) ص ٣١١ قال محمد أخبرنا محمد بن أبان عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن علي رضي الله عنه الخ .

٤ ـ في الموطأ للإمام محمد (مطبوع لكهنو) ص ٢١٣ مالك حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه الخ . قال محمد به نأخذ وهو قول أبي حنيفة الخ .

(فالفقه الحنفي فقه جعفري، والفقه الجعفري فقه نبوي سني).

٥ ـ في تفسير عمدة البيان للشيعة (مطبوع دهلي) امام صادق أبو حنيفة سى باتين كرراهى تهى ـ (أي كان الصادق يتكلم مع أبي حنيفة).

٦ ـ في همز المصائب (للشيعة) ص ٩٤٧ امام أعظم كويه رتبة إمام جعفر صادق سى ملا ـ أي ما حصل للإمام الأعظم من عظمة فمن فيض الإمام جعفر «الصادق».

(أما بحث أحاديث فضائل معاوية رض) فإن كان فيها موضوعات فكذا في فضائل سيدنا علي رضي الله عنه موضوعات كثيرة أيضاً مذكورة في تلك الكتب الموسومة بتذكرة الموضوعات كما لا يخفى على من طالعها .

أما قول بعض المحدثين (لم يصح) فمعناه إنه لم يبلغه الحديث بالإسناد الصحيح وليس فيه نفي الفضيلة ولا عدم الصحة عند غيره وما ذكرتم من نقول فانظروا إلى ما أنقل ؛

١ ـ ذكر المحدث محمد طاهر في تذكرة الموضوعات (مطبوع بمبئي) ص ٧ قولنا لم يصح لا يلزم منه إثبات العدم إنما هو اخبار عدم الثبوت .

(وفي ص ١٠٠) أصح ما روى في فضائل معاوية حديث مسلم إنه كاتبه وبعده حديث العرباض : اللهم علمه الكتاب وبعده حديث اللهم اجعله هادياً مهدياً .

٢ ـ وفي تاريخ الخلفاء ص ١٣٦ قد ورد في فضله أحاديث قل ما تثبت (ثم ذكر) عن علي رضي الله عنه لا تكرهوا إمرة معاوية .

٣ ـ وفي فتح الباري ج ٧ ص ٨١ ظاهر شهادة ابن عباس رض على معاوية بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير ـ (فشهادة أهل البيت على فضل معاوية كافية لمن يوقن بحديث الثقلين فينتهي عن الجرح على معاوية) .

٤ ـ ليس في الفوائد المجموعة للشوكاني ما ذكرتم (إنه اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث) بل فيه (ص ١٤٨ طبع لا هور) قلت قد ذكر الترمذي في باب ذكره في مناقبه ما هو معروف فليراجع .

وأما هذه الأكاذيب فأمرها بين : (ففي هذه العبارة إشارة إلى صحة ما في سنن الترمذي من أحاديث فضل معاوية رض فليتأمل) .

(أما ابنه يزيد فملعون بالأعمال الخبيثة كما ثبت بالأحاديث النبوية) .

(وأما بحث عدالة الصحابة) :

١ ـ فالمناقشة الأولى أن العلماء لَمَ يروون عن العدول وعن غيرهم فالجواب أن العلماء قصداً لا يروون عن الفساق ولا عن الكذابين بل قالوا إن أحاديثهم موضوعة وصنفوا لإظهارها كتباً ـ قال الشيخ عبد الحق في مقدمة المشكاة إن جاء

المبهم بلفظ التعديل كما يقول الراوي أخبرني عدل ـ ففيه اختلاف والأصح أنه لا يقبل الخ .

٢ ـ والمناقشة الثانية إن الجرح لأخذ الحديث ليس بغيبة . .

فالجواب إن هذا صحيح وهل جرح أحد من علماء الجرح والتعديل على صحابي بل ذكروا أن الصحابة عدول .

٣ ـ والمناقشة الثالثة ـ إن الصحابي كل من رأى النبي عليه السلام فكيف يكون بهذا السبب عدلاً . .

فالجواب إن ذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء كما في سورة الجمعة ، وفي الحديث المشهور طوبي لمن رآني وآمن بي . الحديث .

٤ ـ المناقشة الرابعة نسبة إلى هذا العبد إن الروايات التاريخية موضوعة . .

فالجواب إني ما قلت هذا على الاطلاق بل للروايات المزخرفة للمطاعن على المؤمنين خلاف كتاب الله ، والأحاديث الصحيحة وأيضاً تزعمون أن العلماء يرؤون عن العدول وعن غير العدول أكان المؤرخون أعظم درجة من المحدثين فلا يروون عن غير العدول ثم المحدثون يروون بالأسانيد ويتكلمون عليها أهكذا دأب المؤرخين يروون بالأسانيد ويتكلمون عليها ـ قال محمد طاهر في خاتمة مجمع البحار (ص ٥٠٩) ، في المقاصد قال أحمد ثلث كتب ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير في الاتقان مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح وكذا حكاه الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ١١١).

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين .

رقّمه خادمكم عبيد الله العلوي ٧ / ٤ / ١٤٠٠

عنواني : باكستان ـ بلدة ديره غازي خان ـ بلاك ٣٦

قاضي عبيد الله علوي مفتي ديره غازيخان

فأخبرونا بوصول هذا المكتوب .

* * *

آخر كلمة لنا مع العلوي

١٧/ربيع ٢/١٤٠٠ هـ.

بسمه تعالى وله الحمد وصلاته على نبيه وآله .

تحية لكم وسلام عليكم وعلى كل من تحبون ورحمة منه وبركات .

تلقيت كتابكم في هذا اليوم : ١٧ / ربيع ٢ / ١٤٠٠ هـ . وقد سرّني إنني رأيت فيه الأمور التالية :

الأول : إنكم قبلتم بحديث الثقلين المتواتر .

الثاني : ما ذكرتموه حول الفقه الجعفري .

الثالث ؛ ما ذكرتموه من أن ما في كتب التاريخ ليس كله باطلاً .

الرابع : ما ذكرتموه من وجود أحاديث موضوعة ولا تصح في فضائل معاوية .

الخامس : قبولكم بأن جرح الرجال لأخذ الحديث عنهم ليس بغيبة .

السادس : قبولكم بأن الصحابي في اصطلاح علماء أهل السنة هو من رأى الرسول الأعظم « ص » ولو من بعيد شرط أن يكون مميزاً .

ولكن قد بقي في كتابكم مواضع تحتاج إلى بحث . . وحيث إنكم طلبتم مني إيقاف النقاش واعتذرتم بالمشاغل وبكبر السن . . فإنني سوف أجمل بعض

موارد النظر في كتابكم على النحو التالي :

١ ـ أما بالنسبة لحديث الثقلين . وأن المراد بأهل البيت غير معلوم ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بين المراد من أهل البيت في آية التطهير وبقي ستة أو تسعة أشهر يذهب ويقف على باب دار فاطمة ويقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . . وقد عيّنهم أيضاً حديث الكساء المستفيض في كتب المسلمين وهم : الخمسة أهل الكساء : النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسنان . وقد تكلم العلامة الكبير السيد مرتضى العسكري حول حديث الكساء في مجلة الهادي السنة ٥ العدد ٤ وليراجع أيضاً دلائل الصدق/ ج ٢ ابتداء من ص ٩٥ ، والدر المنثور في تفسير آية التطهير ، وصحيح مسلم ومستدرك الحاكم وسنن الترمذي وغير ذلك كثير جداً .

وأما ما ذكره في الموطأ من قول الرسول (ص) : كتاب الله وسنتي فمن جهة لا تنافي بين الحديثين ولا يضر ذلك بتواتر حديث كتاب الله وعترتي ، ومن جهة ثانية ؛

فإنما ذكره مالك بلاغاً ولم يذكر لنا سلسلة السند التي بينه وبين الرسول الأعظم فهو مرسل . . كما أن نفس الرسالة التي أرسلتها إليكم حول حديث الثقلين قد تعرّضت لرواية الموطأ والمشكاة فليراجع / ص ١٨ ـ ١٩ .

ووصية الرسول بكتاب الله كما ذكره الترمذي في الوصايا لا تضر بحديث الثقلين الذي ذكره الترمذي نفسه في سننه أيضاً كما نصت عليه الرسالة التي أرسلتها إليكم . .

وأما حديث المشكاة في باب وفاة النبي (ص) : اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فلا ربط له بالوصية بكتاب الله والعترة لأنه (ص) يريد أن يعهد إليهم عهداً يلزمهم به حتى لا يبقى عذر لمعتذر ، ولذلك نجد أن بعض الصحابة قد مانعوا في كتابته (ص) وقالوا : أهجر ؟! أو غلب عليه الوجع أو نحو ذلك . .

٢ ـ وحول صلة أبي حنيفة بالإمام جعفر الصادق (ع) ، فإنني أزيدكم :

أن أبا حنيفة نفسه قد قال : (لو لا السنتان لهلك النعمان) كما في مختصر التحفة الاثني عشرية / ص ٨ . ويا حبذا لو كنتم أخذتم بالفقه الجعفري مباشرة وبلا توسيط أبي حنيفة ، فتكونون قد شربتم من أصل النبع لا من فرعه . وإنني أطلب منكم أن تطالعوا كتاب : الامام الصادق (ع) والمذاهب الأربعة للعلامة الشيخ أسد حيدر الذي أرسله إليكم مع هذه الرسالة . .

٣ ـ وأما ما ذكرتموه حول كتب التاريخ . . فإن كتبهم ككتب أهل الحديث : أي كسنن البيهقي ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق وغيرها فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ولكن الأمور التي اتفق عليها غالب المؤرخين واستفاضت في كتبهم لا بد من قبولها ـ كما إن كثيراً من روايات التاريخ له أسانيد صحاح وحسان ـ كما أنكم أنتم قد صرحتّم أكثر من مرة بأنكم تقبلون الضعيف إذا لم يخالف كتاب الله ـ فلماذا لا تقبلون أحاديث المؤرخين هذه إذن . . وقولكم : إنها تخالف كتاب الله الدال على عدالة كل صحابي . . لا يمكن قبوله إذ ليس في القرآن ما يدل على عدالة كل من رأى النبي (ص) . . هذا بالإضافة إلى أن هناك أحاديث صحيحة السند في الموطأ والبخاري ومسلم والترمذي ومستدرك الحاكم ومصنف عبد الرزاق ومسند أحمد و و و كلها تدل على أن كثيراً من الصحابة قد فعلوا بعض المعاصي الكبار المنافية لعدالتهم ، فلماذا لا تشكلون على هذه الكتب أيضاً . .

بل إن قسماً كبيراً من الروايات التاريخية والتفسير والمغازي مأخوذ من كتب الحديث . . ولذلك تجدون أن المعترضين إنما يأخذون قسماً كبيراً من اعتراضاتهم عن أوثق الكتب الحديثية التي يقال عنها إنها أصح شيء بعد القرآن !! .

٤ ـ وأما ما ذكرتموه حول فضائل معاوية : فإن قياسها على فضائل علي قياس مع الفارق ، فقد قال أحمد والنسائي واسماعيل القاضي وأبو علي النيسابوري والنص لأحمد : « ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما لعلي رضي الله عنه». (مناقب أحمد لابن الجوزي الحنبلي/ ص ١٦٣ ، وليراجع فتح الباري / ج ٧ ص ٥٧) .

فكيف تقاس فضائل معاوية التي صرح الحفاظ بأنه ليس فيها حديث صحيح على فضائل علي عليه السلام ؟!! .

وما نقلتموه عن تذكرة الموضوعات من أنه لا يلزم من عدم صحة الحديث كونه موضوعاً . . . لا يلزمنا بشيء ما دام أن ذلك يكفي في عدم إمكان ترتيب أثر عليه .

وإذا كانت كل الأحاديث ضعيفة فإنه لا يصح أن يقال : إن معاوية له فضائل .

وأما أن معاوية قد كتب له (ص) فإن ذلك لا ينفع لأنه قد ثبت إنه كتب له بعض الرسائل ولم يكتب الوحي كما أثبته السيد أبو الفضل مير محمدي في مقال له سابق . . هذا عدا عن أن ابن أبي سرح قد كتب له (ص) ولكن ذلك لم يمنع النبي (ص) من أن يهدر (ص) دمه حتى شفع فيه عثمان في فتح مكة . . وحديث اللهم علمه الكتاب لا يفيده بعد أن حكم محمد طاهر نفسه في تذكرة موضوعاته قبل ذلك بسطر بأنه لم يصح في فضائله أي حديث . .

وقول السيوطي دليل لنا لا علينا . . وشهادة ابن عباس التي نقلتموها عن فتح الباري له لا تفيده لأن ابن عباس ليس من أهل البيت الذين عناهم حديث الثقلين كما أن فتح الباري نفسه ينص في نفس الصفحة / ج ٧ ص ٨١ على أن إسحاق بن راهويه والحاكم وأحمد بن حنبل والنسائي قد حكموا بأنه لا يصح في فضل معاوية شيء من طريق الإسناد ولذا لم يقل البخاري باب فضائل معاوية بل قال : باب ذكر معاوية . وأعود فأذكركم بما ورد في رسالتي السابقة في مقام نقل أقوال العلماء في فضائل معاوية .

وأما ما وقع لي في الفوائد المجموعة فسببه أني نقلت عنه بالواسطة ومع ذلك فإنه قد نقل إنه لا يصح في فضل معاوية شيء ثم أشار إلى حديث الترمذي ولقد راجعنا الترمذي فوجدناه قد ذكر حديثين حكم على كليهما بالغرابة وعلى الثاني حكم بالضعف أيضاً . . هذا عدا عن مناقشات العلامة الاميني لجميع فضائل معاوية في كتابه القيم : الغدير / ج ١١ ص ٧١ ، ١٠٣ وبين ضعف

الأحاديث الواردة في معاوية بما لا مزيد عليه . .

٥ ـ وأما أن العلماء لا يروون عن الفسّاق : كما قلتم ، فإنه عجيب أوليس تجدون في سنن البيهقي ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق روايات كثيرة عن الضعفاء والمجاهيل وأصحاب البدع والأهواء ؟! وإذا كان العلماء لا يروون إلا عن ثقة عدل فلماذا يحتاج إلى تمييز الموضوع عن غيره ولماذا لا تأخذون بكل ما في كتب العلماء من الروايات ولماذا تروي المتناقضات في الكتب . . أوليست الروايات التي يراد تمييز الصحيح من الفاسد منها قد ذكرها العلماء كلها في كتبهم حتى اضطر من جاء بعدهم إلى تدوين كتب الحديث والرجال والموضوعات وغيرها ؟! .

وأما عدم جرح أحد من العلماء للصحابة فإنما هو لشبهة حصلت لهم حيث تخيلوا أن لديهم أدلة تثبت عدالتهم جميعاً ، فلم يروا ضرورة للبحث عنهم . . ونحن نقول : إن هذه الأدلة التي اعتمدوا عليها لا تدل على عدالة كل صحابي ولا تثبت ما يريدون إثباته .

٦ ـ وأما استدلالكم على عدالة كل من رأى النبي (ص) بآية : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . » ، وبالحديث : « طوبى لمن رآني وآمن بي . . » فهو استدلال منظور فيه ، لأنه أولاً لا نسلم أن الله قد منحهم هذه العدالة أو تفضل عليهم بها لأن الأدلة التي يستدلون بها على العدالة محل نظر ومناقشة . . وإذا كان قد منحهم ذلك من دون استحقاق منهم ولا موجب فإن ذلك ينافي عدله تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، إذ قد كان اللازم أن يتفضل على جميع البشر بمثل ما تفضل به عليهم . .

وأما رواية : (طوبى الخ) فإن صح سندها فإنما تدل على أن من رآه مؤمناً به مع تحقق سائر الشرائط طوبى له . . وإلا . . فلو كان هذا الذي رآه وآمن بنبوته عاصياً يشرب الخمر ويزني أو يترك الصلاة ويقتل أبناء الأنبياء فإن رؤيته له وإيمانه بالنبي (ص) لا ينفعه.

وفي الختام . . فإنكم قد طلبتم مني إيقاف هذا البحث واعتذرتم عن ذلك

بمشاغلكم وشيخوختكم . . وأنا ـ وإن كان يصعب علي ترك البحث العلمي فإنني أكل ذلك إليكم . . والسلام عليكم وعلى كل من تحبون ورحمة الله وبركاته .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي .

كلمة ختامية

وبعد . . فإنني إذ أودّع القارىء على أمل اللقاء به من جديد ، في بحوث أخرى ، وعلى صفحات كتاب آخر . . آمل أن يكون هو السيرة النبوية الشريفة . . أتمنى من كل قلبي أن يكون قد خرج من هذا الكتاب راضياً عن مطالبه ، مرتاحاً إلى محتواه . . وإذا كان لديه ملاحظات من نوع ما فإنني أرجو أن يتحفنى بها على العنوان التالي :

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ قم ـ چهارراه غفاري ـ كوچه بو علي سينا ـ كوچه آخر دست داست ـ

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .

٨ / ٤ / ١٤٠٠ هـ .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

محتويات الجزء الثاني

تقديم .....

بحوث إسلامية

الحب في التشريع الإسلامي ٩
العقيدة والنظام ٢٩
السواك ٤١
الحروف المقطعة في القرآن ٦١
لمن هذه الكتب ٧٧
فلسفة الأخلاق في الإسلام ٨٧
نحن.. ونهج البلاغة ١٠١
الوحدة الإسلامية أسسها ومنطلقاتها ١١٣
صحة سند عهد الأشتر ١٢٧
الرياضة.. والاستعمار ١٥١
من هم الخالدون ١٥٥

أبحاث حول المرأة

المرأة المسلمة في مواجهة الطاغوت ١٦٣

ملكة جمال الإسلام ١٧٥
المرأة والرجل ١٨١

مقالات استطلاعية

١ ـ عتباتنا المقدسة: قم ١٨٧
٢ ـ عتباتنا المقدسة: النجف الأشرف ٢٠٣

مناقشات وردود

اللاموضوعية إلى متى؟ ٢٣٥
جوابنا على مجلة المجتمع الكويتية ٢٤٥
الصحابة في القرآن والسنة ٢٥٣
العلوي يرد على مقالنا حول الصحابة ٢٧٣
الرد على العلوي ٢٧٩
العلوي يعيد الكرة ٣٠١
مع العلوي من جديد ٣٠٥
العلوي يعترف ويعتذر ٣١٥
آخر كلمة لنا مع العلوي ٣١٩
كلمة ختامية ٣٢٥
محتويات الكتاب ٣٢٧

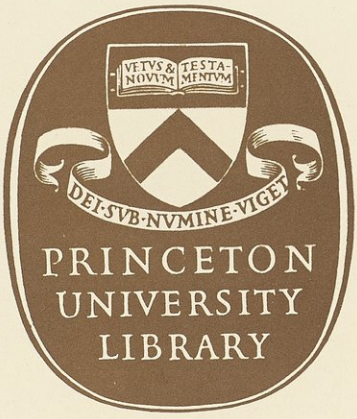
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 055405599

ثمن ۲۶۰ ریال